المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب
الدراسات العليا

الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد
حامد بن أحمد بن علي العامري

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
سيد محمد ساداتي الشنقيطي
أستاذ الإعلام الإسلامي بكلية الدعوة والإعلام

الجزء الأول

١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ

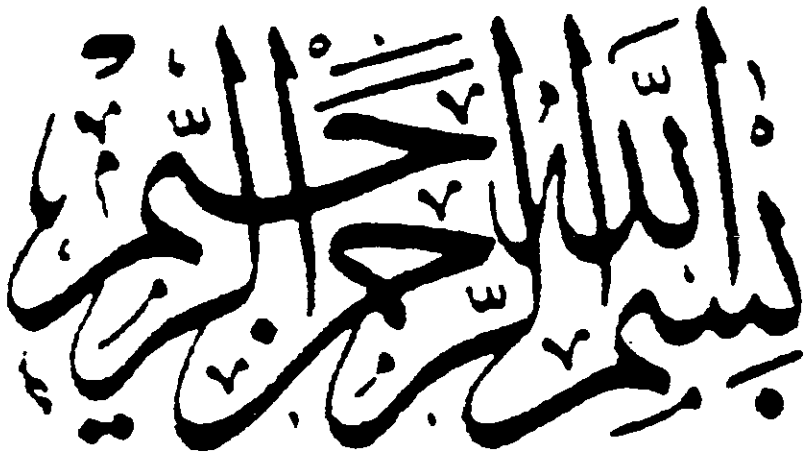
بسم الله الرحمن الرحيم

شكروتقدير

أحمد الله تعالىٰ علىٰ توفيقه وامتنانه ، وأشكره علىٰ إعانته وتيسيره ، وأصلي وأسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أما بعد :

فانطلاقاً من قول الرسول ﷺ : (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)[1] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (**ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه**)[2] .

فإني أتقدم بشكري الخالص لوالدي ـ حفظه الله تعالىٰ ـ أول أستاذ تلقيت منه العلم الديني ، والذي حبب إليَّ منذ الصغر هذا العلم ، ومايزال هذا دأبه ، فله مني الدعاء بطول العمر في مرضاة الله تعالىٰ والثبات علىٰ الإيمان ـ اللهم آمين ـ .

ثم الشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية وسمو نائبه وسمو مساعده للشئون الأمنية علىٰ جهودهم المتواصلة التي لا تعرف الكلل أوالملل للحفاظ علىٰ أمن هذا البلد الطيب المبارك ، والارتقاء بالمستوىٰ العلمي لرجاله . ولما خصوني به حفظهم الله تعالىٰ من كريم العناية ومنحي التفرغ المطلوب لإكمال هذه الرسالة .

---

(١) محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي ، الجامع الصحيح ـ سنن الترمذي ـ ت/ كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : بدون ، التاريخ : بدون : ٤/ ٢٩٨ ، رقم الحديث : ١٩٥٤ ، قال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، تاريخها : ١٤٢١هـ : ١/ ٤٦٤ ، رقم الحديث : ١٦٧٢ : وقال عنه : صحيح .

ثم أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما تقوم به من جهود طيبة عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء، وضاعف لهم الأجر والمثوبة .

كما أشكر جميع المسؤولين السابقين واللاحقين في كلية الدعوة والإعلام على ما بذلوه من جهود طيبة في خدمة العلم وطلابه ، وتخريج أفواج الدعاة إلى الله تعالى ، فالله أسأل أن يجزيهم عني خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه وأن يمدّهم بعونه وتوفيقه خدمة للإسلام والمسلمين .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لجهة عملي ـ كلية الملك فهد الأمنية ـ التي حققت رغبتي في إكمال دراساتي العليا، فلمسؤوليها السابقين واللاحقين مني جزيل الشكر والعرفان وأدعو الله عز وجل أن يثيبهم وأن يسدد على دروب الخير خطاهم .

والشكر الجزيل، والتقدير العظيم لأستاذي الدكتور/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي، أستاذ الإعلام الإسلامي بكلية الدعوة والإعلام، الذي كان لتوجيهات فضيلته ، وإرشاداته القيمة ، ودقته التي عرف بها، الأثر الطيب لرفع مستوى هذه الرسالة وخروجها بهذه الصورة على الرغم من انشغاله بأمور الدعوة، ولا أزال أكرر له تقديري على مابذل معي من جهد وعصارة فكر وما أعطاني من جهد ووقت ولما لمسته من فضيلته من حرص على كل ما في مصلحة الباحث وتصويب عمله وإتمام تكوينه وإتاحة الفرصة له للمناقشة وإثبات ما يراه . . فلم يفرض عليّ رأيا أو اتجاهاً في البحث، بل كان ينميّ فيَّ الشخصية العلمية والاستقلال بالرأي السليم، وفضيلته وفقه الله غني عن كل هذا الإطناب

والإطراء . . ولكنه بعض الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم فجزاه الله عني خيراً وأجزل له الأجر والمثوبة .

كما لايفوتني في هذا المقام أن أشكر أصحاب الفضيلة العلماءالدكتور/ إبراهيم الحميدان ، والدكتور/ أحمد البابطين ، والدكتور/ فضل إلهي على تشجيعهم ومساندتهم منذ بداية فكرة هذه الرسالة فجزاهم الله عني خيراً وضاعف لهم الثواب .

كما أتوجه بالشكر لكل من ساهم معي في إخراج هذه الجهد المتواضع ممن لم أذكره من المشايخ والزملاء ، وكذلك أهل بيتي الذين لولا فضل الله تعالى ثم معونتهم ما كان من الممكن أن يتم وينجز ، فجزى الله الجميع خيراً ووفقهم وهداهم إلى مايحبه ويرضاه . والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص والصواب في القول والعمل وأن يعفو عن التقصير والزلل .

وفي الختام أقول : إن ماكان من صواب في البحث فمن الله سبحانه وتعالى وهو المحمود عليه ، وما كان من نقص أو خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، وحسبي أني اجتهدت وما آليت في تلك المحاولة العلمية لرسم معالم طريق أرجو أن تتبع بمحاولات أخرى أفضل وأدق . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فإن الدعوة الإسلامية «ليست حركة تلقائية عفوية، ولا مجرد وعظ للناس وتذكير بفضائل الإسلام وآدابه فحسب ـ كما فهمها كثير من المسلمين ومارسها بعض من الدعاة في العصور المتأخرة ـ، وإنما هي ـ كما كانت في نشأتها الأولىٰ ـ حركة علمية وعملية، تتميز في مبادئها وأهدافها ومصادرها، وترتكز علىٰ أسس

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ ـ ٧١.

وقواعد علمية مدروسة، وتنضبط بضوابط شرعية محددة»[1]، إذ هي عمل صفوة الخلق سيدنا محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

والدعوة الإسلامية لها نظم وخطط مرسومة تحدد هويتها، مسلكها وغايتها هذه النظم تسمىٰ «المناهج الدعوية»، بينتها الشريعة الإسلامية عن طريق القرآن والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3]، هذه المناهج هي التي تقرر الأساليب والكيفيات الملائمة لكل فئات المدعوين في تبليغ الدعوة ونشرها عن طريق العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء في حمل الأمانة والدعوة إلىٰ الله، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ (**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**)[4].

ولشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية، فإن هذه المناهج تتنوع بحسب الجانب الذي تعنىٰ به.

فإن كانت تعنىٰ بالموضوع فإنها تتنوع تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: «العقل ـ القلب ـ الحس».

---

(١) محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلىٰ علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٤١٥هـ: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٤) أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي السنن، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ: ٤/ ٣٩، رقم الحديث: ٣٦٤١، ورواه الترمذي الجامع الصحيح: ٥/ ٤٧، رقم الحديث: ٢٦٨٢، و الألباني، صحيح سنن أبي داود: ١٤٢١هـ: ٢/ ٤٠٧، وقال عنه: صحيح، مرجعان سابقان.

فما كان من المناهج مرتكزا على العقل سمي بالمنهج العقلي .

وما كان منها مرتكزاً على القلب سمي بالمنهج العاطفي .

وما كان منها مرتكزا على الحس سمي بالمنهج الحسي أو التجريبي[1] .

ونظراً لأهمية المناهج في استمرارية الدعوة والدفاع عنها وحفظ عقيدتها ، اهتم العلماء بتلك المناهج رغم حداثة علم الدعوة كعلم ـ مقارنة بالعلوم الإسلامية الأخرى ـ ، وهناك بعض الدراسات السابقة تناولت الموضوع في الجملة ، منها :

١ ـ دراسة الأستاذ الدكتور/ محمد أبوالفتح البيانوني بعنوان : «المدخل إلى علم الدعوة» ، وجعل مناهج الدعوة باباً من أبواب دراسته .

٢ ـ الأستاذ/ علي محمد جريشة في كتابه «مناهج الدعوة وأساليبها» .

٣ ـ الدكتور/ محمد السيد الوكيل في كتابه «تقنين الدعوة ـ مراحلها ومناهجها» .

وهناك رسائل علمية منها المناقش ومنها المسجل بأقسام الدعوة في الجامعات الإسلامية تنصب على مناهج الدعوة ، إلا أن الباحث لم يحظ بدراسة شاملة مؤصلة عن الدعوة إلى الله بالمنهج العاطفي في القرآن والسنة كما سيأتي بيانه في مبحث «الدراسات السابقة» . ولذا رأيت بعد القراءة المستفيضة والاستخارة والاستشارة العلمية أن يكون بحثي بفضل الله تعالى في هذا الموضوع .

(١) إن تقسيم المناهج إلى ثلاثة أنواع على حسب ما توصل إليه الدكتور/ محمد البيانوني أمر اجتهادي ، فقد ذكر بعض العلماء تقاسيم أخرى باعتبارات أخرى ، سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى في الفصل التمهيدي من هذه الرسالة .

أهميـة الموضـوع

لكي تتضح لنا أهمية موضوع «الدعوة إلىٰ الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة المطهرة» ، لابد لنا من ذكر أهمية مصطلحاته كمقدمة لذكر أهمية الموضوع بشكل عام .

١ ـ أهمية الدعوة:

الدعوة إلىٰ الله ضرورة كضرورة الطعام والشراب للإنسان في هذه الحياة ؛ لأنها تكون الشق الثاني فيه وتغذي روحه . ولو كان الحق يقوم بذاته ، والأمم تنشأ من تلقاء أنفسها ، والمذاهب تنتصر لمجرد الأماني والأحلام، لما فرضت علينا الدعوة إلىٰ الحق ، ولما كان هناك من حاجة إلىٰ الأنبياء والمرسلين .

٢ ـ أهمية المنهج بشكل عام في مجال الدعوة الإسلامية :

إن المنهج في مجال الدعوة إلىٰ الله له أهمية كبرىٰ ، كونه الطريق المنظم الذي يقدم من خلاله حقائق دقيقة وتربية عميقة تهدف إلىٰ بناء مجتمع سليم التفكير والثقافة سوي الشخصية، يستطيع تحمل المسئولية، إضافة إلىٰ أنه يقدم الخبرات السابقة والمكتسبة من خلال الزمن وطول التجربة إلىٰ الجيل التالي؛ ليواصل الدعوة بكل جوانبها : العقدية، الفكرية، العلمية، إلىٰ غير ذلك .

٣ ـ أهمية القلب (محل العاطفة) :

بما أن المنهج العاطفي يركز علىٰ القلب؛ لأنه وعاء العاطفة، فهو محل الشعور والوجدان، وموضع التصديق والإيمان، ومكان الكفر والعصيان ، وهو

سـر النشـاط والخـمـول، وبه يكون الإقـبـال والإدبار، ومنه يكون الإقـدام والإحجام، ولهذا كله سمي قلبا؛ لتقلبه وتحوله من الشيء إلى ضده، ومن النقيض إلى النقيض.

ولتعلق موضوعنا بالقلب أورد أهميته باختصار من خلال النصوص التالية:

أ ـ إن أقوال القلب «وهي تصديقاته وإقراراته» وأعماله وحركاته من: خوف ورجاء ومحبة وتوكل وخشية وغير ذلك، هي من أعظم أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وبتخلفها يتخلف الإيمان، وها هم المنافقون يقولون الشهادة بألسنتهم ويشاركون المسلمين في أعمالهم الظاهرة، ولكنهم بتخلف إقرارهم وتصديقهم كانوا ﴿**فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾(١).

ب ـ القلب السليم سبب لنجاة صاحبه من الهلاك، قال تعالى: ﴿**وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٢).

جـ ـ القلب السليم هو المسؤول عن أعمال الإنسان، قال رسول الله ﷺ: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)(٣).

د ـ القلب هو سبب صلاح الإنسان من عدمه يقول الرسول ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)(٤).

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٨٧ ـ ٨٩.

(٣) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح النووي، إعداد: مجموعة أساتذة مختصين بإشراف: علي عبدالحميد أبوالخير، دارالخير، دمشق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ: ١٦/ ٩٤، رقم الحديث: ٣٤/ ٢٥٦٤.

(٤) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ١/ ١٦٧، جزء من الحديث ذي الرقم: ٥٢.

هـ ـ إن الله أمر بتطهير القلب وتنقيته وتزكيته قبل غيره من الأعمال، فقد جعل الله من غايات الرسالة المحمدية تزكية الناس وقدمها على تعليمهم الكتاب والحكمة في الذكر لأهميتها، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(١).

أهمية المنهج العاطفي واستخدامه في الدعوة:

المنهج العاطفي من حيث الاستخدام في المجال الدعوى مصاحب للدعوة منذ نشأتها؛ لأنه مرتبط بالقلب، وهو موجود في الإنسان بالقوة، لكنه من حيث الاستخدام الاصطلاحي قريب جداً، ولم أقف على محاولات لتعريفه سوى ما ذكره الدكتور/ محمد أبوالفتح البيانوني، والذي سيأتي إن شاء الله مفصلاً في الفصل التمهيدي.

أمّا أهميته فتظهر في الآتي:

١ ـ أن المنهج العاطفي أحد المناهج الدعوية التي أرسى قواعدها القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي لاغنى عنه في مجال الدعوة إلى الله، وهو ملازم ومتداخل مع المناهج الأخرى: «المنهج العقلي ـ المنهج الحسي».

٢ ـ أن الدعوة تحتاج إلى تحريك القلوب نحو الإيمان، وتنفيرها من الكفر والفسوق والعصيان، وهذا يحتاج إلى خبرة بتلك القلوب التي يراد تحريكها، وإلى معرفة الدوافع التي جبلت القلوب على التأثر بها، والمناسب لذلك هو استخدام أساليب المنهج العاطفي المختلفة.

٣ ـ أن المنهج العاطفي بما له من تأثير في النفس البشرية يعد من أهم عوامل الإقناع والتأثير في المدعوين. وقد بين ذلك القرآن الكريم وقدمه على المنهج العقلي في بعض المواطن كما هو حاصل في سورة الغاشية.

(١) سورة الجمعة، آية: ٢

٤ ـ إن مما يزيد من أهمية «المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله»، تعدد أساليبه التي توضح سعة دائرة استعماله . ومنها[١]:

أ ـ أسلوب الموعظة الحسنة ، وله أشكال عديدة منها :

ـ الإشارة اللطيفة المفهومة .

ـ التعريض .

ـ الكناية .

ـ القصص الوجدانية المؤثرة .

ـ التذكير بالنعم المستوجبة للشكر .

ـ المدح ، وذلك بذكر الخصائص والمزايا الحميدة .

ـ الذم ، وذلك بذكر المعايب والأخطاء .

ـ الترغيب .

ـ الترهيب . . . وغير ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤدي بالمدعوين وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة .

وقد استخدم القرآن الكريم والسنة النبوية أمثلة كثيرة لجميع هذه الأشكال لا تخفى على المستدل . وقد نص القرآن الكريم على أسلوب «الموعظة الحسنة» نصاً

(١) انظر : الدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة : ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ، مرجع سابق وكذلك انظر : مرزوق بن سليمان اليوبي ، الدروس الدعوية في السنة الفعلية في صحيح مسلم ، بحث مكمل للماجستير ، قسم الدعوة ، المدينة المنورة ، عام ١٤١١هـ : ٣٣ ـ ٤١ .

صريحاً وأمر باستخدامه، قال تعالىٰ : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(١).

ب ـ أسلوب الرحمة بالمدعوين ، ويكون بالآتي:

ـ القول الصريح اللطيف اللين .

ـ أو الكلمة الاستعطافية المؤثرة، مثل المناداة بكلمة : «يا أبت، ويا بني ، ويا قوم »، وقول الداعي : «إني أحبك وأخشىٰ عليك » ، وما إلىٰ ذلك من أشكال القول .

ـ أو مشاركة وجدانية في موقف .

قال تعالىٰ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

جـ ـ أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات:

يتنوع هذا الأسلوب بتنوع الحاجات المطلوبة والمساعدات المقدمة، مادية كانت أومعنوية، قليلة كانت أو كثيرة .

فجميع هذه الأساليب وأمثالها تشكل ما يسمىٰ «بالمنهج العاطفي» .

٥ ـ يتضح مما سبق فائدة هذا البحث للنشاط الدعوي في هذا الزمان، فإن اختلف الزمان لم يختلف الإنسان ـ ميدان الدعوة الأول ـ ؛ بل زاد طغيانه وغروره بما وصل إليه العقل البشري من تقدم مادي ، أحدثته المدنية الحديثة

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩ .

ومـاديتـهـا الشـرسـة المحـمـومـة وتكالبـهـا المسـعـور، فـقد بـعثـت القلق في النفـوس وأورثتها أمراضاً خطيرة كثيرة، ولاسبيل لتخفيف معاناة البشرية إلا سبيل الدعوة وفق منهج دعـوي علمي حكيم بصير سهل رباني، قال تعـالىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١). وهذا ما تهدف له الدراسة.

سـبب اختيـار الموضـوع

إن ما تـقدم شرحـه من بيـان لأهميـة الموضوع، كـان من الأسبـاب الأساسية لاختياره إضافة للأسباب التالية:

١ ـ أمـر الله باسـتـعمـال المنهج العـاطفي، قـال تعـالىٰ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٤).

٢ ـ الحـاجـة إلىٰ إثبـات أصـالـة هذا المنهج من خـلال إبراز اسـتـخـدامـاته في القــرآن والسنة، وإبراز أثره في الدعــوة إلىٰ الله وعــلاقــتــه بالمناهـج الدعــوية الأخرىٰ.

٣ ـ قلة المراجع التي تحدثت عن الدعوة إلىٰ الله بهذا المنهج؛ بل لم أجد من الباحثين من تناولـه بالدراسة الشـاملة المباشرة؛ بل إن من كـتب في أجـزائه حصـر دراسته في شكل واحد: «كالترغيب والترهيب»، أو «القصة العاطفية» أو غيرها من أشكاله المتعددة سابقة الذكر.

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة طه، آية: ٤٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٨٣.

٤ ـ كشف أبعاد الدعوة بهذا المنهج وتزويد الداعية بالأساليب الوجدانية المؤصلة ، التي يستطيع من خلالها تبليغ الدعوة ونشرها بالأسلوب الأمثل وفي شتىٰ المواطن المختلفة .

٥ ـ الدعوة إلىٰ الله بالمنهج العاطفي يرجىٰ أن يؤدي إلىٰ تثبيت الإيمان وترسيخه في النفوس ، وهذا فيه حفظ للعقيدة من المذاهب الباطلة والغزو الفكري والاستعمار الثقافي الذي تبتلىٰ به الشعوب في هذا العصر .

أهداف البحث:

يحاول الباحث في هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ تزويد طلبة العلم والدعاة إلىٰ الله بمنهج علمي يوضح طريقاً صحيحاً من طرق الدعوة علىٰ ضوء الكتاب والسنة ؛ لأن الدعاة هم أحوج الناس إلىٰ معرفة هذا الطريق أثناء دعوتهم الناس للدين الحق ، واستمالتهم إليه وتوجيههم المدعوين ، والتعريف بأوامر الله ونواهيه بطريقة علمية رحيمة حكيمة قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١) .

٢ ـ تهدف الدراسة كذلك إلىٰ بيان كمال منهج الإسلام في دعوة الإنسان إلىٰ الله تعالىٰ من خلال المنهج العاطفي .

٣ ـ سيحاول هذا البحث بفضل الله تعالىٰ سد ثغرة لم تنل عناية الباحثين ، ولم تتوجه نحوها كتاباتهم وفق ما أكدته الدراسات السابقة واستقصاء الباحث فيها .

---

(١) سورة يوسف ، آية : ١٠٨ .

الدراسات السابقة:

أولاً : الكتب العلمية:

بعد البحث عن المراجع والبحوث اللصيقة بهذا الموضوع في كتب الدعوة والتربية الإسلامية، تم العثور على ثلاثة مراجع من الكتب العلمية، تحدثت عن بعض جوانب المنهج العاطفي في الدعوة، وهي:

١ ـ كتاب «المدخل إلى علم الدعوة» للدكتور محمد أبوالفتح البيانوني، تحدث في الفصل الثالث منه عن المناهج الدعوية من خلال ثلاثة مباحث: من صفحة ١٩٥ ـ ٢٤٠.

المبحث الأول: تعريف المناهج وأهدافها.

المبحث الثاني: التعريف بالمناهج الثلاثة: «العقلي ـ العاطفي ـ الحسي» مع بيان أساليبها.

المبحث الثالث: الملامح العامة للمناهج وخصائصها.

٢ ـ كتاب «تقنين الدعوة ـ مراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول ـ إلى القرن السادس» للدكتور/ محمد السيد الوكيل، تحدث في الفصل الثاني من الكتاب عن المنهج العقلي والعاطفي وضوابطهما، والغرض من استعمالهما، من صفحة ١٨٣ ـ ٢٠٥.

٣ ـ كتاب مناهج الدعوة وأساليبها للدكتور/ علي محمد جريشة، يقع هذا الكتاب في ٢١٥ صفحة من الحجم الصغير، ويتكون الكتاب من خمسة أبواب، على النحو التالي:

الباب الأول : مناهج الدعوة وبه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : تعريف المنهج وأقسام مناهج الدعوة حيث قسمها إلىٰ فطري ، عقلي، أخلاقي .

وتحدث عن العاطفة من حيث التعريف وضرب لها أمثلة من صفحة ٣٢ إلىٰ صفحة ٣٧ فقط . وذكر أن بعض الكتاب يفصل بين العاطفة والفطرة، لكنه يرىٰ هو أن هذا فصل بين متشابك .

الفصل الثاني : مرحلة البناء والتكوين .

الفصل الثالث : مرحلة المواجهة والتمكين .

الباب الثاني : أهداف المناهج : وبه ثلاث فصول .

الباب الثالث : أساليب الدعوة : وبه ثلاثة فصول .

الباب الرابع : خصائص المناهج والأساليب : وبه ثلاثة فصول .

الباب الخامس : النتائج والآثار : وبه فصلان .

ثانياً: الدراسات الجامعية:

لقد كتب في أجزاء هذا الموضوع بعض من الباحثين ، وتناوله كل منهم من زاوية معينة تخدم غرضه ، ومن أبرز هذه الدراسات :

٤ ـ الترغيب في دعوة النبي ﷺ، رسالة ماجستير للباحث / سليمان بن عبدالعزيز الدويش، تحدث فيها عن الترغيب فقط .

٥ ـ الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، رسالة ماجستير للباحثة / رقية بنت نصر الله نياز، تحدثت فيها عن الترهيب فقط وأنواعه ومجالاته وتأثيره.

٦ ـ منهج القرآن في مخاطبة الإنسان بين العقل والعاطفة والفطرة:

هذه الدراسة أطروحة دكتوراه مسجلة في كلية الدعوة بالمدينة المنورة للطالب/ إبراهيم بن محمد الجار الله، سجلت في ١/ ١/ ١٤١٤هـ ولم ينته الباحث من إعداد هذه الأطروحة حتى وقت كتابة هذه السطور، وقد تم الاتصال بالباحث نفسه وأفادني بأن:

الرسالة تتكون من:

أ ـ تمهيد وإطار منهجي يشمل سبعة فصول تمثل مدخلاً للرسالة.

ب ـ سبعة أبواب تحمل العناوين التالية:

الباب الأول: معالم الخطابة في القرآن.

الباب الثاني: صيغة خطاب القرآن.

الباب الثالث: طبيعة خطاب القرآن.

الباب الرابع: التصوير في خطاب القرآن.

الباب الخامس: وقع الخطاب وجرسه.

الباب السادس: أساليب خطاب القرآن.

الباب السابع: خطاب القرآن والعقل والعاطفة والفطرة.

جوانب التلاقي والتباين بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

١ ـ بالنسبة للكتاب الأول والثاني فإنهما يلتقيان مع الدراسة الحالية في الفصول المذكورة، لكنهما يشتملان على مفاتيح موضوعات مختصرة جداً، يمكن الاستفادة منهما في خطة الدراسة والعناصر التي ينبغي دراستها والوقوف عليها.

٢ ـ بالنسبة للكتاب الثالث فإنه توجد فيه جوانب التقاء وجوانب اختلاف مع الدراسة الحالية، فالالتقاء هو ماكتبه المؤلف عن المنهج الفطري من أجزاء تتعلق بتعريفه وبعض أساليبه وخصائصه، أما الاختلاف فيتمثل في أن المؤلف يرى أن الفطرة هي العاطفة، وعلى هذا كانت دراسته كما أن المؤلف قسم المناهج إلى فطري ـ عقلي ـ أخلاقي، وهو بهذا خلط بين تقسيمات المناهج من حيث الموضوع ومن حيث تقسيمها بالنسبة للمدعو. والتنوع في الطرح للمناهج يؤدي إلى اختلاف التناول كما سيظهر من خلال هذه الدراسة إن شاء الله.

٣ ـ أما بالنسبة للرسالتين العلميتين (٤، ٥) فإنهما يلتقيان مع الدراسة الحالية في كونهما من أشكال أسلوب الموعظة، لكنهما لا يمثلان المنهج العاطفي بمفهومه الشامل، وأيضاً عاطفتا الترغيب والترهيب ليستا أولى العواطف في الإنسان ولا أقواها؛ بل يسبقهما ويكون أقوى منهما عاطفة الحب والكره، والغضب والرضا، مع عدم التقليل من أهميتهما[1].

---

(١) انظر: محمد السيد الوكيل، تقنين الدعوة، مراحلها ومناهجها واستمراريتها، دار المجتمع، جدّة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٤هـ: ٢٠٣.

٤ ـ وأما ما يتعلق بالرسالة السادسة : فلم يفد منها الباحث كونها لم تنته بعد، إلا أنه يتضح من أبوابها أنها تلتقي مع البحث فيماطرح في الباب السابع، حيث تناول باحث الرسالة في دراسته للخطاب الركائز الفطرية الثلاث : العقل، الفطرة، العاطفة. إلا أن هذا التنوع والتناول للخطاب فقط يجعل الرسالة تختلف عن دراستنا الحالية.

ومما سبق يتضح أن الإضافة العلمية: التي يسعى الباحث لتحقيقها إن شاء الله، هي الدراسة العلمية الشاملة للمنهج العاطفي في القرآن والسنة، لكشفه وتأصيله ببيان مفهومه وخصائصه ومكانته بين المناهج الدعوية الأخرى، وتأثيره في الدعوة إلى الله وبيان شتى أساليبه وضوابطه واستخداماته في القرآن والسنة، حتى يجتمع للداعية في بحث واحد كل ما يهمه في هذا الموضوع.

تحديد المشكلة البحثية:

دلت الملاحظة المتأنية التي قام بها الباحث باعتماده بعد الله تعالى على القراءة المركزة والمتكررة في أهم المراجع والمصادر الرئيسة التي لها علاقة مباشرة بالبحث، وعلى رأسها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، إلا أن هناك مناهج وطرقاً مهمة جداً استخدمت في مجال الدعوة، فكانت سبباً رئيساً في استجابة الناس لهذا الدين وإقبالهم عليه ؛ بل تحولهم السريع والمباشر للدعوة إلى هذا الدين والتحمس لنشره، ومن أهم هذه المناهج : المنهج العاطفي، فالبحث محاولة للكشف عن هذا المنهج الدعوي ، ونظراً لطبيعة البحث فإن الجهد فيه سينصب على الإجابة عن أسئلة محددة هي :

تساؤلات البحث:

س ١ : مامفهوم المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله ؟

س ٢ : ما مكانته بين المناهج الدعوية الأخرىٰ ؟

س ٣ : ما خصائص هذاالمنهج في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ؟

س٤ : ما مواطن استعمالات المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ؟

س ٥ : هل استخدم القرآن هذا المنهج ؟

س ٦ : هل استخدم الرسول ﷺ هذا المنهج في الدعوة ؟

س ٧ : ما الطرق والأساليب التي جرىٰ من خلالها عرض المنهج العاطفي وتقديمه ؟

س ٨ : ما تأثيره؟ وما ضوابطه ؟

س ٩ : كيف يستثمر هذا المنهج في الدعوة إلىٰ الله في عصرنا الحاضر؟

أدوات جمع المادة العلمية:

إن أهم سمات الموضوع أنه بحث استقرائي تتبعي لطريقة القرآن الكريم والسنة المطهرة في دعوة الإنسان إلىٰ الله بالمنهج العاطفي، مع التحليل والاستنباط لآيات القرآن ونصوص السنة، وهذا سيصل بالباحث بإذن الله إلىٰ حصر الطرق التي سلكها القرآن والسنة في الدعوة بهذا المنهج، إضافة إلىٰ الاستفادة من نظرات الباحثين في دراسات سابقة لم تصل إلىٰ درجة الاستقراء العلمي التام، كما ظهر للباحث في أثناء تناوله للدراسات والكتابات السابقة . فالباحث يجمع أيضاً شتات هذا الموضوع المتناثر في كتب شتىٰ لم يسبق أن انتضمت في موضوع واحد.

ولهذا فإن الباحث سيعتمد بعد الله على القراءة المتعمقة للجوانب المتعلقة بمجال البحث من كتاب الله الكريم وعلومه وكتب التفسير، وسنة نبيه الأمين ﷺ وشروحها، وكذلك القراءة المتعمقة للدراسات السابقة المتعلقة بالبحث من كتب السيرة والتاريخ والتربية الإسلامية والدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة.

يضاف إلى ماسبق عرض ما أشكل على الباحث من مسائل وموضوعات تتعلق بالبحث على أهل العلم، والاستفادة من خبرات الدعاة وتجاربهم عن طريق الأسئلة والمقابلة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، ولكي يقترب البحث من درجة الاستقصاء التام إن شاء الله تعالى.

نوع البحث ومنهجه:

بالنظر إلى أن البحث بالصورة التي ذكرت، فإنه بحث مكتبي وثائقي مرتبط بكتاب الله عز وجل والسنة النبوية المطهرة ارتباطاً وثيقاً، ولهذا فإن الباحث سيعتمد بعد الله في الوصول إلى الحقائق على مناهج البحث التي تلائم طبيعته، وهي:

١ ـ المنهج الاستقرائي: وهو المنهج القائم على حصر كافة الجزئيات والوقائع والنصوص المتعلقة بفكرة واحدة أو موضوع محدد[2]. وذلك عن طريق جمع البيانات التي لها علاقة بالمشكلة البحثية التي أريد بحثها، ثم أقوم بتبويبها وتنظيمها معتمداً على الخبرة والقراءة للوصول إلى النتائج، ولهذا سوف أقوم بجمع كل ماكتب عن المنهج من خلال النظر في الآيات القرآنية ونصوص السنة التي تبرزه.

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) انظر: د. غازي حسين عناية: مناهج البحث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة: بدون، تاريخها ١٩٨٤م: ٨٠ـ٨١.

٢ ـ المنهج الاستدلالي «الاستنباطي» : وهو المنهج الذي يبدأ الباحث السير فيه من قضايا ثابتة ومسلم بها إلىٰ قضايا أخرىٰ تتضمنها وتنتج عنها بالضرورة دون الالتجاء إلىٰ التجربة[١] .

وعلىٰ ضوء ما سبق سيكون أبرز معالم منهج تحليل المادة العلمية ودراستها التي يزمع الباحث احتذاءها في بحثه إن شاء الله الآتي :

أ ـ استقراء آيات القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة واستخراج ما يتعلق بالمنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله .

ب ـ تقسيم الآيات وسنة المصطفىٰ ﷺ بحسب موضوعات البحث .

جـ ـ استنباط المسائل المتعلقة بالبحث من القوائم التي سبق ذكرها ، مع بيان وجه صلتها بالموضوع الذي أوردته فيه .

د ـ سيضرب الباحث أمثلة لكل قاعدة يتوصل إليها أو مسألة يستنبطها .

هـ ـ أصول التفسير وأصول الفقه المتفق عليها أو الراجحة عند أهل العلم محكمة في بيان الفهم الصحيح من غيره في هذا البحث .

و ـ يفيد الباحث من أمهات كتب التفسير وشروحات السنة ، ولايصدر عن قول في آية أو حديث إلابعد الرجوع إليها ومعرفة ما أوردته في الآية أو الحديث .

ز ـ سيعرض الباحث ما أشكل عليه في بحثه علىٰ ذوي الاختصاص من العلماء وطلبة العلم والدعاة بهدف زيادة الفائدة العلمية ، وإثراء البحث بما قد يكون موجوداً في واقع ميدان الدعوة .

---

(١) د. عبدالرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، وكالة المطبوعات الكويتية ، الكويت ، الطبعة : الثالثة ، تاريخها : ١٩٧٧م : ١٨ .

وهذا المنهج الذي سيتبع في البحث يمكن الباحث إن شاء الله من الإجابة على تساؤلات الدراسة بشكل علمي دقيق.

تقسيم الدراسة:

الفصل التمهيدي، ويشتمل على ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مفهوم المنهج العاطفي في الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: مشروعية المنهج العاطفي.

المبحث الثالث: مكانة المنهج العاطفي بين المناهج الدعوية الأخرى.

الفصل الأول: موضوعات الدعوة بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة ويشتمل على خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول: إثبات وحدانية الله.

المبحث الثاني: إثبات النبوة.

المبحث الثالث: إثبات البعث.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الطاعات.

المبحث الخامس: التحذير من المعاصي.

الفصل الثاني: أساليب عرض المنهج العاطفي في الكتاب والسنة ويشتمل على ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: أسلوب الموعظة الحسنة.

المبحث الثاني: أسلوب الرحمة بالمدعوين.

المبحث الثالث: أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات.

الفصل الثالث: مواطن استخدام المنهج العاطفي وخصائصه في الكتاب والسنة، ويشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول : مواطن استخدام المنهج العاطفي .

المبحث الثاني : خصائص المنهج العاطفي .

الفصل الرابع: ضوابط المنهج العاطفي في الكتاب والسنة ويشتمل على أربعة مباحث هي:

المبحث الأول : ربط المنهج العاطفي بالإيمان .

المبحث الثاني : ربط المنهج العاطفي بالعقل السليم .

المبحث الثالث : ربط المنهج العاطفي بالواقع .

المبحث الرابع : مراعاة القدر المناسب عند استعماله .

الفصل الخامس: آثار المنهج العاطفي وأوجه الاستفادة منه، ويشتمل على مبحثين ، هما:

المبحث الأول : آثار المنهج العاطفي .

المبحث الثاني : أوجه الاستفادة من المنهج العاطفي .

الخاتمة: وبها :

١ ـ خلاصة البحث ونتائجه .

٢ ـ التوصيات .

الفهارس .

الفصل التمهيدي

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: مفهوم المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى في الكتاب والسنة .

المبحث الثاني: مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الثالث: مكانة المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى بين المناهج الدعوية الأخرى .

المبحث الأول

مفهوم المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى في الكتاب والسنة

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المنهج .

المطلب الثاني: تعريف العاطفي .

المطلب الثالث: تعريف الدعوة .

المطلب الرابع: تعريف المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأول

مفهوم المنهج العاطفي في الكتاب والسنة

المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى مصطلح مركب من مفردات ، الأولى : المنهج ، والثانية : العاطفي ، والثالثة : الدعوة . وقبل تعريف المصطلح نبدأ بتعريف مفرداته أولاً ثم تعريفه وسيكون ذلك وفق المطالب التالية :

المطلب الأول

تعريف المنهج

علم الدعوة كغيره من العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وقبل ذلك هو أحد فروع المعرفة الإسلامية التي تهتم بإصلاح الفرد والمجتمع ، فتهتم بالأفعال والأشخاص الذين يصنعون الأحداث ، إضافة إلى الاهتمام بالأفكار والمبادئ والمعتقدات ورد الشبهات ، ولهذا ينبغي أن يؤسس البحث فيه على منهج راسخ يوصل إلى الحقائق المتعلقة بقضاياه ، ومسائله ، ومشكلاته .

«والنازلون في ميدان المنهج وميدان ما قبل المنهج من الكتاب والعلماء في كل فقه ، وفي كل أمّة ، وفي كل ملّة ، وفي كل ثقافة ، لهم شروط محكمة لا يمكن إغفالها البتّة ، فهي أركان لايقوم بناء إلاّ عليها ، ولا يمكن أن يسمى كاتباً أو عالماً أو باحثاً إلا من حاز أكبر قدر من هذه الشروط ضربة لازب . ولم توجد على الأرض أمة واحدة سمحت لأحد أن ينزل ميدان ما قبل المنهج ، وميدان مابعد المنهج في علم كان أو فنّ ، إلاّ وهو مطيق للنزول فيه بحقه ، فإذا اجترأ مجترئ عار من الشروط وفعل نفي وطرد طرداً وأبوا أن يعدّوه في الكتّاب كاتباً ، أو في العلماء عالماً ، أو في الباحثين باحثاً ، وألقي عمله كله في سلّة المهملات ـ كمايقولون ـ وجماع الشروط كلها في هذا الشأن منوط بثلاثة أمور : لغته التي نشأ

فيها صغيراً، وثقافة أمته التي ينتمي إليها وارتضع لبانها، وأهوائه التي يملك ضبطها أو لايملكه بعد أن استوىٰ رجلاً مبيناً عن نفسه »[1] . ولزيادة بيان مفهوم المنهج نتناول تعريفه في اللغة والاصطلاح، فنقول:

التعريف اللغوي:

المنهج كالمنهاج ، وهو الطريق البين الواضح، يقال: أنهج الطريق إذا وضح واستبان وصار نهجا بينا، قال يزيد بن حذاق العبدي :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت سبل المكارم والهدىٰ تعدىٰ

(أي تعين وتقوي).

واستنهج الطريق: صار نهجا، وفي حديث العباس: «لم يمت رسول الله ﷺ حتىٰ تركّكم علىٰ طريق ناهجة»، أي واضحة بينة [2] .

والمنهاج: الطريق الواضح، والخطة المرسومة (محدثة) . ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوها. والمنهج جمعه : مناهج [3] . فكلّ تعاريف كلمة (منهج) لغة تدور علىٰ معنىٰ وضوح الأمر واستبانة الطريق المؤدية إلىٰ الغرض المطلوب.

---

(١) سيّد محمد ساداتي الشنقيطي، الإعلام الإسلامي، (المنهج)، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٩هـ : ٢٣.

(٢)جمال الدين أبوالفضل محمد بن مكرَّم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري، لسان العرب، اعتنىٰ به: أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٨هـ: ١٤/ ٣٠٠ـ ٣٠١، مادة (نهج).

(٣) إبراهيم مصطفىٰ وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة: بدون تاريخها: ١٤٠٠هـ: ١/ ٩٥٧، مادة نهج.

ولم ترد مادة (نهج) في القرآن الكريم غير مرة واحدة في قوله تعالىٰ : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(١) .

يقول الطبري رحمه الله : « وأما المنهاج ، فإن أصله : الطريق البين الواضح ، يقال منه : «هو طريق ، ومنهج» بيّن . فمعنىٰ الكلام : لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلىٰ الحق يؤمه ، وسبيلاً واضحاً يعمل به» (٢) .

ويقول الخازن رحمه الله تعالىٰ في تفسيره عن الشرعة والمنهاج : «الشرعة : الشريعة . وقيل : هو من الشروع في الشيء . والشريعة في كلام العرب : المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها .

وقيل : الشريعة : الطريقة ، ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلىٰ الدين .

والمنهاج : الطريق الواضح . وقال بعضهم : الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنىٰ واحد ، والتكرير للتأكيد والمراد بهما : الدين . وقال آخرون : بينهما فرق لطيف ، وهو أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده . والمنهاج : الطريق الواضح المؤدي إلىٰ الشريعة» (٣) .

وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ : سنة وسبيلاً (٤) .

---

(١) سورة المائد ، آية : ٤٨ .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : بشار عواد معروف ، وعصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٥هـ : ٣/ ١١١ .

(٣) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن : تفسير الخازن ، المسمىٰ : لباب التأويل في معاني التنزيل ، (المطبوع معه تفسير البغوي المسمىٰ معالم التنزيل) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤١٥هـ : ٢/ ٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ، ٢/ ٢٨٠ .

وفسرّ المنهاج بالسنة إضافة إلى ابن عباس كل من: مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وقتادة، والضحاك، والسدي رحمهم الله تعالى. وقال قتادة بعد تفسير المنهاج بالسنة: فالسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة [1].

وقال الخازن رحمه الله تعالى نقلاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شريعة ومنهاجاً» [2].

واستناداً إلى التفسير السابق استدل بعض العلماء بهذه الآية على حصول التباين بين الشرائع السماوية؛ لأن قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يدل على أن كل رسول جاء بشريعة خاصة، فلا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر [3].

ويقول المبرد: «الشريعة: ابتداء الطريقة، والطريقة: المنهاج المستمر» [4].

وفي فتح القدير للشوكاني: «المنهاج: الطريقة الواضحة البينة» [5].

---

(١) عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٢/ ٩٢.

(٢) الخازن، تفسير الخازن: ٢/ ٢٨٠، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٢٨١.

(٤) فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١١هـ: ١٢/ ١٢.

(٥) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٢/ ٥١.

وقال ابن كثير في تفسير الآية : «أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل»[1] .

ويقول الدكتور/ محمد أبوالفتح البيانوني : «المنهاج والسنة متقاربة في المعنى، فكلاهما في اللغة بمعنى الطريقة وإن زادت كلمة المنهج عليها باشتمالها على الوضوح» [2] .

والقرآن الكريم قد سلك في منهج دعوته للناس جميعاً منهجاً واضحاً سهلاً منسجماً مع الفطرة البشرية . قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3] .

أمّا في السنة المطهرة فقد وردت كلمة منهاج في الحديث التالي:

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : **«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»**[4] .

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٩٢، مرجع سابق .

(٢) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٤٥، مرجع سابق .

(٣) سورة الكهف، آية ١١٠ .

(٤) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، المسند بشرح : أحمد شاكر الذي أكمله من بعده حمزة أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، الطبعة : الأولى، تاريخها : ١٤١٦هـ: ١٤/ ١٦٣ رقم الحديث : ١٨٣١٩، قال فيه حمزة أحمد الزين : إسناده صحيح . وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الطبعة : الأولى، تاريخها:١٤١٥هـ: ١/ ٣٤، الحديث رقم : ٥ .

ومعنى (منهاج) في الحديث واضح من ظاهر الحديث وسياق الكلام أن معناه : الطريق .

وقد ورد كلمة «منهاج» كذلك عند الصحابة رضي الله عنهم : ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أن الصحابي الجليل أبي بن كعب قال : «عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبداً ، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله ، إلاّ كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها ، فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلاّ حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها ، فإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، وموافقة بدعة ، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»[1] .

التعريف الاصطلاحي:

يقول علماء المناهج : إن كلمة المنهج لم تأخذ المعنى الاصطلاحي إلا في القرن السابع عشر الميلادي[2] .

وقد اجتهد علماء البحث العلمي في وضع تعاريف للمنهج منها :

وردت كلمة منهج في الصحاح في اللغة والعلوم على أن معناها في الاصطلاح:

«هو خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول

(١) القاضي أبوالفضل عياض بن موسى اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : بدون ، تاريخها : بدون : ٢/ ١٥ .

(٢) انظر : عبدالرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي : ٤٠ ، مرجع سابق .

إلى نتيجة»[1] .

ـ **وعرّف المنهج اصطلاحاً** كذلك الدكتور/ النشار الذي ذكر أن المنهج : «طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم، أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية»[2] .

ـ **وعرفه كذلك الدكتور/** عبدالرحمن بدوي بأنه : «الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[3] .

يقول طلعت همام : «والمنهج بهذا المعنى قد يكون مرسوماً من قبل بطريقة تأملية مقصودة، وقد يكون نوعاً من السير الطبيعي للعقل لم تحدد أصوله سابقاً ، وذلك أن الإنسان في تفكيره قد ينظم أفكاره ويرتبها حتى يصل إلى المطلوب على أيسر وجه على نحو طبيعي تلقائي ليس فيه تحديد ولا تأمل قواعد معلومة من قبل . فهذا منهج أيضاً ولكنه منهج تلقائي . أمّا إذاتأملنا في المنهج الذي نسير عليه في تحصيلنا لمعارفنا العلمية، وحاولنا أن نحدد له قواعده، ونسن له قوانينه، ونتبين أوجه الخطأ والانحراف من أوجه الصواب والاستقامة، ثم كوّنا من هذا كله طائفة من القواعد الكلية التي تخضع لها في المستقبل طرائق بحثنا، فإن المنهج يكون منهجاً عقلياً والعلم الباحث في المنهج يسمى علم المناهج» .

---

(١) نديم وأسامة مرعشلي ، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت ،الطبعة: الأولى، تاريخها:١٩٧٤م: ٢/ ٦١٤، مادة : نهج.

(٢) على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي عندالمسلمين، دارالمعارف، المدينة : بدون، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٩٦٥م: ٧ .

(٣) بدوي، مناهج البحث العلمي: ٦، مرجع سابق.

ثم قال: «وتبعاً لاختلاف العلوم تختلف المناهج»[1].

غير أنه من المستحسن كذلك أن نرد هذه المناهج العديدة إلى مناهج نموذجيّة قليلة تتفرع منها المناهج الجزئية الأخرى، وهذه يمكن حصرها في الآتي[2]:

١ ـ المنهج الاستدلالي: وهو الذي تسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون الالتجاء إلى التجربة، وهو منهج العلوم الرياضية خصوصاً.

٢ ـ المنهج التجريبي: ويشمل الملاحظة والتجربة معاً، وهو الذي نبدأ فيه من جزئيات أومبادئ غير يقينية تماماً، وتسير فيها حتى تصل إلى قضايا عامة، لاجئين في كل خطوة إلى التجربة كي تضمن لنا صحة الاستنتاج، وهو منهج العلوم الطبيعة على وجه الخصوص.

٣ ـ المنهج الاسترادادي: أو المنهج التاريخي: وهو الذي تقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاق.

٤ ـ والبعض يضيف منهجاً رابعاً هو: المنهج الجدلي[3]: الذي يحدد منهج التناظر والتحاور في الجماعات العلمية، أو في المناقشات العلمية، ولايمكن لهذا المنهج أن يأتي بثمار حقيقية إلا إذا أسعفته المناهج الثلاثة السابقة.

---

(١) طلعت همام، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٤هـ: ٥ ـ ٦.

(٢) انظر: عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل، دار البشير، طنطا، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ١٠٦ وانظر طلعت همام، سين وجيم عن مناهج البحث العلمي: ٦ ـ ٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق: ١٠٦، وانظر: رشدي فكار، لمحات منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٢هـ: ٥٣.

إلا أن العلماء صمموا منهجاً أكثر فاعلية في تحصيل معرفة موثوق بها، وجمعوا لذلك بين عمليات التفكير الاستنباطي والاستقرائي، وأنتج هذا الجمع من الفكر والملاحظة المنهج العلمي الحديث[1].

وتكونت فكرة المنهج العلمي بالمعنى المستعمل اليوم، والذي يتلخص في تعريف الدكتور/ عبدالرحمن بدوي المذكور سابقاً.

ومع تصميم هذا المنهج فإنه لايغني استخدامه عن المناهج العلمية الأخرى، والفصل بينهما غير ممكن في البحث العلمي، فالرياضة قد تعتمد على المنهج التجريبي إلى جانب اعتمادها على المنهج الاستدلالي، وأي علم من العلوم الطبيعية لا بد أن يلجأ إلى المنهج الرياضي، وفي علم الجيولوجيا يلجأ العالم الطبيعي إلى المنهج الاسترادادي. . . . وهكذا[2].

ويرى بعض الباحثين تصنيف البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى ثلاثة مناهج: الوصفية، والاستنباطية، والاستقرائية.

وهذه المناهج الثلاثة يقول عنها الدكتور/ محمد نصر مهنا: «وهي في الحقيقة داخلة في حدود طرق المعرفة الإسلامية، كما أنها من غير شك سبيل لإحسان التفكير العلمي الأمر الذي يتطلبه تكوين علماء المستقبل»[3].

والواقع أن المناهج ليست أشياء ثابتة؛ بل هي تتغير وفقاً لمقتضيات العلم

---

(١) د. ديوبولدب فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل وآخرين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: السابعة: تاريخها: ١٩٩٧م: ٥٠.

(٢) المرجع السابق: ١٨.

(٣) د. محمد نصر مهنا، الوجيز في مناهج البحوث السياسية والإعلامية، دار الفجر، القاهرة، الطبعة الأولى، تاريخها: ١٩٦١م: ٧.

وأدواته، ولابد أن تعدل وترفض من جيل إلىٰ جيل إذا ماثبت عدم صلاحيتها؛ لأن التطبيق العلمي في اختلاف باستمرار، والمنهج بالتالي لابد أن يعدل علىٰ الدوام، والنتيجة أن المناهج العلمية في تغير، وهذا التغير يتعين بتقدم العلم وحاجاته، وهذه الأمور لايقدرها إلا العلماء والمتخصصون[1].

ويرىٰ بعض علماء الغرب أن هناك خمسة مصادر وضعية أساسية لبناء المعرفة، وهي تتوزع بين [2]: الخبرة الشخصية، والجهات الرسمية، والاستدلال، والاستقراء، والمنهج العلمي.

وهذه المصادر فُنِّدت علىٰ لسان علماء الغرب أنفسهم[3]: فهم يرون عدم منح الموثوقية المطلقة للأحكام الصادرة عن الخبرة الشخصية والجهات الرسمية في حقل المعرفة، وأن الاعتماد علىٰ قضية كبرىٰ ـ في الاستدلال ـ أمر مشكوك فيه.

وفي الاستقراء يرون أن الاستقراء الكامل أمر متعذر، وعلىٰ هذا فالاستقراء ليس منهجاً يقينيّاً.

وفي المنهج العلمي القائم علىٰ الملاحظة والفكر والفرض والتجربة، يرون عدم تفرده في أساليب البحث العلمي، كما أنه لا يصلح للتوصل إلىٰ بناء كثير من المعارف، ومن ثم نادوا بعدم التقيد بمنهج معين[4].

ولم يتوصل الإنسان بعد إلىٰ منهج كامل للبحث عن الحقيقة، رغم التحسينات التي أدخلت علىٰ أساليبه، فكل من السلطة والخبرة والتفكير

---

(١) بدوي، مناهج البحث العلمي: ١٢، مرجع سابق.

(٢) انظر: ديوبولدب فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس: ٣٩، وكذلك انظر: عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل: ١٠٨، مرجعان سابقان.

(٣) انظر: المرجع السابق: من ٣٩ـ ٥٠.

(٤) المرجع السابق: ٥٥.

الاستنباطي والاستقرائي لها جميعاً أوجه ضعف، ولها حدودها كأدوات للبحث، وكذلك المنهج العلمي له فائدته كوسيلة للبحث في العلوم الطبيعية بصفة خاصة[1].

ومن الجدير ذكره في هذا المقام هو بيان أنّ المنهج العلمي في الإسلام مبرأ من العيوب التي لحقت بالمناهج الوضعية ولم لا ؟ وواضعه هو خالق الإنسان والأكوان والأحداث، فإذا استخدم المنهج الاستدلالي، فهو منهج صادق؛ لأن قضاياه لايعتريها الشك، وإذا استخدم الاستقراء فهو استقراء العالم بكل ذرّة في السموات والأرض، وإذا وجه إلى الملاحظة والفرض والتجربة كان منهجاً صادقاً؛ لأن الفرض هنا فرض من يعلم النتيجة قبل وقوعها. والإسلام لم يأخذ بمنهج محدد؛ لأن محوره الإنسان بكل مكوناته وبكل طاقاته[2].

أمّا الباحثون في علم الدعوة فقد عرفوا المنهج بالتعاريف التالية:

ـ عرفه الدكتور/ البيانوني بقوله: «يمكن تعريف المنهج والمنهاج في الاصطلاح بأنه: النظام والخطة المرسومة للشيء»[3].

ـ وعرفّ الدكتور/ علي جريشة المنهج بقوله: «وهو عندنا: الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما»[4].

ـ وذكر الشيخ سليمان بن قاسم العيد تعريفاً للمنهاج النبوي في الدعوة إلى

(١) انظر: المرجع السابق: ٥٥.

(٢) انظر: عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل: ١٠٨، مرجع سابق.

(٣) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٤٥، مرجع سابق.

(٤) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، دارالوفاء، المنصورة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٧هـ: ١٦.

الله تعالى بقوله: «هوا لطريق الواضح السهل الذي سلكه النبي ﷺ في دعوته»[1].

ـ وخلاصة القول: إن معنى المنهج اصطلاحاً عند علماء البحث العلمي قريب جداً إن لم يكن مطابقاً لمعناه عند علماء الدعوة، حيث يتلخص في المعاني التالية:

الخطوات المنظمة، الطريق الواضح، الخطة، التخطيط.

وكذلك يتضح أن معنى المنهج اصطلاحاً مطابق لمعناه اللغوي، وهذا له أهمية في تأصيل البحث:

والمنهج في الاصطلاح عندما يأتي بمعنى التخطيط، أو الخطة المرسومة، أو الخطوات المنظمة، له أصل في الإسلام. فالتخطيط من لوازم المسلم في حياته عامة، وفي الدعوة إلى الله تعالى خاصة، وهو لا يتنافى مع مبدأ الإيمان بالله أو الثقة فيه أو التوكل عليه، وهو منهج الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم الدعاة والمصلحون.

وليس التخطيط للدعوة إلا واحداً من الأسباب التي أمرنا أن نتخذها ونحن نبتغي النجاح في تعريف الناس بالإسلام، أو في تثبيتهم على نهجه، ثم ونحن مع التخطيط لا نعتمد إلا على الله تعالى، ولا نتوكل إلاّ عليه في تحقيق أهدافنا وغاياتنا[2].

---

(١) سليمان العيد، المنهاج النبوي في دعوة الشباب، دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ: ٦.

(٢) انظر: عبد رب النبي علي أبو السعود، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، دار التوفيق النموذجية للطلبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٢٠هـ: ٥.

قال تعالىٰ : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(١) .

ذكر القرطبي في تفسير الآية(٢) ، أن ابن عباس والجمهور قالوا في معناها : «لاتضيع عمرك في ألاّتعمل عملاً صالحاً في دنياك» . وقال الحسن وقتادة في معنىٰ الآية أيضاً : «لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه» . ثم قال القرطبي رحمه الله تعالىٰ : «وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله : احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» .

والآية تدل دلالة واضحة علىٰ أن التخطيط في الإسلام بعيد المدىٰ، حيث يقدم الحياة الآخرة الأبدية علىٰ الحياة الدنيا، مما يتطلب تسخير كافة الإمكانات التي يسرها الله تعالىٰ للإنسان في هذه الحياة لبلوغ الغاية الكبرىٰ، وهي مرضاة الله وجنته والنجاة من النار، وعلىٰ ضوء ذلك الهدف الرئيس تكون الأهداف الفرعية الدنيوية في هذه الحياة، ونهاية الآية نفسها يؤكد التحذير الشديد من اتخاذ الفساد في الأرض هدفاً أو غاية .

كذلك من الآيات التي تبين الفرق بين من يسلك منهج الله معتدلاً علىٰ طريق مستقيم لبلوغ الهدف المشروع، وبين من ينكس رأسه ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله ولايحذر الدنيا ولا يخاف الآخرة، قوله تعالىٰ : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣) .

---

(١) سورة القصص، آية : ٧٧ .

(٢) أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة : الخامسة، تاريخها: ١٤١٧هـ : ١٣/ ٢٠٧ـ٢٠٨ .

(٣) سورة الملك ، آية : ٢٢ .

وقد بيّن القرآن الكريم منهج الإسلام في التخطيط ببيان المقاصد والأهداف المشروعة للفئة المؤمنة بقوله تعالىٰ : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(١) .

ومن تأصيل هذا المعنىٰ كذلك قوله ﷺ: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»(٢) .

ذكر ابن حجر عدة أقوال في معنىٰ الحديث منها : (٣)

قول أبي عبيد : « معناه ولا ينبغي للمؤمن إذا نكب من وَجْهٍ أن يعود إليه» .

ومنها : « أن المراد بالمؤمن في هذا الحديث الكامل الذي قد استوقفته معرفته علىٰ غوامض الأمور، حتىٰ صار يحذر مما سيقع» .

ويتضح من الحديث وشرحه السابق ضرورة التفكير والاستفادة من الأخطاء، وأن يأخذ المؤمن الحيطة والحذر من أية جهة حصل منها ضرر أو خطر عليه في الماضي أوالحاضر، وهذا عنصر مهم في التخطيط عموماً، ولكنه يتوجب في التخطيط الدعوي الإسلامي بالذات؛ لأن زلة العالم ليست كزلة غيره .

أما عندما يأتي المنهج بمعنىٰ النظام، فإننا نجد أن خصائص النظام في الإسلام لها أصول(٤) ، من ذلك علىٰ سبيل المثال ما يلي :

---

(١) سورة الحج، آية ٤١ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري : ١٠/ ٦٥٠، رقم الحديث: ٦١٣٣، مرجع سابق .

(٣)أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام : الرياض، دار الفيحاء: دمشق، الطبعة: الأولىٰ ، تاريخها: ١٤١٨هـ ، : ١٠/ ٦٥١ .

(٤) انظر: حزام المطيري، الإدارة الإسلامية: المنهج والممارسة ، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة : الأولىٰ، تاريخها : ١٤١٧هـ، ١٠٩ ـ ١٢٧ .

١ ـ الإمارة: حيث أكدت آيات كثيرة على ضرورة وجود ذلك التدرج في حياة الناس، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**)(٢).

٢ ـ ومن هذه الخصائص أيضاً: وجوب الطاعة في المعروف، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾(٤).

وقال الرسول ﷺ: (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)(٥).

إلى غير ذلك من الخصائص الكثيرة التي تظهر النظام والتي لا مجال لذكرها هنا.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٥.

(٢) محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، حققه وخرّج أحاديثه: سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٢١هـ: ٢٨٧، رقم الحديث: ٩٦١، قال عنه مخرّج الكتاب: رواه أبوداود بسند حسن، وقال محمد شمس الحق العظيم أبادي في عون المعبود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٧/ ١٩١، قال فيه: الحديث سكت عنه المنذري والألباني، صحيح سنن أبي داود: ٢/ ١٢٥، رقم الحديث: ٢٦٠٩، وقال عنه: حسن صحيح، مرجع سابق.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٥) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٣٥٩، رقم الحديث: ١٨٣٩، مرجع سابق.

ومعروف أن الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ غاية من أجلها كانت المناهج التي تأتي في القمة بالنسبة للوسائل والأساليب؛ لأنه من خلالها يتم التخطيط للدعوة علىٰ ضوء الكتاب والسنة.

وما مراحل الدعوة التي مرت بها في عهد الرسول ﷺ، سواء السرية منها أو الجهرية، والصبر علىٰ الأذىٰ والهجرة للحبشة وإلىٰ المدينة، إلا نوع من منهجية الدعوة والتخطيط لها، ونوع من نظام الإسلام وخططه المرسومة وطريقته الواضحة.

واليوم ونظراً:

ـ لحداثة علم الدعوة كعلم له قواعده ومشكلاته وموضوعاته.

ـ ولأن العمل فيه يكتنفه بعض الغموض في بعض مفاهيمه، وخلل واضطراب في بعض مصطلحاته، وضعف في وسائله...

ـ ولأن علم الدعوة من العلوم الإسلامية التي تهتم بتغيير حال الإنسان إلىٰ الأفضل، واهتمامه بعالم الأفكار والشبه التي تحاك ضد الدين، والمبادئ الهدامة لبيان عيوبها وصدودها عن الجادة.

ـ ولأن علم الدعوة كذلك يهتم بتأصيل مبادئ الإسلام في النفوس، ومحاربة كل مايخالها من المعتقدات السائدة في المجتمعات التي تمارس فيها الدعوة.

كل هذه الحيثيات جعلت الحاجة ماسة إلىٰ إقامة أبحاث تعرض لذات علم الدعوة ومسائله علىٰ منهج صحيح، يوصل سالكه إلىٰ بغيته العلمية في ثقة واطمئنان باعتبار أن صحة العلم متوقفة علىٰ صحة المنهج، ومعيار سلامة المنهج إنما هو في نجاح الجهد العلمي في بلوغ غاياته الأساسية[1].

(١) انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الإعلام الإسلامي (المنهج): ٢٢، مرجع سابق.

وخلاصة القول هو أن علم الدعوة يستفيد من المنهج وطريقته العلمية المنظمة في دراسة موضوعاته ومسائله ومشكلاته، على شرط موافقة الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ووفق فهم السلف الصالح[1].

لأنّ هذا المعيار هو الذي أدىٰ إلىٰ إحكام حركة العقل في الإسلام وسيره في طريق البحث العلمي الرصين؛ لقيامه علىٰ الوحي في نفسه، وفي توجيهه لبقية مصادر المعرفة، مما حقق للعقل حرية الحركة، وخلصه من الظنون والأوهام والخرافات، وعصمه من الزيغ والضلال، ووظفه للرشد والصلاح، حيث يتعانق العقل والنقل ويتعاضدان في تكاتف لا تنفصل فيه أحكام الواقع عن القيمة ولا تنعزل فيه الحركة عن الحياة البشرية.

ولأن المنهج الذي يقوم علىٰ القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة يمد الباحث بتصور كامل بحقيقة الكائن الإنساني، والحاجة الإنسانية، وبحقيقة الكون الذي يعيش فيه الإنسان، وبطبيعة النواميس التي تحكمه، ومن ثم لا يفرط في شيء من أمور الحياة الدنيا، ولا يقع فيه ولا ينشأ عنه تصادم بين أنواع النشاط والنواميس الكونية، إنما يقع الاعتدال والتوافق والتوازن والتناسق، الأمر الذي لا يتوافر أبداً لمنهج من صنع الإنسان الذي لا يعلم إلا ظاهراً من الأمر وإلاّ الجانب المكشوف في فترة زمنية معينة. فالمنهج الإسلامي منهج يقوم علىٰ العلم المطلق، والعدل المطلق ويحرر الإنسان من عبودية غير الله[2].

---

(١) انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية، دار المسلم، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٦هـ: ١٩١.

(٢) انظر: عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل: ١١١ ـ ١١٩، مرجع سابق.

هذه الحقائق تثمر علماً قام الدليل النقلي والعقلي والحسي على صحته وسلامته.

وهذه الحقائق أيضاً هي المرتكزات الأساسية في حركة البحث العلمي، يشتد بها التجانس الذي يحققه العمل، وتتوحد بها عقول الباحثين والدارسين؛ لاستناد أقوالهم جميعاً إلى الوحي بشقيه، واشتراكهم في طبيعة الاهتمام بموضوعات البحوث وقضايا الحياة[1].

(١) انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، الإعلام الإسلامي (المنهج): ٤٢، مرجع سابق.

المطلب الثاني

تعريف العاطفي

التعريف اللغوي:

عطف يعطف عطفاً: انصرف . رجل عاطف وعطوف: عائد بفضله حسن الخلق، قال الليث: العطاف: الرجل الحسن الخلق، العطوف على الناس بفضله، وقول مزاحم العقيلي أنشده ابن الأعرابي:

وجدى به وجد المعضل قلوصه بنخلة لم تعطف عليه العواطف

لم يفسر العواطف، وعندي أنه يريد الأقدار على الإنسان بمايحب، وعطف الشيء: حناه وأماله، وعطفت عليه: شفقت عليه.

وعطف الله تعالى بقلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفاً رحيما[1].

والعاطف: مؤنثه عاطفة وجمعها عواطف، وهي تعني الشفقة[2].

والعاطفة: الرحم «صفة غالبة»، وشاع عند أهل العصر استعمالها في كل ما يعطف بالمرء ويميله إلى عمل فيه بلغه لما تنزع إليه نفسه، كعاطفة الغضب والكرم وغير ذلك.

والعطف من كل شيء: الجانب، ومن الرجل: منكبه وإبطه: شقه من لدن رأسه إلى وركيه وما انثنى من العنق.

يقال هو ينظر في عطفيه: إذا كان معجباً بنفسه. وجاء ثاني عطفه، أي:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٩/ ٢٦٨، مادة: عطف، مرجع سابق.

(٢) خليل الجر، لاروس: المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس، كندا، الطبعة: بدون، تاريخها: ١٩٧٣م: ٨٣٨، مادة عطف.

رخيَّ البال، لاوياً عنقه تكبراً وإعراضاً . ثنى عطفه عنّي : أعرض . تعوج القوس في عطفيه : تثنى يمنة ويسرة[1] .

وتعاطف القوم : عطف بعضهم على بعض، وعطف عليه : أي وصله وبره وأشفق عليه، واستعطفه : سأله أن يعطف عليه[2] .

وذكر الزبيدي في تاج العروس : أن العطف بمعنى الشفقة مجاز من العطف، بمعنى الانثناء، ثم استعير للميل والشفقة إذا عدي بعلى، وإذا عدي بعن كان على الضد . والعطف بالضم جمع عاطف وعطوف! وهما العائد بالفضل، الحسن الخلق . ومما يستدرك عليه رجل عطوف وعطاف : يحمي المنهزمين . وتعطَّف عليه : وصله وبره . وتعطَّف على رحمه : رق لها . ويقال امرأة عطوف : محبة لزوجها والحانية على ولدها[3] .

وقد وردت مادة عطف في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[4] .

يقول الطبري رحمه الله تعالى في تفسير «ثاني عطفه» : واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه، وما المراد من وصفه إياه

---

(١) محمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة : بدون، تاريخها : ١٣٧٨هـ : ٤/ ١٣٦ مادة : عطف .

(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط : ١/ ٦٠٨، مادة : عطف، مرجع سابق .

(٣) انظر : محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : علي شبري ، دار الفكر ، بيروت، الطبعة : بدون، تاريخها : ١٤١٤هـ : ١٢/ ٣٩٠- ٣٩٢، مادة : عطف .

(٤) سورة الحج ، الآيتان : ٨ـ٩ .

بذلك، فقال بعضهم : وصفه بذلك لتكبره وتبختره، وذكر عن العرب أنها تقول : جاءني فلان ثاني عطفه : إذا جاء متبختراً من الكبر .

وقال آخرون : بل معنىٰ ذلك : لاو رقبته .

وقال آخرون : معنىٰ ذلك أنه يعرض عما يدعىٰ إليه فلا يسمع له .

وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنىٰ، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه، وليّ عنقه عنه، والإعراض .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغيرعلم أنه من كبره إذا دُعي إلىٰ الله : أعرض عن داعيه، ولوىٰ عنقه عنه ، ولم يسمع ما يقال له استكباراً[1] .

وذكر القرطبي رحمه الله تعالىٰ عدة أقوال في معنىٰ ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ قريبة من المعاني التي ذكرها الطبري رحمه الله، ثم قال[2] :

فالمعنىٰ : أي هو معرض عن الحق في جداله، ومولّ عن النظر في كلامه، وهو كقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾[3] ، وقوله ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[4] ، وقوله ﴿أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾[5] ، وقوله : ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ﴾[6] .

---

(١) انظر : الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٢٦ ـ ٢٩٧، مرجع سابق.

(٢) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١٢/ ١٢، مرجع سابق.

(٣) سورة لقمان، آية : ٧ .

(٤) سورة المنافقون، آية : ٥ .

(٥) سورة الإسراء، آية : ٨٣ .

(٦) سورة القيامة، آية : ٣٣ .

ويقول الشيخ ابن عاشور في معنىٰ ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ :

العطف المنكب والجانب، « ثَانِيَ عِطْفِهِ » : تمثيل للتكبر والخيلاء، ويقال : لوىٰ جيده إذا أعرض تكبراً . وهذه الصفة تنطبق علىٰ أبي جهل، فلذلك قيل : إنه المراد هنا[1] .

وذكر الإمام الألوسي في معنىٰ : «ثاني عطفه» عدة أقوال منها[2] : أن«ثاني عطفه حال من ضمير يجادل كالجار والمجرور السابق، أي : لاوياً لجانبه وهو كناية عن عدم قبوله، وهو مراد ابن عباس بقوله : متكبراً، والضحاك بقوله : شامخا بأنفه، وابن جريج بقوله : معرضاً عن الحق .

وكذلك ذكر أن الحسن قرأ«عطفه» بفتح العين، أي : مانعاً لتعطفه وترحمه .

والخلاصة أن مادة عطف وردت في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ علىٰ ضوء أقوال العلماء المفسرين السابقة بالمعنىٰ الآتي :

ـ من قرأ بكسر العين فإن معناها : تمثيل للتكبر والتبختر والخيلاء والإعراض . أي : ضد الرحمة والشفقة ولين الجانب .

ـ ومن قرأ بفتح العين فإن معناها : منع العطف والرحمة .

ومن هنا يتضح أن المعنىٰ واحد .

أمّا في السنة المطهرة: فقد روىٰ الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ في صحيحه

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، دار النشر : بدون، الطبعة : بدون، والمدينة : بدون، وسنة الطبع : بدون : ١٧/ ٢٠٨ .

(٢) أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة : بدون، تاريخها : ١٤١٧هـ ١٧/ ١٨٢ .

حديثاً جليلاً يتعلق بموضوعنا هذا ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**»[1] .

يقول النووي رحمه الله تعالىٰ في شرح الحديث : «فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض ، وحثهم علىٰ التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه»[2] .

وشاهدنا في الحديث كلمة : «وتعاطفهم» أي يعطف بعضهم علىٰ بعض ويلطف بعضهم ببعض . وهذا يتوافق مع المعنىٰ اللغوي لكلمة «التعاطف» ، وهذا مما يكسب البحث أهميته التأصيلية .

التعريف الاصطلاحي :

العاطف : مؤنثه العاطفة ، ويجمع علىٰ عواطف كما مرّ معنا في التعريف اللغوي ، وذكر في الصحاح أن العاطفة اصطلاحاً : «تفيد معنىٰ الحالة الشعورية وما يصاحبها من نشاط موجه متواصل .

وأن العاطفة : هي الشفقة والحنو ، ثم أطلقت علىٰ جميع مظاهر الحب أو الكراهية . أي الميل إلىٰ الشيء أو الميل عنه .

وعلىٰ هذا الأساس عرفت بأنها :

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٦/ ١٠٨ ، رقم الحديث : ٢٥٨٦ ، مرجع سابق .

(٢) محي الدين أبوزكريا يحيىٰ بن شرف النووي ، شرح صحيح مسلم ، إعداد : مجموعة أساتذة مختصين بإشراف : علي عبدالحميد أبوالخير ، دار الخير ، دمشق وبيروت ، الطبعة : الرابعة ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ١٦/ ١٠٨ .

استعداد وجداني للشعور بتجربة وجدانية خاصة، وللقيام بسلوك معين إزاء شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة مجردة»[1] .

وعرف علماء النفس العاطفة بأنها: «استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء»[2] .

ـ ويعرف صاحب كتاب علم النفس الإسلامي العاطفة بأنها: «دافع تبلور حول موضوع معين، جعل صاحبه يحس ببعض المشاعر تجاهه مرتكزاً على فكرة ثابتة، ومؤدياً لسلوك معين، بحيث يشكل شخصيته ويحدد سلوكه، ويطبع حياته بطابع خاص»[3] .

ـ وقد أشار علماء الإسلام إلى العاطفة، إلا أنهم لم يطلقوا عليها هذا الاسم بل كانوا يسمونها: الميل، أوالحب، أو العشق، أوالهوى[4] .

ـ ولذلك نجد الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين[5] يعرف الحبّ بقوله: «إذ المحبة عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق» ثم قال: «قد بينا أن الإحسان موافق للنفس، والجمال موافق أيضاً، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالصبر، وتارة يدرك بالبصيرة، والحب يتبع كل واحد منهما».

وعرف كذلك العشق بأنه: «عبارة عن الميل الغالب المفرط» يقصد ميل النفس[6] .

---

(١) نديم وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم: ٢/ ١٢٨،مادة: عطف، مرجع سابق.

(٢) مجمع اللغةالعربية، المعجم الوسيط: ٦٠٨، مادة: عطف، مرجع سابق.

(٣) معروف زريق، علم النفس الإسلامي ،دار المعرفة ، دمشق، الطبعة: الثانية: ١٤١٤هـ، : ٦٠

(٤) المرجع السابق: ٦٠.

(٥) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، خرج أحاديثه: الحافظ العراقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: بدون ، تاريخها: بدون: ٥/ ٢٢١.

(٦) المرجع السابق: ٤/ ٢٨١.

ـ وأما الهوىٰ فقد عرفه ابن الجوزي بأنه: «ميل الطبع إلىٰ مايلائمه» وقال: «إنه أكثر ما يستعمل في الحب المذموم»[1]، واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[2].

وعرفه الأصفهاني في المفردات: بأنه ميل النفس إلىٰ الشهوة. ويقال ذلك للنفس المائلة إلىٰ الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلىٰ كل داهية وفي الآخرة إلىٰ الهاوية[3]. واستدل ببعض الآيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[4].

ويقول ابن الجوزي: «فلذلك لم يذكر الله تعالىٰ الهوىٰ في كتابه إلاّ ذمه، وكذلك في السنة لم يجيء إلامذموماً، إلاماجاء منه مقيداً»[5].

وقد اجتهد علماء الدعوة في العصر الحديث في وضع تعريف للعاطفة، ومن هؤلاء:

ـ الدكتور/ علي جريشة الذي عرف العاطفة بقوله: «إن العاطفة هي التي لايعرف كنهها لكن ترىٰ نتائجها»[6].

ومعنىٰ كلام الدكتور/ علي جريشة أن مشاعرالحب يرافقها اضطراب القلب

---

(١) أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ذمّ الهوىٰ، تحقيق: خالد عبداللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٣٥.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

(٣) أبوالقاسم الحسين بن محمد الراغب الاصطفهاني، المفردات في غريب القرآن، دارالمعرفة، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٥٢٤، مادة: هوىٰ.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦.

(٥) ابن الجوزي، ذمّ الهوىٰ: ٣٦، مرجع سابق.

(٦) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ٢٣، مرجع سابق.

وخفقانه وظهور البشر والابتهاج على الوجه، بعكس انفعالات الغضب التي تتمثل في احمرار الوجه وتعرقه، والتلعثم في الكلام، وهكذا بقية العواطف.

وعرفها الدكتور/ محمد السيد الوكيل بقوله: العاطفة هي: «القوى الباطنة التي يدرك بها الإنسان ما لا يدركه بشيء من الحواس، كالخوف، والحزن، والفرح، والرغبة، والرهبة، فهذه أمور يدركها المرء بوجدانه ويشعر بها في قرارة نفسه دون أن يلمسها بإحدى حواسه، ولايعارض ذلك ظهور آثار الخوف، والحزن، والفرح، والغضب، والرضا... على ملامح الإنسان وفي تصرفاته، حيث من المعلوم أن الأثر غير المؤثر...»إلخ. ويضيف الدكتور/ الوكيل: «وبهذا تكون العاطفة حاسة سادسة في الإنسان، فكما أن الحواس الخمس تترك الإنسان متأثراً بما تحسه من الجمال، والقبح، والحرارة، والبرودة، فكذلك العاطفة تترك الإنسان متأثراً بالانفعالات التي تتأثر نحوها»[1].

ـ وخلاصة القول أن معنى العاطفة عند علماء الدعوة يطابق معناها عند علماء النفس، في كونها تمثل ميول النفس واستعدادها، التي يسميها البعض بالاستعداد النفسي، وعند البعض الآخر بالقوى الباطنة، التي لا يعرف كنهها ولكن تدرك آثارها.

ـ وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة وصف دقيق لكثير من العواطف التي يشعر بها الإنسان، مثل: (الخوف، الغضب، الحب، الفرح، الكره، الغيرة، الحسد، الندم، الحياء، الخزي... إلخ).

ـ فالإسلام يعرف العاطفة ويعترف بها، ويوجهها الوجهة الصالحة حباً لله تعالى ولرسوله ﷺ ولدينه وللمؤمنين، وبغضاً وكرهاً للكفر والفسوق

(١) محمد السيد الوكيل، تقنين الدعوة ومراحلها ومناهجها واستمراريتها من القرن الأول إلى القرن السادس: ١٩٨، مرجع سابق.

والعصيان، وللكافرين والفاسقين والظالمين.

ـ قال تعالىٰ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[1].

ـ ففي الآية يبين القرآن الكريم ما للعاطفة من تأثير في تحديد اتجاه الإنسان وسلوكه ومعتقداته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾.

ـ قال ابن كثير في تفسيرها: «أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله، فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم، قال تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[2]»[3]. والسبب أن الرسول ﷺ ينظر بمنظار الإيمان لا بمنظار الهوىٰ والعواطف، أما قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾، فهذا الجزء من الآية يعترف بدور العاطفة ـ غير المنضبطة بضابط الإيمان ـ في حياة الإنسان، لأن غير المؤمن يتأثر بعواطفه، ومن هنا يكون التعصب للجماعات والمذاهب العقائدية، والأحزاب والقوميات وهي أمور تتأثر بمنطق العواطف، يقول ابن كثير في تفسير[4] هذا المقطع من الآية: «أي لو أطاعكم في جميع ماتختارونه لأدىٰ ذلك إلىٰ عنتكم وحرجكم، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم

(١) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٦.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤١١، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق: ٤/ ٤١١.

مُعْرِضُونَ﴾[1] . يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية : «المعنى : ولو ورد الحق متابعاً لأهوائهم، موافقاً لفاسد مقاصدهم، لحصل الفساد» ، ثم ذكر أن سبب فساد المكلفين من بني آدم ظاهر، وهو ذنوبهم التي من جملتها الهوى المخالف للحق[2] .

ـ ثم بين القرآن الكريم صراحة الإيمان عندما يحبب للنفوس ويزين في القلوب إنه الضابط الحكيم للعواطف الذي يحوّل الاتجاهات ويصححها ويرفع عن الإنسان الحرج والعنت فقال : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ ، ثم بين في آخر الآية أن ذلك هو سبب الرشاد في الدنيا والآخرة؛ بل هو الفضل والنعمة ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ .

فالإسلام لم يصادر العواطف الإنسانية النبيلة التي تكون لله وفي الله ولم يعمل على قمعها؛ بل اعتبرها من الفطرة السليم، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[3] . وليس هذا فحسب؛ بل اعتبرها أفضل الأعمال على الإطلاق ، روى أبوداود رحمه الله تعالى في سننه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله)**[4] .

وجعل الإسلام محبة الله تعالى من كمال الإيمان، قال ﷺ : **(ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن**

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٧١.

(٢) انظر: الشوكاني ، فتح القدير: ٣/ ٥٢٨ ، مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٤) أبو داود، السنن: ٥/ ٩ . رقم الحديث: ٤٥٩٩ ، قال عنه المنذري: في إسناده يزيد بن أبي زياد الكوفي، لايحتج بحديثه، وقد أخرج له مسلم متابعة ، وفيه أيضاً رجل مجهول. انظر: شمس الحق العظيم أبادي، عون المعبود: ١٢/ ٢٢٩ ، مرجعان سابقان.

يقذف في النار)[1] .

وبيّن ابن القيم دور عواطف الحب والإرادة والبغض والكراهية بقوله : « أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة ، فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات، كما أن البغض والكراهية مبدأ كل ترك وكف»[2] .

وروىٰ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : «كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال : «أي عرىٰ الإسلام أوسط» ؟ قالوا : الصلاة، قال : « حسن ، وماهي بها» . قالوا : الزكاة، قال : «**حسن ، وما هي بها**» ، قالوا : صيام رمضان، قال : «**حسن، وماهو به** » ، قالوا : الحج، قال : «**حسن، وما هو به**» ، قالوا : الجهاد . قال : «**حسن، وما هو به**» ، ثم قال : « **إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وأن تبغض في الله**»[3] .

وأورد ابن القيم رواية أخرىٰ من طريق آخر : «**إن أوثق عرى الإيمان: أن تحب في الله وأن تبغض في الله**»[4] .

وبيّن معنىٰ ذلك بقوله : «إن الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان : عمل القلب حباً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلاً وتركاً، وهما العطاء والمنع . فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالىٰ كان صاحبها مستكمل الإيمان، وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه»[5] .

---

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٢١٠، رقم الحديث٤٣، مرجع سابق .

(٢) محمد بن أبي بكر ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة وسنة الطبع : بدون : ٢/ ١٢٤ .

(٣) الإمام أحمد، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين : ١٤/ ١٩٩ رقم الحديث : ١٨٤٣٣ . قال فيه حمزة أحمد الزين : إسناده حسن .

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة : الثالثة، تاريخها : ١٤٠٨هـ : ١/ ٤٩٧، رقم الحديث : ٢٥٣٩، وقال عنه : صحيح .

(٥) المرجع السابق، ٢/ ١٢٤ .

ولهذا فإن الإسلام يهدف دوماً إلى تنمية محبة الله وملائكته وكتبه ورسله . . إلخ ، وبالمقابل يريد كذلك تكوين عاطفة مخافة الله في العبد بالدرجة التي أراد تكوين عاطفة المحبة له ، وذلك ليخاف من عصيان أوامر الله تعالى ، لأن هذا الخوف يمسكه عن السقوط في الرذيلة ، التي تكون سبباً لنيل نقمة الله وأليم عذابه .

وإذا اقترن الخوف من الله مع الإجلال والتعظيم له سبحانه ، فإنه ولا شك يكون أكثر حملا على طاعته وأكثر ردعاً عن معصيته ، ولهذا قال تعالى عن سلوك الذين تكونت عندهم عاطفة الحب والرهبة : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] .

هذا الخشوع لله هو المفتاح الوحيد لفتح مغالق القلوب ، وهو المحرك الأساس الذي حرك الإسلام به القلوب ودفعها إلى حيث يريد ، وهذا هو السر الذي ملك به الرسول ﷺ زمام قلوب أصحابه ، إذ كان يستطيع أن يحركهم كما يريد ، ويوجههم إلى حيث يشاء . فكان إذا قال : هذا حرام اجتنبوه توّاً ولو كان قد اعتادوه من قبل ، وإذا قال : هذا أمر يجب تنفيذه سارعوا إلى تنفيذه دون أن يستخدم سلطة أوسطوة ، بل قبل أن يكون لديه سلطة جيش تمكّنه من قهرهم على أمره[2] . هذا ما يخص عاطفة الخوف من الله وخشيته .

وهكذا بقية العواطف ، حيث لها تأثيرها القوي في حياة الإنسان وسلوكه وتصرفاته .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٩٠ .

(٢) انظر : مقداد يالجن ويوسف القاضي ، علم النفس التربوي في الإسلام ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ : ٢٧٢ .

المطلب الثالث

تعريف الدعوة

الدعوة لغة: اسم من الفعل دعا، ومصدره: دعاء، والدعاء: الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

وتأتي الدعوة بمعنى: المرة الواحدة من الدعاء، وتأتي كذلك بمعنى: النداء والطلب والاستغاثة [2]. والداعي: هو الذي يقوم بأمر الدعوة ويتحمل أعباءها ومسؤولياتها، وهو اسم فاعل ومنه يقال: تداعى القوم: أي دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا.

وداعية: اسم فاعل، والتاء فيه للمبالغة[3].

وجاء في مقاييس اللغة: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت، أدعو، دعاء. والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر. وداعي الدهر: صروفه؛ لأنها تأتي متعاقبة، وكأن الأول يدعو الثاني فيميله وهكذا[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ٣٥٩، مادة: دعا مرجع سابق.

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس: ١٩/ ٤٠٥ـ٤٠٩، مادة: دعا، مرجع سابق.

(٤) انظر: أحمد بن زكريا ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٤٠٢هـ: ٢/ ٢٨٠ـ٢٨٩، مادة: دعا.

وخلاصة القول أن الدعوة تأتي بمعنى: الطلب، والسؤال، والنداء، والاستغاثة.

الدعوة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تحديد معنى الدعوة في تعريفاتهم، فمنهم من عرفها تعريفاً عاماً على أنها الدين الإسلامي[1]، ومنهم من عرفها على أنها الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر و التبليغ.

إلا أن لفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الثاني، وهو الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر، وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة[2].

وسوف نقتصر هنا على ذكر التعريفات التي وردت بمعنى الدعوة إلى الإسلام ونشره؛ لتوافق تلك التعريفات مع دراستنا هذه، ومنها:

١ ـ تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، حيث عرف الدعوة إلى الله تعالى بقوله: «هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره

(١) من هؤلاء الشيخ/ محمد الراوي، حيث عرف الدعوة الإسلامية بقوله: «هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة» انظر كتابه: الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٥هـ: ٣٩.

(٢) انظر: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ١٨، مرجع سابق.

وشره، والدعوة إلىٰ أن يعبد العبد ربه كأنه يراه»[1] .

٢ ـ تعريف الشيخ البهي الخولي : «هي نقل أمة من محيط إلىٰ محيط» ، ثم قال : «تلك هي مهمته (أي الداعية) وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته»[2] .

٣ ـ تعريف الدكتور/ رؤوف شلبي، حيث عرفها بأنها : «الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي»[3] .

٤ ـ ويعرفها محمد أمين حسن بأنها : «تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام وهدايتهم إليها قولاً وعملاً ، في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين علىٰ مختلف أصنافهم وعصورهم»[4] .

٥ ـ وعرفها الدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني بأنها : «تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة»[5] .

٦ ـ تعريف الشيخ / علي محفوظ، حيث عرفها بأنها : «حث الناس علىٰ

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، الفتاوىٰ ، جمع : عبدالرحمن بن قاسم، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض، الطبعة : الثانية تاريخها : ١٣٩٨هـ: ١٥/ ١٥٧ .

(٢) البهي الخولي، تذكرة الدعاة، مكتبة الفلاح ، الكويت، الطبعة : السادسة، تاريخها : ١٣٩٩هـ: ٣٥.

(٣) رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، دار القلم، الكويت، الطبعة : الثالثة، تاريخها : ١٤٠٢هـ: ٣٤.

(٤) محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، مكتبة المنار، الأردن ، الطبعة : الأولىٰ، تاريخها : ١٤٠٣هـ : ١٧.

(٥) البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة : ١٧ ، مرجع سابق.

الخير والهدىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[1].

إلىٰ غير ذلك من التعاريف للدعوة الإسلامية في الاصطلاح بمعنىٰ الدعوة إلىٰ الإسلام، ويلاحظ علىٰ التعاريف السابقة تقاربها، لكني أميل إلىٰ التعريف الخامس للأسباب التالية:

١ ـ كونه يشمل مراحل الدعوة الإسلامية الثلاثة: التبليغ، والتكوين، والتنفيذ، ووضوحه وتميزه بالاختصار غير المخل.

٢ ـ احتوىٰ علىٰ عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة، وعمل نبينا محمد ﷺ، فقد بين الله عز وجل عمل رسوله ﷺ الداعية الأول للإسلام، وفصله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه العزيز فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

فقد شمل قوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ البيان والتبليغ، وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة، كما يشمل قوله تعالىٰ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ التربية والتعليم، أو مايعبر عنه عادة في المصطلح الدعوي (بالتكوين)، كما يشمل قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ التطبيق والتنفيذ؛ لأن الكتاب هنا القرآن الكريم، والحكمة السنة النبوية، كما ذهب إلىٰ ذلك جمهور العلماء[3].

---

(١) علي محفوظ، هداية المرشدين، دار الاعتصام، مصر، الطبعة: الخامسة، تاريخها: ١٣٧١هـ: ١٧.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٣) انظر: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٥هـ: ٨/ ١٤٥.

والسنة في حقيقتها (الطريقة)، أي طريقة تطبيق هذا القرآن، حيث أوضحت للمسلمين طريقة القرآن على مستوى الأفراد والجماعات.

٣ ـ التعاريف المذكورة سابقاً عدا الخامس ـ في نظري ـ لم تخل من شيء من التعميم والغموض الذي لا يصلح في التعريفات.

٤ ـ توافق هذا التعريف مع موضوع دراستنا هذه؛ لأن المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى يشتمل على المراحل الثلاثة المذكورة في التعريف (التبليغ، والتربية والتعليم «التكوين»، والتطبيق)، يتضح ذلك من أساليبه، حيث منها النظري، ومنها التربوي، ومنها التطبيقي.

المطلب الرابع

تعريف المنهج العاطفي

المنهج العاطفي من حيث الاستخدام في المجال الدعوي قديم جداً؛ لأنه مرتبط بالقلب محل العاطفة، وهو يوجد في الإنسان بالقوة، ولكن من حيث الاستخدام الاصطلاحي حديث جداً، ولم أقف على محاولات لتعريفه سوى ما ذكره الدكتور/ محمد أبوالفتح البيانوني الذي عرفه بتعريفين:[1]

١ ـ النظام الدعوي الذي يرتكز على القلب ويحرك الشعور والوجدان.

٢ ـ مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان. ويلاحظ من التعريفين السابقين أن مؤداهما واحد؛ لأن النظام يتكون من مجموعة أساليب، إلاّ أنه يمتاز بتوجيه الأساليب وتسييرها وفق إطار محدد. أما التعريف الإجرائي الذي يحدد المراد منه في هذه الدراسة فهو: مجموعة الأساليب الوجدانية التي ترتكز على القلب، وتحرك الشعور والوجدان، أثناء تقديم الحقائق الدعوية، وفق الكتاب والسنة.

وما دمنا في هذا المطلب نتناول التعريف بالمنهج العاطفي، وقد ذكرنا آنفاً أنه يتكون من مجموعة الأساليب الوجدانية التي سنتناوله ـ إن شاء الله ـ من خلالها في الصفحات القادمة فإنه يجدر بنا أن نذكر تلك الأساليب ونعرفها في اللغة والاصطلاح وكذلك تعريف كل منها إجرائياً، لكي تتضح الصورة أكثر عن هذا

---

(١) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٣٠٤، مرجع سابق.

المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى فنقول : إنه يتكون من ثلاثة أساليب وجدانية لكل أسلوب منها أشكال وصور مختلفة وهذه الأساليب :

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة :

الموعظة : مشتقة من وعظ ، يعظ ، وعظاً ، وعظة . ومعناها : النصيحة والتذكير بالعواقب(١) .

والحسنة : ضد السيئة .

اصطلاحاً : ذكر العلماء عدّة تعريفات للموعظة الحسنة ، اختار الباحث ما رآه جامعاً مانعاً منها أكثر من غيره وهو أن الموعظة الحسنة هي : القول الحق الذي يلين القلوب ، ويؤثر في النفوس ، فيكبح جماحها المتمرّدة ، ويزيدها تهذيباً وإيماناً وهداية(٢) .

أمّا تعريف الموعظة الحسنة كأسلوب دعوي فهو : طريقة استخدام القول الحق في الدعوة إلى الله تعالى بشتى أشكاله وصوره التي تلين القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وفق الكتاب والسنة لاستمالة المدعوين وحملهم على الاستجابة .

أمّا أشكال هذا الأسلوب فهي عديدة ومتنوعة من أبرزها :

أ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة :

الإشارة لغة : مشتقة من أشار ، يشير ، إشارة ، ومعنى أشار الرجل ويشير : إذا أومأ بيديه ، ويقال : أشرت إليه : أي لوّحت إليه(٣) .

---

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ١٥/ ٣٤٥ ، مادة : وعظ مرجع سابق .

(٢) علي محفوظ ، هداية المرشدين : ٧١ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٧/ ٢٣٥ ، مادة : شور ، مرجع سابق .

أمّا معنىٰ الإشارة في الاصطلاح : فهو تعيين الشيء باليد ونحوه، والتلويح بشيء يفهم منه المراد[1] .

أمّا التعريف الإجرائي للإشارة كأسلوب فهو : طريقة استخدام الإشارة لفظاً أو حسّاً لتوضيح المعنىٰ أو تأكيده .

ب ـ التعريض :

التعريض في اللغة : ضد التصريح ، وهو إحالة الكلام إلىٰ عرض ـ بضم العين ـ : أي الجانب والناحية، تقول : عرضت بفلان ، إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه . وقيل: هو إفهام المعنىٰ بالشيء المحتمل له ولغيره، كأنه يحوم به علىٰ الشيء ولا يظهره[2] .

التعريف الاصطلاحي للتعريض : هو أن تذكر شيئاً تدل به علىٰ شيء آخر لم تذكره . كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلىٰ وجهك الكريم . ويسمىٰ بالتلويح ، لأنه يلوح منه ما يريده[3] .

أما التعريف الإجرائي لأسلوب التعريض فهو : عبارة عن صيغ تعبيريةغير مباشرة للدلالة علىٰ معنىٰ آخر اقتضاه الموقف الدعوي علىٰ ضوء الكتاب والسنة .

---

(١) إبراهيم مصطفىٰ وآخرون، مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، : ١/ ٤٩٩، مادة: شور، مرجع سابق .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٩/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ، مادة : شور ، مرجع سابق .

(٣) أبوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ / عادل عبدالموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٨هـ: ١/ ٤٥٩ .

جـ ـ الكناية :

الكناية في اللغة : مشتقة من كنىٰ ، كناية ، وهي تعني : أن تتكلم بشيء وتريد غيره[١] .

أمّا معنىٰ الكناية في الاصطلاح : فقيل : هي كل لفظ دلّ علىٰ معنىٰ يجوز حمله علىٰ جانبي الحقيقة والمجاز ، بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز[٢] . وقيل : هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنىٰ ، ومثاله : لفظ : «طويل النجاد» فالمراد به : طول القامة ، مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضاً . فالنجاد : حمائل السيف ، وطول النجاد يستلزم طول القامة[٣] .

أمّا التعريف الإجرائي لأسلوب الكناية المعتمد في هذه الدراسة فهو : طريقة استخدام الألفاظ الموحية بمعان أخرىٰ تحقيقاً للمقاصد الدعوية التي اقتضتها المواقف الدعوية وفق الكتاب والسنة .

د ـ القصة :

القصة في اللغة : هي من القصّ ، وهو تتبّع الأثر ، قال تعالىٰ : ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾[٤] أي : اتبعي أثره .

وتأتي بمعنىٰ البيان قال تعالىٰ : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[٥] أي :

---

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ١٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥ ، مادة : كنىٰ ، مرجع سابق .

(٢) نصرالدين بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق الشيخ : كامل محمد محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٢/ ١٧٢ .

(٣) انظر : الدكتور/ عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة ، بيروت ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٤٠٥هـ : ٢٠٣ .

(٤) سورة القصص ، آية : ١١ .

(٥) سورة يوسف ، آية : ٣ .

نبيّن لك أحسن البيان . وتأتي بمعنى الخبر المقصوص[1] .

المعنى الاصطلاحي للقصة : هي فنّ حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود[2] .

أمّا التعريف الإجرائي للقصة كأسلوب دعوي فهو : طريقة استخدام الأخبار القرآنية والنبوية التي تحكي أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة ، والصراعات بين الأخيار والفجار ، وعاقبة كل منهما للترغيب والترهيب والاتعاظ . . . بهدف حمل المدعو على الاستجابة وقبول دعوة الإسلام والثبات على الحق .

هـ ـ التذكير بنعم الله تعالى :

التذكير في اللغة : الوعظ[3] .

واصطلاحاً : إزالة نسيان شيء . ويعدى بالباء إذا جاء بمعنى الإنذار والوعظ[4] . وقيل التذكير هو : تكرار المعارف على القلب لترسيخها فيه[5] .

أما النعمة لغة : فالنعيم ، والنعمى ، والنعماء ، والنعمة : كلها الخفض والدعة والمال ، وهو ضد البأساء ، والبؤس ، وقيل : النعمة هي اليد البيضاء

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٤/ ١٩٠ ـ ١٩١ ، مادة : قصص ، مرجع سابق .

(٢) عمر سليمان الأشقر ، صحيح القصص النبوي ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة : الثالثة ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ١٢١ .

(٣) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : السادسة ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٣٩٧ ، مادة ذكر .

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ١٣/ ١٨٩ ، مرجع سابق .

(٥) انظر : محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين : ٦/ ٤٧ ، مرجع سابق .

الصالحة والصنيعة والمنّة . أمّا نعم الله فهي ما أعطاه الله العبد مما لا يمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر[1] .

أمّا معنى النعمة اصطلاحاً : فهي كل خير ولذّة وسعادة[2] .

يقول الغزالي رحمه الله تعالى : «والنعم الحقيقية هي كل نعمة توصل إلى سعادة الآخرة ، وتعين عليها ، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إمّا غلط ، وإمّا مجاز ، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة ، فإن ذلك غلط محض ، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق»[3] .

أمّا تعريف التذكير بنعم الله تعالى كأسلوب دعوي فهو : طريقة تعريف الخلق بنعم الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة لحثّهم على شكره ، وتحذيرهم من مخالفة أمره .

و ـ المدح :

المدح لغة : نقيض الهجاء ، وهو حسن الثناء ، وقيل : الوصف الجميل وعدّ المآثر[4] . وقيل : وصف المحاسن بكلام جميل[5] .

---

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ١٤/ ٢٠٧ـ٢٠٩ ، مادة : نعم ، مرجع سابق .

(٢) انظر : أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، تحقيق : سعد العارف ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٦هـ : ٣٣٣ .

(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين : ٤/ ٣٥٧ ، مرجع سابق .

(٤) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ١٣/ ٤٩ ، مادة : مدح ، مرجع سابق .

(٥) ابن فارس ، مقاييس اللغة : ٥/ ٣٠٨ ، مادة : مدح ، مرجع سابق .

المدح اصطلاحاً : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً[١] . وقيل : الحمد والمدح : أخوان وهو الثناء ، والنداء على الجميل من نعمة وغيرها[٢] . ويقول البيضاوي : هناك فرق بين الحمد والمدح فالحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها . أمّا المدح فهو الثناء على الجميل مطلقاً[٣] . فالمدح إذاً أعم لجواز وقوعه على الجميل غير الاختياري . وقيل : الحمد : هو الوصف بما هو أهله لا يستحب إلا لله تعالى[٤] . ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه ، فلا بد فيه من اقتران الإرادة بالخير ، بخلاف المدح ، فإنه إخبار مجرد ، ولذلك كان المدح أوسع تناولاً ، لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضاً[٥] ، وهو يصح ـ أي المدح ـ من المولى عز وجل في حق عبده ، يقول تعالى في حق نبيه أيوب عليه السلام : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٦] .

أمّا تعريف المدح إجرائياً كأسلوب دعوي فهو : طريقة استخدام الثناء لكل

---

(١) علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة : الرابعة ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ٢٦٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ١/ ١١١ ، مرجع سابق .

(٣) ناصر أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤٠٨هـ : ١/ ٧ .

(٤) عبدالله بن أحمد النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تحقيق : مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٦هـ : ١/ ٣٣ .

(٥) محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٤٠٢هـ : ٧ .

(٦) سورة ، ص ، آية : ٤٤ .

ما يوافق الشرع وفقاً لضوابطه الشرعية[1] لتحبيب المدعو في ذلك بقصد استمالته وجرّه إلىٰ ساحة الإيمان أو لزيادة إيمانه وثباته علىٰ الحق .

ز ـ الذّم :

الذّم لغة : نقيض المدح من ذمّ ، يذم، ذمّاً ، وهو اللوم في الإساءة . والمذمّة : الملامة ، والذّام : العيب . يقال : لولا أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً[2] .

والذّم اصطلاحاً : هو الوصف بالمعايب أو ذكر المعايب والأخطاء في المذموم[3] .

أمّا التعريف الإجرائي لأسلوب الذمّ فهو : طريقة استخدام ذكر المعايب لكل ما ينافي الشرع وفقاً للضوابط الشرعية[4] لتنفير المدعو من تلك المذمومات .

ح ـ الترغيب :

الترغيب لغة : مصدر من رغب ، يرغب ، ترغيباً ، وهو يعني : إرادة الشيء . تقول : رغبت في الشيء إذا أردته ، ورَغّبه في الشيء : إذا زيّنه له ، وحببه إليه ، وذكر محاسنه، وحث عليه . ويتعدىٰ رغب بإلىٰ : كرغبت إلىٰ الله، وتتعدىٰ بفي : كرغبت في الأجر ، وتتعدىٰ بعن : كرغبت عن الشر[5] .

---

(١) بيان الضوابط الشرعية سيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ في الفصل الثاني ـ صفحة : ٦٣٦ .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٥/ ٥٨ ، مادة : ذمم ، مرجع سابق .

(٣) انظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٥/ ٦٠ : البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة : ٢٠٥ ، مرجعان سابقان .

(٤) بيان الضوابط سيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ في صفحة : ٦٤٢ .

(٥) الزبيدي ، تاج العروس ، ٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢ ، مادة: رغب، مرجع سابق .

والترغيب اصطلاحاً : هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة ، وقبول الحق والثبات عليه[1] .

أمّا التعريف الإجرائي للترغيب فهو : طريقة استخدام كل ما يشوّق المدعو إلى الاستجابة مع بيان المنافع واللذات والخيرات العاجلة والآجلة وفق الكتاب والسنة .

ط ـ الترهيب :

الترهيب لغة : من الفعل : رَهَبَ ، يرهب ، رهبة ، ورهباً بالضم ، ورهباً بالتحريك : أي خاف ، وترهب الرجل إذا صار راهباً يخشى الله تعالى . وقيل : الإرهاب : الإزعاج والإخافة ، وترهب الرجل غيره : إذا توعده .

وعلى ضوء ما ذكر تكون مادة : رهب ومشتقاتها ظهرت فيها معاني : الخوف بجميع درجاته : الإخافة ، الإزعاج ، الخشية ، التّوعد[2] .

الترهيب اصطلاحاً : هو كل ما يخيف ، ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[3] .

أمّا التعريف الإجرائي للترهيب فهو : طريقة استخدام كل ما يخيف المدعو عاجلاً أو آجلاً لحمله على الاستجابة ، وقبول الحق والثبات عليه وفق الكتاب والسنة .

---

(١) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الخامسة ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ٤٣٧ .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٥/ ٣٣٧ـ٣٣٩ ، مادة : رهب ، الزبيدي ، تاج العروس : ١/ ٢٨٠ ، مادة : رهب ، مرجعان سابقان .

(٣) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة : ٤٣٧ ، مرجع سابق .

٢ ـ أسلوب إظهار الرحمة بالمدعوين :

نقصد بهذا الأسلوب الدعوي في هذه الدراسة : طريقة إبراز الأقوال والأفعال اللينة اللطيفة أثناء تبليغ المعاني الدعوية بهدف إثارة مشاعر الإنسان ووجدانه لحمله على الاستجابة وقبول الدعوة . وهذا الأسلوب له عدّة صور وأشكال منها :

أ ـ القول اللين اللطيف: ونقصد به طريقة تبليغ المعاني الدعوية بكلام خال من العنف ، والخشونة ، والقسوة ، والشدّة ، والجفاء أثناء مخاطبة المدعو مع لين الجانب وكثرة الاحتمال .

ب ـ الكلمة الاستعطافية : ونقصدبها هنا كأسلوب : طريقة إبلاغ المعاني الدعوية بألفاظ عاطفية تثير مشاعر الإنسان ووجدانه لقبول الحق والاستجابة للهدىٰ .

جـ ـ المشاركة الوجدانية : ونقصد بها هنا كأسلوب : فعل يجسّد حقيقة معانٍ يدعو لها الإسلام أو يهتم بها حفاوة بمشاعر المدعوين وعواطفهم وربطاً له بالدين .

٣ ـ أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات :

وهذا الأسلوب له صورتان :

أ ـ قضاء الحاجات :

ومعناه : إنهاء الحاجات . والحاجات لغة : جمع حاجة أو حائجة . والحاجة : من الحوج وهو الطلب ، والحوج أيضاً يأتي بمعنىٰ الفقر . والحائجة :

المأربة والغرض ، وتحوج إلىٰ الشيء : احتاج إليه ، وأراده[1] .

وفي الاصطلاح : عرفت الحاجة في الدراسات النفسية بأنها : كل حالة من النقص والافتقار أو الاضطرار الجسمي أو النفسي إن لم تلق إشباعاً أثارت لدىٰ الفرد نوعاً من التوتر والضيق ، لا يلبث أن يزول متىٰ قضيت الحاجة ، أي متىٰ زال النقص أو الاضطرار واستعاد الفرد توازنه[2] .

والتعريف الإجرائي لأسلوب قضاء الحاجات هو : طريقة تبليغ الحق ونشر الدعوة عبر المنافع الفردية التي تبذل لسدّ خلّة أهل العوز والحاجة، مثل المساعدات المالية ، والشفاعة الحسنة ، والنصرة . . . وغير ذلك .

ب ـ تأمين الخدمات :

ونقصد بهذا الأسلوب : طريقة تبليغ الحق ، ونشر الدعوة عبر المنافع والخدمات العامة التي تقدم للمحتاجين والمنكوبين . . . وغيرهم رغبة في جذبهم للإسلام وإقبالهم علىٰ الطاعة مثل : تأمين المستشفيات، والمدارس ، والطرق، والكهرباء ، والأعمال الإغاثية المختلفة . . . وغيرها من المشروعات العامة .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب : ٣/ ٣٧٨ ـ ٣٨١ مادة : حوج ، مرجع سابق .

(٢) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، المكتب المصري ، الإسكندرية ، الطبعة : التاسعة ، تاريخها : ١٩٧٣م : ١٧٢ ، وانظر : حامد زهران ، علم نفس النمو ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة : الرابعة ، تاريخها : ١٩٧٧م : ٢٦٧ .

المبحث الثاني

مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى

ويشتمل على توطئة وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النصوص القرآنية الكريمة الدالة على مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى .

المطلب الثاني: نصوص السنة النبوية المطهرة الدالة على مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى .

المطلب الثالث: حكم استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى .

توطئة:

من أهداف هذه الرسالة وأسباب اختيار هذا الموضوع، إثبات أصالة المنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولهذا جاء هذا البحث ليحقق ذلك الهدف. وهو أمر في غاية الأهمية يقول الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني: «ولما كانت الدعوة الإسلامية دعوة إلى الله تعالى، وعملاً أساسياً من أعمال الرسول ﷺ وأتباعه كان لا بد أن تكون منطلقة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها. فإن الإسلام لا يعرف فصلاً في الحكم بين المناهج والأساليب والوسائل، ولا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة ـ كما هو الحال في المبادئ البشرية ـ بل إن للوسائل حكم الغايات وللأساليب حكم المناهج... وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج أو الأساليب أو الوسائل يُعَدُّ انحرافاً للدعوة عن مسارها وخروجاً بها عن مصادرها»(١).

ولما كان المنهج العاطفي ـ كما مرّ معنا في تعريفه ـ هو نظام يقوم على مجموعة أساليب ترتكز على القلب وتحرك الشعور والوجدان، فإنه يتحتم علينا تأصيل هذه الأساليب التي يقوم عليها هذا المنهج من خلال إبراز استخداماتها في الكتاب والسنة، كما يستفاد من أقوال علماء التفسير وشراح الحديث والمختصين في الدعوة، وسأتناول ذلك وفق الآتي:

المطلب الأول: النصوص القرآنية الكريمة الدالة على استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: نصوص السنة الكريمة الدالة على استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢٨٥، مرجع سابق.

المطلب الثالث : حكم استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ .

وقبل أن نبدأ في بحث هذه المطالب ، يجدر بنا تعداد أساليب المنهج العاطفي التي يقوم عليها والأشكال المتفرعة منها ؛ لكوننا سنتناول سرد أدلتها وفق التعداد والترتيب التالي :

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة، وله أشكال عديدة، منها:

أ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة . ب ـ التعريض . جـ ـ الكناية

د ـ القصص الوجدانية المؤثرة . هـ ـ التذكير بنعم الله تعالىٰ

و ـ المدح : وذلك بذكر الخصائص والمزايا .

ز ـ الذمّ : وذلك بذكر المعايب والأخطاء .

ح ـ الترغيب وذكر الثواب . ط ـ الترهيب وذكر العقاب .

٢ ـ إظهار الرحمة بالمدعوين، ومن صورها:

أ ـ القول اللطيف اللين .

ب ـ الكلمات الاستعطافية مثل : ياأبت ، يابني ، ياقوم ، يا أخي ، وقول الداعي للمدعو : إني أحبك ، إني أخشىٰ عليك ، وما إلىٰ ذلك .

جـ ـ المشاركة الوجدانية .

٣ ـ قضاء الحاجات وتأمين الخدمات .

لما كانت العواطف والأحاسيس لها دورها في حياة الإنسان ، وكان الطابع العاطفي في الناس أغلب من غيره[1] ، جاءت العناية الإلهية باستخدام هذا المنهج في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من خلال أساليبه المذكورة سابقاً ، وإذا تأملنا النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في طلب هذا الأمر ألفينا ذلك

(١) المرجع السابق : ٢٠٧ .

ذلك قد ورد باستفاضة كبيرة جداً، مع مختلف هذه الأساليب والأشكال المتفرعة منها؛ لعلم المولىٰ عز وجل بجدوىٰ استخدام هذا المنهج في مواجهة تنوع الناس في عواطفهم وأمزجتهم، ومستوىٰ فهمهم واختلاف قدراتهم ودرجة استجابتهم. وسنحاول الكشف عن هذه العناية الربانية من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

النصوص القرآنية الدالة علي مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى

القرآن الكريم هو قاعدة الدين الإسلامي ومصدره وأصله الأصيل، جعله الله تعالىٰ سبباً للهداية، يهدي به من يشاء من عباده، قال تعالىٰ: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(١)، من قال به صدق، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

وهو كتاب الله فيه كل ما يحتاجه بنو الإنسان في كل زمان ومكان ومجال، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

وهو كتاب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، جاء بالصلاح والإصلاح ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٤)، وقال تعالىٰ: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾(٥).

(١) سورة الشورىٰ، آية: ٥٢.

(٢) سورة الشورىٰ، آية: ٥٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ١.

ولتحقيق ذلك سلك القرآن الكريم مناهج عديدة في إيصال معاني الحق للناس، من ضمنها المنهج العاطفي، الذي يرتكز على القلب لإثارة شعور صاحبه بمختلف أشكال التأثيرات الوجدانية التي سبق ذكرها، وهنا سنقيم الشواهد عليها من نصوص القرآن بالترتيب السابق نفسه، فنقول:

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة في القرآن الكريم:

الموعظة: هي النصيحة والتذكير بالعواقب[١].

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب مايعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الواعظ.

ومن هنا جاء الأمر بها مقيدا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٢]. فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسنة، قال تعالى: ﴿**فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾[٤].

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي: ترادف النصيحة[٥]، قال تعالى:

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٥/ ٣٤٥، مادة: وعظ وإبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ٢/ ١٠٥٥، وانظر كذلك: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٠هـ: ٣٠٣، مادة: وعظ.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة النساء، و آية: ٣٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) انظر: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢٥٨، مرجع سابق، وسيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: التاسعة، تاريخها: ١٤٠٠هـ: ٥/ ٢٧٨٨.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١) .

حيث استخدمها جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم، أخبر بذلك المولىٰ عز وجل، فقال عن نوح : ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾(٢) ، وعن هود ، فقال : ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٣) . والموعظة الحسنة أمر الله باستخدامها في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٤) .

فمما لا شك فيه أن من أعظم مايبتلىٰ به المسلم الغفلة عن نفسه، والتقصير في القيام بحقها، وما يجب عليه من تزكيتها وتهذيبها، ومن وقايتها موارد الهلكة، فيأتي دورالموعظة الحسنة للتحذير من أسباب الهلاك فتكشف الداء وتصف الدواء في ظل منهج عاطفي حكيم، ومن خلال صورها المتعددة التي سبق تعدادها، وهي مع الدليل عليها من القرآن الكريم :

أ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإشارة في موضوع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(٥) .

فهي من وسائل البيان التي تساعد علىٰ إيضاح المعنىٰ، إلىٰ جانب الوسائل الأخرىٰ والتي حصرها الجاحظ في خمس : اللفظ، الخطّ، الإشارة، العقد، الحالة الدالة .

(١) سورة لقمان، آية: ١٣ .

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦٢ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ٦٨ .

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٥) سورة مريم، آية: ٢٩ .

وقال عنها: (الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه)[1] . ودليل مشروعيتها في الدعوة قول الله تعالىٰ : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[2]. أي أشار إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً .

فحركة اليد أواهتزاز الجسم أو الرأس للداعية أثناء حديثه قد تكون عوناً علىٰ الفهم، وتشيع الحيوية في جو الموقف، وتكون وسيلة جذب للمستمعين. وقد تثير ما قد يكون كامناً في كيان المستمع من مشاعر وأحاسيس وعواطف .

وهذا ما يهدف له المنهج العاطفي في الدعوة ، إذ اعتبرت الإشارة أحد أساليبه التي ينبغي علىٰ الداعية استعمالها .

ب ـ التعريض في القرآن الكريم :

التعريض من أشكال أسلوب الموعظة الحسنة، وفي الوقت نفسه من أساليب البيان البلاغية .

ومثاله : إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إني لمحتاج وليس في يدي شيء وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب، فالتعريض يفهم من جهة التلميح والإيماء .

وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك ماذكره الله عز وجل علىٰ لسان صاحب يس حيث قال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ

(١) أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة: بدون، تاريخها : بدون: ١/ ٧٦ـ ٧٧ .

(٢) سورة مريم، آية: ١١ .

فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[1] .

فالتعريض ورد في قول صاحب يس : ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ ، أي كأنه يقول : ومالي لا أعبد ومالكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، إذ جعل الإسناد إلىٰ ضميرهم تقوية لمعنىٰ التعريض[2] .

وهكذا في بقية الآيات .

وهو يريد باستخدام أسلوب التعريض استدراج قومه بالمناصحة والمداراة والتلطف بهم ، وأنه لايريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، وهو بهذا التحايل اللطيف يسلك المنهج العاطفي في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ من خلال أسلوب التعريض ، فينبغي علىٰ الداعية مراعاة ذلك في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ .

جـ ـ الكناية في القرآن الكريم:

يعرف علماء البلاغة الكناية بأنها : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنىٰ ، ومثال ذلك لفظ : (طويل النجاد) . فالنجاد : حمائل السيف ، والمراد به هنا طول القامة مع جواز أن يراد حقيقةطول النجاد ، وطول النجاد ، يستلزم طول القامة ، أي يراد بطول النجاد معناه الحقيقي واللازم[3] .

ولأسلوب الكناية في القرآن الكريم نصيب وافر ، من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

(١) سورة يس ، الآيات : ٢٠ ـ ٢٧ .

(٢) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ٢٢/ ٣٦٨ ، مرجع سابق .

(٣) عبدالعزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية : ٢٠٣ ، مرجع سابق .

رَّحِيمٌ﴾(١) .

فقوله : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ كناية عن النهي عن الغيبة .

فانظر هل هناك شيء تنفر منه النفس أكثر من أكل لحم الإنسان؟ فكيف إذا كان الإنسان أخاً ؟! ومعنىٰ كون اللحم المأكول لحم ميت فكذلك المغتاب تنال منه وهو لايدري ولا يعلم، فالقرآن الكريم يرشدنا إلىٰ أننا ينبغي أن ننفر من الغيبة كما ننفر من هذه الصورة (صورة أكل لحم الأخ ميتاً)، تلك صورة محسوسة بشيء معنوي عبر عنها بهذه الكناية الموحية الهادفة بصورة وجدانية مقنعة . وللكناية أثر في النفس عظيم، ولهذا اعتبرت من أشكال الموعظة الحسنة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وفق المنهج العاطفي .

فينبغي علىٰ الداعية الاهتمام بمثل هذه الأساليب البلاغية وانتهاجها في دعوته للناس .

د ـ القصة الوجدانية في القرآن الكريم:

القصة الوجدانية من أشكال الموعظة الحسنة، استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ لما تتضمنه من العبر والعظات والوقائع التي تكاد لا تنسىٰ؛ لهولها وشدتها ومآسيها ومدىٰ تأثيرها في النفوس، وكان من أهداف القصة في القرآن الكريم تصحيح العقيدة، والإيمان بالله واليوم الآخر، ومواساة الضعفاء، ومجاهدة الطغاة والظلمة، إلىٰ غير ذلك من الأهداف السامية . والقصص في القرآن كثير ، من ذلك علىٰ سبيل المثال : قصة موسىٰ عليه السلام مع فرعون

(١) سورة الحجرات ، آية: ١٢ .

وهامان، وموقف الرجل المؤمن الذي وقف يدافع عن موسىٰ لتقرير وحدانية الله وإثبات ربوبيته وسلطانه.

وقد عرض القرآن الكريم هذه القصة في أروع بيان وأبسط أسلوب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾(١).

ثم هدد فرعون موسىٰ تهديداً صارخاً بالقتل، فقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(٢).

فماذا كان موقف موسىٰ عليه السلام أمام هذا التهديد؟: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾(٣).

فجاء الرجل المؤمن من آل فرعون يدافع عن الإيمان وعن موسىٰ داعية الإيمان: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٤).

ثم اتجه هذا المؤمن إلىٰ قومه، فدعاهم إلىٰ الإيمان بالمنهج العاطفي، من خلال أساليبه المتنوعة المؤثرة، قائلاً: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ

(١) سورة غافر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) سورة غافر، آية: ٢٦.

(٣) سورة غافر، آية: ٢٧.

(٤) سورة غافر، آية: ٢٨.

عمل سيئة فلا يجزىٰ إلاَّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴿٤٠﴾ ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴿٤١﴾ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴿٤٢﴾ لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴿٤٣﴾ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴿٤٤﴾ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴿٤٥﴾ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (١) .

فالرجل المؤمن دعا قومه بأساليب مختلفة تدل علىٰ أن الرجل يريد لقومه سبيل الرشاد فتارةً يدعوهم بالوعظ والإرشاد، وأخرىٰ بالترهيب والترغيب، وثالثة باللفظ اللطيف تحبباً إليهم ومداراة بهم؛ لاستمالتهم وإقناعهم بدعوة الحق. وهذا ما ينبغي علىٰ الداعية فعله.

وكلما كان الداعية يعرض مادته العلمية في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ من خلال القصة، كلما أمكنه ذلك من الوصول إلىٰ أعماق النفوس والتأثير فيها؛ لأن النفس البشرية تتعلق غالباً بالحدث الذي تقوم عليه القصة ومايصاحبه من مؤثرات وجدانية تقتضي التفاعل والاندماج مع القصة وأحداثها.

والقرآن الكريم خير معين للداعين في هذا الجانب، وهو مليء بالقصص المؤثرة. ولأهمية القصة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، فإن الله عز وجل زيادة علىٰ ذلك أمر رسوله ﷺ باستخدامها في قوله تعالىٰ: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

(١) سورة غافر، الآيات: ٣٨ ـ ٤٦.

يتفكَّرُونَ﴾(١) .

هـ ـ التذكير بنعم الله تعالى في القرآن الكريم:

لاشك أن النفوس مجبولة على حب من أنعم عليها، فكيف بالله الخالق الرازق، المتفضل على خلقه بكل النعم ، جليها ودقيقها ، الذي بلغت نعمه سبحانه بالإنسان خاصة حداً لا يحصى، قال تعالى : ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾(٢) .

فالإسلام في مجال الدعوة لم يغفل هذا الجانب في الإنسان إلى جانب مااستقر في فطرته من أن الخالق والرازق هو الله رب العالمين، ومن هنا جعل من أساليب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله تذكير الإنسان بنعم الله عليه؛ ليوقظ شعوره وعواطفه، فيدرك أن المنعم هو وحده المستحق للعبادة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾(٣) .

وقال أيضاً عليه السلام وهو يدعو قومه بتذكيرهم بنعم الله تعالى : ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٤) .

وقال لهم أيضاً : ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾(٥) .

ومماسبق يتضح من الآيات الكريمة أن التذكير بنعم الله تعالى من الأساليب

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٦ .

(٢) سورة النحل، آية: ١٨ .

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٠ .

(٤) سورة الأعراف، آية: ٦٩ .

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢ ـ ١٣٥ .

التي اهتم بها القرآن الكريم، وسلكها الرسل عليهم السلام في دعوة أقوامهم، لأن تذكر النعم يقتضي الشكر. ولهذا ينبغي على الداعية أن لايغفل هذا الجانب المهم، فهو كفيل باستمالة أصحاب القلوب السليمة، ولو لم يكن كذلك لما أمر الله به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾(٢).

و ـ المدح والثناء في القرآن الكريم:

الناس يميلون إلى حب الثناء عليهم، ويحبون من يشكرهم، وإن كان الأصل في المسلم أنه يعمل العمل مرضاة الله ولاينتظر شكر الناس، ولكن ذلك طبع في البشر ولا بأس به شرعاً(٣)، لقوله ﷺ: **(من لا يشكرالناس لا يشكر الله عز وجل)**(٤).

فالشكر على المعروف والثناء على فاعله رجاء أن يتقدم أكثر في عمل الصالحات كان منهج القرآن الكريم، ومن فعل الرسول ﷺ. أمّا مدح الناس بما ليس فيهم، أو المدح الذي يتأكد أنه سوف يؤدي إلى الغرور، فهو المدح المذموم(٥).

وقد عني الإسلام بهذه الغرائز في الإنسان فخاطبها من خلال ذكر

(١) سورة الأحزاب، آية: ٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

(٣) عبدالله الخاطر، فن التعامل مع الناس، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٣هـ: ٥٦.

(٤) الحديث سبق تخريجه ص: ٣.

(٥) الخاطر، فنّ التعامل مع الناس: ٥٦، مرجع سابق.

الخصائص والمزايا التي يتميز بها الإنسان أو أن وجودها فيه أكثر من غيره.

كل هذا في ظل المنهج العاطفي في الدعوة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤).

ولما كان المدح والثناء له تأثير في النفس عميق، جُعِلَ من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى. لذلك ينبغي على الداعية الاعتناء به وفق ضوابطه الشرعية، ومن ثَم استخدامه مع مستحقيه.

ز ـ الذم ـ وذلك بذكر المعايب والأخطاء ـ في القرآن الكريم:

وأصل الذم قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾(٥).

ذم الله عز وجل في القرآن الكريم أهل الكفر والفسوق والعصيان للتنفير منهم ومن منهجهم، وللتحذير من الوقوع في حبالهم، ومن ذلك على سبيل

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٠.

(٣) سورة ص، آية: ٤٤.

(٤) سورة القلم، آية: ٤.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٢٢.

المثال قوله تعالىٰ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٣) .

فينبغي علىٰ الداعية أن يلم بأحوال هذا الصنف من الناس، الذين ذكرهم القرآن الكريم وكشف عيوبهم وأخطاءهم بارتكابهم عبادة غير الله والشرك به، والتكبر بعد ذلك والعناد؛ ليحذر الخلق من الوقوع في مثل هذه الأمور المهلكة، والقرآن الكريم قد بيّن ذلك أوضح بيان، وهذا يدل علىٰ أن هذا الأسلوب له دورٌ كبير، والتذكير به يجعل الإنسان يقف مع نفسه، ويرىٰ أين هي من هؤلاء فيحذر وينتبه .

ولهذه الأهمية أمر الله تعالىٰ رسول الله ﷺ في الآيات السابقة ـ بعد أن ذكر أوصاف بعض هؤلاء ـ أن يقص قصصهم للناس؛ لعلمه سبحانه بجدواه وتأثيره في الناس لعلهم يتفكرون ويعودون إلىٰ الله، ولهذا يعتبر أسلوب الذم بهذه الصفة من الموعظة الحسنة التي هي أبرز أساليب المنهج العاطفي .

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٢ .

(٣) سورة الجمعة، آية: ٥ .

ح ـ الترغيب في القرآن الكريم:

يقصد بالترغيب: كل ما يشوق المدعو إلىٰ الاستجابة للحق وقبوله والثبات عليه، وقداستخدمه القرآن الكريم كثيراً لنجاحه في استمالة المدعوين؛ لأن النفوس جبلت علىٰ حب الخير، وهو يدعو للخير مطلقاً. والأصل فيه أن يكون في نيل رضىٰ الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهذا هو منهج الرسل عليهم السلام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة[1]. ومن ذلك علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ علىٰ لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال عن أمة محمد ﷺ: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

ومع أن الأصل في الترغيب يكون بالجزاء في الآخرة، فإنه يكون أيضاً بما يصيب المدعوين من خير في الدنيا إذا استجابوا، قال تعالىٰ حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[4].

---

(١) انظر: عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، : ٤٣٧، مرجع سابق.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٣) سورة التغابن، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

وقال تعالىٰ لأمة محمد ﷺ : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾(١) .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يفطن لهذا الأسلوب الناجح ، وعليه أن يشرح ويوضح النصوص القرآنية التي تؤكد وتبين الفضل الجزيل لمن يستجيب لله ورسوله ﷺ .

ط ـ الترهيب في القرآن الكريم

يقول صاحب الكشاف : « من عادته عز وجل(٢) في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف مايتلف»(٣) . فعلىٰ طريقة القرآن نسير في هذه الرسالة إن شاء الله ونتناول الترهيب عقب الترغيب .

فالترهيب : تخويف المدعوين من عدم الاستجابة أورفض الحق أوعدم الثبات عليه بعد قبوله(٤) .

وهو يمثل من خلال الموعظة الحسنة صورة من صور المنهج العاطفي التي لا يستغني عنها الداعية ، يؤكد ما ذُكِرَ اهتمام القرآن الكريم به ، وشواهد ذلك مايلي :

قوله تعالىٰ : ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴿٤٠﴾ لهم

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(٢) الصحيح : من عادة القرآن الكريم أن يذكر . . .

(٣) الزمخشري ، الكشاف : ١/ ٢٢٥ مرجع سابق .

(٤) عبدالكريم زيدان ، أصول الدعوة : ٤٣٧ ، مرجع سابق .

مَن جهنَم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ وكذلك نجزي الظالمين﴾(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿إنَ لدينا أنكالاً وجحيماً ﴿١٢﴾ وطعاماً ذا غصةٍ وعذاباً أليما﴾(٢).

فإذا كان بعض الناس لا يتعقل ولا يرتدع إلا بالتخويف والتهديد والترهيب، كان علىٰ الداعية أن يسوقهم إلىٰ الله عن طريق هذا الأسلوب ولا حرج، فإن الله تعالىٰ امتدح الذين يرهبونه فقال: ﴿ولَمَّا سكتَ عن مُوسَى الْغَضَبُ أخذَ الألْوَاحَ وفِي نُسْخَتِهَا هُدًى ورَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(٤).

ولأهميته في الدعوة أمر الله به فقال تعالىٰ: ﴿وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(٥).

وأسلوب الترهيب أسلوب ناجح للنفس البشرية؛ لأنها جبلت علىٰ النفور من الضيق والعذاب، فهو يحرك النفس ويحذرها من التفريط في حق الله تعالىٰ، ولهذا جُعل من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ. فينبغي علىٰ الداعية الاهتمام به، وأن يكون حكيماً في استخدامه، فلا يجعل حديثه كله ترهيباً حتىٰ لا يقنط المدعو من الثواب وهو يعمل بقدر ما يستطيع ولا ترغيباً.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) سورة المزمل، الآيتان: ١٢ ـ ١٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٤.

(٤) سورة البينة، آية: ٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

٢ ـ إظهار الرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم

اعتنى الإسلام بالدعوة إلى الله تعالى ورسم لها شتى المناهج والأساليب القولية والعملية؛ لكي تصل دعوة الحق إلى أعماق النفس الإنسانية بإقناع، ومن ذلك الاعتناء بالجانب العاطفي في الإنسان من خلال الرحمة بالمدعوين وإظهار الرأفة بهم، وهذا يعني عطف الداعية ولينه وشفقته على الناس، وإحساسه بمعاناتهم ومشكلاتهم وتقديره لذلك عند دعوتهم.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

وإظهار الرحمة بالمدعوين له صور منها:

أ ـ القول اللطيف اللين:

فالقول اللين من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى، الذي أمر به تعالى في قوله: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: آية: ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٨٣.

وقوله تعالىٰ : ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) .

وإذا كان هذا الأمر للناس كافة، فهو بحق الداعية أوجب وبإظهاره أولىٰ؛ لأنه لايخفىٰ علىٰ أحد ما للقول اللين اللطيف من مردود طيب علىٰ الدعوة، يتمثل في سرعة وسهولة الاستجابة والامتثال.

ب ـ الكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم:

مثل قول الداعي: (يا أبت، يابني، ياقوم، ياأيها الذين آمنوا، يا أيها الناس، يابني آدم، وقول الداعية للمدعوين: إني أخاف عليكم، وما إلىٰ ذلك..).

هذه الألفاظ الاستعطافية استخدمها الرسل عليهم السلام في دعواتهم لآبائهم وأبنائهم وأقوامهم والناس أجمعين؛ لاستمالتهم واستدراجهم في الدخول إلىٰ الإيمان، ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾(٢) .

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٣) .

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾(٤) .

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥) .

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٥٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١.

وقال تعالىٰ : ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾[1] .

وقال تعالىٰ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2] .

أما قول الداعية للمدعو : إني أخشىٰ عليك ، أوأخاف عليك ، فأصل ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾[3] . ونظائر ذلك كثير في القرآن الكريم .

ولاشك أن هذه الألفاظ اللطيفة تعبر عن المحبة والألفة ، ولهاتأثيرها الفعّال في النفوس ، وإلا لما استخدمها الرسل عليهم السلام مع أحب الناس إليهم وهم آباؤهم وأبناؤهم وعشائرهم ، ولدورها الناجح في استقطاب المخاطبين كررها القرآن الكريم في أكثر من موضع ، فينبغي علىٰ الداعية استخدام هذه الألفاظ الوجدانية الناجحة في مخاطبته لمدعويه .

جـ ـ المشاركة الوجدانية في القرآن الكريم:

المشاركة الوجدانية تعني : مشاركة الغير في الأحوال العاطفية ، عند الموت ، والتهنئة في الأفراح ، وعيادة المريض ، وإجابة الدعوة ، وكذلك السؤال عن الأحوال الاجتماعية والعلمية والصحية للمدعوين ، وما إلىٰ ذلك[4] .

وهي تعني كذلك : أن يحاول الداعية وضع نفسه مكان المدعو ؛ ليتصور حالته ومستواه ويعايش مشكلته ليتعامل معه بما يناسب هذه الظروف [5] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٢٧ .

(٢) سورة محمد ، آية : ٧ .

(٣) سورة هود ، آية : ٨٤ .

(٤) انظر : معروف زريق ، علم النفس الإسلامي : ٤٢١ ، مرجع سابق .

(٥) انظر : عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ، علم النفس الدعوي ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٥هـ : ٢٩٩ .

والإسلام درب أبناءه على المشاركة الوجدانية من خلال حكمة فريضة الصوم والحج؛ لكي يعيش المسلم حالة الجوع والعطش والإجهاد والبساطة، فيتذكر الفقير المحتاج ويتصور حالته، فيرحمه ويواسيه ويعطف عليه.

ولم يهمل القرآن الكريم هذا الجانب المهم؛ بل بينه أحسن بيان في مشاركة رسول الله ﷺ الوجدانية لأصحابه، حيث كان عليه السلام يحس بالمؤمنين ويعز عليه ما يشق عليهم ويحرص على مصالحهم.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٢).

ومن صور المشاركة الوجدانية أيضا التي وردت في القرآن الكريم: إيقاظ مشاعر الرحمة والحنان في قلوب الأوصياء على اليتامى بطريقة عاطفية جياشة، وذلك بتذكيرهم بأن أولادهم أنفسهم قد يقعون تحت ولاية غيرهم، فليعاملوا ما تحت يدهم بما يحبون أن يعامل به أولادهم من غيرهم، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(٣). ومن صور المشاركة كذلك: المواساة، فقد واسى الحق عز وجل المؤمنين بعد وقعة أحد بنفسه المقدسة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٩.

الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(١) .

ولهذه الأهمية التي بيّنها القرآن الكريم لهذا الأسلوب، ينبغي على الداعية أن يشارك إخوانه المدعوين وجدانياً في أفراحهم وأتراحهم؛ لما لهذا الأسلوب من أثر عميق في نفوسهم.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٩ ـ ١٤٠.

٣ـ قضاء الحاجات وتأمين خدمات المجتمع في القرآن الكريم

الأصل في هذا الجانب قوله تعالىٰ : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(١) .

وهذا الجانب له صورتان : قضاء الحاجات، وتأمين الخدمات .

أ ـ قضاء الحاجات في القرآن الكريم:

يواجه الداعية مواقف اجتماعية ودعوية تتضمن حالات عجز وعوز، تحتاج إلىٰ المعونة والنصرة، والشفاعة القولية أو الفعلية أو بهما معاً، وقد حثَّ القرآن الكريم علىٰ البذل والعطاء والكرم والسخاء سواءً من الوقت أوالمال أو الجاه، وحث كذلك علىٰ النصرة والشفاعة ومساعدة الناس والتيسير عليهم، وشواهد هذا من القرآن الكريم كثير ، منه ما يلي :

قال تعالىٰ : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾(٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٤) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(٥) .

---

(١) سورة المائدة، آية : ٢ .

(٢) سورة البقرة، آية : ٢١٥ .

(٣) سورة الحج، آية : ٢٨ .

(٤) سورة الإنسان، آية : ٨ .

(٥) سورة البقرة، آية : ٢٨٠ .

وقال تعالىٰ في حق الشفاعة: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾(١).

فالداعية عندما يجود بماله وعلمه وجاهه لأخوانه المسلمين يملك النفوس ويأسر القلوب بمعروفه وسماحته، وهذا الجانب العاطفي يخدم الداعية كثيراً، فينبغي علىٰ الداعية استثماره وتوظيف هذا الإقبال والامتثال لتوجيهاته للدين وخدمة الدعوة.

ب ـ تأمين خدمات المجتمع ومشاريعه الخيرية في القرآن الكريم:

إن الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لا تنحصر في الحديث عن الإسلام باللسان؛ بل إن السيرة الحسنة، والتعاون المثمر، وتأمين المنشآت الخيرية، وتقديم الخدمات الاجتماعية الإنسانية النبيلة، تعد دعوة عملية للناس، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تحث علىٰ إقامة مثل هذه المشاريع النافعة، وشواهد ذلك مايلي:

قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(٣).

وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٧.

فالنصوص السابقة تأمر أهل الإيمان وتحثهم على فعل الخير كل الخير، والإنفاق في سبيل الدعوة إلى الله من أهم المهمات، سواءً كان ذلك ببناء مساجد أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم، أو مدارس محو الأمية، أو مشاريع التكافل الاجتماعي على اختلاف أنواعها، أو مشاريع صحية أو أمنية أو غير ذلك من المشاريع النافعة الخيرة، التي تعود على المسلمين بالفائدة. والقيام بهذه الأعمال من قبل الداعية إن كان مقتدراً، أو مشاركته في إقامتها، أو حث المقتدرين على فعلها من أَجَلِّ الأعمال، فهي صفة الرسل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[1].

وهي من صفات الصحابة رضوان الله عليهم، فكانوا يجهزون الجيوش لنشر دين الله. فإذا وفق الداعية إلى إقامة مثل هذه الأعمال، أو شارك في فعلها بأي وجه من وجوه المساهمة، كان ذلك شاهداً على صدق دعوته وحبه للخير للناس، وبالتالي يكون له الأثر الطيب في نفوس المدعوين. ولهذا اعتبر هذا الجانب من الأمور التي يرتكز عليها المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي على الداعية الاهتمام به واستثماره ما أمكن لصالح الدين والدعوة إليه.

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

المطلب الثاني

نصوص السنة النبوية المطهرة الدالة على مشروعية المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى

ورد في السنة المطهرة نصوص كثيرة دالة على مشروعية استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى، سأسردها على الطريقة التي اتبعتها في المطلب الأول على النحو التالي:

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية المطهرة:

لقد استخدم الرسول ﷺ الموعظة الحسنة أفضل استخدام، فكانت مواعظه عليه الصلاة والسلام تلين القلوب وتذرف منها العيون، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب.. الحديث)[1]، والشاهد من الحديث أن مواعظه ﷺ كانت مؤثرة في النفوس، فتحزن القلوب وتدمع العيون.

وهذا هو دور الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى، ولهذا كانت أبرز أساليب المنهج العاطفي التي ينبغي على الداعية أن يستغل معطياتها وتميزها في تنبيه الغافل والتذكير بالعواقب والتخويف بالله.

---

(١) أبوداود، السنن: ٥/ ١٢ ـ ١٣، رقم الحديث: ٤٦٠٧، والترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٤٣، رقم الحديث: ٢٦٧٦، وقال عنه: حديث حسن صحيح، مرجعان سابقان.

والموعظة الحسنة لها أشكال عديدة نستعرضها مع مايدل عليها من السنة النبوية المطهرة فيما يلي :

أ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ الإشارة في دعوته للناس .

روىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي بردة عن أبيه أبي موسىٰ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه**)(١) .

فالرسول ﷺ استخدم الإشارة لتقوية معنىٰ الحديث في التعاون والتكافل بين المؤمنين، وهذا بلا شك له أثره العميق في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم .

وفي حثه وترغيبه ﷺ في كفالة الأيتام يقول : (**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى**)(٢) . أي أشار الرسول ﷺ للمخاطبين حوله، وهذه الإشارة اللطيفة من الرسول ﷺ تفهم أن كافل اليتيم معه في الجنة .

وروىٰ الدارمي عن عبدالله بن سفيان عن أبيه قال : قلت : يارسول الله أخبرني بعمل في الإسلام لا أسأل عنه أحداً، قال : (**اتق الله ثم استقم**) . قال : قلت : ثم أي شيء؟ قال : **فأشار إلى لسانه**)(٣) ، فمعنىٰ إشارة الرسول ﷺ هنا حفظ اللسان .

والشاهد من الأحاديث النبوية السابقة أن الإشارة تزيد الكلام قوة وبلاغة وتأثيراً في النفوس، ويكفي دليلاً علىٰ أهميتها أن أفصح الخلق عليه الصلاة

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/ ٥٥٢، رقم الحديث : ٦٠٢٦، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق، ١٠/ ٥٣٦، رقم الحديث : ٦٠٠٥ .

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي، السنن، تحقيق : مصطفىٰ ديب البغا، دار القلم ، دمشق، الطبعة : الثالثة، تاريخها : ١٤١٧هـ : ٢/ ٧٥٤، رقم الحديث : ٢٦١٠، والترمذي، الجامع الصحيح : ٤/ ٥٢٥، رقم الحديث : ٢٤١٠، وقال عنه : هذا حديث حسن صحيح .

والسلام عبر عما في نفسه من معاني جليلة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالإشارة، وهذه المعطيات فرضت أن تكون الإشارة إحدىٰ أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، فينبغي علىٰ الداعية أن يحسن استخدامها في دعوته ودرسه وخطبته بالقدر اللازم تأسياً برسول الله ﷺ.

ب ـ التعريض في السنة النبوية المطهرة:

التعريض: هو ما يفهم من سياق الكلام بالتلويح، وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب كأحد صور المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، لأن في استخدامه احتراماً لمشاعر المخاطبين، وتعميماً للفائدة، وشواهد ذلك من السنة النبوية مايلي:

روىٰ البخاري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن أبي حميد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: **(مابال العامل نبعثه فيأتي فيقول...)**[1].

وقال ﷺ: **(مابال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم)**[2].

وأخرج مسلم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السّر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام علىٰ فراش، فحمد الله وأثنىٰ عليه فقال: **(ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[3].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٣/ ٢٠٣، رقم الحديث: ٧١٧٤، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٢/ ٣٠٢، رقم الحديث: ٧٥٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ٥٢٥، رقم الحديث: ١٤٠١، مرجع سابق.

فالشاهد أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التعريض دون التصريح، وهذا بلا شك من جم خلقه عليه الصلاة والسلام إضافة إلى الفوائد المرجوة من هذا الأسلوب، والتي من أعظمها أن التنبيه أصبح لعامة الناس، يستفيد منه مرتكب الخطأ وغيره، وقد استعمله ﷺ وكرر استعماله حتى أصبح هذا الأسلوب من خصائص دعوته ﷺ .

وهذا بلاشك يؤكد أصالة استخدام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى، فينبغي على الداعية انتهاج سنة المصطفى ﷺ في إتقان هذا الأسلوب واستخدامه مع المدعوين، سواء ما ورد منه في القرآن الكريم والسنة المطهرة والشعر والأمثال، أو مايجود به عليه ذكاؤه وفطنته في المواقف والأحوال التي تتطلب من الداعية التعريض بالأمور دون التصريح بها.

جـ ـ الكناية في السنة النبوية المطهرة:

من الأساليب البلاغية في اللغة العربية : الكناية، وسبق أن عرفناها في المطلب الأول بأنها : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه. وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في دعوته إلى الله ـ عز وجل ـ ومن ذلك :

قوله ﷺ : (**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**)[1] .

(١) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٤/ ٥٥٤ ، رقم الحديث : ٢٤٦٥ ، ولم يحكم عليه ، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤٢١هـ : ٣/ ٢٣١ ، برقم : ٣١٦٩ ، وقال عنه : صحيح لغيره .

ففي الحديث كنايات لطيفة، فكنى بقوله عليه الصلاة والسلام: (من كانت الآخرة همه) عن التمسك بدين الله، وقوله: (جعل الله غناه في قلبه) عن القناعة بما قسم الله له من الرزق . . . وهكذا.

وكذلك قوله ﷺ: (**من يضمن لي مابين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**)[1]. فكنى ﷺ بقوله هذا عن حفظ اللسان والفرج.

والرسول ﷺ عندما يستخدم الكناية إنما يستخدمها لأهداف سامية، منها: الإيجاز فقد أوتي جوامع الكلم ﷺ. ومنها: تعليم الأدب والسمو بالألفاظ، إلى غير ذلك. وإضافة للأهداف السابقة فإن للكناية جمالاً لغوياً مؤثراً في النفوس والمشاعر وكل الأحاسيس، لاحظ قوله ﷺ: (**أكثروا ذكر هادم اللذات**)[2]. فكنى ﷺ بقوله: (**هادم اللذات**) عن الموت، ولاشك أن الواقع النفسي لكلمة: (**هادم اللذات**) أكثر عمقاً من كلمة: الموت التي اعتاد الناس عليها، ولهذه المكانة والتأثير للكناية جعلت من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، فينبغي على الداعية أن يفطن لهذا، وأن تتضمن دعوته للناس هذا الأسلوب المؤثر الناجح. والداعية الناجح هو الذي يثري خطبه بمثل هذه الأساليب البيانية السابقة.

د ـ القصص الوجدانية في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ القصة كأسلوب من أساليب التأثير في المدعوين وفق المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله، وشاهد ذلك: ما رواه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن خباب ـ رضي الله عنه ـ قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوشح بردة وهو

(١) البخاري صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١١/ ٣٧٣، الحديث رقم: ٦٤٧٤، مرجع سابق.

(٢) الإمام أحمد، المسند بشرح أحمد شاكر: ٨/ ٣٥، رقم الحديث: ٧٩١٢، قال فيه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

في ظل الكعبة ـ وقد لقينا من المشريكن شدة ـ فقلت : يارسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : **(لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط (الحديد) مادون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله)**(١) .

ففي هذا الحديث عندما طُلِبَ من المصطفىٰ ﷺ أن يدعو للمؤمنين بالنصر والتمكين، لجأ إلىٰ القصة الوجدانية لإقناع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بأن الصبر مفتاح النصر، وأن المؤمنين السابقين لقوا مالقوا من البلاء والظلم ، بل ضحوا بنفوسهم في سبيل الله ما يصرفهم ذلك عن دينهم، وظاهرالحديث ينبئنا بأن الرسول ﷺ عمد إلىٰ وصف طريقة قتل الأنبياء والمؤمنين من الأمم السابقة علىٰ أيدي خصوم الدعوة ـ حيث كانت طريقة وحشية تتحرك لها المشاعر والعواطف وتقشعر منها الجلود ويتأثر بها أهل الإيمان ـ ليشد من أزر الصحابة، وليستسهلوا البلاء والمحن التي تواجههم إذا ما قورنت بتلك التضحيات التي قدمها المؤمنون السابقون في سبيل الدعوة .

ثم إن النبي ﷺ ختم هذه القصة بأسلوب عاطفي آخر، وهو طمأنة الصحابة بأن الله سوف يتم هذا الأمر ويظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون . فينبغي علىٰ الداعية أن يكون حكيماً في إيراد القصص التي تذكر بالله وبالثبات علىٰ الدين، فلايجعل قصصه كلها ترهيباً، ولا كلها ترغيباً؛ بل يتناوب بين الاثنين حتىٰ لايطغىٰ جانب علىٰ جانب، فيفرط المستمع في التمني بالثواب دون العمل، أو يقنط من الثواب وهو يعمل بقدر ما يستطيع، وهذا هو منهج الرسول ﷺ في هذا الحديث ومنهج القرآن الكريم قبل ذلك، فالله لم يورد آية نعيم إلا

(١)البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٧/ ٢٠٧، رقم الحديث: ٣٨٥٢، مرجع سابق .

وأورد بعدها آية عذاب. كما أنه ـ عز وجل ـ لم يورد آية عذاب إلا وتلاها بآية نعيم في الغالب، فالله سبحانه أعلم بنفوس من خلق، ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾(١).

هـ ـ التذكير بنعم الله تعالى في السنة النبوية المطهرة:

من مقومات الداعية الناجح الإلمام بسيرة المصطفى ﷺ؛ لأن الداعية يمر في رحلته الدعوية بمواقف مختلفة وأحوال متنوعة، تحتاج إلى معالجة بأسلوب حكيم مناسب.

ومن حكمة المولى ـ عز وجل ـ أن جعل الرسول ﷺ يمر بمختلف الظروف والأحوال، وكان له في كل موقف توجيه وفي كل حال هدي.

ولهذا فإن الإلمام بسيرته ﷺ يجعل الداعية واثقاً من خطواته، مستحضرا توجيهات نبيه ﷺ، وبالتالي تأتي تصرفاته حكيمةسديدة بتوفيق الله تعالى. ومن الأحوال التي مرت بالرسول ﷺ واحتاج في معالجتها إلى أسلوب التذكير بنعم الله تعالى على المخاطبين، ما رواه الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ عن عبدالله بن زيد أن الرسول ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم، فأعطى المؤلفة قلوبهم، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس، فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**يا معشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي؟ ... الحديث**)(٢).

فالشاهد من الحديث أن الرسول ﷺ عمد إلى استخدام أسلوب التذكير بنعم الله على الأنصار عندماظن البعض منهم أن الرسول ﷺ قد نسيهم أو تناساهم

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٨/ ٥٩، رقم الحديث: ٤٣٣٠، مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ١٢٨، رقم الحديث: ١٠٦١، واللفظ له مرجعان سابقان.

بعد النصر، فلم يعطهم شيئاً مما أعطى قريشاً، وغاب عنهم أن الرسول ﷺ إنما فعل ذلك ليتألف قريشاً؛ لأنهم حديثوا عهد بجاهلية، والرسول ﷺ احتاج إلى هذا الأسلوب في هذا الموقف لأنه الأفضل والأنجح، والدليل أن الأنصار بعد نهاية خطبة الرسول ﷺ بكوا وندموا، فهذا دليل من السنة المطهرة على مشروعية هذا الأسلوب.

فينبغي على الداعية أن يفطن لمثل هذا، وأن لايفوته أبداً التوافق والانسجام بين الموقف والأسلوب.

و ـ المدح والثناء في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ مختلف أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى، ومن أبرزها أسلوب المدح والثناء مع أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

فكان يذكر خصائصهم ومزاياهم، قال عليه الصلاة والسلام: (**أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح**)[1].

وأكد ﷺ السلوك الطيب للصحابة، فأعطى الألقاب الحسنة لمن يستحقها من أصحابه، والتي تجعل صاحبها يكون موضع غبطة الآخرين، ومن ذلك[2]:

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٦٢٣، الحديث رقم: ٣٧٩١، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) عبدالله الخاطر، الطّبّ النفسي والدعوة إلى الله، المنتدى الإسلامي، لندن، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٥٩.

الصديق لأبي بكر، والفاروق لعمر بن الخطاب، وذو النورين لعثمان بن عفان، وسيف الله المسلول لخالد بن الوليد.

وكذلك قوله ﷺ مادحاً الأنصار: (**الأنصار شعار والناس دثار**)[1].

ومما سبق ذكره من الأدلة، تتضح مشروعية استخدام هذا الأسلوب بالسنة النبوية المطهرة، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، وإلا ففي هديه من هذا الأمر الكثير، ومما لا شك فيه أن إبراز السلوك الطيب في المسلمين وفي من يستحق وفق الضوابط الشرعية فيه تشجيع وتفاعل مع الدعوة وأهل الإيمان؛ لأنه يبعث في النفوس جانباً من الارتياح الوجداني.

وهذا ما جعل هذا الأسلوب أحد أساليب المنهج العاطفي التي يستخدمها الداعية في دعوته مع المميزين من أصناف المدعوين.

فينبغي على الداعية عدم إغفال هذا الأسلوب؛ لأنه سيحتاجه ولا ريب خلال رحلته الدعوية مع الناس.

ز ـ الذم ـ وذلك بذكر المعايب والأخطاء ـ في السنة النبوية المطهرة:

استخدم رسول الله ﷺ المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى من خلال أسلوب الذّم، وذلك بكشف العيوب والأخطاء، وخاصةً عندما يتعلق الخطأ بالعقيدة أوانتهاك محارم الله تعالى، وشاهد ذلك ما رواه الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ عن عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: (**بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله**)[2].

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ١٢٨، رقم الحديث: ١٠٦١، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٦/ ٤٦٨، رقم الحديث: ٨٧٠.

فالرسول ﷺ نبه على هذا الخطأ ؛ لأنه مس أمراً من أمور العقيدة، وانتهاج الرسول ﷺ لهذا الأسلوب في معالجة الخطأ أسلوب حكيم. فذكر العيب لمرتكبه وللحاضرين ولمن بلغه هذا الحديث بشكل فوري يعطي دلالة على أن الأمر خطير، وذم مرتكب الخطأ في الوقت نفسه صراحةً فيه دلالة أخرى على أن الأمر بالغ الخطورة، وهذا ماحدث للخطيب المذكور في الحديث السابق، حيث إن الرسول ﷺ كشف خطأه وذمّه فقال: (**بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله**).

وخطأ الخطيب في قوله: (ومن يعصيهما فقد غوى)، أي جعل الرسول ﷺ نداً لله تعالى، وهذا أمر بالغ الخطورة فعلاً، متعلق بالعقيدة، وهذا الحديث يثبت مشروعية استخدام هذا الأسلوب.

ولاشك أن كشف الخطأ مع الذّم فيه هزّة عنيفة لمشاعر وأحاسيس مرتكب الخطأ والحاضرين، لكنه أسلوب علاجي ناجح، يستخدم في حالة ارتكاب الأخطاء المتعلقة بالعقيدة وانتهاك محارم الله وكل أمر عظيم في الدين.

وهوأسلوب يجعل مرتكب الخطأ يدرك جسامة المخالفة، ولهذا جعل هذا الأسلوب من الأساليب الوجدانية التي تستخدم وفق المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى.

ح ـ الترغيب في السنة النبوية المطهرة:

من أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى التي استخدمها الرسول ﷺ أسلوب الترغيب، وشواهد ذلك من السنة المطهرة مايلي:

قوله ﷺ لأصحابه في بيعة العقبة الأولى: (**فإن وفيتم فلكم الجنة**)[1]. أي إذا وفيتم وأتممتم الشروط التي عليكم من الإيواء والنصرة والحماية فيكون جزاؤكم الجنة. وهذا ترغيب لحملة الدعوة وناصريها ليقوموا بهذا الواجب ويواصلوا الثبات عليه، وعند البخاري ـ رحمه الله ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «بايعناه ـ أي رسول الله ﷺ ـ على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولانسرق، ولانزني، ولانقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، ولاننتهب، ولا نقضي بالجنة إن فعلنا ذلك...»[2].

وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ مرّ بعمار بن ياسر وبأهله يعذبون في الله ـ عز وجل ـ فقال: (**أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة**)[3]. وكان هدف الرسول ﷺ تثبيتهم على الدين. ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ لعمه أبي طالب عندما جاءه أشراف قريش يطلبون من أبي طالب أن يكلم رسول الله ﷺ ليكف عنهم ويكفوا عنه، فقال ﷺ لعمه: (**ياعم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**)[4].

وعند الترمذي: (**إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية**)[5].

---

(١) أبومحمد عبدالملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٢/ ٤١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ٧/ ٢٧٤، رقم الحديث: ٣٨٩٣، مرجع سابق.

(٣) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، رقم الطبعة: بدون، تاريخها: ١٤١٤هـ: ٩/ ٤٨٠، رقم الحديث: ١٥٥٩٢، قال عنه الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/ ٨٢، قال عنه محقق الكتاب: إسناده جيّد، مرجع سابق.

(٥) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٣٤١، رقم الحديث: ٣٢٣٢، وقال عنه: هذا حديث حسن.

وهذا تشويق من الرسول ﷺ لعمه أبي طالب طمعاً في إسلامه واستجابته للحق وقبوله .

وهذه الأدلة من السنة تدل على مشروعية هذا الأسلوب الذي له دور كبير في جر الناس لحظيرة الإيمان، واستزادة المسلمين من الخير وعمل الصالحات، وترك المنكرات، ولهذا ينبغي على الداعية الاهتمام به وأن يحسن استخدامه بالقدر المناسب .

ط ـ الترهيب في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب الترهيب كصورة من صور المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى، وقد ورد في السنة المطهرة الكثير من أحاديث الترهيب والتخويف، لكن عندما يرتبط الحديث الشريف بموقفه ومناسبته في حياة الرسول ﷺ، يكون أكثر دلالة على استخدام الرسول ﷺ وممارسته الفعلية له، ومن ذلك ما رواه أبو إسحق وفيه : مرّ النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان، فقال أبوجهل : هذا نبيكم يابني عبد شمس . فقال أبوسفيان : وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل ؟ فقال أبوجهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً!! ورسول الله ﷺ يسمع فأتاهما فقال : (**أما أنت يا أباسفيان فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل، وأما أنت يا أباالحكم فو الله لتضحكنّ قليلاً ولتبكين كثيراً**)(١) .

فالرسول ﷺ قام بتخويف أبي جهل وترهيبه من عقاب الله وعذابه بكلمات توجل منها القلوب وتقشعر منها الجلود، بعدما أكد له حقيقة هذا التهديد بالقسم، ولكن لاحياة لمن تنادي!!!

(١) عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، اعتنى به : عبدالرحمن اللاذقي ، ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، الطبعة : الرابعة، تاريخها : ١٤١٩هـ: ٣/ ٧١ .

فأسلوب الترهيب يخوف به العصاة والمنافقون ويحذر به الناس من الوقوع في المهلكات، فينبغي على الداعية استثمار هذا الأسلوب الوجداني المؤثر بقوة في النفوس في استمالة الناس إلى دعوة الحق وقبولها، فهو من أنجح أساليب المنهج العاطفي وأكثرها فاعلية في سوق الناس إلى الله عز وجل.

يؤكد ذلك كلمات الترهيب والتخويف في حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: (**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**)[1]. هذه الكلمات كان ردّ فعلها على الصحابة عنيف.

ومنهم أبوذر ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث والذي قال بعد ذلك: (فوالله لوددت أني كنت شجرة تعضد)[2].

(١) أبوعبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، السنن، حققه وخرج أحاديثه: الشيخ / خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٤/ ٤٦٤، رقم الحديث: ٤١٩٠، وأخرجه كذلك: الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٤٨١، رقم الحديث: ٢٣١٢، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ٤٨١، جزء من الحديث ذي الرقم: ٢٣١٢.

٢ ـ إظهار الرحمة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة

استخدم الرسول ﷺ المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى من خلال الرأفة و الرحمة بالمدعوين، وإظهار هذا الجانب في سيرته ﷺ يتمثل فيما يلي :

أ ـ القول اللطيف اللين:

القول اللين أسلوب ناجح لتأليف القلوب، وقد طبق ذلك رسول الله ﷺ أفضل تطبيق حتى مع أعدائه، وشاهد ذلك ما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن عروة بن الزبير أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله فقالوا : السام عليكم، قالت عائشة ففهمتها فقلت : وعليكم السام واللعنة. قالت : فقال رسول الله ﷺ : **(مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله)**، فقلت : يارسول الله أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله : **(قد قلت وعليكم)**(١) .

ويقول كذلك عليه الصلاة والسلام : **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولاينزع من شيء إلا شأنه)**(٢) .

ويقول أيضاﷺ(٣) : **(مهلاً ياعائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش)**(٤) .

فينبغي على الداعية التحلي بالأخلاق الحسنة ، وأن لا يتكلم إلا بما هو

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/ ٥٥٢، رقم الحديث: ٦٠٢٤، مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١١٢، رقم الحديث: ٢٥٩٤، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٥٥٦، رقم الحديث ٦٠٣٠، مرجع سابق.

(٤) الفحش : كل ماخرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، لكن استعماله في القول أكثر. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: ١٠/ ٥٥٦، مرجع سابق .

حسن ، فإن ذلك له مردوده الإيجابي للدعوة، يؤكد ذلك قوله ﷺ: **(يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه)**[1] .

ب ـ الكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة:

إن استخدام الألفاظ الاستعطافية في مناداة المدعوين ومخاطبتهم أسلوب لطيف، له دلالته في الحب والألفة، وحب المناصحة الصادقة، وهذه الألفاظ كثيرة منها على سبيل المثال: قول الداعي للمدعو: يابني، يا أبت، ياعّم، يا أخي. . . وكذلك قول الداعي: إني أخشىٰ عليك. . . إلىٰ غير ذلك. وقد طبق الرسول ﷺ هذا الأسلوب في دعوته، روىٰ الإمام ـ مسلم رحمه الله تعالىٰ ـ عن سعيد بن المُسيّب عن أبيه قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أميّة بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: **(يا عّم قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله...الحديث)**[2]. وأخرج مسلم أيضاً عن قَبيصَةَ بن المخُارقِ وزهير بن عمر قالا: لّما نزلت: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[3] ، قال: انطلق نبي الله ﷺ إلىٰ رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادىٰ: **يابني عبد مناف! إني نذير، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدُوَّ فانطلق يربأ**[4] **أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه»**[5] ، ففي هذا الحديث يذكر المصطفىٰ ﷺ قومه برابطة الأهل، ومعلوم أنها من أقوىٰ الروابط العاطفية، وأنه لايريد لهم إلاّ ما يريد لأهله وخاصته، وفي تلك الأحاديث دلالة واضحة علىٰ

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/ ١١٢، رقم الحديث: ٢٥٩٣، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٧٣، رقم الحديث: ٢٤ وهو عند البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٢٨٢، رقم: ١٣٦٠، مرجع سابق.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٤) يربأ أهله: يحفظهم، ويتطلع لهم.

(٥) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/ ٤٤٠، رقم الحديث: ٢٠٧، مرجع سابق.

مشروعية استخدام تلك الألفاظ الاستعطافية والتي ينبغي على الداعية الاهتمام بها واستخدامها.

جـ ـ المشاركة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة:

المقصود بذلك مشاركة الإنسان غيره في الأحوال العاطفية، ومن صورها: التعزية عندالموت، والتهنئة في الأفراح، وعيادة المريض وغير ذلك، وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الخاصية في دعوته للناس وفق المنهج العاطفي، وتتأكد عندما يكون التعامل مع المدعو من الصغار أو الجهال أو المبتدئين أو الأيتام أو النساء أوالشيوخ ونحوهم، وذلك لزيادة حاجتهم إلى الرحمة والشفقة تقديراً لحالهم.

ومن توجيهاته ﷺ لأمته وحثها على ضرورة الاتصاف بهذه الخاصية مايلي:

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**)[1].

وله أيضاً عن أبي مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، قال: (**أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم المريض والكبير وذا الحاجة**)[2].

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ١٤٥، رقم الحديث: ١٢٤٠، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ١٠/ ٦٣٥، رقم الحديث: ٦١١٠.

فالمشاركة الوجدانية من الأسس التي لابد منها للداعية في بناء العلاقات الطيبة مع الآخرين؛ لأنها تعطي الانطباع الصادق عن الداعية من حيث حرصه ومتابعته بالآخرين وتقديره لأحوالهم.

ولهذا كانت من أهم أساليب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى؛ التي ينبغي على الداعية التحلي بها والتخلق بآدابها، واستثمار نجاحها فيما يعود على الدعوة بالتفاعل الإيجابي بين الداعية والمدعوين.

يقول الرسول ﷺ: (**إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيهافأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه**)[1].

(١) المرجع السابق: ٢/ ٤٥٠، رقم الحديث: ٨٦٨.

٣ـ قضاء الحاجات وتأمين خدمات المجتمع في السنة النبوية المطهرة:

وهذا الجانب يمثل الجانب العملي للداعية، وله صورتان:

أ ـ قضاء الحاجات في السنة النبوية المطهرة:

والشاهد على ذلك تطبيقات المصطفى ﷺ وتوجيهاته، حيث كان مثالاً يحتذى به في التعرف على مشكلات أصحابه وظروفهم وأحوالهم وحاجاتهم.

وكان ﷺ كما وصفته زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ قبل البعثة: (إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[١].

ولما بعث ﷺ تضاعفت اهتماماته بالناس، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر؛ بل كلهم من مضر، فتعمّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٢] **إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**[٣]**، تصدق رجل من دينارة من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره** حتى قال: **(ولو بشق تمره)**. قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كفه

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٩، رقم الحديث: ٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٨.

تعجز عنها بل عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتىٰ رأيت كومين من طعام وثياب حتىٰ رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبه فقال ﷺ: (**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجره وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[1].

ومن هديه ﷺ في هذا الجانب كذلك: ماروواه البخاري عن أبي بردة عن أبيه أبي موسىٰ عن النبي ﷺ قال: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**)[2].

وروىٰ الإمام مسلم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ،ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**)[3].

ومن قضاء الحاجات أيضاً الشفاعة الحسنة، يقول الرسول ﷺ: (**اشفعوا فلتؤجروا ، وليقض الله على لسان رسوله ما شاء**)[4].

وأخبر الرسول ﷺ أنه علىٰ كل مسلم صدقة، قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: (**فيعين ذا الحاجة الملهوف**)[5].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ٨٤، رقم الحديث: ١٠١٧، مرجع سابق.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠١.

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/ ١٨٨، جزء من الحديث ذي الرقم: ٢٦٩٩، مرجع سابق.

(٤) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٠/ ٥٥٥، حديث رقم: ٦٠٢٨، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق: ١٠/ ٥٥٠ جزء من الحديث ذي الرقم: ٦٠٢٢، ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ٧٨، رقم الحديث: ١٠٠٨، مرجع سابق.

فتطبيقات الرسول ﷺ وتوجيهاته السابقة تؤكد اهتمام الإسلام بقضاء حوائج الناس المحتاجين.

ولاشك أن الداعية إذا وفق واستطاع أن يقوم بقضاء حوائج المحتاجين، أو شارك في ذلك، أو حث عليه، فإن له عواقبه الحميدة على الدعوة والداعية. لأن قضاء الحوائج ذكريات لا تنسى بالنسبة للمحتاج، ويصبح المحتاج يدين بالفضل بعد الله لمن أعانه على قضاء حوائجه، ولهذا الأثر الطيب في نفوس المحتاجين تكون ثمرته الإقبال دون تردد على الداعية الذي أعان على قضاء هذه الحاجات، و السماع منه والامتثال لتوجيهاته.

وهذا مايهدف إليه المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى ، أي التأثير في المدعو إلى أن يسمع ويقبل بنفس وقناعة .

ب ـ تأمين خدمات المجتمع في السنة النبوية المطهرة:

هذا هو الأمر الآخر من الجانب العملي للدعوة، ويقصد به المشاريع الخيرية التي بتوفرها يسود الأمن والطمأنينة والرعاية والتطور للمجتمع، وبها يتجلى التكافل الاجتماعي في أبهى صوره. ومن هذه المشاريع: إقامة المدارس، المساجد، المستوصفات، رعاية المعوقين واليتامى والمشاريع الأمنية وغيرها. والدليل على ذلك من السنة المطهرة الآتي:

١ ـ أن رسول الله ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة رغب في بناء المسجد فأمر بذلك أصحابه وشاركهم صلوات الله وسلامه عليه في البناء، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: وجعلوا (أي أصحاب النبي ﷺ ينقلون الصخر ـ لبناء المسجد ـ وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول:

اللهم لا خير إلاخير الآخـــرة فاغـفر للأنصـــار والمهاجرة[1] .

وروىٰ البخاري كذلك من رواية ابن شهاب : (ثم بنىٰ ﷺ مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول : ـ وهو ينقل اللبن ـ :

هذا الحمـــال لا حمال خيـبر هـــــذا أبر ربنـــا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجـــر الآخـــرة فارحـم الأنصـــار والمهاجرة[2] .

٢ ـ مشاركته ﷺ في توفير خدمة الأمن والحماية للمدينة بحفر الخندق حولها ، روىٰ الإمام مسلم عن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، ولقد واروىٰ التراب بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينـــــا ولا تصـدقنـــا ولا صلينـــا

فـــانزلن ســكينـة علينـــا إن الأُلى قـــد أبوا علينـــا

قال : وربما قال :

إن المـــلا قد أبـــوا علـينا إذا أرادوا فـتـنة أبيـــنا

ويرفع صوته[3] .

٣ ـ محاربة الأمية بكل وسيلة مستطاعة : وشاهد ذلك من السنة النبوية المطهرة ما رواه الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن ابن عباس

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١/ ٦٧٨ ، رقم الحديث : ٤٢٨ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ٧/ ٢٩٧ ، جزء من الحديث رقم : ٣٩٠٦ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٢/ ٤٩٧ ، رقم الحديث : ٣/ ١٨ ، مرجع سابق .

قال : (**كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة**)[1] .

ومن صور توفير الخدمات : الحمى ـ حمى الموات ـ وهو المنع من إحيائه إملاكاً، ليكون مستبقى الإباحة لنبت الكلأ، ورعي المواشي ، فقد حمى الرسول ﷺ بالمدينة جبلاً بالنقيع وقال : «**هذا حماي**»[2] وأشار بيده إلى القاع وهو قدر ميل في ستةِ أميال، حماه لخيل المسلمين من المهاجرين والأنصار[3] .

فتطبيقات الرسول ﷺ وتوجيهاته السابقة شواهد على مشروعية القيام بهذا الجانب والحث عليه، واستخدامه في الدعوة إلى الله تعالى، ولاشك أن تأمين مثل هذه الخدمات المذكورة سابقاً يتيح الفرصة للناس للتفرغ لدينهم والإقبال عليه وعدم اشتغالهم بالبحث عنها .

إضافة إلى أن تأمينها يعطي الارتياح الوجداني لمن ساهم في تأمينها وبالتالي الإقبال عليه، وهذا ما يهدف له المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى ، ولهذا كان تأمين الخدمات أحد أشكال هذا المنهج التي يستخدمها في الدعوة إلى الله تعالى .

---

(١) الإمام أحمد، المسند بشرح أحمد محمد شاكر : ٣/ ٢٠، رقم الحديث : ٢٢١٦، قال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) أبوالحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية ، تحقيق : الدكتور/ عبدالرحمن عميرة، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، الطبعة : بدون، تاريخها : بدون : ٢/ ٣٩٤، أبو يعلى الفراء، الأحكام السطانية، شركة مكتبة أحمد ابن سعد بن نبهان، سروبايا، اندونيسيا، الطبعة : الثالثة، تاريخها : ١٣٩٤هـ : ٢٢٢ .

(٣) المرجعان السابقان : نفس الأجزاء ونفس الصفحات .

المطلب الثالث

حكم استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى

بعد ما استعرضنا في المطالب السابقة : النصوص القرآنية ونصوص السنة النبوية المطهرة بشأن مشروعية استخدام المنهج العاطفي في الدعوة، ولكي نصل إلى الحكم الشرعي في استخدامه، لابد من إلمامة مجملة بالآتي :

١ ـ إن الدعوة إلى الله تعالى واجبة على الأمة الإسلامية باتفاق العلماء(١) .

والشواهد على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾(٢) . وقوله تعالى : ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾(٥) .

وقوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٦) .

أما الشواهد على وجوب الدعوة من السنة النبوية المطهرة فهي : قوله

---

(١) اتفق العلماء على وجوب الدعوة، واختلفوا في نوعية الوجوب هل هي على التعيين أو على الكفاية، وجمع أدلة القولين الدكتور/ أبوالفتح البيانوني في كتابه : المدخل إلى علم الدعوة : ٣١ ـ ٣٤، محمد أمين حسن في كتابه؛ خصائص الدعوة الإسلامية : ١٧ ـ ٢١ مرجعان سابقان .

(٢) سورة المائدة، آية : ٦٧ .

(٣) سورة الشورى ، آية : ١٥ .

(٤) سورة القصص، آية : ٨٧ .

(٥) سورة النحل، آية : ١٢٥ .

(٦) سورة آل عمران، آية : ١٠٤ .

ﷺ : **(ليبلغ الشاهد منكم الغائب)**[1] .

وقوله ﷺ : **(بلغوا عني ولو آية)**[2] . وقوله ﷺ : **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[3] .

وهذه النصوص تدل على وجوب الدعوة من صيغة الأمر الواردة فيها، والمناهج هي الطريقة الموصلة إلى ذلك، والمنهج العاطفي هو أحد مناهج الدعوة إلى الله تعالى التي يتطلبها التبليغ، ومن ثم فإن حكم استخدامه تبع لأصله لدخوله في حكم الدعوة إلى الله، وهو من باب ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢ ـ جميع النصوص التي سقتها للدلالة على أساليب المنهج العاطفي بشتى أشكالها في المطلبين الأول والثاني من هذا المبحث تقتضي الوجوب من صيغة الأمر الواردة فيها، وهي نصوص من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، ولها علاقة ظاهرة ومباشرة بالأسلوب أو شكله ولا تحتمل إلا المعنى المراد، ودلالة هذه النصوص على شرعية استخدام الأساليب تدل في الوقت نفسه على مشروعية استخدام المنهج؛ لأن المنهج نظام يقوم على هذه الأساليب.

٣ ـ تطبيقات الرسول ﷺ وأصحابه لكافة أساليب المنهج العاطفي وحرصهم الشديد على تطبيقه في جميع أحوالهم الدعوية، وهذا يقتضي الوجوب؛ لأننا مأمورون بمتابعة المصطفى ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله عليهم.

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١/ ٢٦٣، جزء من الحديث ذي الرقم: ١٠٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٦/ ٦٠٦، رقم الحديث، : ٣٤٦١.

(٣) أحمد بن شعيب بن علي النسائي، السنن بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، اعتنى به: عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الرابعة، تاريخها: ١٤١٤هـ: ٦/ ٧، رقم الحديث: ٣٠٩٦، وأحمد في المسند بشرح حمزة أحمد الزين: ١٠/ ٣٩٨، رقم الحديث: ١٢١٨٦، وقال عنه حمزة الزين: إسناده صحيح، مرجع سابق.

قال تعالىٰ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] .

وقال ﷺ : **(فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)**[2] .

٤ ـ استخدام الأنبياء عليهم السلام المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى:

ومن ذلك علىٰ سبيل المثال موسىٰ عليه السلام، فقد أُمِرَ به في قوله تعالىٰ : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3] .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالىٰ في تفسيرها : «فإن كان موسىٰ عليه السلام أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرىٰ بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه»[4] .

ومماسبق يظهر ـ والله أعلم ـ أن حكم استخدام المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ الوجوب .

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) أبوداود، السنن: ٥/ ١٢، رقم الحديث: ٤٦٠٧، والترمذي ، في الجامع الصحيح: ٥/ ٤٣، رقم الحديث: ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح ، مرجعان سابقان .

(٣) سورة طه ، الآيتان، ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ١٣٤، مرجع سابق.

المبحث الثالث

مكانة المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى بين المناهج الدعوية الأخرى

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بمناهج الدعوة وبيان تعددها.

المطلب الثاني: منزلة المنهج العاطفي من المناهج الدعوية الأخرى.

المطلب الأول

التعريف بمناهج الدعوة وبيان تعددها

وجد الإنسان على ظهر الأرض وصاحبته عناية الله سبحانه وتعالى التي تمثلت في الرزق والهداية. فأما الرزق: فقد وجه الحق سبحانه الخلق إلى خبايا الرزق في الأرض بعد أن هيأها لهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٢).

وأمّا عن الهداية: فقد أرشدهم الحق إلى المنهج المستقيم، وأرسل إليهم رسله بوحي من عنده وبرهان من لدنه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤).

هذا لتتم النعمة وتكمل السعادة ولينسجم الإنسان المؤمن مع الكون القائم على الحق والسائر بنظام دقيق وتدبير حكيم وطاعة وهداية.

ومن هنا تكون الدعوة ضرورة للإنسان؛ لأنها تكون الشق الثاني فيه،

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧٤.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

وتغذي روحه ونفسه وتهيئ استقراره في الحياة[1] .

ولأن الإنسان بفطرته لايستطيع أن يميز بين المعروف والمنكر، ولا أن يطلع على كل حقيقة أو يبصر كل صواب، ولا أن يدير أعمال البشر على نظام لا عوج فيه. فإنه وإن بلغ من الإدراك أشده قد ينبو عن الحق ويعزب عنه وجه المصلحة، ولايهتدي إلى عاقبة العمل لعجلة أو شهوة أو هوى، فقد يتراءى له الشر على أنه خير، والخير على أنه شر، قال تعالى: ﴿**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[2] .

وقد تصدى رجال من أصحاب هذه العقول المفكرة على مدار التاريخ للبحث في نشأة الخليقة، والبحث عن الخالق، فكانت عاقبة بحثهم أن خروا للأحجار أو الكواكب أو الحيوانات سجداً وعبدوها من دون الله سبحانه وتعالى.

وتصدى آخرون لإنشاء نظم اجتماعية مختلفة، فأسسوا مذاهب وأقاموا دعوات، وكانت عاقبة هذه النظم أن أشقت الأمم ومزقت الشعوب وأباحت الخمر والميسر والشذوذ الجنسي وتحريض الشباب والفتيات على الرذيلة والمنكر، وما ذاك إلا لأن هذه العقول تاهت عن طريق الحق والإصلاح، ومن هذه تتجلى ضرورة الدعوة الإسلامية للإنسان. ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى تمثل حياة الأديان ـ كما مر معنا ـ وكونها ضرورية للإنسان؛ لأنها تغذي روحه ونفسه وتهيئ استقراره في الحياة، كان من كمال عناية الله سبحانه بهذا المخلوق (الإنسان) والدعاة بشكل خاص عندما أوجب عليهم القيام بالدعوة أن رسم لدعوته مناهج

(١) توفيق الواعي، الدعوة إلى الله (الرسالة، الوسيلة، الهدف) دار اليقين، المنصورة بمصر، الطبعة: الثانية: تاريخها: ١٤١٦هـ: ٣٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

محكمة، فمنذ بدئها على يد الرسل عليهم السلام وعلى يد النبي ﷺ بشكل خاص والدعوة إلى الله تعالى قائمة على أساس دقيق، لديها منهج يحدد مسلكها وغايتها ينضوي تحته مجموعة أساليب تبين الكيفيات الملائمة لكل فئات المدعوين، إضافة إلى الوسائل المساعدة في تبليغ الدعوة ونشرها، كل هذه الأمور برزت واضحة في سيرة الرسل عليهم السلام كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم، ثم برزت بشكل واضح في سيرة دعوة المصطفى ﷺ واستمرت من بعده على أيدي الصحابة ثم التابعين ومن سار على نهجهم ولا تزال، وستبقى إن شاء الله تعالى ما بقي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فما هي تلك المناهج الدعوية؟ وما عددها؟ ، هذا ماسنبينه إن شاء الله في البنود التالية:

البند الأول

التعريف بمناهج الدعوة

تناولنا سابقاً بنوع من التفصيل تعريف كل من: المنهج والدعوة لغة واصطلاحاً، وبينا أهمية كل منهما في الدعوة إلى الله تعالى، ولعل هذا يسهم في إيضاح مفهوم (مناهج الدعوة) وتعريفها، فهذا المصطلح المركب من كلمتين: المضاف والمضاف إليه ورد له عدة تعاريف عند علماء الدعوة منها:

أ ـ تعريف الدكتور/ محمد أبوالفتح البيانوني حيث قال:

«مناهج الدعوة: هي نظم الدعوة وخططها المرسومة لها. فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد. . . . . وهكذا.

كما يقال: نظام تبليغ الإسلام، نظام تعليمه، نظام تطبيقه.

كما يقال: المنهج العاطفي، المنهج العقلي، المنهج الحسي»[1].

ب ـ تعريف الدكتور/ علي جريشة، حيث قال عنها: « المنهج عندنا: الخطة أوالتخطيط اللازم لشيء ما. فمنهج البحث: خطته، ومناهج الدعوة: خططها أوتخطيطها»[2].

جـ ـ تعريف الشيخ / محمد محمود الصواف، حيث قال عنها: «مناهج الدعوة: خطة العمل وطريقته في الدعوة». ثم قال أيضاً: والتخطيط للدعوة من صنع الله عز وجل الذي أتقن كل شيء[3].

د ـ يقول الدكتور/ عبدالرب نواب: «اصطلح الدعاة في العصور المتأخرة على أن يطلقوا مناهج الدعوة على الخطط التي يضعونها ويحددون معالمها وأسسها على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى غدا ذلك علماً قائماً بذاته يتخصص فيه علماء، له أصوله وسماته وقواعده. . . **ثم قال:وعليه ، فمناهج الدعوة:** هي خططها، وطرائقها وتنضوي تحت مفهوم (المناهج) أساليب الدعوة ووسائلها ، وأهدافها ، على خلاف شكلي عند البعض بين الوسيلة والأسلوب»[4].

وقال كذلك:ونعني بمنهاج الدعوة في القرآن الكريم: « تلك الطرائق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تنخرط في سلك الدعوة

(١) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ١٩٦، مرجع سابق.

(٢) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ١٦، مرجع سابق.

(٣) محمد محمود الصواف، الدعوة و الدعاة من القرآن وإلى القرآن، دارالعمير، جدّة، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤٠٦هـ: ٢٨.

(٤) عبدالرب نواب الدين آل نواب، الدعوة إلى الله تعالى، دارالقلم بدمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ: ١٢٩.

وموضوعها مما فصله كتاب الله عز وجل أتم تفصيل وبينه أكمل بيان بطريقة التوجيه الرباني المباشر أو حكاية أخبار الرسل ومواقفهم مع أممهم»[1] .

وهذه التعاريف السابقة مع تميز الأول منها بالوضوح والجلاء، إلاأنها متقاربة وتدور حول معنىٰ : نظم الدعوة وخططها المرسومة لها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتي ينبغي علىٰ الدعاة اتباعها مع المدعوين، وهي بهذا المعنىٰ تتفق مع موضوع دراستنا هذه «الدعوة إلىٰ الله بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة»

فالمنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله هونظام وخطة رسمها المولىٰ عز وجل للرسول ﷺ والدعاة إلىٰ الله من بعده في الوحي بشقيه، ويركز هذا النظام علىٰ الجانب العاطفي في الإنسان بشتىٰ التأثيرات «الأساليب» الوجدانية لتغيير وضع هذا الإنسان إلىٰ الأفضل والأحسن قرباً من الله تعالىٰ .

إذاً هناك طرق ومناهج يستخدمها الدعاة في تبليغ الحق للناس علىٰ اختلاف أحوالهم . هذه المناهج رسمها المولىٰ عز وجل في كتابه العزيز وفصلها الرسول ﷺ وصحابته من بعده رضوان الله عليهم، وقد مدّ الله سبحانه رسوله الكريم ﷺ والدعاة الصالحين من بعده ببصيرة علمية في هذا الجانب، قال تعالىٰ : ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[2] .

وقد أكدّ القرآن الكريم هذا الاختلاف بين الناس (والذي علىٰ أساسه تباينت المناهج الدعوية) ونبه إليه في مواضع كثيرة قال تعالىٰ : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي**

(١) المرجع السابق: ١٣٠ .

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .

اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[1] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾: [2] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[4] .

يقول الشيخ / عطية محمد شعبان[5] في معنىٰ هذه الآيات: (لذلك فإن منهج الإسلام العلمي في الدعوة يوجه الداعية إلىٰ مراعاة ألوان الناس وطوائفهم فيختلف أسلوبه في الدعوة باختلاف الناس وباختلاف مواقفهم من الدعوة.

ومما يدل علىٰ ضرورة التعرف علىٰ أحوال المدعوين وأهمية مراعاتها أثناء الدعوة أنه سبحانه وتعالىٰ أمر نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بعدة طرق فعلىٰ سبيل المثال جاء الأمر الإلهي بالقيام بالدعوة بثلاث طرق في قوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6] .

---

(١) سورة الحج، آية: ٨.

(٢) سورة الحج، آية: ٣.

(٣) سورة لقمان، آية: ٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤.

(٥) الشيخ/ عطية محمد شعبان، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل: ١٤٩، مرجع سابق.

(٦) سورة النحل، آية: ١٢٥.

ففي الآية الكريمة أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بثلاثة طرق هي :

١ ـ الحكمة .

٢ ـ الموعظة الحسنة .

٣ ـ المجادلة بالتي هي أحسن .

قال الإمام ابن القيم في تفسير الآية : «جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق : فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعىٰ بطريقة الحكمة .

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر : يدعىٰ بالموعظة الحسنة : وهي الأمر المقرون بالترغيب والترهيب . والمعاند الجاحد : يجادل بالتي هي أحسن»[١] .

وورد الأمر الرباني باستخدام الشدة والغلظة مع الكفار والمنافقين في قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٢] . قال عبدالله بن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية : «فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم»[٣] .

وجمعت الدعوة باللين والرفق مع ا لدعوة بالغلظة والشدة في قوله تعالىٰ :

---

(١) شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم، التفسير القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الفكر ، بيروت، الطبعة : بدون، تاريخها : ١٤٠٨هـ: ٣٤٤ .

(٢) سورة التوبة، آية : ٧٣ .

(٣) علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن ، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ، جمعه : محمد أويس الندوي، حققه : محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، الطبعة : بدون، تاريخها : ١٤٠٨هـ : ٣٤٤ .

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[1] .

قال العلامة الزمخشري في تفسير الآية : (بالخصلة التي هي أحسن : وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسَّوْرَة بالأناة كما قال : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] .

﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة»[3] .

فخلاصة القول : إن الله تعالىٰ أمر رسوله الكريم ﷺ باستخدام عدة طرق في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، مع كل صنف الطريقة التي تناسبه ، وهذا ما يعبر عنه بمناهج الدعوة . وعلىٰ هذا فإن اختيار طريقة من تلك الطرق مع طائفة من الطوائف يتطلب معرفة حال تلك الطائفة حتىٰ يستخدم معها المنهج أو الطريقة الملائمة لها[4] .

وهذا يحدونا إلىٰ التساؤل عن مناهج الدعوة؟ وأنواعها؟ وعن خصائصها؟ والأحوال والمواطن التي تستخدم فيها؟ هذا ماسنبين في البند التالي والذي يليه إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٩٦ ، وفصلت : الآية : ٣٤ .

(٣) الزمخشري ، تفسير الكشاف : ٤/ ٥٣٣ ، مرجع سابق .

(٤) انظر : الدكتور/ فضل إلهي ، من صفات الداعية : مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة ، وسير الصالحين ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ١٣ ـ ١٤ .

البند الثاني

تعدد مناهج الدعوة

من الطبيعي أن تكون المناهج الدعوية متعددة؛ لأنها أحكام وأوامر ونواه وخطط ونظم وطرق من جهة، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً ومكاناً من جهة أخرىٰ، ونظراً لكثرة أنواع المناهج وتعددها فإنه يمكن تقسيمها باعتبارات أربعة هي: (١)

١ ـ باعتبار واضعها، وتقسم من هذه الحيثية إلىٰ قسمين:

أ ـ المناهج الربانية.

ب ـ المناهج البشرية.

٢ ـ من حيث موضوعها، وتتنوّع بهذا الاعتبار إلىٰ أنواع عديدة تبعاً لتنوع الموضوعات التي تتناولها، وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية. فهناك مناهج عقدية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وماإلىٰ ذلك.

٣ ـ باعتبار طبيعتها، وتقسم إلىٰ مناهج دعوية خاصة وأخرىٰ عامة، وإلىٰ مناهج فردية وأخرىٰ جماعية.. وهكذا.

٤ ـ باعتبار ركائزها، وتقسم إلىٰ:

أ ـ المنهج العاطفي.

ب ـ المنهج العقلي.

ت ـ المنهج الحسي.

---

(١) توصّل إلىٰ هذا التقسيم بهذه الاعتبارات الدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة: ١٩٥، مرجع سابق.

وهذا التقسيم الأخير هو أهم التقسيمات السابقة[1] ، لأنه يعتمد على ركائز الفطرة (القلب، العقل، الحس)، وهو بهذا يعتبر وصفاً عاماً لجميع المناهج الدعوية السابقة؛ لأنها جميعها تتنوّع من حيث ركائزها تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية.

ومما يزيد من أهمية المناهج الثلاثة[2] : أنها مناهج تعنى بالمدعو، وهي ذات نفاذ وفاعلية في النفس البشرية لتعاملها مع المرتكزات في الإنسان (القلب، العقل، الحس)، إذ بها يتعامل مع ما حوله ومن حوله، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[3] .

وهذه المناهج استنبطها المتأخرون من دعاة الإسلام من القرآن الكريم، والسنة المطهرة وعلى ضوئهما وضعوا قواعدها، ورسموا ملامحها وغاياتها وحدود مراحل الدعوة التي تتطلب تلك المناهج، واسترشدوا في ذلك بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان.

ولايفوتنا هنا أن ننوه بالمناهج الدعوية المختلف في إضافتها للمناهج السابقة، **حيث يرى البعض ما يسمى (بالمنهج الفطري)**[4] .

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٩٨ ـ ٢٠٤.

(٢) انظر: عمر أبو المجد، الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة، رسالة دكتوراه (غير مطبوعة) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، الرياض، عام: ١٤١٨هـ: ٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٤) انظر: الدكتور/ عبد الرب آل نوّاب، الدعوة إلى الله تعالى: ١٣٩، وكذلك الدكتور/ علي جريشة في كتابه: مناهج الدعوة وأساليبها: ٢٨، مرجعان سابقان.

وقصد به المنهج المبسط غير المعقد. ويرىٰ هؤلاء أن هذا المنهج منحصر في القوم البدائيين الذين لم يتأثروا بدرن الفلسفات ودنس الخرافات، ولأنهم أكثر المدعوين استجابة لهذا المنهج لسلامة فطرهم وبقاء مداركهم علىٰ الجبلة التي خلقوا عليها أول مرة، ولهذا المعنىٰ خصّ الله ـ عز وجل ـ العرب دون غيرهم بحمل الرسالة الخاتمة وتبليغها، فكانوا من أمة محمد ﷺ التي هي خير أمة أخرجت للناس.

لكن رد علىٰ هؤلاء علماء آخرون[1] : بأن الفطرة: بمعنىٰ التبسيط وعدم التعقيد: خصيصة من خصائص المناهج الدعوية كلها، وليست منهجاً رابعاً كما يظن من يرىٰ إضافة هذا المنهج لاعتماد المناهج الدعوية الثلاثة السابقة (العاطفي، العقلي، الحسي) علىٰ الفطرة من جهة، ولأن كل منهج من هذه المناهج الثلاثة يمكن أن يكون مبسطاً أو معقداً، وذلك بحسب الموضوع، وتبعاً لأسلوب الداعية من جهة أخرىٰ.

وهناك أيضاً من يرى إضافة (المنهج الخلقي)[2] إلى مناهج الدعوة.

لكن رد علىٰ من يرىٰ ذلك علماء آخرون[3] . وقالوا: إن الأخلاق مع أهميتها وفعاليتها وقيمتها في مجال الدعوة هي أقرب إلىٰ صفات الداعية وعدته وآدابه من أن يكون منهجاً يعتمد علىٰ مخاطبة المدعوين واستجلاء طبائعهم وميولهم لإيصال دين الله إلىٰ قلوبهم، كما هو الحال في مناهج الدعوة السابقة.

وكذلك هناك من يرى إضافة (منهج القوة)[4] .

---

(١) انظر: البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة: ٢١٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ٣٨، مرجع سابق.

(٣) انظر: آل نوّاب، الدعوة إلىٰ الله: ١٣٨، مرجع سابق.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٣٦.

وهو منهج الجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الإسلام لرفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الله وتحقيق العزة للمؤمنين، وهؤلاء يرون أن هذا المنهج يأتي متأخراً عن المناهج السابقة. ولا يلجأ إليه إلا لإزالة العوائق التي تقف أمام نشر دين الله وتبليغ شرعه وإعلاء كلمته.

لكن الصحيح[1] أن الجهاد وسيلة يحتاج لها المسلمون وفق شروط وأحكام فصلها الفقهاء في كتبهم، وليست منهجاً من مناهج الدعوة.

(١) انظر: المرجع السابق: ١٣٧.

البند الثالث

التعريف بمناهج الركائز الأساسية في الإنسان

العاطفي ـ العقلي ـ الحسي

تبيّن في المطلب السابق التعريف بالمناهج الدعوية وأنواعها بشكل عام وأن أهمها تلك التي تقسم باعتبار الركائز الأساسية في الإنسان وهي الثلاثة المناهج التالية:

١ ـ المنهج العاطفي: وهو الذي يرتكز على القلب.

٢ ـ المنهج العقلي: وهو الذي يرتكز على العقل.

٣ ـ المنهج الحسي: وهو الذي يرتكز على الحواس.

«وهذه المناهج الثلاثة هي المعتمدة في الدعوة وتتميز بترابطها مع بعضها البعض ولا يمكن الفصل بينها نظراً لتلازم وترابط الركائز الأساسية: القلب، العقل، الحس[1].

وإنما يكون وصفها بهذاالنوع أو ذاك تبعاً لغلبة أو بروز هذا الجانب على غيره، فما كان مرتكزاً بشكل أكبر على القلب سمي بالمنهج العاطفي، وما كان منها مرتكزاً على العقل بشكل أكبر سمي بالمنهج العقلي وهكذا، وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه المناهج الدعوية الثلاثة في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ

(١) انظر: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ١٩٨، وانظر كذلك: الوكيل، تقنين الدعوة: ١٩٤ ـ ١٩٥، مرجعان سابقان، وانظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد، مؤسسة الرسالة، مكتبة الفارابي، بيروت، الطبعة: بدون، تاريخها: ١٤٠٥هـ: ٢٠.

﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1] .

فالموعظة مخاطبة للعاطفة ، ومنه يستنبط المنهج العاطفي . أما قوله : ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فهو مخاطبة للعقل ، ومنه يستنبط المنهج العقلي . وأما استنباط المنهج الحسي فهو في قوله : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ، أي هذا هو محمد ﷺ أمامكم ، وقد عاش فيكم قبل الدعوة أربعين سنة لم يعرف عنه جنون ولم يصبه مرض ، وهذا واقع محسوس ملموس لديكم .

يقول الدكتور/ الوكيل في تفسيره للآية وهو يوضح مدىٰ الارتباط بين : العاطفة والعقل والحس : «ولما كان المنهج العاطفي لا يحقق تلك الغاية إلاإذا كان مرتبطاً بالعقل ، موصولاً بالواقع ، فإن الإسلام قد حرص علىٰ أن يوثق صلته بالعقل وأن يربطه ربطاً محكماً بالواقع»[2] .

ولكي نصل إلىٰ المطلوب من هذا المبحث : وهو مكانة المنهج العاطفي بين المناهج الدعوية الأخرىٰ ، فإنه قد اتضح من المطلب الأول ومقدمة هذا المطلب أن الدائرة قد صغرت وانحصرت دائرة المناهج الدعوية في المناهج الثلاثة (العاطفي ، العقلي ، الحسي) .

وأصبح المراد بالمناهج الدعوية الأخرىٰ في قولنا : (مكانة المنهج العاطفي بين المناهج الدعوية الأخرىٰ) هوالمنهجين : العقلي ، الحسي .

ولكي نعرف هذه المكانة فإن الأمر يتطلب التعريف بهذه المناهج الثلاثة ، فرغم الترابط بينهما إلا أن لكل منهج سماته وأساليبه الخاصة به والمواطن التي

(١) سورة سبأ ، آية : ٤٦ .

(٢) الوكيل ، تقنين الدعوة : ١٩٥ ، مرجع سابق .

يستخدم فيها، نذكر ذلك فيما يلي:

١ ـ **بالنسبة للمنهج العاطفي:** فقد سبق تعريفه وبيان أبرز أساليبه، وسوف يتبين معنا في هذا المبحث إن شاء الله ملامح هذا المنهج عندما نتحدث عن فضله والمميزات التي ينفرد بها عن غيره من المناهج.

٢ ـ المنهج العقلي:

يمكن تعريف المنهج العقلي بتعريفين:

أ ـ أنه النظام الدعوي الذي يرتكز على العقل ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار.

ب ـ أنه مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار[١].

ونظراً لتداخل المفاهيم العامة لكل من: (العقل، العلم، الفكر)، فإن بعض الباحثين جعل المنهج العقلي والمنهج العلمي والمنهج الفكري مترادفات لمسمى واحد[٢].

«بينما هناك اختلاف بين مدلولات هذه المناهج: فالمنهج العقلي: يناسب كل عاقل مدرك وإن اضمحلت ثقافته أو عدمت مقدرته الفكرية، أما المنهج العلمي فيلائم العلماء بمختلف فروع المعرفة شرعية كانت أم مدنية، وكذلك المنهج الفكري يتوافق مع أرباب القدرات الإبداعية أو الذين يجعلون الفكر والجدل آلة يزينون بها مايسمعون أو يعملون»[٣].

---

(١) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢٠٨، مرجع سابق.

(٢) علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ٤١، مرجع سابق.

(٣) آل نواب، الدعوة إلى الله: ١٣٥، مرجع سابق.

وللمنهج العقلي أساليب عديدة منها[1] .

أ ــ المحاكمات العقلية والأقيسة بجميع أشكالها وهي:

قياس الأولى:

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿**أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[2] .

وقوله ﷺ في حديث الأمر بحفظ العورة لما قال له الصحابي : (يانبي الله : إذا كان أحدنا خالياً ؟ قال ﷺ : **فالله أحق أن يستحيي منه الناس**)[3] .

القياس المساوي:

ومن أمثلته قوله ﷺ للشاب الذي استأذن في الزنا : (**أتحبه لأمك؟ قال:لا والله جعلني الله فداءك ،قال:ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**)[4] .

قياس الخلف (العكس):

ومن أمثلته قوله ﷺ : (**وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يارسول الله أيأتي**

---

(١) انظر : عمر أبو المجد ، الدعوة إلى الله بالمنهج العقلي من خلال سورة البقرة : ٤٠ ـ ٥٠ ، مرجع سابق .

(٢) سورة التوبة ، آية : ١٣ .

(٣) أبوداود ، السنن ٤/ ١٩٧ ، رقم الحديث : ٤٠١٧ ، والبخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ذكره تعليقاً في كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل : ١/ ٥٠٠ ، وأحمد في المسند بشرح حمزة أحمد الزين ، ١٥/ ١٠٦ ، برقم : ١٩٩١٧ وقال عنه الزين : إسناده صحيح ، والترمذي ، الجامع الصحيح : ٥/ ١٠٢ برقم : ٢٧٩٤ ، واللفظ له ، وقال الترمذي عنه : هذا حديث حسن .

(٤) الإمام أحمد ، المسند بشرح : حمزة الزين : ١٦/ ٢٣٦ ، برقم : ٢٢١١٢ قال عنه الزين : إسناده صحيح .

أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال يكون له أجر)[1] .

القياس الضمني:

ومن أمثلته قوله ﷺ في الصائم : **(إذا نسي فأكل وشرب، فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)**[2] .

فقاس ضمناً الصائم الذي أكل وشرب ناسياً على الصائم الذي لم يأكل ولم يشرب .

ب ـ الجدل:

لغة : اللدد في الخصومة والقدرة عليها[3] .

اصطلاحاً : مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها . وقيل أيضا : «عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة»[4] .

وقد تكون المجادلة بالحسنى وقد تكون بالباطل قال تعالى : ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[5] .

---

(١) أبوداود ، السنن : ٥/ ٢٥، برقم: ٥٢٤٣، وأحمد، المسند بشرح حمزة الزين: ١٥/ ٥٣٩، برقم : ٢١٣٦٥ واللفظ له وقال عنه الزين : إسناده صحيح .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٤/ ١٩٨، رقم الحديث: ١٩٣٣٤، مرجع سابق .

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط : ٩٧٦، مادة: جدل، مرجع سابق .

(٤) الجرجاني، التعريفات : ١٠١، ١٠٢، مرجع سابق .

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

وقال تعالىٰ : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[1] .

ومن هنا قسم العلماء الجدل إلىٰ ممدوح ومذموم، وذلك بحسب الغاية وبحسب أسلوبه وبحسب مايؤدي إليه .

فالجدل الذي يهدف إلىٰ إحقاق الحق ونصرته ويكون بأسلوب صحيح مناسب ويؤدي إلىٰ خير فهو الجدل الممدوح، وخلاف ذلك هوالجدل المذموم[2] .

ولذا جاء الأمر به في القرآن الكريم مقيداً بالتي هي أحسن، وكانت المجادلة بالتي هي أحسن أسلوباً من أساليب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، نص عليه القرآن الكريم . ويعد أبرز أساليب المنهج العقلي، ويمكن أن يعبر عنه : بالمناقشة والمناظرة والمحاورة وما إلىٰ ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالاتها[3] .

ويرىٰ بعض العلماء أنه لا يعتبر أسلوباً دعوياً، إنما يحتاج إليه فيكون من باب (دفع الصائل، ذلك لأصل معناه وحقيقته)[4] . واستئناساً بأسلوب الآية الآمرة بالجدل حيث عطف الله تعالىٰ المجادلة علىٰ الدعوة ولم يعطفها علىٰ الموعظة الحسنة في قوله تعالىٰ : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [5] .

جـ ـ ضرب الأمثال بأنواعها صريحة كانت أو كامنة أو أمثالاً سائرة ومن

---

(١) سورة غافر، آية: ٥ .

(٢) انظر : أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٧هـ: ١/ ٥٥٧ـ٥٦٢ .

(٣) البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة: ٢٦٤، مرجع سابق .

(٤) ابن تيمية ، الفتاوىٰ : ٢/ ٤٥، مرجع سابق .

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

أمثلة الأمثال الصريحة قوله تعالىٰ : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ..﴾[1] .

وقوله ﷺ : (**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...الحديث**)[2] .

إلىٰ غير ذلك من أمثلة صرح فيها بلفظ المثل أو بمايدل علىٰ التشبيه .

قال تعالىٰ : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[3] .

ومن الأمثال الكامنة قوله ﷺ : (**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**)[4] .

يقول الإمام الخطابي في شرح الحديث : «الربقة مايجعل في عنق الدابة، كالطوق يمسكها لئلا تشرد . يقول : من خرج عن طاعة الجماعة وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضل وهلك وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفوظة بها، فإنها لا يؤمن عليها عند ذلك الهلاك والضياع»[5] .

إلىٰ غير ذلك من أمثال لم يصرح فيها بلفظ التمثيل .

ومن الأمثال السائرة قوله ﷺ : (**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن**

---

(١) سورة البقرة ، آية: ١٧ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٥/ ١٦٣، رقم الحديث : ٢٤٩٣، مرجع سابق.

(٣) سورة الحشر، آية: ٢١ .

(٤) أبوداود ، السنن: ٥/ ٧٨، رقم الحديث: ٤٧٥٨ ، وأخرجه الإمام أحمد ، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين: ١٣/ ٢٨٨، برقم: ١٧١٠٤ ، وقال الشيخ الزين: إسناده صحيح، والترمذي في الجامع الصحيح: ٥/ ١٣٧، برقم: ٢٨٦٣، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) ابوداود، السنن: ٥/ ٧٨، شرح الحديث رقم: ٤٧٥٨، مرجع سابق.

سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة»[1] .

إلى غير ذلك مما صار مثلاً سائراً بين الناس[2] .

ويظهر استخدام المنهج العقلي في المواطن التالية:

ـ في مواطن إنكار المدعوين للأمور الظاهرة والبدهيات مثل قوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4] .

ـ مع المعتدّين بعقولهم وأفكارهم من المدعوين لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم .

ـ مع المنصفين من الناس البعيدين عن التعصب لآرائهم والمتجردين من الأغراض الخاصة .

ـ مع المتأثرين بالشبهات والمخدوعين بالباطل .

إلى غير ذلك من مواطن وأحوال لاتخفى على الداعية اللبيب[5] .

وللمنهج العقلي خصائص منها:

ـ اعتماده على الاستنتاجات العقلية والقواعد المنطقية والفطرية .

ـ عمق تأثيره في المدعوين ورسوخ الفكرة التي يتوصل إليها عن طريقه إذ ليس من السهل تغيير القناعة والأفكار .

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٥٤٦، رقم الحديث: ٢٤٥٠، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر: محمد عبدالله العثمان، تطبيقات الرسول ﷺ للمنهج العقلي في الدعوة، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، للعام ١٤٠٩هـ، (غير منشور) كلية الدعوة بالمدينة المنوّرة: ٧٦ـ ١١٣ .

(٣) سورة الطور، آية: ٣٥.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٢.

(٥) انظر: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢١٣، مرجع سابق.

ـ إفحام الخصم المعاند.

ـ ضيق دائرته بالنسبة لدائرة المنهج العاطفي.

٣ ـ المنهج الحسي:

يمكن تعريف المنهج الحسي بتعريفين:(١)

أ ـ النظام الدعوي الذي يرتكز على الحواس، ويعتمد على المشاهدات والتجارب.

ب ـ مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب.

ويطلق على هذا المنهج بعضهم مصطلح: «المنهج العلمي» لاعتماده على العلوم التجريبية، إلا أن تسميته بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق(٢).

وللمنهج الحسي عدة أساليب منها(٣):

أ ـ لفت الانتباه إلى التعرف على المحسوسات للوصول عن طريقها إلى القناعات كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾(٤).

---

(١) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢١٤، مرجع سابق، وكذلك انظر: سليمان بن ناصر مرزوق عبدالله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم، (رسالة دكتوراه غير منشورة) كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، للعام: ١٤١٨هـ: ٩.

(٢) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٢١٤، مرجع سابق.

(٣) انظر: سليمان ناصر مرزوق عبدالله، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم: ٣٠١ـ ٣٩٧، مرجع سابق

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠ ـ ٢٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١) .

ب ـ أسلوب التعليم التطبيقي علىٰ وجه يشاهد المدعو كيفية تطبيق الفعل المأمور به والمدعو إليه، كما فعل ﷺ في دعوته لتعليم الصلاة، والحج، فقد جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: (**صلوا كما رأيتموني أصلي**)(٢) .

جـ ـ القدوة العملية في تعليم الأخلاق والسلوك، كما جعل الله عز وجل رسوله ﷺ قدوة عملية للمؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(٣) .

د ـ تغيير المنكر باليد وإزالته علىٰ وجه يشاهده صاحب المنكر، ويعد هذا الإنكار أقوىٰ درجات الإنكار كما جاء في الحديث الشريف: (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده...**)(٤) .

وكما فعل ﷺ لما فتح مكة بالأصنام التي كانت حول الكعبة حيث طعنها بعود في يده فتساقطت علىٰ وجهها(٥) .

هـ ـ تأييد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الحسية .

و ـ أسلوب التمثيل المسرحي وعرض بعض الأمور الدعوية من خلاله .

---

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٢/ ١٤٦، رقم الحديث: ٦٣١، مرجع سابق.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٢١ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢/ ٢١٧، رقم الحديث: ٤٩، مرجع سابق.

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٨/ ٢٠، معنىٰ الحديث رقم: ٤٢٨٧، مرجع سابق .

ويبرز هذا المنهج في مواطن منها[1] :

ـ في تعليم الأمور التطبيقية العملية والدعوة إليها، وكلما كان الأمر المدعو إليه دقيقاً ومهمًّا كانت الحاجة إليه أشد، كما فعل ﷺ في تعليم الوضوء والصلاة والحج.

ـ يستخدم في دعوة العلماء والمختصين في العلوم التطبيقية التجريبية، ويعين في ذلك الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة مع ملاحظة ضرورة عدم التوسع في استخدام النصوص الشرعية لتأييد النظريات العلمية والفرضيات، ويكتفى بالاستشهاد بها على الحقائق العلمية الثابتة وبأسلوب مناسب[2].

ـ يستخدم في دعوة المتجاهلين للسنن الكونية والمنكرين للبدهيات العقلية، فإن المعاندين لا تفيد معهم إلا الحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات، وعلى هذا الأساس جاءت كثير من معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مادية محسوسة.

وللمنهج الحسي خصائص منها[3] :

ـ سرعة تأثيره؛ لاعتماده على المحسوسات التي يسلم بها كل إنسان عادة، فإذا لم يسلم دلّ ذلك على عناده وإصراره على باطله، ومن هنا توعد الله جل جلاله عباده الذين أصروا على كفرهم بعد رؤية المعجزات النبوية فقال

(١) انظر: البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: ٤١٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٢١٧.

(٣) المرجع السابق: ٢١٨، وكذلك انظر: سليمان ناصر مرزوق، الدعوة إلى الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم: ١١٣ ـ ٤٧٧، مرجع سابق.

سبحانه: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(١).

كما كانت نتيجة معظم الأمم التي كذبت بمعجزات أنبيائها الهلاك والدمار.

ـ عمق تأثيره في النفوس البشرية لمعاينتها الشيء المحسوس ومن هنا قيل: ليس الخبر كالعيان.

ـ يحتاج في استخدامه في كثير من المواطن إلى خبرة واختصاص، فلا يحسنه جميع الدعاة ولا سيما إذا كانت الدعوة لطبقة العلماء المختصين في العلوم التطبيقية.

هذه هي المناهج الدعوية باعتبار الركائز الأساسية في الإنسان: (القلب، العقل، الحس).

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٤ ـ ١١٥.

المطلب الثاني

منزلة المنهج العاطفي من المناهج الدعوية الأخرى

سنحاول إن شاء الله تعالى في هذا المطلب الكشف عن منزلة المنهج العاطفي من المنهجين السابقين : (العقلي ـ الحسي) وتمييزه عنهما، وسيكون ذلك بتناول الآتي :

١ ـ مرتكز المنهج العاطفي في الكتاب والسنة .

٢ ـ فضل المنهج العاطفي في الكتاب والسنة .

٣ ـ مميزات المنهج العاطفي على المناهج الأخرى .

البند الأول

مرتكز المنهج العاطفي في الكتاب و السنة

نقصد بمرتكز المنهج العاطفي : القلب؛ لأن المنهج العاطفي يرتكز عليه ويحرك فيه الشعور والوجدان . فهو مكمن العواطف والعواطف جزء من أعماله . والحديث عن القلب ـ في نظري ـ في هذا الموضع لابد منه؛ لأنه من الصعوبة أن يتحدث أي باحث عن المناهج الدعوية التي ترتكز على الركائز الأساسية في الإنسان دون الحديث عن هذه الركائز نفسها : (القلب ، العقل، الحس) لأسباب منها :

١ ـ إن الحديث عن فرع أي شيء لا يكتمل ولايتم إلا بتناول الأصل على الأقل بشي موجز من التعريف وخاصة في هذه المناهج الدعوية الثلاثة .

٢ ـ إن الحديث عن هذه الركائز ومعرفة مكانتها من الإنسان تظهرلنا مكانة هذه المناهج؛ لأن للفرع من مكانة الأصل نصيب، وسوف أوجز الحديث عن

القلب بإيراد بعض النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشأن بعض خصائص القلب، والتي ستساعدنا إن شاء الله تعالىٰ في فهم ما ينبثق من هذا القلب من عواطف ومشاعر وأحاسيس أصبحت لأهميتها ودورها في حياة الإنسان والناس منهجاً وطريقاً يسلكه موكب الدعوة إلىٰ ا لله تعالىٰ بما يسمىٰ (المنهج العاطفي)، وبيان ذلك في الآتي:

تظهر أهمية القلب ومكانته من الإنسان كونه موضع الإيمان: قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

وأيضاً: القلب موضع الكفر وموطن النفاق والارتياب: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾(٣).

والقلب كذلك هو موضع النية والإخلاص والمعول عليه في قضية الكسب والمؤاخذة: قال تعالىٰ: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٤). وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا

(١) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[1] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[3] .

وقال رسول الله ﷺ : (**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ ما نوى**)[4] .

وقال ﷺ : (**إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[5] .

والقلب موضع التقوىٰ: قال تعالىٰ : ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[6] .

وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[7] .

والقلب موضع الخوف : قال تعالىٰ : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[8] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[9] .

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٢) سورة النحل، آية: ١٩٦ .

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥١ .

(٤) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، ١/ ١٢، رقم الحديث: ١، ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣/ ٤٨، رقم الحديث: ١٩٠٧ : ٢٥٦٤، مرجعان سابقان.

(٥) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠ .

(٦) سورة الحج، آية: ٢٢ .

(٧) سورة الحجرات، آية: ٣ .

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٢٦ .

(٩) سورة الأحزاب، آية: ١٠ .

والقلب موضع الأمن والاطمئنان: قال تعالىٰ: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[2].

وهو كذلك عماد الإدراك: قال تعالىٰ: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[3].

وهو أيضاً موضع الحب ومبعث الإكراه وموطن العواطف: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾[5].

ومن هذه العواطف، حب الله تعالىٰ، وحب رسوله ﷺ، وحب المؤمنين، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الخوف من الله والإذعان للحق والخضوع له، والأنس بذكر الله وتعظيم شعائره، والتوكل علىٰ الله والإنابة إليه، إلىٰ غير ذلك من العواطف التي تمثل حقيقة الإيمان. وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً عن القلب وأحواله وأعماله وتقسيماته إلىٰ سليم ومريض وميّت، وأن التزود بالعلم والتقوىٰ والإيمان يصلح

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) سورة الفتح، آية: ٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٥) سورة الحجرات، آية: ٧.

القلوب المريضة ويحافظ على صحة القلوب السليمة، ومن لم يفعل مات قلبه فأصبح إنساناً بلا حواس يقظة ولا مشاعر حية ولا عواطف ندية، ووجوده كعدمه[1] . قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[2] .

وقد اكتشف علماء الإسلام هذه العواطف ودورها في سعادة الإنسان وقالوا: «**لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف**»[3] .

وخلاصة القول أن المتتبع للآيات والأحاديث السابقة وغيرها من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ لن يصعب عليه أن يدرك بسهولة أن القلب: هو حقيقة الإنسان، وعليه مدار الأمر[4] .

يقول الرسول ﷺ: (**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)[5] .

وتأسيساً على ذلك فإن المنهج العاطفي بضوابطه الشرعية هو حقيقة المناهج الدعوية: «وخاصة أن مظاهر العاطفة أربعة: الكلام والسمع والبصر واليد يحميها ويوجهها القلب»[6] . والله أعلم.

---

(١) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة: الرابعة: تاريخها: ١٤١٧هـ: ١٣٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٦.

(٣) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ٢/ ١٩٧، مرجع سابق.

(٤) الشنقيطي، القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان: ٢٠٢، مرجع سابق.

(٥) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠.

(٦) آل نواب، الدعوة إلى الله: ١٣٤، مرجع سابق.

البند الثاني

فضل المنهج العاطفي في الكتاب والسنة

تتمثل فضيلة المنهج العاطفي في العناية الربانية به في الكتاب الكريم، حيث أسند الله جل جلاله استخداماته إلىٰ نفسه، ووجه عباده من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء إلىٰ أهميته، حيث وردت الإشارة إليه في سور القرآن الكريم، وما ذاك إلا لفضله ومكانته العظيمة. ولبيان ذلك نورد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تكشف عن أهمية هذا المنهج الذي يتمثل في أساليب هي: الموعظة الحسنة، والرحمة بالمدعوين، وقضاء الحاجات، وتأمين الخدمات.

وفي النصوص التالية سنرىٰ أن الله أسند هذه الأساليب إلىٰ نفسه سبحانه، فبالنسبة للموعظة الحسنة[1] قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4].

أما بالنسبة للرحمة فقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[5].

---

(١) مصلح بيومي، ادع إلىٰ سبيل ربك، دار العلم، الكويت، الطبعة: الرابعة، تاريخها: ١٤٠٦هـ: ٦٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

(٤) سورة النور، آية: ١٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٢.

وقال تعالىٰ : ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾(١) .

وهو سبحانه الرحمن الرحيم : ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(٢) .

وهو سبحانه أرحم الراحمين : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٣) .

إما بالنسبة للإنفاق في سبيل الله علىٰ المحتاجين والمعوزين وتأمين خدماتهم فقال تعالىٰ : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾(٤) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم)**(٥) .

وقد وصف الله جل جلاله القرآن العظيم والرسول الكريم ﷺ بخصائص هذا المنهج ، وبيان ذلك في قوله تعالىٰ : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٦) ، هذا في وصف القرآن . أما وصف الرسول ﷺ فقال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٧) . وأما المؤمنون فقال تعالىٰ في وصفهم بالرحمة هم والرسول ﷺ : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾(٨) . أما ما يمثل جانب الإنفاق فقد وصف المؤمنين بالإيثار ولو كان بهم خصاصة فقال

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٣٣ .

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٣ .

(٣) سورة يوسف، آية: ٦٤ .

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٦ .

(٥) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ٨٢، رقم الحديث: ٦٤/ ١٠١٤، مرجع سابق .

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٣٨ .

(٧) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧ .

(٨) سورة الفتح، آية: ٢٩ .

تعالىٰ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] ، والإيثار صفته : خروج من حظوظ النفس إلىٰ حب الخير وعمل البر ، وبه يتم أقدس رباط وأكرم حب[2] .

ثم بين سبحانه وتعالىٰ أن من ينتفع بالوعظ ويقبله هم المؤمنون فقال تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[3] .

وقال تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[4] .

ولفضله ومكانته وردت الإشارة إلىٰ مقتضياته في مطالع سور كثيرة ، وذلك لقوة تأثيره في النفوس ولنجاح استخدامه في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال :

١ ـ سورة الأنبياء ، قال تعالىٰ : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ .

٢ ـ سورة الحج ، قال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

٣ ـ سورة القمر ، قال تعالىٰ : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ .

٤ ـ سورة الواقعة ، قال تعالىٰ : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ .

---

(١) سورة الحشر ، آية : ٩ .

(٢) عبد رب النبي ، التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته : ١١٤ ، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٣٢ .

(٤) سورة الطلاق ، آية : ٢ .

٥ ـ سورة الحاقة، قال تعالىٰ: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾.

٦ ـ سورة التكوير، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾.

٧ ـ وكذلك سورة الانفطار، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

٨ ـ سورة الانشقاق، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

٩ ـ سورة الزلزلة، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

١٠ ـ سورة القارعة، قال تعالىٰ: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾.

البند الثالث

مزايا المنهج العاطفي عن المنهجين: العقلي والحسي

رغم ترابط المناهج الدعوية الثلاثة نظراً لتداخل الركائز الأساسية في الإنسان، إلا أن هناك مزايا ينفرد بها المنهج العاطفي عن غيره وهي:

١ ـ يتميز المنهج العاطفي عن المنهجين: العقلي والحسي، بسعة دائرته. ونقصد بسعة الدائرة: كثرة المخاطبين، فالمنهج العاطفي يخاطب كافة الناس وجميع أصناف المدعوين بلا استثناء، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ**﴾(٢).

ولو قارنا ذلك مع سعة دائرة كل من المنهج العقلي أ والحسي لوجدنا أن دائرة المنهجين الأخيرين تكاد تكون محصورة في المواطن التي ذكرناها سابقاً. المتمثلة بالنسبة للمنهج العقلي في: المعتدين بعقولهم والمتأثرين بالشبهات تقريباً. وبالنسبة للمنهج الحسي في دعوة العلماء والمختصين في العلوم التطبيقية التجريبية والمتجاهلين للسنن الكونية. وهذا أمر طبيعي وواضح؛ لأن الطابع العاطفي في الناس أكثر من غيره.

فهو يستخدم مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾(٣).

---

(١) سورة يونس، آية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

وهو يستخدم في دعوة أهل الكتاب، فيردهم في رفق إلىٰ دينهم، ويذكرهم بما جاء به رسولهم، ويدعوهم إلىٰ كلمة سواء، ويحبذ المجادلة ولا يحرص علىٰ حصولها إلا إذا اضطر لذلك فتكون بالتي هي أحسن، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

ويستخدم بأسلوبه اللطيف في دعوة الوثنيين، وذلك بالكلمة الطيبة والتذكير والتخويف من العذاب الذي أصاب الأمم السابقة، قال تعالىٰ علىٰ لسان رسوله شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾(٣). إلىٰ غير ذلك من أصناف المدعوين الذين سنتناولهم بالتفصيل ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ في الفصل الثالث.

٢ ـ المنهج العاطفي أبسط من المنهجين الآخرين في الاستخدام، فلايحتاج إلىٰ ذوي الاختصاص في المحاكمات العقلية والجدل والحوار كما هو الحال في مستخدم المنهج العقلي، ولا يحتاج إلىٰ تخصص في العلوم التطبيقية التجريبية كما هو الحال في مستخدم المنهج الحسي، وإنما كل ما في الأمر أن يتحرىٰ الداعية المستخدم للمنهج العاطفي الوقت المناسب والظرف المناسب واستخدام الأسلوب المناسب إلىٰ غير ذلك من الآداب المرعية لمن يستخدم هذا المنهج.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٣) سورة هود، آية: ٨٩.

٣ ـ عمق تأثيره في النفوس: قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[١].

روىٰ أبوداود والترمذي رحمهما الله تعالىٰ عن العرباض رضي الله عنه قال: (صلىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يارسول الله هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ . . . الحديث)[٢].

وروىٰ البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله ﷺ خطبة ماسمعت مثلها قط قال: (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**) قال: فغطىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وجهوهم لهم حنين)[٣].

إلىٰ غير ذلك من المزايا التي سوف تتضح من خلال فصول هذه الرسالة ومباحثها إن شاء الله تعالىٰ.

وخلاصة القول في هذا المبحث:

إن المنهج العاطفي المنضبط بالضوابط الشرعية[٤]، منهج أساسي متفق علىٰ ضرورة استخدامه، وأنه من أنجح المناهج الدعوية[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٦.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٨/ ٣٥٤، رقم الحديث: ٤٦٢١، مرجع سابق.

(٤) سوف نذكر هذه الضوابط إن شاء الله تعالىٰ في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

(٥) آل نواب، الدعوة إلىٰ الله: ١٣٣، والوكيل، تقنين الدعوة: ١٨٨، وكذلك البيانوني، المدخل إلىٰ علم الدعوة: ٢٠٤، وعلي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ٣٢، مراجع سابقة.

المنهج الذي لا يسيء إلى أحد أياً كان، ولا يعنف أحداً مهما كان، يستخدمه الداعية يقصد به وجه الله، فيستل الضغائن من النفوس وينتزع السخائم من القلوب، فيصفو الناس بعضهم لبعض وتأتلف القلوب[1].

سلكه الرسل عليهم السلام واستخدمه القرآن الكريم وأمر به، انتهجه الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة ونشرها في كافة مراحلها، واستطرقه الدعاة والمصلحون على مر العصور، فكانت ثمراته صالحة، تميز بخصائص مهمة عن غيره من المناهج أعلت مكانته ورفعت قدره، (دون التنقيص من قدر تلك المناهج).

وهذا المنهج بمعطياته المتنوعة (أساليبه وأشكاله) يمثل الإسلام في سماحته وسهولته ومحاسن أخلاقه، وباستخدامه يسد ثغرة عظيمة لا تنسد إلا به، وبدونه لا يحصل كمال المقصود في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والله أعلم.

(١) انظر: محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الرابعة، تاريخها: ١٤١٤هـ: ٦٦.

الفصل الأول

موضوعات الدعوة بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: إثبات وحدانية الله تعالى .

المبحث الثاني: إثبات النبوة .

المبحث الثالث: إثبات البعث .

المبحث الرابع: الدعوة إلى الطاعات .

المبحث الخامس: التحذير من المعاصي .

المبحث الأول

إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة

ويشتمل على توطئة ومطلبين

المطلب الأول: إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم .

المطلب الثاني: إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي في السنة المطهرة.

توطئة:

مفهوم التوحيد:

الله جلّ شأنه كما هو صريح القرآن، وصريح قول الرسول ﷺ : واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أسمائه، وواحد في أقواله، وواحد في أفعاله، وواحد في أمره ونهيه، وواحد في إرادته ومشيئته ، وواحد في خلقه وتدبير أمر عباده، فلا شريك له تعالىٰ ولاوزير، ولاند ولاضد ولامشير ولامعين.

وقد اتفقت الديانات الإلهية والكتب السماوية علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، فلا إله غيره ولا رب سواه، إله تفرد بالعظمة والكبرياء والدوام والبقاء. الأمر أمره، والخلق خلقه، يفعل ما يشاء ويحكم مايريد. ومصالح العباد والبلاد في دينهم ودنياهم وآخرتهم في توحيد الله وإفراده بالعبودية ، وهو مقتضىٰ الحكمة الإلهية. والعقل الصحيح يتفق مع النقل الصريح . والفطرة السليمة تحبذ ذلك وتراه لازماً لابد منه ؛ لأنه لو كان لله ند وشريك لحصل الاختلاف والتصادم ، وحينئذ يفسد نظام هذا الكون ويختل توازنه. تعالىٰ الله وتقدس عن ذلك علواً كبيراً[1].

والتوحيد: أول دعوة الرسل، وأوّل منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلىٰ الله تعالىٰ [2] .

---

(١) انظر: الشيخ/ صالح إبراهيم البليهي، عقيدة المسلمين والرد علىٰ الملحدين والمبتدعين ، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤٠٤هـ : ١/ ٢٤٠ـ ٢٤١.

(٢) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة: بدون ، تاريخها: بدون: ٣/ ٤٦٢.

قال تعالىٰ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٢) .

والتوحيد مفتاح دعوة الرسل، روىٰ الإمام مسلم رحمه الله عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ قال : « **إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(٣) .

وقال ﷺ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه** »(٤) .

فالتوحيد : أول مايدخل به في الإسلام ، وآخر مايخرج به من الدنيا لمن وفقه اللّه تعالىٰ ، يقول النبي ﷺ : « **من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة**»(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥ .

(٢) سورة النحل، آية: ٢٦ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ١٦٠ ، رقم الحديث: ١٩ ، مرجع سابق .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١/ ١٠٢ ، رقم الحديث : ٢٥ ، مرجع سابق .

(٥) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٦/ ٥١٩، رقم الحديث : ٩١٦، وأبو داود، السنن: ٣/ ٣١٨ ، رقم الحديث: ٣١١٦، واللفظ له .

تعريف التوحيد:

في اللغة : التوحيد مصدر وحَّد يُوحِّد توحيداً ، أي جعل الشيء واحداً ، فالتوحيد في اللغة : هو الحكم بأن الشيء واحد .

يقول ابن فارس : (الواو والحاء والدال : أصل واحد يدل على الانفراد)[1] .

واصطلاحاً هو : اعتقاد أن اللَّه واحد لا شريك له[2] ، وإفراده بما يستحق من الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

لكن هذه الوحدة تتنوع بتنوع متعلقاتها ، ولهذا كان لابد من معرفة أقسام التوحيد .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه اللَّه تعالى : « وأمّا التوحيد الذي دعت إليه رسل اللَّه ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في الطلب والقصد .

فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، ليس كمثله شيء في ذلك كله ، كما أخبر به عن نفسه ، وكما أخبر رسوله ﷺ . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح كما في أول سورة : «الحديد» ، و«طه» ، وآخر « الحشر » ، وأول « ألم تنزيل» السجدة ، وأول « آل عمران» ، وسورة الإخلاص بكاملها ، وغير ذلك .

---

(١) ابن فارس ، مقاييس اللغة : ٦/ ٩٠ ، مادة : وحد ، مرجع سابق وانظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط : ٣٢٤ ، مادة : وحد . مرجع سابق .

(٢) الشيخ / محمد عبده ، رسالة التوحيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤٠٦هـ : ٥ .

والثاني : وهو توحيد الطلب، والقصد مثل ماتضمنته سورة : ﴿ **قُلْ يا أيُّها الكافِرُونَ** ﴾ و﴿**قُلْ يا أهلَ الكتاب تعالَوْا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم**﴾[1] .

وأول سورة ﴿**تنزيلُ الكتاب**﴾[2] وآخرها وأول سورة (يونس) وأوسطها، وغالب سور القرآن؛ بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد ، فالقرآن إما خبر عن اللّه وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري .

وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لاشريك له وخلع مايعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي .

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته .

وإما عن إكرامه لأهل توحيده ومافعل بهم في الدنيا ومايكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده .

وإما خبر عن أهل الشرك ومافعل بهم في الدنيا من النكال ومايحلّ بهم في العقبىٰ من العذاب ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[3] .

وواضح أن هذا التقسيم الذي ذكره ابن القيم إنما هو باعتبار مايجب علىٰ الموحد، فأحياناً يطلب منه مجرد العلم والمعرفة بعقيدة التوحيد ، وأحياناً يطلب

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ١ .

(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين : ٣/ ٤٦٨ ، مرجع سابق . وانظر : علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق الدكتور / عبد اللّه التركي ، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة عشرة ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ١/ ٤٢ .

منه توجيه القصد والإرادة وإخلاص العبادة للَّه [1] .

وأما تقسيم التوحيد باعتبار متعلقه ، فإنه يتضمن ثلاثة أنواع [2] :

أحدها : توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء .

والثاني : توحيد الألوهية : وهو استحقاقه سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له .

والثالث : توحيد الأسماء والصفات .

١ ـ فأما توحيد الربوبية: فهو الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو المدبر، المحيي، المميت، وهو الرزاق، ذو القوة المتين.

والإقرار بهذا النوع مركوز في الفطر، قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾[5] .

وهذا في القرآن كثير، يذكر الله عن المشركين أنهم يعترفون لله بالربوبية،

---

(١) الدكتور / محمد خليل هراس ، دعوة التوحيد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ١٣ .

(٢) انظر : ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية : ٢٤ ، وانظر : الهراس، دعوة التوحيد : ١٤ ، مرجعان سابقان .

(٣) سورة الزخرف، آية: ٨٧ .

(٤) سورة الزخرف، آية: ٩ .

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٨٦ .

والانفراد بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة.

ولم ينكر توحيد الربوبية ويجحد الرب إلاّ نشاز من المجموعة البشرية، تظاهروا بإنكار الرب، مع اعترافهم به في باطن أنفسهم وقرارة قلوبهم، وإنكارهم له إنما هو من باب المكابرة كما ذكر الله سبحانه عن فرعون أنه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(١).

وقد خاطب موسىٰ بقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾(٣).

وهم لم يستندوا في جحودهم إلىٰ حجة وإنما ذلك مكابرة منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾(٤)، فلم ينكروا وجود الله عن علم قادهم إليه، ولا اعتمدوا في ذلك علىٰ سمع ولا عقل ولا فطرة.

ولما كان هذا الكون وما يجري فيه من الحوادث شاهداً علىٰ وحدانية الله تعالىٰ وربوبيته، إذ المخلوق لابد له من خالق، والحوادث لا بد لها من محدث، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾(٥).

---

(١) سورة القصص، آية: ٣٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠٢.

(٣) سورة النمل، آية: ١٤.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

(٥) سورة الطور، الآيتان: ٣٥ـ٣٦.

وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

لما كان لابد من جواب على هذه الحقيقة، اضطرب هؤلاء المنكرون لوجود الخالق في أجوبتهم:

فمنهم من يقول: هذا العالم أوجدته الطبيعة، التي هي عبارة عن ذات الأشياء من النبات والحيوان والجمادات، فهذه الكائنات عندهم هي الطبيعة، وهي التي أوجدت نفسها.

ـ ومنهم من يقول: هي عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها، من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، وملاسة وخشونة. وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو وتزاوج وتوالد، هذه الصفات وهذه القابليات هي الطبيعة بزعمهم، وهي التي أوجدت الأشياء.

وهذاقول باطل على كلا الاعتبارين، لأن الطبيعة بالاعتبار الأول ـ على حد قولهم ـ تكون خالقة ومخلوقة، فالأرض خلقت الأرض، والسماء خلقت السماء، . . . . وهكذا، وهذا مستحيل. وإذا كان صدور الخلق عن الطبيعة بهذا الاعتبار مستحيلاً، فاستحالته بالاعتبار الثاني أشد؛ لأنه إذا عجز الشيء عن خلق ذاته، فعجز صفته عن ذلك من باب أولى؛ لأن وجود الصفة مرتبط بالموصوف الذي تقوم به، فكيف تخلقه وهي مفتقرة إليه؟! وإذا ثبت بالبرهان حدوث الموصوف، لزم حدوث الصفة. وأيضاً فالطبيعة لا شعور لها، فهي آلة محضة، فكيف تصدر عنها الأفعال العظيمة التي هي في غاية الإبداع والإتقان، وفي نهاية الحكمة وفي غاية الارتباط؟!

ـ ومنهم من يقول : إن هذه الكائنات تنشأ عن طريق المصادفة ، بمعنى أن تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة يؤدي إلى ظهور الحياة بلا تدبير من خالق مدبر ولا حكمة .

وهذا قول باطل ترده العقول والفطر ، فإنك إذا نظرت إلى هذا الكون المنظم ، بأفلاكه وأرضه وسمائه ، وسير المخلوقات فيه بهذه الدقة والتنظيم العجيب ، تبين لك أنه لايمكن أن يصدر إلاَّ عن خالق حكيم[1] .

يقول الدكتور/ الدمرداش في ترجمته لكتاب : الله يتجلى في عصر العلم : «يرد العلماء على من يدعي أن الكون نشأ هكذا عن المصادفة . . . فإذا كان لدينا صندوق كبير مليء بآلاف عديدة من الأحرف الأبجدية ، فإن احتمال وقوع حرف الألف بجوار الميم لتكوين كلمة أمّ قد يكون كبيراً ، أما احتمال تنظيم هذه الحروف لكي تُكوِّن قصيدة مطولة من الشعر ، أو خطاباً من ابن إلى أبيه ، فإنه يكون ضئيلاً إن لم يكن مستحيلاً . ولقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية (وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا أن ذلك يحتاج إلى ملايين عديدة من السنين ، وإلى مادة لا يتسع لها هذا الكون المترامي الأطراف . هذا لتركيب جزء واحد على ضآلته ، فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعاً من نبات وحيوان ، وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى . وما بالك بنشأة الحياة ، وبملكوت السموات و الأرض ، إنه يستحيل عقلاً أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء ، لابد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير ،

(١) انظر : صالح بن فوزان الفوزان ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، والرد على أهل الشرك والإلحاد ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة : الثالثة ، تاريخها : ١٤١٨هـ ٢٧ـ ٢٩ .

أحاط بكل شيء علماً ، وقدر كل شيء ثم هدىٰ»[1] .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ : «ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوباً عمياً لا بصائر لها ، فلا ترىٰ هذه الآيات الباهرات إلاَّ رؤية الحيوانات البهيمية كما خلق أعيناً لا إبصار لها»[2] .

٢ ـ توحيد الألوهية :

هو : إفراد الخالق جل وعلا بالعبادة وإخلاص الدين له وحده .

والإلهية : نسبة إلىٰ الإله ، والإله هو المعبود مطلقاً بحق أو بغير حق فهو يطلق علىٰ اللَّه عز وجل كما يطلق علىٰ غيره من المعبودات الباطلة ، وجمعه آلهة .

وأما اللَّه فمختص بالمعبود بحق ، لايطلق علىٰ غيره ، فهو يشبه أن يكون علماً عليه[3] .

وتوحيد الألوهية : هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لأنه هو الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وبين أممهم كما حكىٰ ذلك القرآن الكريم[4] .

فالمشركون من كل أمة كانوا يتخذون من دون اللَّه أنداداً يشركونهم باللَّه في العبادة ، ويعتقدون أن لهم حقاً فيها مع اللَّه عز وجل ، وكانوا يعبدونهم علىٰ وجه التقرب بهم إلىٰ اللَّه ، واتخاذهم وسائط وشفعاء عنده ، زعماً منهم أنه

---

(١) انظر : الله يتجلىٰ في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ، ترجمة الدكتور/ الدمرداش عبدالمجيد سرحان ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة : بدون ، تاريخها : بدون : ٩ ـ ١٠ .

(٢) الدكتور/ صالح الفوزان ، الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد : ٣٠ ، مرجع سابق .

(٣) الدكتور / محمد خليل هراس ، دعوة التوحيد : ٣٤ ، مرجع سابق .

(٤) انظر : ابن أبي العزّ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١/ ٢٨ ، مرجع سابق .

لاتقضىٰ لهم حاجة، ولايسمع لهم دعاء، ولاتفتح لهم أبواب السماء، إلا بشفاعة هؤلاء الوسطاء[1].

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات، ويقوم على أسس ثلاثة:[2]

أ ـ أن أسماء الله عز وجل وصفاته كلها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها علىٰ الله في الإثبات أو في النفي إلاّ بإذن من الشرع، فلا نثبت لله سبحانه من الأسماء والصفات إلاّ ما أثبته هو لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ. ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا مانفاه هو عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ[3].

ب ـ أن اللّه عز وجل في كل مايثبت له من الأسماء والصفات لايماثل شيئاً من خلقه، ولا يماثله شيء؛ بل كل ما يثبت له من الصفات التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به لايشركه فيه أحد من خلقه. وليس معنىٰ هذا أن ما يوصف به الرب من صفات، وما يطلق عليه من أسماء لا يسمىٰ بها غيره، فقد يكون الاسم مشتركاً بينه وبين غيره، أو بين صفته وصفة غيره، لكن هذا الاشتراك في الاسم لايوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء، فتسميته تعالىٰ عالماً وتسمية العبد عالماً لايوجب مماثلة علم اللّه لعلم العبد، وكذا تسميته تعالىٰ مريداً، وحياً، وسميعاً، وبصيراً، إلىٰ غير

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/ ٣٢.

(٢) انظر: أحمد بن الحسين البيهقي، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السلف أهل السنة والجماعة، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، اليمامة للطباعة دمشق، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤٢٠هـ ١٣٣ ـ ٢٦٩، و انظر: محمد خليل هراس، دعوة التوحيد: ١٥ ـ ١٨، مرجع سابق.

(٣) انظر: فالح بن مهدي آل مهدي، التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، تصيح وتعليق: الدكتور/ عبدالرحمن بن صالح الحمود، دارالوطن، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٤هـ: ٣٠.

ذلك من الأسماء التي قد تطلق على المخلوقين . والأصل في ذلك أن مايوصف اللّه تعالى به ويوصف به العباد إنما يوصف به على مايليق به سبحانه، ويوصف به العباد على مايليق بهم ، فالاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلي ، وذلك إذا أخذ الاسم مطلقاً غير مضاف ، فإذا أضيف صار مختصاً لايقبل الشركة ، ومثال ذلك : علم اللّه ، وقدرة اللّه ، وإرادة اللّه . أمّا إذا قيل : علم العبد وقدرته وإرادته ونحو ذلك ، كان المراد صفة المخلوق الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه .

جـ- أن صفاته سبحانه صفات كمال كلها ، فهو موصوف بصفات الكمال التي لاغاية وراءها ، وهو بريء من سمات النقص والاحتياج والحدوث ، والواجب أن يثبت له سبحانه أقصى ما يمكن من الكمال ، بحيث لايكون هناك كمال عار عن النقص إلا وهو ثابت له سبحانه .

الصلة بين أنواع التوحيد الثلاثة :

بعد أن فرغنا من الكلام عن حقيقة كل واحد من أنواع التوحيد الثلاثة، يحسن بنا أن نعرف النسبة بينها، وهل هي متلازمة في الوجود، بمعنى أن بعضها لايوجد بدون الآخر، أو غير متلازمة؟ وهل يغني اعتقاد بعضها فقط؟ أو لابد من اعتقاد جميعها ؟

إن توحيد الربوبية الذي يقوم على اعتقاد أنه سبحانه هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، وأنه القائم على أمور عباده والكافل لها ، والمربي لهم بنعمه المادية والروحية ، هذا التوحيد مستلزم لتوحيد الألوهية والعبادة ، فهو منه كالمقدمة من النتيجة[1] .

(١)انظر : محمد خليل هراس، دعوة التوحيد : ٧٤ ، وانظر كذلك: ابن أبي العزّ، شرح العقيدة الطحاوية : ١/ ٣٦، مرجعان سابقان.

فإنه إذا علم أنه سبحانه هو الرب وحده لاشريك له في ربوبيته، كانت العبادة حقه الذي لاينبغي إلا له ، ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية ثم الخلوص منها إلى الدعوة لتوحيد الإلهية، فيجعل الأولى برهانا على الثانية[1] ، كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] .

وأما توحيد الإلهية : فهو متضمن لتوحيد الربوبية [3] . ومعنى كونه متضمنا له أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الإلهية ، فإن من عبد اللّه وحده ولم يشرك به شيئا، لابد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه ومالكه الذي لارب له غيره، ولامالك له سواه، فهو يعبده لاعتقاده أن أمره كله بيده، وأنه هو الذي يملك ضره ونفعه ، وأن كل مايدعى من دونه فهو لايملك لعابديه ضرا ولانفعا، ولاموتا ولا حياة ولا نشورا ، قال تعالى : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4] .

وأما توحيد الأسماء والصفات : فإنه شامل للنوعين السابقين، فهو يقوم على إفراده سبحانه بكل ماله من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي

(١) انظر : ابن أبي العزّ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١/ ٣٣٦ ، مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة ، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢ .

(٣) انظر : ابن أبي العزّ ، شرح العقيدة الطحاوية : ١/ ٤١ ، مرجع سابق.

(٤) سورة العنكبوت ، الآيتان : ١٦ ـ ١٧ .

إلا له ، ومن جملتها كونه رباً واحداً لاشريك له في ربوبيته ، وكونه إلهاً واحداً لا شريك له في إلهيته .

فاسم الرب لاينصرف عند الإطلاق إلا إليه ، فله وحده الربوبية المطلقة الشاملة لجميع خلقه ، وكذلك اسم الجلالة « اللّه » لايطلق إلا عليه وحده ، فهو ذو الإلهية على جميع خلقه ليس لهم إله غيره .

وبالجملة فهذه الأنواع الثلاثة من التوحيد متكافلة ومتلازمة ، يكمل بعضها بعضاً ، ولاينفع أحدها بدون الآخرين [١] .

والعبد لايكون موحداً التوحيد الذي ينجي صاحبه في الدنيا والآخرة بمجرد اعتقاده أن اللّه هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، وأنه المدبر للأمور جميعاً ، فإن مثل هذا التوحيد كان يُقرُّ به المشركون ؛ بل لابد مع ذلك من توحيد الإلهية الذي هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والذي من أجله خلق اللّه الخلق وجعل الجنة والنار ، وفرق الناس إلى شقي وسعيد[٢] .

وكذلك من وحد اللّه في ربوبيته وإلهيته ولكنه سمى غيره باسمه ، أو ألحد في أسمائه ، لم ينفعه توحيده في الربوبية والإلهية ، ولهذا لا يكمل لأحد توحيده حتى يجمع بين أنواع التوحيد الثلاثة [٣] .

وقد سلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الدعوة إلى إثبات الوحدانية للّه تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته مسالك واضحة ومتعددة ، يقول شارح الطحاوية في تعدد هذه الطرق ووضوحها :

---

(١) انظر : محمد خليل هراس ، دعوة التوحيد : ٧٥ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٤٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٧٥ .

« فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر رحمة من اللَّه بخلقه »[1].

ومنهج القرآن الكريم في الدعوة إلى إثبات[2] وحدانية اللَّه تعالى منهج يخاطب الكائن البشري كله : عقله وضميره ووجدانه ، يحرك الفكر والخيال ، ويلمس الحس والبصيرة ، ويثير الانفعال والشعور ، فيستغل في الإنسان كل طاقاته ومواهبه ، وينفذ إلى صميمه من كل منافذه ، ويؤثر فيه بكل المؤثرات .

لم يقتصر القرآن على خطاب العقل ، ولم يسلك سبيل الإقناع الذهني المجرد ولم يعمد قط على أقضية المنطق الجافة ، إنما ارتفع بأسلوبه إلى مجال الفطرة الشاملة ، وقصد به إلى منطقة الوجدان الحارة ، موطن التحويل والإيمان[3] ، قال تعالى : ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى**

---

(١) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية : ٣٨ ، مرجع سابق .

(٢) الإثبات لغة : التمكين ، يقال : أثبت الأمر : جعله مكيناً ، وفي الاصطلاح : تأييد القضية بالبرهان . وهو نوعان : تصديق القضية وتعزيزها بالأدلة الواضحة والحجج الدامغة ، ويسمى التبيان . والنوع الآخر : إبطال حجج الخصم ودحض مقاله ، ويسمى التفنيد . انظر : الشيخ علي محفوظ ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٩٨٤م : ٥٥ ، ومحمد أبوزهرة ، الخطابة أصولها ـ تاريخها في ازهر عصورها عند العرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، تاريخها : ١٩٦٤م : ٨٧ .

(٣) انظر : ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٩٩٨م : ١٢٣ ـ ١٢٤ .

الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾(١).

وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾(٢).

إن منهج القرآن في الآيات السابقة وغيرها من الآيات التي أنزلت في إثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ يطوف بالقلب البشري بين أقطار السموات والأرض ، ويغوص به في صميم النفس وفي صميم الحياة ، ويتوالىٰ عليه بالدلائل البدهية دليلاً إثر دليل ، موجهاً إلىٰ النظر في الكون وفي النفس وفي التاريخ ، باعثاً علىٰ التأمل والتفكر ، دافعاً إلىٰ التأثر والانفعال ، منشئاً للتصور والإيمان (٣).

ومن هنا كان من طرق إثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ التي ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة : المنهج العاطفي ممثلاً في أساليبه المختلفة ، التي منها : الموعظة الحسنة ، وإظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين ، وقضاء حوائج ذوي الحاجات ، وتأمين خدمات المجتمع الضرورية .

ولكي يظهر لنا دور هذا المنهج في إثبات الوحدانية نتناول ذلك من خلال أساليبه في المطلبين التاليين :

١ ـ المطلب الأول : إثبات الوحدانية لله تعالىٰ بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم .

٢ ـ المطلب الثاني : إثبات الوحدانية لله تعالىٰ بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة .

---

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١٦٣ ـ ١٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٩٠ .

(٣) انظر : محمد شديد ، منهج القصة في القرآن ، شركة مكتبات عكاظ ، جدة ، الطبعة : الأولىٰ تاريخها : ١٤٠٤هـ : ١٣ ـ ١٤ .

المطلب الأول

إثبات وحدانية الله تعالى بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم

نتناول في هذا المطلب دور أساليب المنهج العاطفي في إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ وفق ترتيبها التالي :

١ ـ إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال الموعظة الحسنة وأشكالها في القرآن الكريم :

الموعظة الحسنة من أهم أساليب المنهج العاطفي لكثرة أشكالها المتفرعة منها، ولهذا الأسلوب أهمية عظيمة في الدعوة إلىٰ اللّه بشكل عام، وفي جانب العقيدة بشكل خاص، يقول تعالىٰ : ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(١). ذكر القرطبي : « أن ابن لقمان وامرأته كانا كافرين فما زال يعظهما حتىٰ أسلما »(٢). فانظر دور الموعظة الحسنة في إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، ومن الضلال إلىٰ الهدىٰ، والبدء بالأهم وهو المنع من الإشراك وإثبات الوحدانية للّه تعالىٰ(٣) ، وفي نهي لقمان لابنه عن الإشراك باللّه إثبات بأن اللّه واحد مستحق للعبادة دون سواه .

ووصف لقمان الشرك بأنه ظلم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وهي غير وجه اللّه وسبيله، وأما كونه عظيماً؛ فلأنه وضع في موضع ليس موضعه،

---

(١) سورة لقمان ، آية : ١٣ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٤/ ٤٣ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : الرازي ، التفسير الكبير ، ٢٥/ ١٢٨ ، مرجع سابق .

ولايجوز أن يكون موضعه؛ لأنه لا يجوز أن يكون غير اللَّه معبوداً أصلاً[1].

ولتمام إبراز دور الموعظة الحسنة في إثبات الوحدانية للَّه تعالىٰ في القرآن الكريم، نتناول أشكالها المختلفة ودور كل منها في إثبات هذا الجانب العقدي المهم علىٰ النحو التالي:

أ ـ إثبات الوحدانية للَّه تعالى من خلال الإشارة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإشارة في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[2].

فبالإضافة إلىٰ أن مريم عليها السلام كانت تريد بإشارتها هذه تبرئة نفسها مما اتهمت به، إلاّ أنها كذلك كانت تريد بها ـ والمقام مقام مناكرة وعناد ـ لفت انتباه هؤلاء السفهاء إلىٰ ضرورة التعقل وترك الاستهزاء والسخرية، وأن الأمر غير عادي ولا طبيعي؛ بل يحتاج إلىٰ تفكر بجد في هذه الآية العظيمة، وهي خلق عيسىٰ عليه السلام من غير أب، وأن هذا المولود الصغير يستطيع بإذن الله أن يجيبهم هو بنفسه عن قصّته، فعليهم أن يسمعوا منه الجواب. ففي كلامه لهم وهو في المهد: دحض لمزاعمهم وافتراءاتهم وآية أخرىٰ تصدق آية خلقه من غير أب، فهذه الآيات تدل علىٰ الخالق عز وجل جاء التنبيه عليها من خلال الإشارة.

---

(١) المرجع السابق: ٢٥/ ١٢٨.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

وقريباً من هذا يقول الشوكاني رحمه الله تعالىٰ : «إن اقتصارها علىٰ الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة، وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر علىٰ العبارة»(١).

هذا بالنسبة للإشارة الحسية الواردة في القرآن الكريم، أمّا الإشارة المعنوية المتمثلة في أسماء الإشارة، فقد وردت في القرآن الكريم كثيراً، ولها دور كبير في إثبات الوحدانية لله تعالىٰ، وهي تقوم مقام الإشارة الحسية، كما يقول علماء النحو، حيث يقولون: «الأصل في أسماء الإشارة أن يراد بها الإشارة الحسية قريبة أو بعيدة، فإن أشير بها إلىٰ محسوس غير مشاهد نحو قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾(٢)، فلتصيّره كالمشاهد، وإن كان المشار إليه قريباً نبرت بـ ها ـ نحو هذا وهاتان، وإن كان بعيداً لحقته كاف الخطاب في آخره للفرق بينهما»(٣).

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن من الأغراض البلاغية التي تؤديها التراكيب المتضمنة اسم الإشارة: التمييز. أي: يقصد تمييز المشار إليه لإحضاره في ذهن السامع حساً، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز لتنزله من المحسوس الذي أصله أن يستعمل فيه منزلة وضع اليد، كأن لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها، أو تقصد بذلك أكمل تعيين له، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز(٤).

---

(١) الشوكاني، فتح القدير: ٣/ ٣٥٦، مرجع سابق.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٧٢.

(٣) انظر: طالب محمد إسماعيل الزوبعي، البلاغة العربية (علم المعاني بين بلاغة القدامىٰ وأسلوبية المحدثين)، دار الكتب الوطنية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٩٩٧م: ١٨١.

(٤) انظر: يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤٠٣هـ: ١٨٣.

إن اسم الإشارة يحسك بالتعيين والتحديد وكأنك ترىٰ المشار إليه ـ أحياناً ـ أمامك؛ لأن الإشارة الحسية لايتأتىٰ معها اشتباه أصلاً[1].

فاسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديداً ظاهراً، ويميزه تمييزاً كاشفاً، وهذا التحديد قد يكون مقصداً مهماً للمتكلم؛ لأنه حين يكون معيناً للحكم علىٰ المسند إليه بخبر ما، فإن تمييز المسند إليه تمييزاً واضحاً يمنح الخبر مزيداً من القوة والتقرير[2]. وهذا ما هو حاصل في إثبات وحدانية الله تعالىٰ من خلال أسماء الإشارة وفق المنهج العاطفي، لاحظ قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وموقعها من الآيات التالية: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[3].

يقول صاحب الكشاف في تفسيره: ﴿ ذَلِكُمُ﴾ إشارة إلىٰ الموصوف مما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ذلكم الجامع لهذه الصفات، ﴿ فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة علىٰ معنىٰ: أن من استجمعت له هذه الصفات، كان هو الحقيق بالعبادة، فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه بعض خلقه، ثم قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يعني: وهو مع تلك الصفات، مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب علىٰ الأعمال[4].

(١) انظر: درويش الجندي، علم المعاني، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: بدون، تاريخها: بدون: ١٠١.

(٢) الدكتور/ طالب محمد إسماعيل، علم المعاني: ١٨٤، مرجع سابق.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٠٠ ـ ١٠٢.

(٤) الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٣٨٢، مرجع سابق.

فالله عز وجل يثبت لنفسه المقدسة الوحدانية من خلال اسم الإشارة بأسلوب عاطفي مثير، فلو تأملنا جملة قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لوجدناها تذكر العباد بأنّ الله ربهم وخالقهم، وحافظهم ورازقهم، وصاحب الفضل عليهم، إلىٰ غير ذلك من نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده، التي لا تعد ولا تحصىٰ[1].

وكذلك لاحظ ورود اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ في الآيات التالية:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]. فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ في الآيات فيه إبراز وتجسيد لخلق السموات والأرض والدواب، وإنزال المطر، وإنبات كل زوج كريم، فيقع الحكم عليه بأنه خلق عظيم يستدل به علىٰ أنّ له خالقاً ومدبّراً، وفي ذلك قوة حكم وصدق يقين بإثبات الوحدانية لله تعالىٰ، حيث من أغراض أسماء الإشارة التي ذكرها البلاغيون التنبيه، وأنه يتضمن التركيب ذكر أوصاف عديدة للشيء ثم تذكر باسم الإشارة جاعلاً ما يترتب علىٰ تلك الأوصاف مسنداً إلىٰ هذا الاسم، ولتحقق دلالة التنبيه باستخدام «هذا» علىٰ عظمة المشار إليه في الآيات، كان حريًّا أن تثبت الوحدانية لخالقه وفاطره وهو الله عز وجل[3].

ومما سبق يتضح أن القرآن أثبت الوحدانية لله تعالىٰ بالإشارة الحسية والمعنوية، وهذا ما ينبغي أن يفطن له الداعية وأن يبينه للناس، ويلزمه قبل ذلك أن يكون علىٰ دراية بالأساليب البلاغية حتىٰ يستطيع أن يبين مثل تلك المسائل العقدية المهمة بنور من العلم وهدي من الشرع الحنيف.

---

(١) انظر: محمد سعيد رمضان البوطي، منهج تربوي فريد: ٧٢ـ ٧٥، مرجع سابق.

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ١٠ـ١١.

(٣) انظر: محمد إسماعيل الزوبعي، علم المعاني: ١٨٤، وانظر: الزمخشري، الكشاف: ١/ ١٤١، مرجعان سابقان.

ب ـ إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال التعريض في القرآن الكريم :

ورد التعريض في القرآن الكريم في جانب العقيدة وإثبات الوحدانية للّه تعالى، فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ (١) .

يقول الزمخشري في تفسير الآيات : « أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه في إمحاض النصح، حيث لايريد لهم إلا مايريد لروحه، ولقد وضع قوله : ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله : وما لكم لاتعبدون الذي فطركم . ألا ترىٰ إلىٰ قوله : ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال : الذي فطرني وإليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق إلىٰ أن قال : ﴿آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾، يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبهتكم علىٰ الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لاتصح إلا لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم، وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا علىٰ عبادته عبادة أشياء إن أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا علىٰ إنقاذكم منه بوجه من الوجوه، إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لايخفىٰ علىٰ ذي عقل وتمييز » (٢) .

---

(١) سورة يس ، آية : ٢٠ـ ٢٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٥/ ١٧٢ ، مرجع سابق .

فالتعريض الوارد في الآيات من صاحب يس لقومه يثبت به وحدانية اللَّه تعالىٰ، وأنه سبحانه المستحق للعبادة دون سواه، فهو الخالق وإليه المعاد، وهو النافع الضار، وأن عبادة غيره ضلال مبين .

فإذا علم ذلك فإنه يجدر بالداعية أن يكون علىٰ علم بعلوم البلاغة لكي يتسنىٰ له شرح مثل تلك المسائل وبيانها للناس علىٰ علم وبصيرة، يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالىٰ في هذا الشأن: «إن علوم العربية الموصلة إلىٰ تبيين كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ أمور مطلوبة محبوبة لله تعالىٰ؛ لأنه لا يتم معرفة ما أنزل علىٰ رسوله إلاّ بها» (١) .

جـ - إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال أسلوب الكناية في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم الكثير من الكنايات، لكن مايخص ورود الكناية في إثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ : ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾ (٢) .

قال الزمخشري : « لأن من احتاج إلىٰ الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسماً مركباً من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وغرم وغير ذلك مما يدل علىٰ أنه مصنوع مؤلف مدبّر كغيره من الأجسام» (٣) .

(١) الشيخ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان: ٤/ ٧٣، مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٥.

(٣) الزمخشري ، الكشاف: ٢/ ٢٧٧، مرجع سابق .

ويقول القاسمي : « إنما أخّر في الاستدلال على بطلان مذهب النصارى ، حاجتهما للطعام عمّا قبله من مساواتهما للرسل عليهم السلام ترقياً في باب الاستدلال من الجليّ للأجلى على ماهو القاعدة في سوق البراهين لإلزام الخصم حتى إذا لم يسلم في الجليّ لغموضه عليه يورد له الأجلى تعريضاً بغباوته فيضطر للتسليم إن لم يكن معانداً ولا مكابراً»(١) .

فهنا كنى بأكل الطعام عما يخرج من السبيلين، فمن يأكل لابد أن يطرد ، فاستقبح فكنى عنه بالأكل وفي ذلك تشنيع وتحقير لمن اتخذهما آلهة .

وهو هنا عندما ينفي الألوهية عنهما من خلال أسلوب الكناية فإنه يثبت وحدانية اللّه تعالى، يقول شارح كتاب التوحيد : إن الاقتصار على نفي الإشراك يستدعي التوحيد بالاقتضاء(٢) .

ومن دلائل التوحيد آيات الله عز وجل في الكون وما يجريه على أيدي رسله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «فإن النبوة مبناها على أن الله قادر وأنه يحدث الآيات لتصدق بها الرسل»(٣) .

ومن الآيات التي جعلها الله تعالى لموسى عليه السلام والتي تدل على نبوته عليه السلام وفي الوقت نفسه على وحدانية الله تعالى والتي عبّر عنها القرآن بأسلوب الكناية قوله تعالى : ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ

(١) محمد جمال الدين القاسمي، تفسير محاسن التأويل، تخريج: محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٤/ ٤/ ٢١٦ .

(٢) انظر : عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٤هـ : ٣٠ .

(٣) أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، النبوات، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة: تاريخها: ١٤١٨هـ : ٢٤٥ .

﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[1] .

فالمعجزة الثانية التي أيدّ الله عزوجل بها نبيه موسىٰ عليه السلام المذكورة في الآيات السابقة عبر عنها القرآن الكريم بالكناية فقوله : ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ . يقول في تفسيرها صاحب الكشاف : «السوء : الرداءة والقبح في كل شيء ، فكنىٰ به عن البرص ، والبرص : أبغض شيء إلىٰ العرب ، وبهم عنه نفرة عظيمة ، وأسماعهم لا سمه مجاجة فكان جديراً أن يكنىٰ عنه ، ولا نرىٰ أحسن ولا ألطف ولا أحز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه»[2] .

فالهدف من هذه الآيات هو مابينه القرآن : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ، يقول القاسمي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في تفسير ذلك : «أي أريناك ما أريناك الآن ، مع أن حقهما أن يظهرا بعد التحدي والمناظرة لنريك أولاً أنت بعض آياتنا الكبرىٰ الدالة علىٰ قدرتنا وحدنا فيقوىٰ قلبك علىٰ مناظرة الطغاة»[3] .

وفي معرض سرد آيات الله تعالىٰ الدالة علىٰ قدرته ووحدانيته التي أوردها القرآن الكريم في كيفية نجاة نوح عليه السلام ، ذكر سبحانه بعض هذه الآيات بأسلوب الكناية فقال تعالىٰ : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[4] .

---

(١) سورة طه ، الآيات : ١٩ ـ ٢٣ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٧٧ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ١٢٣ ، مرجع سابق .

(٤) سورة القمر ، الآيات : ٩ ـ ١٣ .

فقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ كناية عن موصوف أراد بها: السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوف فتنوب منابها وتؤدي معناها، بحيث لا نجد فرقاً بين ما يدل عليه الوصف وما يحمله الموصوف من معنىٰ، ومن أجل ذلك لا يجوز هنا أن نجمع بين الموصوف وصفته أي: بين السفينة وبين هذه الصفة، وهذا من فصيح الكلام وبديعه[1]. فخلاصة القول أن السفينة آية من آيات قدرة الله ووحدانيته التي جعلها الله عز وجل سبباً في نجاة نوح عليه السلام ومن معه، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الآية الشاهدة علىٰ وحدانيته بأسلوب الكناية. ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يكون علىٰ علم ودراية بالأساليب البلاغية البيانية لكي يبيّن للناس ما يشكل عليهم في مثل تلك المسائل وليستطيع هو بنفسه أن يستخدمها في دعوته علىٰ نهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

د- إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال القصة الوجدانية في القرآن الكريم:

لقد تميز القصص القرآني بسمو غاياته وشرف مقاصده، وعلو مراميه، وقد كانت العقيدة هي أبرز موضوعاته وبخاصة في القصص المكي، فقد كان القرآن الكريم ينشىء عقيدة تكاد أن تكون جديدة تماماً في زمن التنزيل، فالمشركون ينكرون التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم أشد الإنكار فيقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[2]. وأهل الكتاب: يهود ونصارىٰ كانوا قد غيروا وبدلوا وانحرفوا

(١) انظر: عبدالقادر حسين، القرآن والصورة البيانية، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤٠٥هـ: ٢٣٢، وانظر كذلك: الزمخشري، الكشاف: ٥/٦٥٦ـ٦٥٨، مرجع سابق.

(٢) سورة ص، الآية ٥ـ٧.

عقدياً، فأدخلوا على عقيدة التوحيد التي جاءهم بها أنبياؤهم ماليس منها : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١) .

وقد عالج القصص القرآني موضوع العقيدة، وأوضح مايكون علاج العقيدة في اللّه في قصص إبراهيم عليه السلام(٢) ، ولنتأمل هنا مثلاً واحداً لعمل القصة في مجال الدعوة وتثبيت العقيدة وإثبات وحدانية اللّه تعالى من قصص إبراهيم عليه السلام التي وردت في سورة الشعراء :

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أصل شجرة النبوة ، وإمام التوحيد والموحدين، وهو جدّ العرب، وكان مشركو مكة يعتزون بنسبتهم إليه ويزعمون أنهم على دينه وورثة رسالته وعقيدته وسدنة بيته الذي رفع قواعده في مكة مع ابنه إسماعيل، والقصة ليست لمشركي مكة وحدهم إنما هي لهم وللمؤمنين، فهي للدعوة والتربية : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٣) .

---

(١) سورة التوبة ، من الآية : ٣٠ـ ٣١ .

(٢) انظر : محمد شديد، منهج القصة في القرآن : ١٠٦ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الحج ، آية : ٧٨ .

ونرىٰ إبراهيم عليه السلام في قصة سورة الشعراء التي سنوردها بعد قليل، وكأنما يخاطب مشركي مكة يكذبهم في كل مايزعمون من أنهم علىٰ دينه وعقيدته، ويلقن المؤمنين درساً في حقيقة الإيمان باللّه وحقيقة الصلة به وإثبات الوحدانية له سبحانه وتعالىٰ . يقول تعالىٰ في هذه القصة :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيه وَقَوْمه مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾(١) .

(١) سورة الشعراء، من الآية : ٦٩ـ١٠٤ .

ففي هذه القصة كأن إبراهيم جاء من ثنايا الغيب يخاطب مشركي مكة وجهاً لوجه، ينكر ما أحدثوا من وثنية ويتبرأ مما أقاموا في جوف الكعبة من أصنام، مبيناً سفه من يعبد هذه التي لاتسمع ولاتنفع ولا تضر، ثم مدح الخليل ربه معلناً وحدانيته تعالىٰ، مستدلاً بما يستحق العبادة لأجله من نعم اللَّه التي منها الخلق والهداية والرزق ، ودفع ضر المرض وجلب نفع الشفاء، والإماتة والإحياء، والمغفرة للذنب التي يجب علىٰ المنعم عليه ببعضها فضلاً عن كلها أن يشكر المنعم بجميع أنواع الشكر التي أعلاها وأولاها العبادة [1] .

فموضوع القصة هو موضوع العقيدة في اللَّه ، وهدفها هو الدعوة إلىٰ إثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ وإقامة الدليل بمنطق الفطرة والعاطفة المنضبطة : ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾[2] . وتسفيه الوثنية وبيان الضلال في عبادة الأصنام في ظروف مماثلة لظروف الدعوة في العهد المكي، فالهدف من القصة ومن كل قصص القرآن الكريم هو إثبات الوحدانية لله تعالىٰ وتثبيت العقيدة في النفوس، فإذا علم هذا فيلزم الداعية أن يهتم بهذا الأمر المهم لما للقصة من تأثير في النفوس ووقع في الأذهان لا يخفىٰ علىٰ كل لبيب .

هـ - إثبات وحدانية اللَّه تعالى من خلال التذكير بنعم اللَّه في القرآن الكريم :

التذكير بنعم اللَّه تعالىٰ أسلوب أصيل من أساليب الدعوة إلىٰ اللَّه تعالىٰ، قرره المولىٰ عز وجل في غير ماآية من كتابه العزيز، ودعا به وطبقه رسول الهدىٰ

(١) انظر : الشوكاني ، فتح القدير : ٤/ ١١٥ ، مرجع سابق .

(٢) سورة الشعراء، الآيات : ٧٨ ـ ٨٢ .

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبالذات في جانب العقيدة وإثبات وحدانية اللّه تعالىٰ، ومن ذلك الشواهد القرآنية التالية :

قال تعالىٰ : ﴿لإيلاف قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إيلافهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾(٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤) .

وقال تعالىٰ : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾(٥) . واللّه سبحانه وتعالىٰ عندما يقرر هذا الأسلوب بنفسه يريد من عباده أن يشكروه، ومن أولىٰ شكره توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، يقول تعالىٰ : ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ

(١) سورة قريش ، آية ١ ـ ٤ .
(٢) سورة فاطر ، آية : ٣ .
(٣) سورة الزخرف ، آية : ١٢-١٣ .
(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .
(٥) سورة العنكبوت ، آية : ٦٧ .

الْفُلْكُ فيه بأمْره ولتبْتغُوا من فضْله ولعلَّكُمْ تشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وسخَّرَ لكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ﴾(١) .

يقول الشيخ السعدي رحمه اللَّه تعالىٰ في تفسير هذه الآيات : «إن خلق السموات والأرض وتدبيرها وتسخيرها دال علىٰ مشيئة اللَّه وكمال قدرته ومافيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال علىٰ كمال حكمته وعلمه . وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال علىٰ سعة ملكه وسلطانه . . . . . وكل ذلك دلّ علىٰ أنه وحده المألوه المعبود الذي لاتنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له »(٢) .

والتذكير بنعم اللَّه هو منهج الأنبياء جميعاً من نوح عليه السلام إلىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فما من نبي بعث في قومه إلا وذكر قومه بنعم اللَّه عليهم ليوحدوه ولايشركوا به شيئاً :

فنوح عليه السلام قال لقومه : ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للَّه وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(٣) . إلىٰ قوله : ﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾(٤) .

لاحظ ربط تعدد النعم بالمنعم في الدعوة، وهذا كله لإثبات الوحدانية للَّه تعالىٰ . وبنفس الطريقة والمنهج يذكر هود عليه السلام قومه بنعمة الاستخلاف من بعد قوم نوح وبالبسطة في الخلق : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥) .

---

(١) الجاثية : ١٢ ـ ١٣ .

(٢) انظر : الشيخ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٧/ ١٦٥ ، مرجع سابق .

(٣) سورة نوح ، الآيتان : ١٣ ـ ١٤ .

(٤) سورة نوح ، الآيات : ١٧ ـ ٢٠ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٦٩ .

وقال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(١) .

قال الزمخشري : بالغ في تنبيههم على نعم اللّه حيث أجملها ، ثم فصلها مستشهداً بعلمهم (٢) .

وصالح عليه السلام يذكر قومه بنعم اللّه عليهم فيقول لهم : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٣) .

وشعيب عليه السلام يقول لقومه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾(٤) .

وموسى عليه السلام يقول لقومه : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(٥) .

ومحمد ﷺ يقول لقومه : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٦) .

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(٧) .

(١) سورة الشعراء ، آية : ١٣١- ١٣٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٤٠٧ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٨٦ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٢٠ .

(٦) سورة الأنفال ، آية : ٢٦ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية : ٩ .

ومما سبق نلاحظ أن اللّه تعالىٰ في الآيات السابقة يربط النعم بالمنعم، فهو موجدها قبل أن تكون بأساليب توقظ القلوب الغافلة وتهدي العقول الشاردة وتفتح أبواب النفوس المغلقة لحصول الشكر للّه الذي من مقتضياته إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ . ونعم اللّه تعالىٰ الدالة علىٰ وحدانيته لاتعد ولاتحصىٰ : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٢) .

فهذه النعم التي لاتعد ولاتحصىٰ والتي بلاشك أن في تذكرها واستحضارها تذكر خالقها وموجدها، وهي دلائل قوية وآيات واضحات يستدل بها علىٰ وجود الصانع و إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ؛ لأنه المتفرد بإيجادها . فإذا علم ذلك فيلزم الداعية استخدام هذا الأسلوب الأصيل؛ لأن نعم الله تعالىٰ محسوسة بالنسبة للناس، وهي شواهد علىٰ وحدانية الله تعالىٰ، والتذكير بها تذكير بموجدها وخالقها .

و- إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال أسلوب المدح والثناء في القرآن الكريم:

نقصد بالمدح والثناء هنا حمد اللّه والثناء عليه بما هو أهله وبيان ذلك للمدعوين ، وأنه سبحانه المستحق للعبادة دون غيره، فهو الخالق، الرازق المحي المميت، الضار النافع، المنعم المتفضل علىٰ عباده بالهداية ورغد العيش . . إلىٰ غير ذلك من النعم والمخلوقات التي لاتعد ولاتحصىٰ .

(١) سورة النحل ، آية : ١٨ .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٢٠ .

وقد مدح اللَّه نفسه في غير ماآية من كتابه الكريم، وجعل أوّل آية في القرآن الخالد بعد البسملة آية تشعر المؤمنين أبداً بنعمة اللَّه وإحسانه، وتوجههم إلىٰ حمده ومدحه وشكره والثناء عليه، تلك هي آية فاتحة الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. ولاغرو أن جعل الإسلام تلاوتها فريضة يومية يكررها المسلم كل يوم مالايقل عن سبع عشرة مرة في صلواته الخمس[2].

وإذا تأملنا حمد اللَّه وثناءه علىٰ نفسه، نجد هذا الأسلوب مرتبطاً بالعقيدة بشكل عام وإثبات وحدانية اللَّه بشكل خاص: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ﴾[3].

وهذا الثناء من اللَّه علىٰ نفسه المقدسة يتضمن أمراً لعباده أن يحمدوه ويثنوا عليه، فلفظه لفظ الخبر ومعناه معنىٰ الأمر كما هو معلوم. فلاتجب المحامد إلا له لأنه المنفرد بالوحدانية[4].

وقد جاء هذا التركيب (الْحَمْدُ لِلَّهِ) في بدايات سور خمس من القرآن الكريم.

السورة الأولىٰ: سورة الفاتحة.

الثانية: سورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[5].

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٢.

(٢) انظر: يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، تاريخها: ١٤١٩هـ: ١٣٥.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٠.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان: ١/ ٦١ ـ ٦٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٩٥، ١٣/ ٢٠٣، مرجعان سابقان.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١.

والثالثة : سورة الكهف : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[1] .

والرابعة : سورة فاطر : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] .

والخامسة : سورة سبأ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[3] .

ولو تأملنا في افتتاحية هذه السور لوجدناها من نوع واحد وعلىٰ وتيرة واحدة، ففي السورة الأولىٰ (الفاتحة) يمدح نفسه ويثني عليها سبحانه كونه رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين .

وفي (الأنعام) يمدح نفسه علىٰ ماأبدع من هذه الأجرام العلوية والسفلية، وماجعل فيهما من الظلمة والنور .

وفي (الكهف) يمدح نفسه علىٰ نزول هذا الكتاب العظيم علىٰ نبيه الكريم صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وفي (فاطر) يمدح نفسه علىٰ خلق السموات والأرض وجعله الملائكة رسلاً أولي أجنحة .

وفي (سبأ) يمدح نفسه علىٰ ملكيته لكل الكائنات . فاللَّه سبحانه وتعالىٰ يؤكد ويقرر بهذا الأسلوب إثبات الوحدانية للَّه تعالىٰ .

ذكر القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ أن الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، وقال إن الحمد نقيض الذم، تقول : حمد الرجل أحمده حمداً فهو حميد ومحمود. والمحمدة : خلاف المذمة ، وأحمد الرجل : صار أمره إلىٰ الحمد . وقال : الصحيح أن

(١) سورة الكهف : آية : ١ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ١ .

(٣) سورة سبأ ، آية : ١ .

الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان بخلاف الشكر، وهو أعم من الشكر؛ لأن فيه معنى الشكر والمدح[1].

وقد أمر اللَّه تعالى رسله وعباده الصالحين بأن يمدحوه ويثنوا عليه بإظهار وإبراز ما هو أهله ـ عز وجل ـ من الكمال والتنزيه والعظمة والقدرة على كل شيء، فقال لنوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[3].

وقال إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[4].

وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[5].

وقد مدح اللَّه عز وجل المستدلين عليه بآياته الكثيرة في الأنفس والآفاق، ومن ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[6]. فهذا الخلق العظيم للسموات والأرض وهذا التنظيم

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٩٣ ـ ٩٥، مرجع سابق.

(٢) سورة المؤمنين، آية: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١١١.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٣٩.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٤.

(٦) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ ـ ١٩١.

البديع في اختلاف الليل والنهار، يدل على تدبير واحد وإرادة واحدة. ومن هنا فهذه المخلوقات هي شواهد ودلائل على وحدانية الله عز وجل، فعلى الداعية أن يفطن لهذا الأسلوب الأصيل وأن يستخدمه لإثبات الوحدانية لله تعالى على ضوء القرآن والسنة.

ز- إثبات وحدانية اللَّه تعالى من خلال ذم الشرك في القرآن الكريم(١) :

تقدمت دلالة القرآن على إثبات الوحدانية للَّه تعالى بطريق المدح والحمد والثناء على اللَّه لتفرده بالربوبية والكمال المطلق.

ونعرض هنا : إثبات القرآن الكريم لهذا المطلب من خلال صورة أخرى لهذا الاستدلال، ألا وهي ذم عبادة الآلهة المتخذة من دون اللَّه تعالى، فمن شأن ذلك تحقيق التوحيد.

يقول شارح كتاب التوحيد في شرح حديث : **(من لقي اللَّه لايشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)**(٢) : اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم (٣). وذم الشرك يقتضي بيان أمرين(٤) :

ـ إن هذه الآلهة التي تعبد من دون اللَّه لاتتصف بشيء من معاني الربوبية.

---

(١) انظر : صالح الفوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد : ٤٠ ـ ٤١، مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٢٧٢، رقم الحديث : ٩٣، مرجع سابق.

(٣) عبد الرحمن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٧٩، مرجع سابق.

(٤) سعود عبدالعزيز العريفي، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة : الأولى، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٤١٨.

ـ إن هذه الآلهة متصفة بالنقص المنافي لاستحقاق العبادة .

الأمر الأول : تجرد الشركاء من الربوبية :

من المعلوم أن أبرز معاني الربوبية : الخلق ، الملك ، التدبير ، وقد أبطل القرآن الكريم عبادة هؤلاء الشركاء بدلالة تجردهم من هذه المعاني ، فالشركاء لايخلقون شيئاً بل يخلقون ، قال تعالىٰ : ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾(١) .

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية : « أي : من أعجب العجائب وأول الدليل علىٰ سفههم ونقص عقولهم بل أدل علىٰ ظلمهم وجراءتهم علىٰ ربهم أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة وبلغ من عجزها أنها لاتقدر علىٰ خلق شيء بل هم مخلوقون ، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء للخالق » (٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾(٣) .

والمعنىٰ : أيكون هذا مثل هذا في استحقاق العبادة ؟ »(٤) .

والشركاء كذلك ليس لهم نصيب من الملك ، قال تعالىٰ : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ** ﴾(٥) .

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٣ .

(٢) انظر : عبدالرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥/ ٢٦٨ ، مرجع سابق .

(٣) سورة النحل ، آية : ١٧ .

(٤) انظر : الطبري ، جامع البيان : ٤/ ٥٠٩ ، مرجع سابق .

(٥) سورة سبأ ، آية : ٢٢ .

يقول ابن كثير رحمه اللَّه تعالىٰ في تفسير الآية :

« يبين تعالىٰ أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لانظير له ولاشريك بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولامنازع ولامعارض »[١] .

ويقول القرطبي : «وهذا خطاب توبيخ وفيه إضمار : أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون اللَّه لتنفعكم أو لتدفع عنكم ماقضاه اللَّه تبارك وتعالىٰ عليكم فإنهم لايملكون ذلك وما للَّه من هؤلاء من معين علىٰ خلق شيء بل اللَّه المتفرد بالإيجاد ، فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال»[٢] .

ومن الذم الذي ذكره القرآن الكريم لهذه الآلهة التي تعبد من دونه كونها لاتضر ولاتنفع ماقصه اللَّه من استنكار إبراهيم علىٰ قومه في قوله تعالىٰ : ﴿**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[٣] .

وقوله : « أف لكم » يقول : قبحاً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون اللَّه ، أفلا تعقلون قبح ماتفعلون من عبادتكم مالا يضر ولاينفع فتتركوا عبادته ، وتعبدون اللَّه الذي فطر السموات والأرض والذي بيده النفع والضر[٤] .

وقال ابن عاشور : « أف لكم » أي أف لأجلكم وللأصنام التي تعبدونها من دون اللَّه ، وإظهار اسم الجلالة لزيادة البيان وتشنيع عبادة غيره »[٥] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٧١١ ، مرجع سابق .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ١٨٨ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الأنبياء ،الآيتان: ٦٦-٦٧ .

(٤) الطبري ، جامع البيان : ٥/ ٢٦٦ ، مرجع سابق .

(٥) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ١٧/ ١٠٤ ، مرجع سابق .

ومن أسباب ذم هذه الآلهة وعابديها كذلك : كونها لاتهدي للحق، قال تعالىٰ : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] .

الأمر الثاني : اتصاف هذه الآلهة بالنقص المنافي لاستحقاق العبادة :

إن إثبات صفات الكمال بنفي ماينقاضها طريقة متكاملة ، فاللَّه سبحانه وتعالىٰ لو لم يكن موصوفاً بإحدىٰ الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرىٰ، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلاً فيه ، فسلب إحدىٰ الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرىٰ ، إذاً من لم يتصف بالكمال المطلق لزمه الاتصاف بالنقص وهذا مناف للتعبد فطرة وعقلاً[2] .

ومن أمثلة هذه الطريقة في القرآن والسنة : النصوص التي تبطل ألوهية الأصنام والأوثان وكل ماعبد من دون اللَّه تعالىٰ بدلالة اتصافها بصفات النقص، فكل نقص جعل دليلاً علىٰ بطلان ألوهية المتصف به فإنه يجب تنزيه اللَّه تعالىٰ عنه وإثبات كمال ضده له، وبالتالي إثبات الوحدانية للَّه تعالىٰ، وذلك كوصف الأصنام بأنها أموات ، لاتسمع ، ولاتبصر ، ولاتنفع ، ولاتضر ، ولاتملك ، ولاتعقل ، ولاتهدي ، ولا تبطش ، ولاتنتصر ، ولاتنصر ، ولاتمشي وغير ذلك من العيوب والنقائص التي ذمها المولىٰ عز وجل في كتابه، واستدل بها علىٰ كماله ووحدانيته سبحانه وتعالىٰ، وقد ورد علىٰ جميع ماذكر شواهد من القرآن

---

(١) سورة يونس، آية : ٣٥.

(٢) انظر : أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، التدمرية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض ، الطبعة : الرابعة، تاريخها : ١٤١٧هـ : ١٥١ .

الكريم، من ذلك على سبيل المثال مااستدل به إبراهيم عليه السلام على أبيه في بطلان عبادته الأصنام فقال : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾(١) .

وقوله : ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣) .

وذمّ اللَّه تعالى كذلك : المعرضين عن أيات اللَّه الدالة على وجدانيته سبحانه فقال تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٤) .

وذمّ كذلك التقليد فقال حكاية عن الكفار : ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾(٥) .

ومما سبق يتبين أن ذمّ الآلهة التي تعبد من دون اللَّه عز وجل وذمّ عابديها فيه بطلان لعبادتها لاتصافها بالعجز والنقص، وفيه إثبات لوحدانية الحق تبارك وتعالى لتفرده بصفات الكمال المطلق، وبالتالي فهو المستحق للعبادة وحده دون سواه .

---

(١) سورة مريم ، آية : ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨-٩٩ .

(٤) سورة يوسف ، الآيتان ١٠٥ - ١٠٦ .

(٥) سورة الزخرف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤ .

وإذا علم دور هذا الأسلوب ـ أسلوب الذم ـ في إثبات الوحدانية لله تعالىٰ، فإنه يتعين علىٰ الداعية أن يكون علىٰ علم بأساليب القرآن الكريم المتنوعة؛ لكي يكون علىٰ دراية بمراد النصوص الشرعية أولاً، ثم يستخدمها في دعوته للناس علىٰ نهج القرآن الكريم وسنة المصطفىٰ ﷺ، وخاصة في هذا العصر الذي يحتاج فيه الناس إلىٰ تنوع الأساليب؛ لأن في التنوع بياناً لجمال أساليب القرآن البلاغية المؤثرة في النفوس بالإقناع والاستمالة.

ح- إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال الترغيب في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب في إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ فقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾**﴾[1].

وهو النصر والفتح والعزة والتمكين الذي قدره اللّه تعالىٰ وحققه لرسوله ﷺ وللمؤمنين من بعد، ولم يكن ذلك إلاّ بقدرة اللّه وقضائه وحكمته ومشيئته سبحانه، فقد عزّ المؤمنين بعد ذل، وقواهم بعد ضعف، وأغناهم من بعد فقر، وهذه كلها دلائل علىٰ قدرة اللّه ووحدانيته وهي دليل علىٰ تحقق مارغب اللّه تعالىٰ ووعد به عباده في الآخرة.

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ ـ ١٣.

ومن دلائل التوحيد من خلال الترغيب : إخباره سبحانه بأنه هو وحده المتفرد بتكفير الذنوب ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾(١) ، وقال تعالىٰ : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(٢) .

ففي الآيات السابقة يثبت عزّ وجلّ أن الذي يغفر الذنوب ويكفرّ السيئات هو اللّه وحده المتفرد بذلك ، وهذا من دلائل الوحدانية التي رغب بها سبحانه في الإيمان وفي ماعند اللّه ، فالترغيب من الأساليب العاطفية التي لا يستغني عنها الداعية في دعوته ، فيلزمه الإلمام به واستخدامه بالقدر المناسب دون مغالاة في استخدامه ولا تعطيل ، وعندئذ يكون نجاحه في الدعوة مضموناً بإذن الله تعالىٰ .

ط- إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال أسلوب الترهيب في القرآن الكريم :

استخدم القرآن الكريم أسلوب الترهيب في إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ ، قال عز وجل : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾(٣) .

يقول ابن كثير رحمه اللّه تعالىٰ : هذه الآيات نزلت في أبي جهل عندما توعد النبي ﷺ علىٰ الصلاة عند البيت(٤) . وروىٰ البخاري عن ابن عباس أن أبا

(١) سورة طه ، آية : ٨٢ .

(٢) سورة ص ، آية : ٦٦ .

(٣) سورة العلق ، الآيات : ٦ ـ ١٨ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٦٩٥ ، مرجع سابق .

جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال: (**لئن فعله لأخذته الملائكة**)[1].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة قال: فقال رسول اللّه ﷺ: « **لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً** » قال: وأنزل اللّه ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ**﴾ . . . . إلى آخر السورة[2].

فهذه الآيات فيها من ظواهر قدرة اللّه وحمايته لنبيه ﷺ مايثبت وحدانيته عز وجل، فتقهقر أبي جهل وهروبه واتقائه بيديه رغم حرصه على مايؤذي رسول اللّه ﷺ ويبر قسمه الفاجر لقريش، وإخباره بأمور شاهدها مخوّفة لهي آية على وحدانية اللّه تعالى وصدق نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم، وقد قصّ لنا القرآن الكريم على وجه التحذير والتخويف قصص الأمم المشركة المكذبة وماحل بها من الهلاك في الدنيا والعذاب المنتظر لهم في الآخرة، وجعلها سبحانه لنا آيات نعتبر بها، قال تعالى بشأن قوم نوح عندما كذبوا رسولهم: ﴿**قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٨/ ٩٢٤، رقم الحديث: ٤٩٥٨، مرجع سابق.

(٢) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٤١٣، رقم الحديث: ٣٣٤٨، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٦٩٥-٦٩٦، واللفظ له، مرجعان سابقان.

﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[1]، إذاً إهلاكهم بالغرق جعله الله آية يخوف الله سبحانه بها من يتبع طريقتهم .

وقال تعالىٰ بشأن قوم عاد عندما كذبوا هوداً عليه السلام : ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[2] . إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تعرض قصص الأمم المكذبة وماقدّره الله عليهم من العقاب الأليم في الدنيا، والذي جعله سبحانه كما قال في الآيات السابقة آية ، فهذا الهلاك العاجل لهؤلاء المكذبين هو من آيات ودلائل إثبات الوحدانية لله تعالىٰ، فقد حذّرهم الحق تبارك وتعالىٰ من الشرك وتوعدهم بالهلاك إن لم يقلعوا عنه ويتركوه، فلمّا أبوا عاقبهم ودمرّهم سبحانه، وهذا يدل علىٰ حقيقة التوحيد ، ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن ينهج منهج القرآن الكريم فيحذر من الشرك وعواقبه الوخيمة علىٰ أهله، وما أحوج الناس في هذا الزمن إلىٰ هذا الأسلوب ولكن بالقدر اللازم المناسب، وعلىٰ أن يكون استخدام الداعية له مسايراً لاستخدام الترغيب جنباً إلىٰ جنب؛ ليكون المدعو بين الرجاء والخوف[3].

(١) سورة الشعراء: الآيات: ١١٦ ـ ١٢٢ .

(٢) سورة الشعراء: الآيات: ١٣٦ ـ ١٤٠ .

(٣) انظر: عبدالله بن عبدالقادر التليدي، دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون، دارابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولىٰ ، تاريخها: ١٤٢٠هـ: ١٨٩ .

٢ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم :

يشتمل هذا الجانب على : اللين والرفق بالمدعوين، والكلمة الاستعطافية المؤثرة ، والمشاركة الوجدانية وسأتناول كل أسلوب من هذه الأساليب ودوره في إثبات الوحدانية للّه تعالى على النحو التالي :

أ ـ إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال القول اللين في القرآن الكريم:

لتوضيح دور أسلوب اللين في الوصول إلى معرفة الخالق وإثبات الوحدانية له دون سواه، نسرد الآيات القرآنية التي جاءت بعد الأمر الإلهي لموسى وهارون بضرورة الالتزام بلين القول معه حتى إبلاغه الحق وإيراد الأدلة الشاهدة على وحدانية اللّه. يقول تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ﴾(١) .

فلين القول هنا كان أهم الأسباب التي جعلت فرعون يسمع كلام موسى وهارون ويسألهما عن ربهما حتى تمكنا من إيراد الحجج والبراهين الدالة على

(١) سورة طه ، من الآية : ٤٣-٥٤ .

وحدانية اللّه تعالىٰ، ومن ذلك : ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ . يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : «أي أنه يعرف بصفاته فهو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة تطابق المنفعة المنوطة به»(١) .

ومنها : قوله عليه السلام عندما سأله فرعون عن القرون الأولىٰ : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾، أي أن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر اللّه تعالىٰ به، لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب »(٢) .

ومنها : قوله : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، وهذا كله من موسىٰ احتجاج علىٰ فرعون في إثبات الصانع جواباً لقوله : ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ ، وبين أنه إنما يستدل علىٰ الصانع بأفعاله (٣) .

فالقول اللين اللطيف مما ينبغي علىٰ الداعية أن يتحلىٰ به، لكي يوصل كلمة الحق للناس بما في ذلك إثبات الواحدانية لله تعالىٰ علىٰ نحو ما ذكر .

ب - إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال الكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم:

النداءات الاستعطافية في مخاطبة الناس هي قول الداعي : ياأبت ، يابني، ياقوم ، ياأيها الذين آمنوا ، ياأيها الناس ، يابني آدم . وأيضاً قول الداعي للمدعوين : إني أخاف عليكم وماإلىٰ ذلك من الألفاظ الاستعطافية المؤثرة في المخاطبين بقصد استمالتهم، وقد استخدمها القرآن كثيراً، ومن ذلك علىٰ سبيل

(١) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ١٣٧، مرجع سابق .

(٢) انظر : المرجع السابق : ١١/ ١٣٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ١١/ ١٤١ .

المثال لا الحصر في جانب إثبات وحدانية اللّه تعالىٰ قول اللّه تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[1] .

ففي الآيات بيان : كيف أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يستعمل مع أبيه العنف والشدة والغلظة والقسوة رغم إشراكه بالله تعالىٰ، وإنما أورد عليه النصائح والدلائل التي تثبت وحدانية اللّه تعالىٰ بأسلوب هين لين سهل، وصدّر كلاً منها بالنداء الحبيب « ياأبت»، المتضمن للرفق والشفقة، استمالة لقلب أبيه وامتثالاً لأمر ربه « في التخلق بأخلاقه»؛ ليبين لأبيه شدة محبته له ورغبته في صونه عن العقاب وإرشاده إلىٰ الصواب .

قال الزمخشري : « انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصىٰ فيه أمر العقلاء كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وجل، فطلب منه أولاً أن يبين العلة من عبادته لهذه الأصنام ، طلب منبّه علىٰ تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه، وذلك لأن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها. ثم ثنىٰ بدعوته إلىٰ الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل

(١) سورة مريم ، الآيات: ٤١ ـ ٤٥ .

المفرط ولانفسه بالعلم الفائق ولكنه قال : إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليست معك ، فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن بين له أن الشيطان عدو له لايريد به إلا كل هلاك وخزي ونكال . ثم ربّع بتخويفه سوء العاقبة وعما يجره ماهو فيه من التبعة والوبال ، ولم يخل ذلك من حسن الأدب ، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ، ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب ، فذكر الخوف والمس ونكرّ العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أتباعه وأوليائه أكبر من العذاب . وقد صدر كل نصيحة من هذه النصائح الأربع : بقوله : ياأبت توسلاً إليه واستعطافاً »[1] .

فهنا إبراهيم عليه السلام استخدم النداء الاستعطافي (ياأبت) ليصل إلى قلب أبيه لتنويره وتبصيره بواقعه المظلم وماهو فيه من خطر محدق مدللاً على بطلان عقيدته ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ يقول : ماتصنع بعبادة ماهذه صفته ، اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك ، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك ، وإذا نزل بك ضر دفع عنك [2] .

وهكذا كان منهج رسل اللّه وأنبيائه عليهم السلام مع أقوامهم وأبنائهم وأصحابهم ، يستخدمون هذا الأسلوب لإثبات الوحدانية للّه تعالى ، ذكر لنا القرآن الكريم نماذج عدة كان منها أيضاً ماسلكه نبي اللّه يوسف عليه السلام مع أصحابه في السجن فقال : ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن

(١) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٢٣ ـ ٢٤ مرجع سابق .

(٢) انظر : الطبري ، جامع البيان : ٥/ ١٦٠ ، مرجع سابق .

سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

إن يوسف عليه السلام أدرك طبيعة البيئة وقوة العلاقة التي نشأت بينه وبين صاحبيه خلال فترة بقائهم في السجن واستغلها في الدعوة واستثمرها في تصحيح العقيدة ، «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ» . يقول سيد قطب رحمه اللّه تعالى : «مدخل لطيف وخطوة خطوة في حذر ولين، يتوغل في قلبيهما أكثر فأكثر ليوقظ فطرتهما لتجديد التوحيد؛ لأن فيها أصوله وهواتفه وفي الوجود موحياته ودلائله، إنه يتخذ منهما صاحبين ويتحبب إليهما، هذه الصفة المؤنسة ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة « أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» . سؤال يهجم على الفطرة ويهزها هزا شديدا لإبطال عقيدة الشرك وإثبات الوحدانية للّه تعالى »(٢) .

فإذا كان هذا هو منهج الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم من يشرك بالله ـ تعالى الله عما يشركون ـ فإنه جدير بالداعية أن ينهج منهجهم وهو بلا شك منهج مسدد؛ لأن الذي رسمه هو الحق تبارك وتعالى، وهو أعلم بما يناسب النفوس فتستجيب، فهذه الكلمات الاستعطافية هي مفتاح خير ولطف بالمدعو، فيرتاح ويأنس ويقبل على الداعي ويسمع منه، ثم إذا أراد الله به الخير وفّقه وسدّده، فينبغي على الداعية أن يأخذ بالأسباب الشرعية في دعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته، والتي منها هذه الكلمات الاستعطافية التي ذكرناها في النماذج السابقة .

(١) سورة يوسف ، الآيتان : ٣٩-٤٠ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن: ٤/ ١٩٨٩ ، مرجع سابق .

جـ - إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال المشاركة الوجدانية في القرآن الكريم :

أثبت القرآن الكريم الوحدانية للّه تعالىٰ من خلال أسلوب المشاركة الوجدانية فقال تعالىٰ : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

قال ابن كثير في تفسير الآية : «لما كان بينهم (أي الأنصار) من العداوة والبغضاء، فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتىٰ قطع اللّه ذلك بنور الإيمان كما قال تعالىٰ : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢) »(٣) .

هذه الألفة والمحبة والأخوة لم تكن بين الأوس والخزرج بعد الإسلام إلاّ بإرادة اللّه تعالىٰ وقدرته، وهذه آية علىٰ وحدانيته تعالىٰ .

وقد ذكر ابن كثير رحمه اللّه تعالىٰ عن ابن عباس قال : « إن الرحمة لتقطع وإن النعمة لتكفر، وإن اللّه إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ . وذكر رحمه اللّه تعالىٰ أيضاً عن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد : ولقيته فأخذ بيدي فقال : إذا تراءىٰ المتحابان في اللّه فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٤٢٧ ــ ٤٢٨ ، مرجع سابق .

الشجر ، قال عبدة : فقلت له : إن هذا ليسير . فقال : لاتقل ذلك فإن اللّه تعالىٰ يقول : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ . قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني»[1] .

فمما سبق يتضح أن المحبة والألفة التي تنبثق منها المشاركة الوجدانية هي من اللّه وحده، وهي من دلائل وحدانيته عز وجل ، وإذا كان سبب الألفة بين الأوس والخزرج هو الدين الإسلامي، فإن الدين باق، وإنما يحتاج لمن يحييه في النفوس، والمؤهل لذلك هو الداعية الذي يلزمه أن ينهج منهج نبيه محمد ﷺ- الذي كان بتوفيق الله تعالىٰ سبب إزالة الشحناء والبغضاء والعداوة بين المؤمنين الأوائل ـ فيكون سبباً في تآلف المسلمين وتحابهم وتعاونهم فيما بينهم لتتحقق عبادة الله عز وجل وتوحيده، فإذا أخلص الداعية في هذا الأمر فإن الله معه سيعينه وينصره ويعزه ويمكنه كما نصر عباده الصالحين، فالألفة بين المؤمنين من دلائل وحدانية الله تعالىٰ فيوجدها في القلب إذا صحّت من الشحناء والبغضاء وتمكّن منها الإيمان الصحيح، فحري بالداعية أن يحرص علىٰ أن يتّصف بهذه الخصلة الحميدة .

(١) المرجع السابق: ٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

٣ـ إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحاجات وتأمين الخدمات في القرآن الكريم:

هذا الجانب له صورتان :

قضاء الحاجات .

تأمين الخدمات .

وسنتناول دور كل منهما في إثبات وحدانية اللّه تعالىٰ علىٰ النحو التالي :

أ – إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال قضاء حوائج ذوي الحاجات في القرآن الكريم :

قضاء الحوائج يعني : الإحسان إلىٰ ذوي الحاجات ، وبذل المعروف لهم ونصرتهم إذا احتاجوا، ومساعدتهم لتجاوز محنتهم ليعيشوا حياة كريمة .

وهذا الإحسان وذلك المعروف يختلف باختلاف حوائج الناس التي يصعب حصرها . وقضاء الحوائج أمر مطلوب شرعاً حثّ الإسلام عليه وتعبد اللّه تعالىٰ الناس به وقرنه بالتوحيد وعدم الإشراك به سبحانه، قال تعالىٰ : ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾[1] .

أمّا دور قضاء الحوائج في إثبات الوحدانية للّه تعالىٰ، فمن المعلوم أن قاضي الحوائج هو اللّه سبحانه وتعالىٰ وهو الذي جعل البعض من خلقه مقتدراً وسبباً

(١) سورة النساء ، آية : ٣٦

في قضاء حوائج البعض الآخر، قال تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(١) .

يقول ابن كثير في تفسير الآية : «أي من هو الذي لايلجأ المضطر إلاّ إليه، والذي لايكشف ضر المضرورين سواه ؟ وقوله تعالىٰ : ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أي : يقدر علىٰ ذلك أو إله مع اللَّه يعبد ؟ وقد علم أن اللَّه هو المتفرد بفعل ذلك ، وروىٰ رحمه اللَّه عن الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل ـ حكىٰ عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدوقيّ الصوفيّ ـ قال هذا الرجل : كنت أكاري علىٰ بغلٍ لي من دمشق إلىٰ بلد الزبداني فركب معي ذات مرّة رجل فمررنا علىٰ بعض الطريق علىٰ طريق غير مسلوكة فقال لي : خذ في هذه فإنها أقرب . فقلت : لاخبرة لي فيها . فقال : بل هي أقرب، فسلكناها فانتهينا إلىٰ مكان وعر ووادٍ عميق وفيه قتلىٰ كثير . فقال لي : أمسك رأس البغل حتىٰ أنزل، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدني، ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته اللَّه وقلت : خذ البغل بما عليه . فقال : هولي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته اللَّه والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت : إن رأيت أن تتركني حتىٰ أصلي ركعتين ؟ فقال : وعجلّ . فقمت أصلي فارتج عليّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول : هيه افرغ . فأجرىٰ اللَّه علىٰ لساني قوله تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ، وبيده حربة فرمىٰ بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعاً فتعلقت بالفارس وقلت : باللَّه من أنت؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً »(٢) .

---

(١) سورة النمل ، آية : ٦٢ ،

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ، مرجع سابق .

فإجابة المضطر من الحوائج التي تفرد اللّه عز وجل بقضائها، ومن سياق قصة الرجل السابقة تتبين دلالة ذلك على وحدانيته تعالى وتفرده بالقدرة على فعل ماحدث، فالرجل كان في مكان بعيد وليس عنده من ينصره، وعندما لجأ إلى الواحد الأحد بالصلاة وقراءة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾، أرسل اللّه رسوله في لحظات لنصرة هذا الرجل وقتل هذا المجرم، وهذا من دلائل قدرته سبحانه ووحدانيته .

وما الكرامات التي أجراها الحق تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله عليهم السلام وأوليائه الصالحين حينما كانوا في حاجة واضطرار إلاّ آيات على توحيده عز وجل، ومن ذلك إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل كما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال[1]: «حسبي الله ونعم الوكيل»، قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[2]، وقال ابن كثير في تفسيره: إن بعض السلف ذكر أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال: ألك حاجة ؟ فقال: أمّا إليك فلا[3]، فجعل الله تعالى النار برداً وسلاماً عليه. فالله سبحانه جعل في قضاء حوائج هؤلاء الموحدين المحتاجين آيات عظيمة تدل على إرادته الواحدة وتدبيره الواحد وغيرها مما حدث لأولياء الله الكثير. فإذا علم هذا فيلزم الداعية أن يستحضر تلك الكرامات والآيات لتكون له زاداً في مسيرته الدعوية، وعليه أن يذكر بها عند تناول هذه المسائل العقدية المهمة لتقوية الإيمان في النفوس.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٨/ ٢٢٨، رقم الحديث: ٤٥٦٣، مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٤٨، مرجع سابق.

ب – إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال تأمين الخدمات في القرآن الكريم:

نقصد بتأمين الخدمات هنا : توفير الخدمات الضرورية للإنسان والتي من أهمها : الماء والقوت وغيرها، وهذه من نعم اللّه على الإنسان، والتي لايمكن لأحد تعليل وجودها بغير وجود اللّه ووحدانيته .

قال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

فقوله : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي : جعله رزقاً للعباد . وقوله : ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ﴾ أي : بساتين . وقوله : ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي : لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون سواه من الأصنام والأنداد .

وأمّا قوله : ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي : قارة ساكنة ثابتة ، لاتميد ولاتتحرك بأهلها ولاترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة؛ بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لاتتزلزل ولاتتحرك . وقوله : ﴿ وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا﴾ أي : جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها مابين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب مايحتاجون إليه »(٢) .

---

(١) سورة النمل ، الآيتان : ٦٠ـ٦١ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٩٣ـ٤٩٤ ، مرجع سابق.

وقال تعالىٰ : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾[1] .

فهذه النعم التي سخرها اللّه عز وجل خدمة للإنسان لهي من آثار صنعته وعليها آثار التقدير الواحد والتدبير الواحد، وفيها من التناسق المطلق مايجزم بالإرادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد[2] .

وبالتالي تكون هذه الخدمات من النعم التي لاتعد ولاتحصىٰ والتي أوجدها الواحد الأحد من الدلائل علىٰ وحدانية المولىٰ عز وجل ، فهذه النعّم التي تسمىٰ بالخدمات العامة، نعم محسوسة ملموسة علىٰ أرض الواقع، وتدل وترشد المتأمل فيها بموجدها وخالقها، ولهذا نجد القرآن الكريم يحث علىٰ التأمل في خلقها وفي تصريفها، فهي بذواتها دلائل صدق وبراهين حق علىٰ الخالق، فيلزم الداعية أن يولي هذا الجانب المهم اهتمامه وعنايته لغرس العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، ولتصحيح عقيدة من انحرفت فطرته، وللردّ الصحيح علىٰ كل شبهة مغرضة ضد العقيدة والدين .

(١) سورة عبس ، الآيات : ٢٤-٣٢ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٦٠ ، مرجع سابق .

المطلب الثاني

إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة

السنة النبوية المطهرة هي رديفة القرآن الكريم والمبينة له والمفسرة لأحكامه، فهي تطبيق لما فيه من الخير والهدىٰ، وقد كان للسنة النبوية الشريفة دور بارز في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بشكل عام وإثبات الوحدانية لله تعالىٰ بشكل خاص، وقد استخدم المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام في ذلك المنهج العاطفي وبشكل كبير من خلال أساليبه العاطفية المتنوعة، ولبيان ذلك سنتناول أساليب هذا المنهج ونبين دوركل أسلوب في إثبات الوحدانية لله تعالىٰ علىٰ النحو التالي :

١ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي من خلال أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية المطهرة :

يتميز أسلوب الموعظة الحسنة بقوة تأثيره في النفوس ، روىٰ الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال : **(أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي ، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ)** [1] . إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي كان عليه الصلاة والسلام يثبت من خلال الموعظة الحسنة الواحدانية لله تعالىٰ . ولزيادة بيان دور الموعظة الحسنة في إثبات

(١) الترمذي، الجامع الصحيح : ٥/ ٤٣، رقم الحديث : ٢٦٧٦، مرجع سابق . قال عنه الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

الوحدانية لله تعالى فإنه يلزم تناولها من خلال اشكالها المتنوعة على النحو التالي :

أ – إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال الإشارة في السنة النبوية المطهرة :

لقد جاءت الإشارة الحسية الدالة على وحدانية اللّه تعالى على يد رسول الله ﷺ فكانت دليلاً على ذلك ودليلاً أيضاً على صحة رسالتهم ونبوتهم ومن ذلك ما رواه البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عمر : « أن النبي ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلى كل صنم بعصاً وقال ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ (١) . فكان لا يشير إلى صنم إلا سقط من غير أن يمسّه بعصا» (٢) .

فسقوط هذه الأصنام بإشارة المصطفى ﷺ ودون أن يمسها بعصا من آيات وحدانية الله عز وجل وقدرته ولهذا ينبغي على الداعية حينما يتناول موضوع إثبات الوحدانية أن يظهر مثل تلك المعجزات والآيات التي ظهرت على أيدي الأنبياء تدليلاً على وحدانية الله عز وجل لأن إبرازها هو إبراز لقدرة الله سبحانه ومن ثم فإن مثل تلك الآيات العظيمة تثبت العقيدة الصحيحة في النفوس .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٨١ .

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دلائل النبوة ، توثيق وتخريج وتعليق : الدكتور/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤٠٥هـ : ٥/ ٧٢، وقال في الحكم على الحديث : هذا الإسناد وإن كان ضعيفاً فالذي قبله يؤكده، والذي قبله هو حديث البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : «دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً ، فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ : راجع البخاري ، مع شرحه فتح الباري : ٥/ ١٥٠ ، رقم الحديث : ٢٤٧٨ ، وذكرة الهيثمي في المجمع : ٦/ ٢٥٨ ، برقم : ١٠٢٥٣ ، وقال : «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه وفيه عاصم بن عمر العمري وهو متروك وثقه ابن حبان وقال : يخالف ويخطئ وبقية رجاله ثقات» .

ب ـ إثبات الوحدانية لله تعالى من خلال أسلوب التعريض في السنة النبوية المطهرة :

معلوم أن الكهانة والسحر هي مما يضاد التوحيد؛ لأن فيهما ادعاء للغيب وادعاء للنفع والضر، وهذا كله ينافي التوحيد. فالذي يعلم الغيب وينفع ويضر هو الله وحده لا شريك له، وهو المتفرد بذلك سبحانه. وقد أثبتت السنة النبوية المطهرة الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي من خلال أسلوب التعريض حيث ورد في الأخبار التي نقلت عن رسول الله ﷺ أساليب ذمّ لهذه الأعمال تعريضاً بها وإثباتاً لوحدانية الله عز وجل، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن سعيد بن المسيّب : «أن رسول الله ﷺ قضى في الجنين يقتل في بطن أمه بغُرَّة : عبد أو وليدة. فقال الذي قضى عليه : كيف أغرم ما لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل، ومثل ذلك يطل. فقال رسول الله ﷺ : **إنما هذا من إخوان الكهان**» (١). فقول الرسول ﷺ هذا للرجل ورد على سبيل الذّم لمشابهة كلامه كلام الكهنة (٢). وذم الكهنة من رسول الله ﷺ لأنهم يقولون ويفعلون ما يناقض وينافي التوحيد، فذمهم يثبت الوحدانية لله وحده دون سواه.

ومن أقواله أيضاً ﷺ ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل ناس رسول الله عن الكهان فقال : **(ليس بشيء. فقالوا : يا رسول الله، إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً. فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيّ فيقرها في أذن وليّه فيخلطون معها مائة كذبة)** (٣).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٢٦٦، رقم الحديث: ٥٧٥٨، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٢٦٩، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٢٦٦، رقم الحديث: ٥٧٦٢، ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٣٨٥، رقم الحديث: ٢٢٢٧ مرجعان سابقان.

فقول الرسول ﷺ : «**ليس بشيء**» وفي رواية مسلم : «**ليسوا بشيء**» [1] أي ليس قولهم بشيء يعتمد عليه[2] . فادعاؤهم الغيب والنفع والضر . . . إلى غير ذلك من أعمالهم الذميمة كله كذب وخرافة، وهذه الأمور نفاها المصطفى عليه الصلاة والسلام عنهم، وفيها تعريض بإثبات الوحدانية لله تعالى بدلالة علم الغيب، والنفع والضر .

والسحر كذلك ذمّه الرسول ﷺ وحذّر منه فقال : (**اجتنبوا السبع الموبقات: وذكر منها السحر**)[3] . فالموبقات : تعني المهلكات وهي صفة ذمّ[4] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : (**لا عدوى ولا صفر ولاهامة**. فقال أعرابي : يارسول الله ، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الضباء فيخالطها البعير الأجرب فيُجربها ؟ فقال رسول الله ﷺ : **فمن أعدى الأولى؟**)[5] . ومعنى ذلك أن هذه لا تضر بذواتها وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته[6] . فهذا الحديث يثبت الوحدانية لله تعالى من خلال أسلوب التعريض بدلالة جلب النفع ودفع الضرر .

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تبين بأسلوب الذّم ما قد يعتقده بعض الناس من أمور عقائدية، وفي كل ذلك تعريض بإثبات الوحدانية لله تعالى؛ لأنه هو النافع الضار . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٣٨٧، رقم الحديث: ٢٢٢٨ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٢٧٠، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٢/ ٢٢٤، رقم الحديث: ٦٨٥٧، مرجع سابق.

(٤) ابن حجر ، فتح الباري: ١٠/ ٢٨٥، مرجع سابق.

(٥) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٢٩٦، رقم الحديث: ٥٧٧٠، مرجع سابق.

(٦) ابن حجر ، فتح الباري: ١٠/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، مرجع سابق.

رسول . ولهذا يلزم الداعية أن يكون على علم بأساليب اللغة العربية لكي يكون على دراية بمراد النصوص الشرعية وتوظيفها في خدمة الدعوة على أساس عقدي صحيح .

جـ - إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال أسلوب الكناية في السنة النبوية المطهرة :

أما إثبات الوحدانية للّه تعالى في السنة النبوية المطهرة من خلال أسلوب الكناية فمما ورد في ذلك على سبيل المثال ماروواه أبو داود عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : « كنت خلف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوماً ، فقال : **ياغلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ اللّه يحفظك ، احفظ اللّه تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل اللّه وإذا استعنت فاستعن باللّه واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللّه عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** »[1] . ففي الحديث الشريف عدة كنايات تثبت الوحدانية للّه تعالى ، يقول صاحب تحفة الأحوذي في شرح الحديث : « احفظ اللّه » أي : في أمره ونهيه . «يحفظك» أي : يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات ، وفي العقبى من أنواع العقبات والدراكات ، و« احفظ اللّه تجده تجاهك» قال : قال الطيبي : أي : راع حق اللّه وتحر رضاه ، تجده تجاهك ، أي مقابلك وحذاءك . أي : احفظ حق اللّه تعالى حتى يحفظك اللّه من مكاره الدنيا والآخرة »[2] .

---

(١) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٤/ ٥٧٥ -٥٧٦ رقم الحديث : ٢٥١٦ قال عنه الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) الإمام/ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، بشرح جامع الترمذي ، ومعه الجامع المختص من السنن ، ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل ، والشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية ، اعتناء : علي محمد معوض ، وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٩هـ: ٧/ ٢٦٢ .

وهذا الأسلوب « الكناية» عندما اختاره الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم وبدأ به الحديث : « وهو الذي لاينطق عن الهوىٰ » مع ابن عباس وهو يعلمه ويعظه كان صلىٰ اللَّه عليه وسلم يعلم تأثيره في النفوس وشدة وقره في القلوب، وهذه من مميزات الكناية وجمالياتها، وبهذا الأسلوب كذلك استطاع الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يصل إلىٰ أعماق الوجدان لتثبيت العقيدة بها، فمن خلال هذا الأسلوب أثبت المصطفىٰ ﷺ الوحدانية لله تعالىٰ بدلالة الحفظ لمن حفظ أوامره، وأيضاً بدلالة جلب النفع ودفع الضّر حيث لا ينفع ولا يضر إلاّ هو سبحانه وحده دون سواه، وإذا علم ذلك فينبغي علىٰ الداعية أن يكون علىٰ دراية وعلم بأساليب اللغة البلاغية التي منها الكناية لكي يستطيع أن يفهم مراد النصوص الشرعية وليتمكن من استخدامها في دعوته كلما لزم الأمر تمشياً مع نهج القرآن والسنة .

و- إثبات وحدانية اللَّه تعالى من خلال القصة في السنة النبوية المطهرة : -

أسلوب القصة في القرآن والسنة من أنجح الأساليب للتقويم والنصح والإرشاد، ويمتاز بأنه أسلوب حكيم يرشد الناس إلىٰ الخالق الكريم والمبدع الحكيم، ويدعوهم إلىٰ الإيمان الصحيح . وسنورد مثالاً من القصص التي قصها الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم علىٰ أصحابه رضوان اللَّه عليهم، وقد اشتملت هذه القصة علىٰ دلائل وكرامات ساقها اللَّه تعالىٰ علىٰ أيدي أوليائه الدعاة المخلصين لإثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ، وهي كما رواها الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : (**كان ملك فيمن كان قبلكم**

وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ماها هنالك أجمع إن أنت شفيتني فقال : إني لاأشفي أحداً ، إنما يشفي اللّه، فإن أنت آمنت باللّه دعوت اللّه فشفاك ، فآمن باللّه فشفاه اللّه فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال : ولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك اللّه ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيء بالغلام ، فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ماتبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال : إني لاأشفي أحداً ، إنما يشفي اللّه ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب ، فجيء بالراهب ، فقيل له: ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمئشار ، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به

الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك: مافعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللّه ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور ، فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه ، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : مافعل أصحابك؟ قال : كفانيهم اللّه . فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ماآمرك به قال : وماهو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم اللّه رب الغلام ثم ارمني. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم اللّه رب الغلام ثم رماه ، فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام . فأتي الملك فقيل له : أرأيت ماكنت تحذر ؟ قد واللّه نزل بك حذرك ، قد آمن الناس .

فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت ، وأضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها. أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ، ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : ياأمّه اصبري فإنك على الحق»[1] .

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٤٢٠ ، رقم الحديث : ٣٠٠٥ ، مرجع سابق.

ففي الحديث كرامات وردت تدل على وحدانية اللّه تعالى وقدرته وعظمته واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له : (اللهم إن كان أمر الراهب أحب من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس) .

إبراء الأكمه والأبرص ومداواة الناس من سائر الأدواء بإذن اللّه : (إني لا أشفي أحداً إنما يشفي اللّه) .

(اللهم اكفنيهم بما شئت) ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ! اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك! إلى غير ذلك من الكرامات الواردة في الحديث الدالة على قدرة اللّه ووحدانيته .

ولاشك أن من تأمل هذه القصة ومافيها من أحداث تلين القلوب وتخضع النفوس يحصل له من التأثير الوجداني مايحمله على النظر والاستدلال على وحدانية اللّه تعالى ، وهذا من أهداف القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . والقصص النبوي الشريف ورد كثيراً في السنة النبوية المطهّرة ينبغي على الداعية استثماره في تثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب الناس وخاصة ما كان منه يتضمن دلائل التوحيد كالقصة السابقة .

هـ - إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال التذكير بنعم اللّه في السنة النبوية المطهرة :

المؤمن الموحد يشعر بنعمة اللّه عليه في كل شيء حوله ، ويرى في كل ذرة في الأرض أو في السماء منحة من اللّه له ، تيسر له معيشته وتعينه على القيام برسالته في الحياة ، إنه يرى نعمة اللّه في هبة الريح ، وسير السحاب ، وتفجر

الأنهار، وبزوغ الشمس ، وطلوع الفجر ، وضياء النهار ، وظلام الليل، وتسخير الدواب وإنبات النبات .

وكان الرسول ﷺ أشدّ الناس إحساساً بنعم اللّه وفضله في كل شؤونه يفعل ذلك ويطبقه ويرشد إليه إثباتاً لوحدانية اللّه ؛ لأن التوحيد من العبادة بمثابة الطهارة من الصلاة . وقد روىٰ عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل أنه قال : **(إني والجن والإنس في نبأ عظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل وشرهم إليّ صاعد ، أتحبب إليهم بالنعم، ويتبغضون إليّ بالمعاصي)** (١) .

فهذا إنكار من رب العزة والجلال لمن كان هذا طبعه من الإنكار والجحود وكفر النعمة ، وأن الأولىٰ بهؤلاء عبادة اللّه المنعم عليهم والمتفضل بأفضاله الكثيرة عليهم ، روىٰ البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي موسىٰ الأشعري رضي اللّه عنه قال : **قال** النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : **(ما أحد أصبر على أذى سمعه من اللّه يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم)**(٢) .

ذكر ابن حجر رحمه اللّه تعالىٰ أحد الأقوال في شرح الحديث فقال : أن الحديث اشتمل علىٰ صفتي الرزق والقوة الدالة علىٰ القدرة، أما الرزق فواضح من قوله : «ويرزقهم» . وأما القوة فمن قوله : «أصبر»، فإن فيه إشارة إلىٰ القدرة علىٰ الإحسان إليهم مع إساءتهم بخلاف طبع البشر، فإنه لا يقدر علىٰ الإحسان إلىٰ المسيء إلا من جهة تكلفه ذلك شرعاً، وسبب ذلك أن خوف الفوت يحمله

(١) الشيخ / عبد اللّه بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٣٠ ، مرجع سابق .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٣/ ٤٤٠ ، رقم الحديث : ٧٣٧٨ ، مرجع سابق .

على المسارعة إلى المكافأة بالعقوبة، واللَّه سبحانه وتعالى قادر على ذلك حالاً ومآلا لايعجزه شيء ولا يفوته[1] .

ففي الحديث إثبات لوحدانية اللَّه تعالى « بإثبات صفاته » التي بينها الرسول ﷺ من خلال التذكير بنعم اللَّه على خلقه، والتي هي الرزق والمعافاة ، ويؤكد إثبات الوحدانية للَّه تعالى من خلال التذكير بنعم اللَّه عز وجل قول الرسول ﷺ حينما سأله ابن مسعود رضي اللَّه عنه : أيّ الذنب أعظم عند اللَّه ؟ قال ﷺ : «**أن تجعل للَّه نداً وهو خلقك**»[2] .

والشاهد هنا قوله : « **وهو خلقك**»، فإن الخلق والإيجاد دليل على استحقاق اللَّه تعالى بطريق الأولى للإفراد بالعبادة ونبذ الأنداد، وقد قرنه صلى اللَّه عليه وسلم بذكر الشرك ليبين بعظمة دلالته وظهورها عظمة هذا الذنب وظهور قبحه .

روى الإمام أحمد بسنده عن الحارث بن الحارث الأشعري يرفعه : (إن اللَّه عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام ، بخمس كلمات . . . . الحديث) ، وفيه أن يحيى عليه السلام قال لبني إسرائيل : (وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولاتشركوا به شيئاً)[3] .

فرتب الأمر بتوحيد العبادة على نعم اللَّه بتفرده سبحانه بالخلق والرزق .

وروى الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى عن أسماء بنت يزيد : عن النبي ﷺ

---

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٣/ ٤٤١ ، مرجع سابق .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٣/ ٦٠١ ، رقم الحديث : ٧٥٢٠ ، مرجع سابق .

(٣) الإمام أحمد ، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين: ١٣/ ٢٨٨ ، رقم الحديث: ١٧١٠٤ ، قال عنه الشيخ/ الزين: إسناده صحيح، وأخرجه الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ١٣٧ ، رقم الحديث: ٢٨٦٣ ، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب .

قال : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ **ويحكم ياقريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف)**[1] .

فالرسول ﷺ في هذا الحديث يعتب على قريش لعدم عبادتها اللَّه عز وجل، فهو المستحق للعبادة بدليل نعمه عليهم من إطعام وأمن . وهذه آيات بينات على وحدانية اللَّه وفضله وكرمه وجوده التي لم يوجدها إلاّ هو سبحانه وحده دون سواه، وما أكثر نعمه سبحانه فهي لا تحصى بعدد ولا تنتهي بحد، وهي شواهد صدق على موجدها وخالقها، فينبغي على الداعية التذكير بها كونها محسوسة لكل الناس لإحياء الإيمان في القلوب .

و- إثبات وحدانية اللَّه تعالى من خلال أسلوب المدح في السنة النبوية المطهرة:

السنة النبوية المطهرة هي الموضحة والمبينة للقرآن الكريم، وهي المسترشدة بنوره والمطبقة لتعليماته، وقد استخدم الرسول ﷺ المدح والثناء في الدعوة لإثبات وحدانية اللَّه تعالى، فقد مدح ربه عز وجل لأنه المستحق للثناء والمجد .

ومن ذلك على سبيل المثال مارواه البخاري رحمه اللَّه تعالى عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : **(اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك**

(١) أحمد ، المسند بشرح الشيخ / حمزة أحمد الزين : ١٨/ ٦٠١ ، برقم : ٢٧٤٧٩ ، قال عنه الشيخ/ الزين : إسناده حسن .

حاكمت ،فاغفر لي ماقدمت ومأخرت، ومأسررت ومأعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو ولا إله غيرك)[1] .

والرسول ﷺ حينما يحمد ربه ويمدحه ويثني عليه ، لأنه سبحانه هو المستحق للثناء والحمد، وهو بهذا يعلن إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال تعداد صفاته عز وجل التي تمثل التعريف بالرب جل جلاله ، يقول ابن حجر في شرح مفردات هذا الحديث :

قيم السموات : وفي رواية : قيام السموات : القيام : القائم بنفسه بتدبير خلقه المقيم لغيره .

أنت نور السموات والأرض : قيل المعنى أنت المنزه عن كل عيب .

أنت الحق : أي المتحقق الوجود الثابت بلاشك فيه ، وقال القرطبي : هذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة خاص به لاينبغي لغيره، إذ وجوده لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بخلاف غيره [2] .

فمدح الله عز وجل والثناء عليه بذكر صفاته التي منها القدرة والعظمة والعلم والحكمة . . . إلى غير ذلك من صفاته عز وجل هو من الإيمان وإبراز صفاته في الخلق والإيجاد والتدبير والتنظيم لمخلوقاته سبحانه، هي إثبات له سبحانه بالوحدانية، وذكر تلك المخلوقات للتأمل في خالقها من التوحيد ؛ لأنها من آثار صنعته سبحانه ، فهذا كلّه يلزم الداعية أن يكون على دراية به ، وأن يستخدم أسلوب المدح في هذا المجال للدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وعليه أن يلزم نهج نبينا محمد ﷺ في هذا الشأن .

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣/ ٥ ،رقم الحديث : ١١٢٠ ، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٣/ ٦ـ٧ ، مرجع سابق .

ز – إثبات الوحدانية بأسلوب ذمّ الشرك في السنة النبوية المطهرة:

يكفينا شاهداً مارواه البخاري رحمه اللّه عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه : «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : **(جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد)**[1] .

فالرسول ﷺ ذمّ هذه الأصنام قولاً وفعلاً لبيان عجزها وضعفها وخوارها، يقول ابن حجر رحمه اللّه في شرح الحديث : « وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس (فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة بالأرض وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص) وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لاتنفع ولاتضر ولاتدفع عن نفسها شيئاً »[2] .

وجاء في التحفة في معنى قوله تعالى : ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾[3]: أي زال الباطل وهلك؛ لأن الإبداء والإعادة من صفة الحي فعدمها عبارة عن الهلاك ، والمعنى : لايخلق الشيطان ولا الصنم أحداً ولايبعثه ، فالمنشئ والباعث هو اللّه تعالى لا شريك له وهذه الآية أعني « جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد»[4] .

فالرسول ﷺ يهين هذه الأصنام ويردد : « ومايبدئ الباطل ومايعيد » إثباتاً لوحدانية اللّه تعالى .

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٨/ ٢٠ ، رقم الحديث : ٤٢٨٧ ، مرجع سابق .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٨/ ٢٢، مرجع سابق.

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٩ .

(٤) انظر : المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، بشرح جامع الترمذي : ٨/ ٥٥٠ ، مرجع سابق.

لاحظ أثر ذم الأصنام وهدمها وإهانتها وتكسيرها في تغيير أحوال الناس في ثنايا القصة التي وردت في زاد المعاد : « ثم بعث عمرو بن العاص إلىٰ سواع وهو صنم لهذيل ليهدمه ، قال عمرو : فانتهيت إليه وعنده السادن فقال : ماتريد؟ قلت : أمرني رسول اللّه ﷺ أن أهدمه ، فقال : لاتقدر علىٰ ذلك ، قلت : لم؟ قال : تمنع . قلت : حتىٰ الآن أنت علىٰ الباطل ، ويحك فهل يسمع أو يبصر؟ قال : فدنوت منه فكسرته ، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيئاً ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت للّه »[1] . وهذه القصة تثبت عجز تلك الأصنام عن الدفاع عن نفسها . فكيف تنفع عابديها؟

ولهذا كان أسلوب ذم الأصنام وكل مايعبد من دون اللّه تعالىٰ وإهانتها إثباتاً لوحدانية اللّه تعالىٰ ، فيلزم الداعية استخدام هذا الأسلوب بالقدر اللازم ووفق القرآن والسنة .

ح – إثبات وحدانية اللّه تعالى من خلال أسلوب الترغيب في السنة النبوية المطهرة :

روىٰ الترمذي عن أنس رضي اللّه عنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : قال اللّه تعالىٰ : (**يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لاتشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**)[2] .

---

(١) أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق وتعليق : شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة : الثالثة ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٣/ ٣٦٥.

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٧/ ١٨٢ ، برقم : ٢٦٨٧ ، والترمذي ، الجامع الصحيح : ٥/ ٥١٢ ، برقم : ٣٥٤٠ ، واللفظ له .

ذكر شارح كتاب التوحيد أن ابن رجب قال : «من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه اللَّه بقرابها مغفرة . إلىٰ أن قال : فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه للَّه تعالىٰ فيه ، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وبجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ماقد سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية»[1] .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ في معنىٰ الحديث : «ويعفىٰ لأهل التوحيد الذي لم يشوبوه بالشرك مالا يعفىٰ لمن ليس كذلك ، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك باللَّه شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة ، ولايحصل هذا لمن نقص توحيده ، فإن التوحيد الخالص الذي لايشوبه شرك لايبقىٰ معه ذنب؛ لأنه يتضمن محبة اللَّه وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجاءه وحده مايوجب غسل الذنوب ولو كانت قرابة الأرض ، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي»[2] .

ومن الشواهد علىٰ ذلك مارواه الإمام مسلم رحمه اللَّه عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **(من قال أشهد أن لاإله إلا اللَّه لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد اللَّه وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله اللَّه من أي أبواب الجنة الثمانية شاء)** وفي رواية : **(أدخله اللَّه الجنة على ماكان من عمل)**[3] .

وعن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه قال : (كنت رديف النبي ﷺ علىٰ حمار فقال لي : **يامعاذ أتدري ماحق اللَّه على العباد ، وماحق العباد على اللَّه؟** قلت : اللَّه

(١) انظر : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٥٤ ، مرجع سابق .
(٢) المرجع السابق ٥٥ .
(٣) مسلم ، صيحيح مسلم بشرح النووي : ١/ ١٨٣ ، رقم الحديث : ٢٨ ، مرجع سابق .

ورسوله أعلم ، قال : **حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً وحق العباد على اللَّه أن لايعذب من لايشرك به شيئاً** ، قلت : يارسول اللَّه أفلا أبشر الناس ؟ قال : **لاتبشرهم فيتكلوا**)[1] .

«وقد اقتصر هنا على نفي الإشراك ؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم ، إذ من كذب رسول اللَّهﷺ فقد كذب اللَّه ، ومن كذب اللَّه فهو مشرك »[2] .

ومن دلائل التوحيد الواردة في السنة النبوية المطهرة من خلال الترغيب : إخباره ﷺ في حديثه الشريف الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ : (**أن رجلاً أذنب ذنباً فقال : رب إني أذنبت ذنباً ، أو قال : عملت عملاً ذنباً فاغفره فقال عز وجل : عبدي عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنباً آخر أو أذنب ذنباً آخر ، فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره ، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي . ثم عمل ذنباً آخر أو أذنب ذنباً آخر فقال : رب إني عملت ذنباً فاغفره** . فقال : **علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ، فليعمل ماشاء**)[3] .

وروىٰ الإمام أحمد رحمه اللَّه كذلك عن أبي ذرّ رضي اللَّه عنه أنه قال : أتيت رسول اللَّه ﷺ فقال : « **مامن عبد قال لاإله إلا اللَّه ثم مات على ذلك إلاّ**

(١) المرجع السابق : ١/ ١٨٧ ، رقم الحديث : ٣٠ .

(٢) انظر : عبد الرحمن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٣٠، مرجع سابق .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٣/ ٥٦٩ ، رقم الحديث : ٧٥٠٧، مرجع سابق .

دخل الجنة ، قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : **وإن زنا وإن سرق** ، قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : **وإن زنا وإن سرق** . ثلاثاً ثم قال في الرابعة : **على رغم أنف أبي ذرّ** »[1] .

فمن الأحاديث السابقة يتبين أن الرسول ﷺ أخبر أن الذي يغفر الذنوب المتفرد بتكفير السيئات هو اللّه وحده لاشريك له ، وهذا دليل عظيم على وحدانية اللّه عز وجل، جاء على وجه الترغيب في خبر الرسول ﷺ وهو الذي لاينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى .

وهذا الأسلوب أيضاً من الأساليب المهمة في إثبات الوحدانية لله تعالى يتعين على الداعية أن يهتم به لما لاستخدامه في الدعوة من نتائج إيجابية تتمثل في الاستجابة؛ لأن النفس البشرية مفطورة على حبّ الخير سواء كان عاجلاً أو آجلاً .

ط- إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال أسلوب الترهيب في السنة النوبية المطهرة :

مرّ في المطلب الأول بيان أن الله عز وجل أرسل رسله إلى الأمم السابقة فمنهم من كفر وأصرّ على شركه وعبادة غير الله ـ تعالى الله عما يشركون ـ فأهلكم سبحانه نتيجة عصيانهم هذا ، وذكرنا أن من فوائد قصص هؤلاء التي وردت في القرآن هو التحذير من فعلهم والابتعاد عن نهجهم لكي لا يحل بمن اتبعهم ما حلّ بهم من العقاب والهلاك في الدنيا وما سيلحقهم من العذاب في الآخرة، وقلنا إن هلا ك هؤلاء هو آية ودليل على وحدانية الله عز وجل، ولهذا

(١)مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٧٢، برقم: ١٥٤/ ٩٤، وأحمد في المسند شرح حمزة الزين: ١٥/ ٥٣٦، برقم: ٢١٣٥٨، واللفظ له. قال عنه الشيخ الزين: إسناده صحيح .

حذّر الرسول ﷺ أمته من الشرك وجعله أكبر الكبائر وأمر بقتل من بدّل دينه، كل هذا للترهيب والتخويف من هذا الظلم العظيم.

وإن في استقراء التاريخ والوقوف على سير هؤلاء المشركين يجد أن سنة الله فيهم جارية، فبالرغم من أن الله تعالى حذر المشركين من قريش على سبيل المثال من الشرك وأنهم إن لم يرعووا وينتهوا عن طغيانهم فإن مصيرهم الخزي والندامة في الدنيا والآخرة، وقد حّل بهم الذّل والصغار في الدنيا حيث نصر الله عز وجل نبيه ﷺ وأظهره عليهم. فكان ذلك الواقع المحسوس شاهد صدق على وحدانية الله تعالى، فهو مقلب القلوب ومغيّر الأحوال، وهو الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ولهذا حذّر الرسول عليه الصلاة والسلام من الشرك على وجه الترهيب والتخويف فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً) ؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**. . . الحديث)[1].

وجعله رسول الله عليه الصلاة والسلام من المهلكات فقال: (**اجتنبوا السبع الموبقات**، وذكرمنها: **الإشراك بالله**)[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: (**من بدّل دينه فاقتلوه**)[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي يرّهب المصطفى ﷺ بها من الشرك ومن عاقبته، لأنه أقبح

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٥/ ٣٢٢، رقم الحديث: ٢٦٥٤، مرجع سابق.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص: ٢٢٤.

(٣) المرجع السابق: ١٣/ ٤١٤ـ٤١٥، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ سورة الشورى آية: ٣٨، ذكره تعليقاً، ورواه النسائي في السنن: ٧/ ١٠٤، رقم: ٤٠٥٩، ٤٠٦٠، ٤٠٦١، ٤٠٦٢، ٤٠٦٣، ٤٠٦٥، كتاب التحريم، باب الحكم على المرتد، والهيثمي في الزوائد: ٦/ ٣٩٩، برقم: ١٠٥٧٣، وقال: الحديث رواه الطبراني ورجاله ثقات.

أنواع المعاصي وأشنعها وأخطرها وأشدها ضرراً في الدنيا والآخرة، ولأن صاحبه جافى الواقع وناهض الحقيقة واقترف أبشع أنواع الشطط وتنكر لأعظم حقوق الله عز وجل، فهو معرض نفسه على خطر عظيم، وهلاك كبير، ولهذا يلزم الداعية الاهتمام بهذا الجانب المهم فالتوحيد هو أساس العقيدة وبدونه لا تصح العبادة، وهو قاعدة متينة للمسلم ينبغي على الداعية تقويتها بعرض دلائل التوحيد التي منها العواقب الوخيمة التي حلت بأهل الشرك والعناد ترهيباً وتخويفاً من هذا الذنب العظيم لترسيخ الإيمان في النفوس.

٢ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى بالمنهج العاطفي من خلال الرحمة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة:

إن هذا الجانب ـ جانب الرأفة والرحمة بالمدعوين ـ له صور عديدة منها :

أ ـ القول اللين اللطيف ولين الجانب .

ب ـ الكلمة الاستعطافية .

جـ ـ المشاركة الوجدانية .

ولزيادة إيضاح وبيان دور هذا الجانب في إثبات الوحدانية لله تعالىٰ سنتناول كل صورة من صوره المذكورة علىٰ حدة ونبيّن دورها في إثبات هذا الجانب العقدي المهم علىٰ النحو التالي :

أ ـ إثبات الوحدانية لله تعالى من خلال القول اللين في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ القول اللين مع المدعويين ليثبت من خلاله وحدانية الله تعالىٰ فقد ذكر ابن حجر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن ابن خزيمة قال : حدثنا رجاء العذري حدثنا عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين ، حدثني أبي عن أبيه عن جده أن قريشاً جاءت إلىٰ الحصين وكانت تعظمه فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم فجاؤوا معه حتىٰ جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ فقال : «**أوسعوا للشيخ**» وعمران وأصحابه متوافرون ، فقال حصين : ماهذا الذي بلغنا عنك؟ إن تشتم آلهتنا وتذكرهم وقد كان أبوك حصيناً خيراً فقال : (**ياحصين إن أبي وأباك في النار ، ياحصين كم تعبد من إله**) قال : «سبعاً في الأرض وواحداً في السماء قال : (**فإذا أصابك الضر من تدعو؟**) قال الذي في

السماء. قال: (**فإذا هلك المال من تدعو؟**) قال: الذي في السماء. قال: (فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟) أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال: «ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلم مثله. قال: «**ياحصين أسلم تسلم**». قال: إن لي قوماً وعشيرة فماذا أقول؟ قال: (**قل اللهم إني استهديك لأرشد أمري، وزدني علماً ينفعني**) فقالها حصين. فلم يقم حتى أسلم، . . فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: «**قوموا فشيعوه إلى منزله**)[1].

فالشاهد من هذه القصة أن الرسول ﷺ، استقبل الحصين استقبالاً طيباً وألان له في القول، وناقشه وحاوره حواراً حسناً لطيفاً وأثبت له من خلال ذلك وحدانية الله عز وجل فأسلم.

ب- إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال الكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة:

إن الكلمة الاستعطافية قد وردت في السنة الشريفة في مقام الدعوة، وخاصة في جانب إثبات الوحدانية للهَّ تعالى، نورد منها على سبيل المثال مارواه البخاري رحمه اللّه تعالى عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره[2]: « أنه حين حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فوجد عنده أبا

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٥هـ: ٢/ ٧٦ـ ٧٧، وأحمد، المسند بشرح حمزة الزين: ١٥/ ٩٤، رقم الحديث: ١٩٨٧٧، وقال عنه الزين: إسناده صحيح، والهيثمي، مجمع الزوائد١٠/ ٢٨٩، رقم الحديث: ١٧٤١٣، وقال عنه: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) الحديث سبق تخريجه، ص: ١١٤.

جهل بن هشام وعبد اللَّه بن أبي أميّة بن المغيرة، قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لأبي طالب: « ياعم قل لاإله إلا اللَّه كلمة أشهد لك بها عند اللَّه » ، فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أميّة : يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول اللَّه ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتىٰ قال أبو طالب آخر ماكلمهم : هو علىٰ ملة عبد المطلب وأبىٰ أن يقول لاإله إلا اللَّه . فقال رسول اللَّه ﷺ : أما واللَّه لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل اللَّه تعالىٰ فيه : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ (١) .

يقول ابن حجر رحمه اللَّه تعالىٰ في الحديث : جواز زيارة القريب المشرك وعيادته، وأن الكافر إذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب لأن الإسلام يجب ماقبله(٢) .

والشاهد من الحديث هو قول الرسول ﷺ : « ياعم»، وهي من الكلمات الاستعطافية التي كان الرسول ﷺ يريد منها الدخول إلىٰ قلب عمه لينقذه من النار بشهادة لاإله إلا اللَّه؛ لأن في ذلك إثباتاً لوحدانية اللَّه تعالىٰ، يقول شارح كتاب التوحيد : «لا إله إلا اللَّه دلت علىٰ نفي الإلهية عن كل ماسوىٰ اللَّه تعالىٰ كائناً ماكان، وإثبات الإلهية للَّه وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه القرآن من أوله إلىٰ آخره»(٣) .

فخلاصة القول أن الكلمة الطيبة استخدمت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لإثبات وحدانية اللَّه تعالىٰ وتمكين العقيدة في النفوس، فكانت نعم

(١) سورة التوبة ، آية : ١١٣ .

(٢) انظر : ابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٢٤٦، مرجع سابق .

(٣) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٤٠ مرجع سابق .

المدخل ونعم البداية، ولهذا يلزم الداعية أن يتحبب للناس بمثل تلك الكلمات اللطيفة اقتداء برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

جـ - إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال المشاركة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة :

المشاركة الوجدانية من الروابط النفسية التي تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام مع أهل العقيدة الإسلامية وركائز الإيمان والتقوىٰ ، وهي تولد في نفس المدعو أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار وصدق الاستجابة ، وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في الدعوة إلىٰ اللّه تعالىٰ بأشكاله وصوره المختلفة ، ولعل أبرز استخدامات المصطفىٰ ﷺ لهذا الأسلوب مايلي :

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار : فكان لكل رجل من الأنصار أخ من المهاجرين :

وهذا العمل من أول الأعمال التي قام بها رسول اللّه ﷺ بعد الهجرة واستمر يجددها بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلىٰ المدينة(١) .

قال السهيلي : «آخىٰ الرسول ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل اللّه سبحانه : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٢) .

(١) ابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٣٣٨، مرجع سابق.

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٧٥.

أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١) .

يعني في التواد وشمول الدعوة (٢) .

وذكر محمد بن إسحاق المؤاخاة فقال : قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه بعد أن هاجر : (**تآخوا في اللّه أخوين أخوين**) ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : «هذا أخي »، فكان رسول اللّه ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، والذي ليس له خطير ولانظير من العباد وعلي بن أبي طالب أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسد اللّه وأسد رسوله وعم رسول اللّه ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول اللّه ﷺ أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين . . . . الحديث»(٣) .

وذكر ابن عبد البر أن المؤاخاة كانت مرتين : مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار ، وهي المقصودة هنا ، ومع أن بعض العلماء أنكر المؤاخاة الأولى إلا أن البعض أكدها ورد على من أنكرها بأنه غفل عن حكمتها، وهي أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي؛ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأن زيداً

(١) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .

(٢) عبد الرحمن بن عبد اللّه السهيلي ، الروض الأنف ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة : ١٣٩٨هـ : ٢/ ٢٥٢ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٣/ ٢٤٠ ، وانظر : ابن هشام، السيرة النبوية : ٢/ ١٠٤ ، والترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٥٩٥، برقم: ٣٧٢٠، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب ، وانظر كذلك ابن حجر، فتح الباري: ٧/ ٢٣٨، مراجع سابقة .

مولاهم فقد ثبت أخوتهما وهما من المهاجرين [1] .

وقد ضرب الأنصار في هذه الأخوة مثلاً رائعاً في المشاركة الوجدانية بكل صورها وأشكالها وبكل معانيها الإيمانية ، أخرج البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أنيس رضي اللّه عنه أنه قال : «قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخىٰ النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ـ وكان كثير المال ـ فقال سعد : قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقهما حتىٰ إذا حلت تزوجتها ، فقال عبد الرحمن : بارك اللّه لك في أهلك» .

« وفي رواية : ومالك أين سوقكم ، فدلوه علىٰ سوق بني قينقاع »[2] .

فلم يرجع يومئذ حتىٰ أفضل شيئاً من سمن وأقط ، فلم يلبث إلا يسيراً حتىٰ جاء رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم وعليه وضر من صفرة . فقال له رسول اللّه ﷺ : « مَهْيَم؟» قال : تزوجت امرأة من الأنصار ، قال : «ماسقت فيها ؟» قال وزن نواة من ذهب ـ أو نواة من ذهب ـ فقال : « أو لم ولو بشاة »[3] . وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : « قالت الأنصار : أقسم بيننا وبينهم النخل ، قال : «لا» قال : « يكفوننا المؤونة ويشركوننا في الثمر » قالوا : سمعنا وأطعنا»[4] .

وفي البداية والنهاية أن رسول اللّه ﷺ قال للأنصار : **(إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم** ، فقالوا : أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول ﷺ :

---

(١) انظر : ابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٣٣٨ـ٣٣٩ ، مرجع سابق .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٧/ ١٤٢ ، رقم الحديث : ٣٧٨٠ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٧/ ١٤٢ ، رقم الحديث : ٣٧٨١ .

(٤) المرجع السابق : ٧/ ١٤٣ ، رقم الحديث : ٣٧٨٢ .

أو غير ذلك ؟ قالوا : وماذاك يارسول اللّه ؟ قال : **هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر** قالوا : نعم)[1] .

يالها من مشاركة لم تقتصر على الوجدان ؛ بل تعدتها إلى أبعد من ذلك بكثير حتى تقاسموا الأموال والدور وطلقوا بعض زوجاتهم ليتزوج بهن إخوانهم المهاجرون[2] .

وقد أحس المهاجرون بهذا الحب والإيثار لدرجة أنهم خافوا أن يذهب الأنصار بالأجر كله ، وعرضوا ذلك على رسول اللّه ﷺ، أخرج الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى أن أنس بن مالك قال : (قالت المهاجرون : يارسول اللّه مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير ، ولا أحسن مواساة في قليل ، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : كلا ما أثنيتم عليهم به ودعوتم اللّه عز وجل لهم)[3] .

فهذه المشاركة الوجدانية الإيمانية الصادقة والسمو في الروابط لم تكن إلا من اللّه عز وجل ، هو الذي أوجدها في القلوب ، فكانت دليلاً على الوحدانية للّه تعالى ، كيف لا؟ وعليها قام علم الجهاد وانتشر الإسلام ، وتوطدت أقدام الأمة يثبت ذلك المصطفى ﷺ في قوله للأنصار : (**يامعشر الأنصار: ألم أجدكم ضلالاً**

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٣/ ٢٤٢ ، والبخاري بنحوه . انظر : صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٧/ ١٤٣ ، رقم : ٣٧٨٢ ، مرجعان سابقان .

(٢) عبد اللّه الجار اللّه ، الأخوة الإسلامية وآثارها ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٤٠٩هـ : ٩٥ .

(٣) الإمام أحمد ، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين ، ١١/ ٩٤ ، برقم : ١٣٠٥٥ ، قال عنه الشيخ/ الزين : إسناده صحيح ، وهو عند الترمذي ، في الجامع الصحيح : ٤/ ٥٦٣ ، برقم : ٢٤٨٧ : وقال عنه : هذا حديث حسن غريب .

فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي؟..الحديث)[1].

فخلاصة القول أن ماحصل من ألفة ومحبة بين قبائل الأنصار أنفسهم، وما بينهم من جهة وبين المهاجرين من جهة أخرىٰ هو من الله الواحد الأحد سبحانه ولولا إرادة الله عز وجل لما حصل هذا التقارب والتألف بين القلوب وفي هذا دليل علىٰ وحدانية الله تبارك وتعالىٰ.

٣ـ إثبات وحدانية اللّه تعالى بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحوائج وتأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة.

أ- إثبات الوحدانية للّه تعالى من خلال قضاء الحوائج في السنة النبوية المطهرة:

من الدلائل علىٰ وحدانية اللّه تعالىٰ الواردة في السنة الشريفة من خلال قضاء الحوائج، مارواه الإمام البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: (عن رسول اللّه ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم فقال: كفىٰ باللهّ شهيداً. قال: فأتني بالكفيل، قال: كفىٰ باللّه كفيلاً. قال: صدقت فدفعها إليه إلىٰ أجل مسمىٰ. فخرج في البحر فقضىٰ حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلىٰ صاحبه، ثم زجج [2] موضعها، ثم أتىٰ بها إلىٰ البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفىٰ باللّه كفيلاً، فرضي بك. وسألني شهيداً فقلت: كفىٰ باللّه شهيداً، فرضي بك، وإني

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠٦.

(٢) زجج: أي: سوىٰ موضع النقر وأصلحه، (انظر: ابن حجر، فتح الباري: ٤/ ٥٩٤، مرجع سابق.

جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: واللَّه مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن اللَّه قد أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشداً)[1].

هذا الحديث لايحتاج إلى شرح ولاتعليق، فهو من آيات قدرة اللَّه الواحدة وإرادته الواحدة ومشيئته الواحدة وتدبيره الواحد، فهو من دلائل الوحدانية للَّه تعالى التي أجراها اللَّه عز وجل من خلال قضاء الحوائج، وهذا ما يلزم الداعية استحضارها في إثبات هذا الجانب العقدي المهم بهذا الأسلوب المؤثر في النفوس.

ب - إثبات الوحدانية للَّه تعالى من خلال تأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا أن تأمين الخدمات يتحقق بتوفير مايحتاجه المجتمع من خدمات اجتماعية متنوعة: دفاعية، وأمنية، وتعليمية، وصحية، واقتصادية، وغير ذلك من الخدمات، وقد منّ اللَّه تعالى على عباده بهذه الخدمات وجعلها آيات بينات على وجوده ووحدانيته؛ لأنه الموجد لها وفي سبيل تحقيق هذه أظهر اللَّه

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٤/ ٥٩١، رقم الحديث: ٢٢٩١، مرجع سابق

تعالىٰ آيات ومعجزات خارقة للعادة . ولايمكن تعليل حصولها بغير وجود اللّه عز وجل ووحدانيته .

ولايمكن في هذا المقام حصر هذه الدلائل لكل المجالات الخدمية ، وإنما سنتناول البعض منها كنموذج لبقية المجالات الآخرىٰ .

فمن ذلك علىٰ سبيل المثال : مايتعلق بالمجال الاقتصادي وتوفير الحياة المعيشية الكريمة لأفراد المجتمع المسلم بتأمين الخدمات الضرورية وأهمها الماء والغذاء .

أخرج أبو داود رحمه اللّه تعالىٰ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : « شكا الناس إلىٰ رسول اللّه ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلىٰ ووعد الناس يوماً يخرجون فيه . قالت عائشة : فخرج رسول اللّه ﷺ حين بدأ حاجب الشمس فقعد علىٰ المنبر فكبر صلىٰ اللّه عليه وسلم وحمد اللّه عز وجل ثم قال : « إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم اللّه عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم » ثم قال : «الحمد للّه رب العالمين، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » لاإله إلا اللّه يفعل مايريد ، اللهم أنت اللّه لاإله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلىٰ حين، ثم رفع يديه فلم يزيد في الرفع حتىٰ بدا بياض إبطيه ، ثم حوّل إلىٰ الناس ظهره وقلب ـ أو حوّل ـ رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل علىٰ الناس ونزل فصلىٰ ركعتين، فأنشأ اللّه سبحانه وتعالىٰ سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن اللّه، فلم يأت مسجده حتىٰ سالت السيول، فلما رأىٰ سرعتهم إلىٰ

الكنّ ضحك ﷺ حتىٰ بدت نواجذه فقال: « أشهد أن اللّه علىٰ كل شيء قدير وأني عبد اللّه ورسوله»(١).

وروىٰ الإمام البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: (أصاب أهلَ المدينة قحطٌ علىٰ عهد رسول اللّه ﷺ فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال: يارسول اللّه، هلكت الكراع، هلكت الشاء، فادع اللّه يسقينا، فمدّ يده ودعا، قال أنس: وإن السماء كمثل الزجاجة: فهاجت ريح أنشأت سحاباً ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتىٰ أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلىٰ الجمعة الأخرىٰ، فقام إليه ذلك الرجل ـ أو غيره ـ فقال: يارسول اللّه: تهدمت البيوت فادع اللّه يحبسه. فتبسم ثم قال: «**حوالينا ولاعلينا**» فنظرت إلىٰ السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل)(٢).

فهذه الآيات التي أرسلها اللّه تعالىٰ هنا وفي كل جزئيات هذا المبحث تثبت الوحدانية للّه تعالىٰ، حيث يظهر عليها آثار التقدير الواحد والتدبير الواحد مايجزم بالإرادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد.

وخلاصة القول في نهاية هذا المبحث هو: تبيّن استخدام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للمنهج العاطفي في إثبات الوحدانية لله تعالىٰ، وهذا مما ينبغي علىٰ الداعية أن يعلمه ليستخدمه في دعوته للناس لثبوت نجاحه؛ لأنه يعتمد علىٰ الكتاب والسنة، ولأنه يتضمن أساليب عديدة متنوعة يفيد تنوعها في

(١) أبو داود، السنن: ١/ ٤٨٣، رقم الحديث: ١١٧٣، والألباني، صحيح سنن أبي داود: ١/ ٣٢٠، رقم الحديث: ١١٧٣، وقال عنه: حسن.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٧١٨، رقم الحديث: ٣٥٨٢، مرجع سابق.

تشويق وترغيب المدعو لأن يسمع أكثر، وكلما سمع أكثر كلما كان التأثر وارداً، وبالتالي الاستجابة لداعي الحق عز وجل، ثم إن هذا التنوع أيضاً يفيد في تأكيد ثبوت هذا الجانب العقدي المهم الذي تبنى عليه العقيدة الصحيحة، كما أن تنوع أساليب هذا المنهج أيضاً يشمل شريحة كبيرة من الناس؛ لأنه بهذه الأساليب ينزل إلى معظم مستويات المخاطبين، فمن الناس من يستجيب بالإشارة والكناية والتعريض، ومنهم من يستجيب بالتذكير بنعم الله تعالى، ومنهم من يستجيب بالقصة، وآخر بالترغيب، وغيرهم بالترهيب، وسواهم بقضاء الحاجات وتأمين الخدمات وهكذا.

المبحث الثاني

إثبات النبوة في الكتاب والسنة

ويشتمل على توطئة ومطلبين:

المطلب الأول : إثبات النبوة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إثبات النبوة في السنة النبوية المطهرة .

توطئة :

تعريف النبوة :

النبوة : هي الرفعة والشرف ومنها النبي ، وسمي بذلك لرفعة محله عن سائر الناس[1] . قال تعالىٰ : ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[2] .

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها : إنباء اللَّه لعبده، ونبي اللَّه من كان اللَّه يوحي إليه وينبئه [3] .

الفرق بين النبي والرسول :

الأنبياء والرسل هم الذين اصطفاهم اللَّه تعالىٰ من بني البشر يحملون دعوته لعباده ، يبشرون من آمن منهم باللَّه وعمل صالحاً بحسن الثواب والمكافأة في الحياة الدنيا والآخرة ، وينذرون من كفر وعمل سيئاً بالعقاب وسوء المصير .

قال تعالىٰ : ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[4] .

والأنبياء والرسل يتلقون العلم عن اللَّه بطرق شتىٰ ، منها : الإلقاء في الروع ، والسماع المباشر من ملك يتمثل في صورة بشرية ، والرؤيا الصادقة أثناء النوم أو غير ذلك من الحالات الروحية التي لايدركها غير نبي . ويسمىٰ هذا

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ٤٨٤ ، مرجع سابق .

(٢) سورة مريم ، آية : ٥٧ .

(٣) ابن تيمية ، النبوات : ١١ ، مرجع سابق .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٤٨ .

الأسلوب التعليمي المخالف للسنن العادية وحياً [1] ، وقد تكون النبوة قاصرة على صاحبها ويسمى حينئذٍ نبياً .

وقد تكون مقترنة بتكليف تقويم سلوك جماعة من الناس ، فيسمى هذا التكليف رسالة ويدعى صاحبها رسولاً وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً[2] .

خصائص النبوة :

النبوة فضل إلهي يؤتيها اللّه تعالى لمن يشاء من عباده . فهي لاتنال بالعقل ولا تدرك بالكسب وكثرة الطاعة ، ولايحصل عليها بالوراثة ، قال تعالى : ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[4] . والدعوة التي يقوم بها الأنبياء لاتصدر عن ذكائهم أو من تأملهم للوضع المتردي الذي يعيش فيه مجتمعهم ، أو من شعورهم الدقيق الحساس وإن كانوا متمتعين بالعقل والذكاء والإحساس المرهف . . . . لاشيء من ذلك وحده يحثهم على الاندفاع المتفاني للإصلاح ، وإنما مصدر مايفعلون هو الوحي

---

(١) انظر : عفيف عبد الفتاح طبّارة ، مع الأنبياء في القرآن الكريم ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة : التاسعة عشرة ، تاريخها : ١٤١٦هـ : ١٢ .

(٢) انظر : ابن تيمية ، كتاب النبوات : ١١ ، وانظر كذلك : حافظ حكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، ضبط وتعليق : عمر محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الدمّام ، الطبعة الثانية ، تاريخها : ١٤١٥هـ : ٢/ ٦٧٥ ، وانظر : محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة : الثامنة ، تاريخها : ١٣٩١هـ : ٤٧ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٧٥ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .

الإلهي ، لهذا لايقاسون أبداً بالحكماء أو الزعماء أو المصلحين أو العباقرة، قال تعالىٰ : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾(١) .

لذلك لايخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية ، ولايعظ قومه حسب الأوضاع الاجتماعية بل وفق مايمليه عليه الوحي الإلهي، وقد أمر اللّه رسوله محمداً أن يخاطب قومه : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾(٢) .

وظيفة النبوة أو الحكمة من إرسال الرسل (٣) :

وظائف النبوة تتلخص في ثلاثة أمور :

١ ـ الدعوة إلى الإيمان باللّه تعالى ووحدانيته :فالإيمان باللّه فطرة في النفس الإنسانية، فكل إنسان يجد نفسه مسوقاً إلىٰ قوة أرفع من قوته ولكن الناس اختلفوا في تحديد تلك القوة ، فمنهم من فسرها بالقوىٰ الطبيعية من شمس وقمر ورياح، وبعضهم تمثلها بأصنام من صنعه، وآخرون فسروها بغير ذلك. فجاء الأنبياء مصححين لهذه الضلالات مرشدين الناس إلىٰ الاعتقاد بوجود اللّه ووحدانيته ومايجب أن يعرف من صفاته، وأن حق اللّه علىٰ عباده أن يعظموه تعظيماً لايشوبه تفريط، وأن يسلموا وجوههم وقلوبهم إليه، وأن يعبدوه عن طريق العبادات المشروعة من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من العبادات التي جاء وا بها من عند اللّه عز وجل.

---

(١) سورة النحل ، آية : ٢.

(٢) سورة يونس ، آية : ١٥.

(٣) انظر : محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي :٤٨ ـ ٥٠ ، وانظر كذلك : عفيف عبدالفتاح طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم :١٥ ، مرجعان سابقان.

٢ ـ الإيمان باليوم الآخر : وهذا من أصول الدين ومن وظائف النبوة؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لايصل إلىٰ إدراك حقيقتها العقل بدون هداية الأنبياء . ومن لوازم الإيمان باليوم الآخر أن القيامة حق ، والبعث بعد الموت حقّ ، والجنة حقّ، وعذاب النار حقّ . والاعتقاد بوجود حياة أخرىٰ أفضل من هذه الحياة، يكافأ فيها الإنسان المحسن بالعدل والإحسان ممّا يدخل العزاء والطمأنينة إلىٰ النفوس . وكذا الاعتقاد بوجود حياة أخرىٰ يحاسب فيها الإنسان علىٰ مااقترفت يداه هذا كلّه يولّد في الإنسان الوازع الذي يدفعه إلىٰ الخير ويحجزه عن الشر .

٣ ـ تبيان الشرائع : وذلك بإرشاد الناس إلىٰ الفضائل التي فيها سعادتهم في الدارين بواسطة الشرائع يتلقونها من اللّه ، فالناس لايستطيعون التوصل بعقولهم إلىٰ جميع الفضائل والسير بموجبها؛ لأن عوامل غرائزهم ومصالحهم وشهواتهم متفاوتة ، فالشر قد يكون في نظر البعض خيراً إذا كان لهم فيه غنم وفائدة وقد يتركون الخير إذا كان لايرضي مصالحهم وأهواءهم الخاصة .

ولاشك أن تحديد الأعمال الحسنة والسيئة وبيان نفعها وضررها وثوابها وعقابها يولد في الإنسان عامل الترغيب في إتيان الخير والترهيب من إتيان الشر .

وإن إرسال الرسل إلىٰ البشر يقطع علىٰ الظالمين طريق الأعذار ولايدع لهم حجة يتذرعون بها بأن اللّه لم يبين لهم طريق الهدىٰ الذي ينبغي أن يسيروا عليه هذه الحقيقة أعلنها القرآن الكريم : ﴿**رُسُلاً مُّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾(١) .

وعلىٰ هذا جرت سنة اللّه في خلقه أن لا يعاقب أحداً إلاّ بعد أن يبعث رسولاً قال تعالىٰ : ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾(٢) .

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٥ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

عدد الأنبياء والرسل :

الأنبياء والرسل كثيرون، أمّا الذين ذكرهم القرآن فهم خمسة وعشرون يجب الإيمان بهم تفصيلاً وهم :

آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحق، يعقوب، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسىٰ ، هارون ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيىٰ ، عيسىٰ ، محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وهناك رسل آخرون لم ترد أسماؤهم في القرآن الكريم، ولكن أشار اللّه إليهم في قوله : ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾(١) .

والأنبياء ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة ، بل قد فضل اللّه بعض النبيين علىٰ بعض، قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾(٢) .

ومن الرسل من وصفهم القرآن الكريم « بأولي العزم »، وهم الذين أمر اللّه عز وجل رسوله محمد ﷺ بالاقتداء بهم في جهادهم بقوله :

﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾(٣) .

وإنما سموا بأولي العزم لأن عزائمهم كانت قوية وابتلاؤهم كان شديداً، وجهادهم كان شاقاً، وهم : نوح ، إبراهيم ، موسىٰ ، عيسىٰ ، عليهم السلام .

ومحمد ﷺ من أوّل أولي العزم ، فهو أكثر الأنبياء جهاداً وصبراً وتضحية، كما أن اللّه خصه بالثناء والإكرام وبما لم يخص به نبيّاً قبله، وأرسله

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٥٥ .

(٣) سورة الأحقاف ، آية : ٣٥ .

كافة بينما أرسل الأنبياء السابقين إلىٰ أممهم خاصة، قال تعالىٰ مخاطباً رسوله محمد ﷺ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

كما أن الرسول محمداً ﷺ هو خاتم النبيين قال تعالىٰ : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٢) .

وجوب الإيمان بالأنبياء :

لقد مرّ معنا في مدخل هذا الفصل أن الإيمان بالرسل من أصول الدين ومن أركان الإيمان قال تعالىٰ : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٣) .

ومن كفر بنبي من النبيين الذين ذكرهم القرآن الكريم فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾(٤) .

معجزات الأنبياء :

يجب علىٰ كل مؤمن أن يعتقد أن اللّه تعالىٰ قد أيّد أنبياءه وأمدهم من عنايته الإلهية بالمؤيدات التي لم تعهدها العقول من قبل، ليثبتوا بها للناس صدقهم فيما

(١) سورة سبأ ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

(٤) سورة النساء ، الآيتان : ١٥٠ ـ ١٥١ .

يدعـون إليـه، وأنـهم مـرسلون من عند اللّه، وهذه المؤيدات يطلق عليـهـا لفظ معـجزات أو آيات أو بينات [1] ، لأنها أفعال فوق مقدور البشر وخارجة عن نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم، كـما أنها مخالفة للسنن الخاصة بالمادة والقوانين الطبيعية المألوفة وأكثر الألفاظ تداولاً لفظ « معجزات»، وسميت كذلك لأنها أفعال يعجز البشر عن فعل مثلها ، وعرفها العلماء بأنها : الأمر الخارق للعادة يجريه اللّه على يد رسول من عنده ليقيم به الدليل على صدق نبوته . وهذه المعجزات ممكنة في ذاتها ، والعقل لايمنعها ، والدليل على ذلك حدوثها . فقد قام رجال وادعوا أنهم رسل اللّه وتحدوا أممهم بما أظهروه من هذه الخوارق ورآها الناس عياناً وآمن بها الكثير عبر التاريخ .

فالنبي يبلغ أمته الهدي الذي أمره اللّه بتبليغه، فمن الناس من تكون فطرته سليمة فيتقبل الحق إذا شعّ نوره، ومنهم من فسدت فطرته فيتعامى عن الحق وعن نور الهداية عناداً واستكباراً ، لذلك اقتضت حكمة اللّه أن يؤيد رسله بالبرهان الذي به يخرس لسان المكابرين والمعاندين ويقطع أعذارهم ويقيم الحجة عليهم .

والمعجزة لاتأتي عن طريق ممارسة علوم ومزاولة أسباب يمكن تعاطيها كما هو الحال في السحر الذي له أسباب وقواعد يمكن للبعض أن يتعلمها فيصدر منه السحر الذي يشبه خوارق العادات وهو ليس منها [2] .

---

(١) انظر : ابن تيمية ، النّبوّات : ٣١٠ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٤٣٩ .

وهناك أمور خارقة للعادة يجريها اللّه على أيدي بعض الصالحين ولاتقترن بدعوى النبوة ويطلق عليها اسم الكرامة ، كما حدث للسيدة مريم عليها السلام إذ كانت تأتيها في مصلاّها فاكهة الصيف شتاءاً والعكس ، وكانت تهز النخلة بعد ولادتها عيسى فيساقط عليها رطباً جنيا ولم يكن عليها ثمر من قبل[1] .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى أن كرامات الأولياء معجزات لنبيهم وتعتبر من آيات نبوته ، ومثل لذلك بما حدث لأبي مسلم الخولاني وغيره مما جرى لهذه الأمة من الآيات ، ومثل ماكان يظهر على أيدي الحواريين وعلى يد موسى وأتباعه[2] .

أنواع المعجزات : [3]

ومعجزات الأنبياء أنواع : منها معجزات كونية كانفجار الماء من الحجر حينما ضربه موسى بعصاه حين استسقاه قومه ، وكتظليل الغمام على بني إسرائيل في التيه ، وكانشقاق البحر لموسى عليه السلام وانحسار الماء عنه حتى مشى فيه مع بني إسرائيل ونجوا من فروعون .

ومنها : أخبار غيبية كإنباء عيسى قومه بما يأكلون ومايدخرون في بيوتهم .

ومنها : ماهو مخالف للقوانين الطبيعية كالنار التي أراد بها الكافرون إحراق إبراهيم فكانت عليه برداً وسلاماً .

---

(١) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٦٥ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : ابن تيمية ، النبوات : ٢٠٢ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : عفيف عبدالفتاح طبّارة ، مع الأنبياء في القرآن الكريم : ٢٢ ، مرجع سابق .

ومنها : معجزات طارئة أخرىٰ تحصل بقدر الحاجة إليها .

وقد اقتضت حكمة اللّه تعالىٰ أن تكون معجزة كل رسول مما هو شائع بين القوم المرسل إليهم ليكون ذلك أبلغ في تأييد الرسول وأقوىٰ في الإلزام، كمعجزة عيسىٰ عليه السلام في إحياء الموتىٰ لما كان عليه اليهود من إنكار الروح . وكمعجزة موسىٰ عليه السلام وهي العصا التي أصبحت حيّة وبلعت عصي السحرة وحبالهم لما برع فيه المصريون إذ ذاك من السحر .

أمّا معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين ودليله الذي تحدىٰ به المكذبين لرسالته فهو أمر من جنس ما ادعاه ووثيق الصلة برسالته التي أُمِرَ من الله بتبليغها للناس كافة، وذلك هو القرآن وحده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولهذا عجز العرب وهم أهل اللسان والبلاغة والفصاحة علىٰ أن يأتوا بسورة من مثله حين تحداهم ﷺ به .

القرآن معجزة محمد صلى اللّه عليه وسلم :

ظلت المعجزات علىٰ هذا النمط حتىٰ بلغت البشرية سن الرشد وبدأ نضوجها العقلي، فتحققت إرادة اللّه عز وجل أن يأتي برسالته إلىٰ خلقه علىٰ يد رسوله محمد ﷺ فأيده بالمعجزة العقلية الخالدة، ألا وهي القرآن الكريم المعجز بأسلوبه وبلاغته وبما يحتويه من هدىٰ وعلوم ومعارف، الذي تحدىٰ به محمد ﷺ العرب أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وهم الذين اشتهروا بالفصاحة والبراعة في فنون القول .

ومعجزة محمد ﷺ تتميز عن المعجزات السابقة بأنها معجزة باقية خالدة مدىٰ الدهر في متناول يد أي قارىء وباحث وأي طالب للحقيقة، بينما معجزات الأنبياء وقائع انقضت ، رآها الذين عاصروا الأنبياء ولم يرها الذين جاءوا من

بعدهم، وإنما وصلت إليهم سماعاً ورواية، وذلك مما يضعف تأثيرها على المتأخرين وخصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشبهات على الأديان[1] .

ولهذا كان موقف الإسلام من المعجزات هو صرف الناس عن طلبها وردهم إلى التأمل والتفكر في موضوع رسالة الإسلام وماتضمنته من الهدى المتمثلة في القرآن الكريم ، لقد طلب بعض المرتابين في رسالة محمد ﷺ بعض المعجزات فكان ردّ اللّه تعالى عليهم أن ينظروا في القرآن ومافيه من هدي ودلائل عقلية على أنه وحي إلهي [2] .

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] .

ومع أن القرآن الكريم هو أبدع آيات جميع الأنبياء، وأروع علامات نبوتهم، فإن اللّه عز وجل قد أيّد محمداً ﷺ بما لم يؤيد به أحداً من العالمين، وخصه من خصائصه بما يفوق حد كرامات الأنبياء ومراتب الأولياء، فكانت علامات نبوته أكثر من علامات نبوة غيره من الأنبياء، وآيات رسالته أعظم من آيات رسالة غيره من المرسلين، وما ذاك إلاّ لعلو منزلته عند اللّه عز وجل[4] .

---

(١)انظر : تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح تحقيق : علي بن حسن بن ناصر وآخرين، دارالعاصمة، الرياض، الطبعة : الثانية، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٥/ ٤٢٠ .

(٢) انظر : عفيف عبد الفتاح طبّارة ، مع الأنبياء في القرآن الكريم : ٢٣ ، مرجع سابق

(٣) سورة العنكبوت ، الآيتان : ٥٠ـ٥١ .

(٤) انظر : أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني ، دلائل النبوة، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولى، تاريخها : ١٤٠٩هـ : ١٥٨ وانظر كذلك : البيهقي ، دلائل النبوة : ١/ ١٠ مرجع سابق.

ولقد جاءت دلائل النبوة في الكتاب والسنة كثيرة ومتنوعة ومفصلة ربما أكثر من غيرها من مسائل الاعتقاد ، ذلك أنها هي المستند العام لسائر مسائل الاعتقاد ودلائلها ، فإذا ثبتت النبوة وجب عقلاً قبول سائر مايخبر به النبي عن اللّه تعالىٰ واليوم الآخر وسائر الأمور الغيبية ، لذلك كانت دلائل النبوة من أعظم الطرق عند السلف لمعرفة اللّه تعالىٰ وإثبات وحدانيته كما تقدم في المبحث الأول من هذا الفصل .

ولما كانت النبوة من أصول الاعتقاد بهذه المثابة تكفل اللّه تعالىٰ بنصب الآيات والبراهين الدالة عليها بما لايبقىٰ معه من آيات صدقه مايميزه عن الكذابين والدجالين ، فكان ذكر البينات مع ذكر الإرسال في القرآن الكريم معاً ، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[1] . وقال تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾[2] .

والبينات جمع بينة ، وهي الآية الواضحة الدالة علىٰ صدق الرسول .

وسوف نتناول في هذا المبحث إثبات النبوة بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة لأنبياء اللّه عليهم السلام مركزين علىٰ نبوة محمد ﷺ ، وسيكون ذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : إثبات النبوة بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : إثبات النبوة بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة .

---

(١) سورة الحديد ، آية : ٢٥ .

(٢) سورة غافر ، آية : ٨٣ .

المطلب الأول

إثبات النبوة بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم

سنتناول في هذا المطلب إبراز دور أساليب المنهج العاطفي في إثبات النبوة وفق الأتي :

١ ـ إثبات النبوة من خلال أسلوب الموعظة الحسنة وأشكالها المختلفة في القرآن الكريم : ـ

الموعظة الحسنة من أهم أساليب المنهج العاطفي، ومن خلالها أثبت المولى عز وجل النبوة وصدق الرسالة، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(١) . يقول القرطبي رحمه اللّه تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم﴾ : أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ماأنتم فيه . وقوله : ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ : أي بخصلة واحدة ، « أَن تَقُومُوا لِلَّهِ » القيام إلى طلب الحق « مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ » : أي وحداناً ومجتمعين ، «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ» : أي تتفكروا هل جربتم على صاحبكم كذباً أو رأيتم فيه جنّة أو في أحواله من فساد أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر أو تعلم الأقاصيص وقرأ الكتب أو عرفتموه بالطمع في أحوالكم أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة ، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعانده؟(٢) .

« ويجوز أن يكون المعنى : ثم تتفكروا فتعلموا مابصاحبكم من جنة ، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأرزنهم حلماً وأثقبهم ذهناً وآصلهم رأياً وأصدقهم

(١) سورة سبأ ، آية : ٤٦ .

(٢) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ١٩٩ ، مرجع سابق .

قولاً وأنزههم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به، فكان مظنّة لأن تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب، وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين »[1].

ولتمام إبراز دور الموعظة الحسنة في إثبات النبوة نتناول ذلك من خلال إبراز دور أشكالها المختلفة حسب الترتيب التالي :

أ – إثبات النبوة من خلال الإشارة في القرآن الكريم :

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه اللّه تعالى عن الإشارة ودلالتها في كتابه النبوات : « الإخبار تارة يكون بالقول وتارة يكون بالعمل ، كما يعلم الرجل غيره بالإشارة بيده وعينه ورأسه وغير ذلك وإن لم يتقدم بينهما مواضعة لكن يعلم قصده ضرورة ، والإشارات التي هي أعمال بالأعضاء تدل دلالة ضرورية تعلم من قصد الدال كما يدل القول، وقد تكون أقوى من دلالة القول، وهذه الأدلة العيانية هي أقوى من وجه ولكن ليس فيها من السعة للمعاني الكثيرة مافي الأقوال»[2].

والإشارة في القرآن الكريم تعتبر من دلائل النبوة قال تعالى : ﴿ **فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾[3].

ففي هذه الآيات أحالت مريم عليها السلام القوم على ابنها المولود بالإشارة

(١) انظر: الزمخشري ، الكشاف : ٥/ ١٣٠ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : ابن تيمية ، النبوات: ٣٠٦ ، مرجع سابق .

(٣) سورة مريم ، الآيات: ٢٧ـ ٣٠.

ليسألوه عن قصته وأن يسمعوا منه الجواب عن توبيخهم إياها، وقد فهموا ذلك من إشارتها [1].

يقول الإمام الشوكاني رحمه اللّه تعالىٰ في مقصود مريم عليها السلام من هذه الإشارة : « إن اقتصارها علىٰ الإشارة للمبالغة في إظهار الآية العظيمة وأن هذا المولود يفهم الإشارة ويقدر علىٰ العبارة »[2].

وقد أنكر عليها القوم بعدما فهموا إشارتها وقالوا : «**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**» لكن اللّه عز وجل أظهر آية نبوة عيسىٰ عليه السلام في هذا الموضع بأن فهّمه إشارة أمه وأنطقه : « **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**» .

يقول الإمام النسفي رحمه اللّه تعالىٰ : « ولما أسكتت بأمر اللّه لسانها الناطق واكتفت بالإشارة ، أنطق اللّه لها اللسان الساكت حتىٰ اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم ، وروي أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع : «**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**»[3].

« **آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**» : هذا الكلام فيه إثبات للنبوة، يقول البغوي رحمه اللّه تعالىٰ في معنىٰ الآية : « أي سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً . وقيل هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ »[4].

وخلاصة القول : أن فهم الإشارة من قبل عيسىٰ عليه السلام وهو مولود في المهد معجزة ودليل علىٰ نبوته بدليل أنه أجاب القوم وهو في المهد ونطق وهي

---

(١) انظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ١٦/ ٩٧ ، مرجع سابق .

(٢) الشوكاني ، فتح القدير : ٣/ ٣٥٦، مرجع سابق .

(٣) الإمام النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣/ ٥٥ مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق : ٣/ ٥٦ .

شاهدنا هنا ، ثم إنه أخبر بأن اللّه عز وجل سيؤتيه الكتاب ويجعله نبياً، وهذه علوم غيبية لايعلمها إلاّ نبي علمه اللّه، فكانت معجزة أخرىٰ ناتجة عن فهم الإشارة ، دالة أيضاً علىٰ صدق النبوة وصدق الرسالة .

ومن دلالات الإشارة علىٰ صدق النبّوة ما ذكره المفسرون في قوله تعالىٰ : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(١) .

يقول القاسمي رحمه الله تعالىٰ في تفسيرها : «وقد أشار كثير من المفسرين إلىٰ أن قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ عني به ما عجله من إهلاكهم . كما روىٰ ابن إسحاق عن عروة : أن عظماء المستهزئين كانوا خمسة نفر وكانوا ذوي أسنان في قومهم : من بني أسد أبوزمعة ، كان النبي ﷺ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه . فقال : اللهم اعم بصره وأثكله ولده ، ومن بني زهرة الأسود ، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة ، ومن بني سهم العاص بن وائل ، ومن خزاعة الحارث ، فلمّا تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالىٰ : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ إلىٰ قوله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ . قال ابن إسحاق عن عروة : إن جبريل أتىٰ رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله إلىٰ جنبه ، فمر به الأسود فأشار إلىٰ بطنه فاستسقىٰ بطنه فمات منه . ومرّ به الوليد فأشار إلىٰ أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين فانتفض به فقتله . ومرّ به العاص بن وائل فأشار إلىٰ أخمص قدمه فخرج علىٰ حمار يريد الطائف فربض علىٰ شبرقه ، فدخلت في أخمص قدمه . ومرّ به الحارث فأشار

(١) سورة الحجر ، الآيات : ٩٤-٩٦ .

إلىٰ رأسه فامتخط قيحاً فقتله»[1]. فإشارة جبريل عليه السلام هذه علىٰ هؤلاء المستهزئين التي أودت بحياتهم من دلائل نبوة محمد ﷺ، لأن هذا الفعل لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، وهذا ما ينبغي أن يفطن له الداعية ويبرزه في إثبات هذه المسألة العقدية المهمة.

ب – إثبات النبوة من خلال اسلوب التعريض في القرآن الكريم:

التعريض هو مايفهم من سياق الكلام بالتلويح، وقد ورد في القرآن الكريم كثيراً ومن أمثلته الدالة علىٰ إثبات النبوة قوله تعالىٰ: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾[2].

يقول ابن عاشور في تفسير الآيات: «ألقىٰ الكلام إليهم في صورة استفهام فيه تعريض بأن الشياطين لم تتنزل بالقرآن علىٰ محمد ﷺ وإنما تنزل علىٰ الكهنة الأفاكين، ولما كان حال الكهان قد يلتبس علىٰ ضعفاء العقول ببعض أحوال النبوءة في الإخبار عن غيب أطنبت الآية في بيان ماهية الكهانة وبينت أن قصارها الإخبار عن أشياء قليلة، فأين هذا من هدي النبي ﷺ والقرآن ومافيه من الآداب والإرشاد والتعليم والبلاغة والفصاحة والصراحة والإعجاز»[3].

ويقول القاسمي رحمة اللّٰه عليه أيضاً في تفسير الآيات السابقة موضحاً صدق نبوة محمد ﷺ وثبوتها: «بيّن اللّٰه سبحانه في الآيات استحالة تنزل

(١) القاسمي، محاسن التأويل: ٦/ ٣٤٦، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٧٣٥، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٤١ـ ٤٢. و الألوسي روح المعاني: ١٤/ ١٢٦ـ ١٢٧ وقال الألوسي: هذا الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١ـ ٢٢٣.

(٣) انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: ١٩/ ٢٠٥ـ ٢٠٧، مرجع سابق.

الشياطين على رسول اللّه بعد امتناع تنزلهم بالقرآن ، لأن تنزلهم لايكون إلاّ عند استعداد قبول النفوس لنزولها بالمناسبة في الخبث والكيد والمكر والغدر والخيانة وسائر الرذائل ، فمن تجرد عن صفات النفس وترقى إلى جناب القدس وتنورت نفسه بالأنوار الروحية ومصابيح الشهب السبوحية وأشرق عقله بالاتصال بالعالم الأعلى ، فلا يمكن للشياطين أن يتنزلوا عليه ولا أن يتلقفوا المعارف والحقائق والشرائع . فإنهم معزولون عن استماع كلام الملكوت الأعلى مرجومون بشهب الأنوار القدسية . وقوله « هل أنبئكم » تقرير بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1] ، لأن الإفك والإثم من لوازم النفوس الكدرة الخبيثة المظلمة السفلية المستمدة من الشياطين بالمناسبة المستدعية لإلقائهم وتنزلهم بحسب الجنسية»[2] .

وذكر الألوسي رحمه اللّه تعالى في تفسير قوله : « **تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** » .

« كُلِّ » هنا معناها التكثير والإحاطة . ثم قال ولا بعد تنزلها على كل كامل في الإفك والإثم كالكهنة والمراد بالتخصيص في معرض البيان أو السياق قصر تنزلهم على كل من اتصف بما ذكر من الصفات وتخصيص له بهم لايتخطّاهم إلى غيرهم ، وهذا فيه تعريض بتنزه ساحة الرسول ﷺ عن أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف ، ومن ثم يتضح استحالة تنزل الشياطين عليه عليه الصلاة والسلام [3] .

وكذلك أثبت المولى عز وجل النبوة بأسلوب التعريض : وذلك بتنزيهها عن الصفات الذميمة وكشف وبيان وإجلاء هذه الخصال التي يتصف بها بعض

---

(١) سورة الشعراء ، آية : ٢١١ .

(٢) انظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٤٧٨ ، مرجع سابق .

(٣)انظر : الألوسي ، روح المعاني : ١١/ ٢٠٩ ، مرجع سابق .

المخلوقين كما في قوله تعالى : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

يقول القاسمي رحمه اللّه في تفسير هذه الآيات : « هذه الآيات فيها استئناف مسوق لإبطال ماقالوا في حق القرآن من أنه من قبيل الشعر، وأن رسول اللّه ﷺ من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه الصلاة والسلام. ثم قال رحمه اللّه تعالى : فكيف يتوهم أن يتبعهم « أي الشعراء » في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الأمور المذكورة، من اتصف بمحاسن الصفات الجليلة ، وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة، وحاز جميع الكمالات القدسية، وفاز بجملة الملكات الأنسية، مستقراً على المنهاج القويم، مستمراً على الصراط المستقيم ، ناطقاً بكل أمر رشيد، داعياً إلى صراط العزيز الحميد ، مؤيداً بمعجزات قاهرة ، وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصفوف المعارف الزاهرة ، مستقلة بنظم رائق، أعجز كل منطيق ماهر ، وبكت كل مغلق ساحر»[2].

ومما سبق يتبين أن اللّه عز وجل استخدم أسلوب التعريض في إثبات النبوة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم المشتمل على كل أنواع الأساليب البيانية، ففي الآيات السابقة بيّن اللّه عز وجل أحوال الأنبياء وأحوال الكهنة والشعراء بالتصريح والتعريض؛ لأن معرفة الأحوال لكل منهم طريق لمعرفة النبوة وإثباتها[3].

(١) سورة الشعراء ، الآيات: ٢٢٤ـ٢٢٦.

(٢) انظر : القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٤٧٩ ، مرجع سابق.

(٣) انظر : ابن تيمية ، النبوات : ٤٩، مرجع سابق .

ولهذا ينبغي على الداعية أن يهتم بالأساليب البيانية التي هي من معجزات القرآن الكريم لكي يساعده ذلك على فهم المراد من النصوص الشرعيّة؛ لأن هذه المسائل العقدية مهمة وإثباتها يحتاج إلى ذلك العلم وتعلمه بالنسبة للداعية من باب أولى .

جـ - إثبات النبوة من خلال أسلوب الكناية في القرآن الكريم:-

لقد مرّ معنا أن الكناية : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، وقد وردت في القرآن الكريم لإثبات النبوة كثيراً منها قوله تعالى : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(١) . كناية عن صدق نبوة محمد ﷺ وصحة رسالته . يقول ابن عاشور رحمه اللّه تعالى في معنى هذه الآيات : « والمقصود من نفي الجنون عنه إثبات ماقصد المشركون نفيه وهو أن يكون رسولاً من اللّه؛ لأنهم لما نفوا عنه صفة الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون فإذا نفي مازعموه فقد ثبت ماادعاه »(٢) .

ويقول الإمام الشوكاني رحمة اللّه تعالى في تفسير الآية : ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(٣) : أي أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة اللّه التي هي النبوة والرياسة العامة والآية رد على الكفار حيث قالوا : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(٤) .

وذكر الرازي أن من المسائل في تفسير هذه الآيات مارواه ابن عباس : أنه عليه الصلاة والسلام غاب عن خديجة إلى حراء فطلبته فلم تجده فإذا به ووجهه

---

(١) سورة القلم ، الآيات : ١ ـ ٢ .

(٢) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ٢٩/ ٦١ ـ ٦٢ ، مرجع سابق.

(٣) الشوكاني ، فتح القدير : ٥/ ٢٨٧ ، مرجع سابق .

(٤) سورة الحجر ، آية : ٦ .

متغير بالغبار فقالت له: مالك ؟ فذكر نزول جبريل عليه السلام وأنه قال له : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1] ، فهو أول مانزل من القرآن قال : ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ ، وتوضأت ، ثم صلى وصليت معه ركعتين ، وقال هكذا الصلاة يامحمد ، فذكر عليه الصلاة والسلام ذلك لخديجة فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال : أرسلي إليّ محمداً ، فأرسلته فأتاه ، فقال له : هل أمرك جبريل عليه السلام أن تدعو إلى اللّه أحداً ؟ فقال : لا ، فقال : واللّه لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصراً عزيزاً، ثم مات قبل دعاء الرسول ، ووقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش ، فقالوا إنه لمجنون ، فأقسم اللّه تعالى على أنه ليس بمجنون»[2] .

ثم قال أمّا قوله تعالى : « بنعمة ربك » فيدل على أن نعم اللّه تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب ، والإنصاف بكل مكرمة ، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون، فاللّه نبّه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم له إنه مجنون »[3] .

ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[4] .

يقول ابن عاشور في تفسيرها : « ونفي أن يكون شاعراً أو كاهناً بطريق الكناية عند قصد رد أقوالهم . أي كنى بنفي أن يكون قول شاعر أو قول كاهن

---

(١) سورة العلق ، آية : ١ .

(٢) الرازي ، التفسير الكبير : ٣٠/ ٧٠ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٣٠/ ٧٠ .

(٤) سورة الحاقه ، الايتان : ٤١ ـ ٤٢ .

عن تنزيه النبي ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً ، ردّاً لقولهم : هو شاعر أو هو كان »[1] .

ويقول الزمخشري في تفسير قوله : «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ» : دليل على أنه محمد ﷺ وليس جبريل كما ورد عند البعض ، لأن المعنى على إثبات أنه رسول، لاشاعر ولاكاهن [2] .

فالحاصل أن الكناية وردت في الآيات السابقة وأريد بها إثبات نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته وصحة خبره وتنزهه عن الشعر والكهانة .

وبهذا تكون الكناية كذلك من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والتي يتعيّن على الداعية فهمها والمراد منها ليعينه ذلك على فهم وإدراك هذه المسائل المهمة التي نوّع الحق تبارك وتعالى أساليب إثباتها .

د – إثبات النبوة من خلال القصة في القرآن الكريم:

لقد كانت دعوة الرسل إلى الإيمان بهم مقرونة بما يدل على أنهم مرسولون من عند اللّه تعالى بدلائل توصل إلى اليقين بصدقهم، وتميزهم عن المفترين الذين يريدون إضلال الناس ويدعون ماليس لهم، وكانت دلائل نبوة الأنبياء أكثر من أن تحصى كما ذكرها القرآن الكريم في قصص هؤلاء الأنبياء .

أمّا دلالة نبوة محمد ﷺ من خلال القصة في القرآن الكريم فتتمثل في ما أخبر اللّه به رسوله محمداً ﷺ من قصص هؤلاء الأنبياء وغيرهم من الأولياء والصالحين، وكذلك إخباره سبحانه نبيه ﷺ بأحوال وقصص الأمم السابقة

(١) ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير : ٢٩/ ١٤٢ ، مرجع سابق.

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٦/ ٢٠٣ ، مرجع سابق.

المكذبة والطغاة والملحدين والمتكبرين، لأن ذلك كله من علم الغيب الذي لايعلمه إلاّ نبي علمه اللّه عز وجل أو أخذه عن نبي ومحمد ﷺ لم يأخذ عن أحدٍ من الأنبياء، ولهذا فإن هذا القصص وهذه الأخبار تقدم أعظم دليل على أن مايأتي به محمد ﷺ هو وحي إلهي، وقد أشارت بعض الآيات إلى هذه الحكمة في مقدمات بعض القصص ومن ذلك :

قصة يوسف عليه الصلاة والسلام حيث قال تعالى قبل إيراد القصة : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١)، ثم أورد القصة : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. (٢) إلى آخر سورة يوسف حيث ختمت بقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وأحياناً يشير القرآن الكريم في نهاية القصة إلى هذه الحكمة، فمثلاً أورد القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام في سورة هود فقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف، آية : ٣.

(٢) سورة يوسف، آية : ٤..

(٣) سورة يوسف، آية : ١١١.

(٤) سورة هود، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧.

ثم قال في نهاية القصة : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

كما يقول جلّ شأنه في سورة القصص في سبيل دلالة ما في القرآن من أنباء القرون الأولىٰ علىٰ أنه من عند الله وعلىٰ أن محمداً رسوله : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢).

ويوضح هذه الدلالة الشيخ السعدي رحمه اللّه تعالىٰ في تعليقه علىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٣)، فيقول : « والمقصود : أن المجريات التي جرت لموسىٰ عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن فقصصتها كما هي من غير زيادة ولانقص ، لايخلو من أحد أمرين :

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها أو ذهبت إلىٰ محلها فتعلمتها من أهلها فحينئذٍ قد لايدل ذلك علىٰ أنك رسول اللّه، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقن أنه ماكان وماصار ، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك فتعين الأمر الثاني ، وهو أن هذا جاءك من قبل اللّه ووحيه وإرساله »(٤).

---

(١) سورة هود ، الآية : ٤٩.

(٢) سورة القصص الآيات : ٤٤-٤٦ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٤٤.

(٤) الشيخ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٦/ ٤٧ . مرجع سابق .

ثم قال تعالىٰ في الآية التي بعدها : ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ....﴾[1] ، يقول الزمخشري في تفسير ذلك : « أي ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلىٰ عهدك قروناً كثيرة « فتطاول » علىٰ آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم «العمر» أي أمر انقطاع الوحي ، واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم، فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسىٰ عليهم السلام فكأنه قال : وماكنت شاهداً لموسىٰ وماجرىٰ عليه ولكنا أوحينا إليك »[2].

وخلاصة القول إن القصة لها دور كبير في إثبات النبوة كما بين ذلك المولىٰ عز وجل في الآيات السابقة وعلمه المفسرون رحمهم اللّٰه تعالىٰ ووضحوه في كتبهم؛ لأن كل ماورد في قصص القرآن من علوم غيبية وأخبر بها اللّٰه تعالىٰ نبيه ﷺ هي من أعظم الدلائل علىٰ صدق نبوته، وأن هذه الأخبار وحي من اللّٰه عز وجل حيث لايعلمها إلا نبي علمه اللّٰه تعالىٰ، فليزم الداعية فهم ذلك لأنه من أوضح الدلائل علىٰ نبوة محمد ﷺ .

هـ- إثبات النبوة من خلال التذكير بنعم اللّٰه في القرآن الكريم : -

نعم اللّٰه تعالىٰ علىٰ خلقه كثيرة لاتعد ولاتحصىٰ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[3] ، وهذه النعم تختلف درجاتها باختلاف المخلوقين .

ولعل أبرز هذه النعم علىٰ الأنبياء عليهم السلام هي نعمة الاصطفاء والاختيار إلىٰ جانب نعم : الحفظ ، والرعاية ، والكفاية ، والعصمة ، إلىٰ غير ذلك .

---

(١) سورة القصص ، آية : ٤٥ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ١/ ٥١ ـ ٥٩ ، مرجع سابق .

(٣) سورة النحل ، آية : ١٨ .

أمّا أبرز نعم اللّه تعالىٰ علىٰ خلقه من سوىٰ الأنبياء فتتمثل في هدايتهم إلىٰ الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله ، والعمل بمقتضىٰ هذا الإيمان علىٰ الطريقة التي رسمها اللّه تعالىٰ لهم بواسطة رسله عليهم السلام .

وإن تذكير الناس بهذه النعم في القرآن الكريم يعد من أساليب إثبات النبوة وصدق الرسالة ، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال ماورد في شأن محمد ﷺ في قوله تعالىٰ : ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ**﴾[1] .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآيات : « عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيه وابتداء نشئه ، ترشيحاً لما أراد به ، ليقيس المترقب من فضل اللّه علىٰ ماسلف منه لئلا يتوقع إلاّ الحسنىٰ وزيادة الخير والكرامة »[2] .

ويقول البغوي رحمه اللّه تعالىٰ في تفسير الآية : ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ**﴾ : أي كنت ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها[3] . وهذه الأخبار التي جاءت تذكر بنعم الله تعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ تتضمن إثبات النبوة .

ومن دلائل النبوة أيضاً التي جاءت في القرآن الكريم من خلال التذكير بنعم اللّه تعالىٰ قوله : ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[4] .

---

(١) سورة الضحىٰ ، الآيات : ٦ ـ ٨ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٦/ ٣٩٢ ، مرجع سابق .

(٣) أبو الحسن بن مسعود الفرّاء البغوي ، معالم التنزيل ، المطبوع مع تفسير الخازن ، ضبط وتصحيح : عبدالسلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٥هـ : ٦/ ٤٤٦ .

(٤) سورة الشرح ، الآيات : ١ ـ ٤ .

يقول الزمخشري في معنى الشرح وعلاقته بإثبات النبوة : « استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار فأفاد إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شرحنا لك صدرك . ومعنى شرحنا صدرك : فسحناه حتى وسع عموم النبوة ودعوة الثقلين جميعاً أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم»(١) .

ويقول الشيخ القاسمي في تفسير قوله تعالى : «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» : «أي بالنبوة وفرض الاعتراف برسالته وجعله شرطاً في قبول الإيمان وصحته »(٢) .

« وبفضل النبوة كان الذكر في الآية محمول على الذكر في مجامع العبادة ومشاهدها ، فلا تكاد ترى مشهداً من مشاهد الإسلام إلاّ وهو كذلك ، فلا ينفك ذكره ﷺ عن ذكره تعالى في يوم من الأيام ، ولا ليلة من الليالي بل ؛ ولافي وقت من الأوقات المعتد بها ، والمقام ناطق بذلك ، ومن مقاصد الآية أيضاً التنويه بذكره ﷺ وإشاعة قدره الدال على قربه ﷺ من ربه كقرب اسمه من اسمه وأي إشاعة أقوى من الأذان ؟»(٣) .

وإن هذا لهو من دلائل نبوته ﷺ .

ومن دلائل النبوة أيضاً من خلال أسلوب التذكير بنعم اللّه تعالى في القرآن الكريم : تذكير نبيه ﷺ بنعمة النبوة والرسالة في قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) .

(١) الزمخشري ، الكشاف : ٦/ ٤٩٦ ، مرجع سابق .

(٢) القاسمي ، محاسن التأويل : ٩/ ٤٩٥ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٩/ ٤٩٥ .

(٤) سورة الشوري ، آية : ٥٢ .

وقال تعالىٰ أيضاً : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١) .

ومن ذلك أيضاً امتنان اللَّه عز وجل علىٰ أمة محمد ﷺ بأن أرسل إليهم رسولاً منهم يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور فقال تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٢) .

فأي نعمة حظينا بها في الدنيا والآخرة كان سببها محمداً ﷺ ، وهذه النعم يقول الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالىٰ عنها : « فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولابطنت فنلنا بها حظاً في دين أو دنيا أو رفع عنا بها مكروه فيهما أو في واحد منهما إلا ومحمد ﷺ سببها »(٣) .

ومن المعلوم بالضرورة ظهور هذه النعم وجلاؤها وثبوتها ، فهي بالتالي من أعظم الدلائل علىٰ نبوة محمد ﷺ ، والتذكير بها في القرآن إثبات للنّبوّة ، فعلىٰ الداعية أن يتنبّه لذلك وأن يستخدم هذا الأسلوب في إثبات النبوة علىٰ منهج القرآن الكريم .

و- إثبات النبوة من خلال أسلوب المدح والثناء في القرآن الكريم :

مدح اللَّه عز وجل أنبياءه ورسله في كتابه العزيز ، وأثنىٰ عليهم بذكر مناقبهم وصفاتهم التي تثبت النبوة لهم ، وذلك بذكر أن اللَّه سبحانه اختارهم

(١) سورة يوسف ، آية : ٣ .

(٢) سورة الجمعة ، الآيات : ٢ ـ ٤ .

(٣) القاسمي ، محاسن التأويل : ٩/ ٤٩٦ ، مرجع سابق .

واجتباهم وفضلهم على العالمين، قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾(١) .

فاللَّه سبحانه وتعالى يمدح أنبياءه في هذه الآيات مدحاً كثيراً لدرجة أنه أمر رسوله محمداً ﷺ بالاقتداء بهم، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم وأشرفهم ، وبين سبحانه سبب الثناء عليهم، وهو أنه سبحانه آتاهم العلم والحجة التي علوا بها على الناس «إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ » يقول الشيخ السعدي رحمه اللَّه تعالى : « فلا يضع اللَّه عز وجل العلم والحكمة إلاّ في المحل اللائق بهما وهو أعلم بذلك المحل وبما ينبغي له »(٢) .

وأيضاً من سبب مدحه سبحانه لهؤلاء الأنبياء هو أنه اختارهم واجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم، وهذه كلها دلالات واضحات على نبوتهم بينها المولى عز وجل من خلال مدحهم والثناء عليهم .

(١) سورة الأنعام ، الآيات : ٨٣ ـ ٩٠ . .

(٢) انظر : الشيخ/ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ مرجع سابق .

وفي القرآن الكريم ورد الكثير من الآيات التي تثني على أنبياء اللّه عز وجل وتثبت لهم النبوة وصحة الرسالة ومن ذلك قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(٢) .

وقال تعالى في شأن نوح عليه السلام : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾(٣) .

وقال أيضاً : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(٤) .

وقال تعالى في شأن محمد ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥) .

قال ابن جرير : أي أدب عظيم وذلك أدب القرآن الذي أدبه اللّه به وهو الإسلام وشرائعه(٦) .

وقال الرازي في تفسير الآية السابقة : « وهذا كالتفسير لقوله : « بنعمة ربك» والدلالة القاطعة على براءته بمارمي به ، لأن الأخلاق الحميده ، والأفعال المرضية والفصاحة التامة ، والعقل الكامل ، والبراءة من كل عيب ، والاتصاف بكل مكرمة كانت ظاهرة منه ، ولّما كانت أخلاقه الحميدة كاملة لاجرم وصفها اللّه

(١) سورة الممتحنة ، آية : ٤ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٥٤ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ٧٩ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة القلم ، آية : ٤ .

(٦) انظر : الطبري ، جامع البيان : ٧/ ٣٤٥ ، مرجع سابق .

بأنها عظيمة »[1].

وأيضاً قال سبحانه في شأن محمد ﷺ : ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] فمدحه لأنه يهدي إلىٰ ماأمر اللَّه به .

يقول ابن عاشور في تفسير الآية : «أي نهدي به من نشاء بدعوتك وواسطتك، فلما أثبت الهدي إلىٰ اللَّه وجعل الكتاب سبباً لتحصيل الهداية عطف عليه واسطة الرسول في إيصال ذلك الهدي تنويهاً بشأن الرسول ﷺ وتأكيد الخبر بـ« إن» للاهتمام به؛ لأن الخبر مستعمل في تثبيت قلب النبي ﷺ بالشهادة له بهذا المقام العظيم » .

إذاً مما سبق يتضح أن القرآن الكريم استخدم أسلوب المدح والثناء في إثبات النبوة وصدق الرسالة لأنبياء اللَّه ورسله عليهم أفضل الصلاة والسلام .

وهذا ما ينبغي علىٰ الداعية فهمه، فمدح المولىٰ عز وجل لأنبيائه بأنه اجتباهم واصطفاهم واختارهم يعد أعظم دليل؛ لأن الله سبحانه هو أصدق القائلين وكونه يمدح الأنبياء بتلك الألفاظ فهو الإثبات الصريح الواضح الذي يجب الإيمان به .

ز ـ إثبات النبوة من خلال أسلوب ذمّ السحر والكهانة[3] في القرآن الكريم :

ذمّ اللَّه عز وجل في كتابه الكريم السحر والكهانة لأنها تناقض النبوة ،

(١) انظر : الرازي ، التفسير الكبير : ٣٠/ ٧١ ، مرجع سابق.

(٢) سورة الشورىٰ ، آية : ٥٢ .

(٣) يقول ابن حجر رحمه اللَّه تعالىٰ : « تورد الكهانة مع السحر لما يجمع بينهما من مرجع كل منهما للشياطين» ، انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٠/ ٢٧٢ ، مرجع سابق.

فالكهنة تعينهم الشياطين والأنبياء تعينهم الملائكة[1]. وذمّ السحر والكهانة يتضمن إثبات النبوة.

قال تعالىٰ : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ذكر القرطبي[3] أن محمد بن إسحاق قال : لما ذكر محمد رسول اللّه ﷺ سليمان في المرسلين قال بعض أحبارهم : يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً! واللّه ماكان إلاّ ساحراً فأنزل اللّه عز وجل « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» أي ألقت إلىٰ بني آدم أن مافعله سليمان من ركوب البحر واستسخار الطير والشياطين كان سحراً .

وذكر أيضاً القرطبي أن الكلبي قال : كتبت الشياطين السحر والنيرنجيات علىٰ لسان آصف كاتب سليمان ودفنوه تحت مصلاه حين انتزع اللّه ملكه ولم يشعر بذلك سليمان ، فلما مات سليمان استخرجوه وقالوا للناس : إنما ملككم بهذا فتعلموه ، فأما علماء بني إسرائيل فقالوا : معاذ اللّه أن يكون هذا علم سليمان، وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان ، وأقبلوا علىٰ تعليمه ورفضوا كتب أنبيائهم حتىٰ بعث اللّه محمد ﷺ فأنزل اللّه عز وجل علىٰ نبيه عذر سليمان

(١) ابن تيمية ، النبوات : ٣٣٨، مرجع سابق .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٠٢ .

(٣) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٢/ ٣٠ مرجع سابق .

وأظهر براءته مما رمي به فقال : « **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ** » ويرىٰ بعض العلماء أن من أسباب قتل الساحر هو كفره بالأنبياء حيث يدعي مثل آياتهم ومعجزاتهم فلا يتهيأ مع هذا علم صحة النبوة عند البعض حيث يختلط عليهم الأمر ويحصل الالتباس »[1].

واللّه سبحانه ذمّ السحر وسماه كفراً بقوله : « **وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ** » . ويرىٰ بعض العلماء تفسير ذلك لأن السحر لايتم إلاّ مع الكفر والاستكبار، أو تعظيم الشيطان. فالسحر علىٰ هذا التقدير دال علىٰ الكفر »[2].

فاللّه تعالىٰ في هذه الآية يثبت النبوة لسليمان بذمّ السحر الذي اتهمه به السفلة من بني إسرائيل، ولهذا قال اللّه تعالىٰ في الآية السابقة ذاماً السحر والكهانة : «**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**» يقول الخازن في تفسير قوله : «ولبئس ماشروا به أنفسهم » أي باعوا حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر والكفر علىٰ الدين والحق »[3].

وهذا الذم الوارد في الآية للسحر والكهانة يثبت النبوة بالتعريض ، بدليل قول تعالىٰ الله في الآية التي تليها :«**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»[4] يقول الزمخشري في تفسير قوله : «**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا** » أي برسول

(١) انظر : المرجع السابق : ٢/ ٣٢.

(٢) المرجع السابق : ٢/ ٣٤.

(٣) الخازن ، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل : ١/ ١٢٢ ، مرجع سابق .

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٣ .

اللّه والقرآن « واتقوا » أي : اتقوا اللّه فتركوا ماهم عليه من نبذ كتاب اللّه واتباع كتب الشياطين »[1] .

ويقول تعالىٰ أيضاً في ذم الكهانة وأنها من عمل الشياطين تعريضاً، لإثبات النبوة : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[2] ، وقد سبق إيضاحه في إثبات النبوة من خلال أسلوب التعريض في القرآن .

وأيضاً ذمّ اللّه تعالىٰ الشعر الذي اتهم به النبي ﷺ وذلك لإثبات النبوة فقال تعالىٰ : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[3]، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[4] .

فالخلاصة أن القرآن الكريم ذمّ كل ماينافض النبوة لإثباتها كما بيناه .

ومن هذا يتعيّن علىٰ الداعية أن يعلم بأن المدح والذّم من أساليب البيان الذي له أهدافه ومراميه ومقاصده في إثبات المسائل العقدية المهمة فيلزمه العناية بذلك ومعرفته .

ح- إثبات النبوة من خلال أسلوب الترغيب في القرآن الكريم:

يقول شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالىٰ : « الكتب السماوية معجزة لما فيها من أخبار الغيب الذي لايعلمه إلاّ نبي ، وكذلك لما فيها من الأمر والنهي والوعد

---

(١) الكشاف ، الزمخشري : ١/ ٣٠٧ ، مرجع سابق .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات: ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

(٤) سورة يس ، آية : ٦٩ .

والوعيد مالايأتي به إلاّ نبي أو تابع نبي »[1].

ويقول الماوردي رحمه اللّه تعالىٰ : « من دلائل نبوة محمد ﷺ : ماورد عنه من أخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها بعضاً منها : ماتقدمه من نذير وبشير . . . . إلىٰ آخر ماقال في دلائل نبوة محمد ﷺ »[2].

فالوعد والتبشير الواردان في أقوال العلماء السابقة واللذان اعتبرا من دلائل النبوة هما : مانقصده ونسميه هنا بالترغيب ، والترغيب من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في إثبات النبوة وله في تحقيق ذلك صورتان :

- إثبات النبوة بالترغيب الوارد في الإخبار بالغيوب الماضية : -

وهو ماكان اللّه تعالىٰ يخبر محمداً ﷺ به ابتداءً ويجعله علماً وآية ودلالة علىٰ صدق دعوىٰ نبوته، ومن ذلك قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم. وهذه الأخبار الغيبية الماضية تتضمن أيضاً دلالة أخرىٰ علىٰ صدق دعوىٰ النبوة من جهة الاقتداء بما في هذه الأخبار من بيان أحوال المؤمنين الذين آمنوا بالرسل[3]، وصدقوهم واتبعوا سبيلهم ومانالوه وحصلوا عليه من الكرامة والنجاة من العذاب الذي حل بالكافرين المكذبين في الدنيا ، ومن ذلك ماذكره القرآن الكريم في سورة هود من قصص الأنبياء عندما حلّ بالمكذبين العذاب وكيف نجا اللّه عز وجل رسله والذين آمنوا معهم من ذلك علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ في شأن نوح عليه السلام وأتباعه لمّا وقع الهلاك علىٰ المكذبين من قومه

(١) انظر : ابن تيمية ، كتاب النبوات : ١٩٠ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : الماوردي ، أعلام النبوة : ٧٤ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح : ٥/ ٣١٩ ، مرجع سابق .

بالغرق : ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّن مَّعَكَ﴾(١) .

وقال تعالىٰ في شأن هود عليه السلام ومن آمن معه لمّا نجاه مما حلّ بالمكذبين من قومه من العذاب : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾(٢) .

وقال تعالىٰ في نجاة صالح عليه السلام ومن آمن معه : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(٣) .

ونجا اللّه تعالىٰ شعيباً ومن آمن معه فقال تعالىٰ : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾(٤) .

ونجا الله عز وجل يونس بن متىٰ عليه السلام فقال تعالىٰ : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(٥) . ففي هاتين الآيتين يعلم الله سبحانه نبيّه محمداً ﷺ بنجاة نبيّه يونس عليه السلام بفضل توحيده وتسبيحه وتوبته إلىٰ الله عز وجل ، والذي لخّص ذلك في دعائه : «لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» وأيضاً رغّب الحق تبارك وتعالىٰ عباده الصالحين في الاقتداء بنبيّه يونس عليه السلام في ضرورة التحلي بالصبر ودعائه

(١) سورة هود ، آية : ٤٨ .

(٢) سورة هود ، آية : ٥٨ .

(٣) سورة هود : آية : ٦٦ .

(٤) سورة هود ، آية : ٩٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٨٧ ـ ٨٨ .

وحده دون سواه وسوف ينجيهم سبحانه كما نجا أنبياءه وأولياءه وعباده الصالحين وشاهد ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذكر ابن كثير رحمه الله عن ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن مالك ـ وهو ابن أبي وقاص ـ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ، دعوة يونس بن متىٰ : قال : قلت : يارسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال : هي ليونس بن متىٰ خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله عز وجل ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهو شرط من الله لمن دعاه به[1]، ثم قال ابن كثير رحمه الله : فهذا ترغيب في الدعاء بها[2].

ففي الآيات السابقة وماحصل للمؤمنين بالرسل من النجاة : دلالة علىٰ صدق دعوىٰ نبوة الأنبياء وصحة رسالتهم، وهي ماتسمىٰ بدلالة النصرة والعاقبة. وهي دلالة ترغيبية تثبت النبوة وترغب في الاقتداء بهؤلاء الأنبياء والذين آمنوا معهم : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

ـ إثبات النبوة بالترغيب الوارد في الإخبار بالغيب المستقبل :

ودلالة الإخبار بالغيب المستقبل إنما تظهر وتقوم بها الحجة عند وقوعها وفق ماأخبر به عنها، فإذا وقع المخبر به كما أخبر عنه فيما مضىٰ عرف صدق من أخبر به ، وهذا لايمكن أن يخبر به إلاّ نبي أو من أخذ عن نبي، ونبينا محمد ﷺ معلوم

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٦٠، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٢٥٩.

(٣) سورة الأنعام، أية : ٩٠.

أنه لم يأخذ عن أحد من الأنبياء شيئاً ، فدلّ صحة وقوع ماأخبر به على صدق نبوته وصحة رسالته(١) .

وإذا اشتمل الخبر على أمور سارة وعقبى حميدة بسبب الإيمان بالأنبياء وطاعتهم والالتزام بشرعهم كانت دلالة الخبر دلالة غيبية ترغيبية في إثبات النبوة، وقد استخدم القرآن الكريم هذا المسلك ومن ذلك قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) .

ففي هذه الآيات قرن اللَّه تعالى الإيمان به بالإيمان برسوله ﷺ تشريفاً لقدره وتنويهاً باسمه، وجعل عاقبة وثمرة الإيمان باللَّه وبرسوله والجهاد في سبيله : المغفرة ودخول الجنة والفتح القريب ، فأمّا الفتح المذكور في الآيات سواء كان المقصود به فتح مكة أو فتح فارس والروم(٣) . فقد تحقق وشاهده الناس في الدنيا، وهذا يصدق الخبر الأول وهو دخولهم الجنة(٤) .

---

(١) انظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح : ٥/ ٣٢٥، مرجع سابق .

(٢) سورة الصف ،الآيات: ١٠ ـ ١٣ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨/ ٥٨، مرجع سابق .

(٤) انظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح : ، ١/ ٤١٠ .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١) .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : « في هذه الآية أمر الحق تبارك وتعالىٰ عباده المؤمنين الطاهرين ديناً وذاتاً بنفي المشركين الذين هم نجس ديناً عن المسجد الحرام وألاّ يقربوه بعد نزول هذه الآية . وكان نزولها في سنة تسع ، ولهذا بعث رسول الله ﷺ عليّاً صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ وأمره أن ينادي في المشركين : «ألاّ يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» : فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً(٢) .

يقول ابن كثير عن ابن إسحاق : فقال الناس عندئذ : لتنقطعنّ عنّا الأسواق ولتهلكنّ التجارة وليذهبن ماكنّا نصيب فيها من المرافق فنزلت : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(٣) .

يقول أبو السعود في تفسير : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ أي فقراً بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه إليكم من الإرفاق والمكاسب ، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ : من عطائه أو من تفضله بوجه آخر ، فأرسل الله تعالىٰ السماء عليهم مدراراً أغزر به خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلىٰ مكة الطعام وما يعاش به ، فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض»(٤) .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٢٨ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٤٥٧ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٢/ ٤٥٨ .

(٤) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي ، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩ .

فالخلاصة أن قوله تعالىٰ ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ تحمل دلالة علىٰ نبوة محمد ﷺ من خلال الترغيب فيما عند الله الوارد في الإخبار بالغيب المستقبل والذي تحقق فيما بعد حيث أتىٰ فضل الله تعالىٰ وأغناهم الله سبحانه مما كانوا يتخوّفون منه، وهذا ما ينبغي أن يفطن له الداعية في إثبات هذه المسألة المهمة.

ط- إثبات النبوة من خلال أسلوب الترهيب في القرآن الكريم:

الترغيب والترهيب متلا زمان في القرآن الكريم وكلاهما عالج إثبات النبوة بالدلالة نفسها لكن الترهيب عالج هذه القضية بصورة أخرىٰ وهي التخويف الوارد في الإخبار بدلاً من التشويق الوارد في أخبار الترغيب ودلالة هذا الأسلوب تكمن في أخبار الترهيب الغيبية سواء الماضية منها أو المستقبلة ونبين هذا المعنىٰ في النقاط التالية :

- إثبات النبوة عن طريق أخبار الترهيب الغيبية الماضية وهذه الصورة تتمثل دلالتها في الأتي :

ـ إن هذه الأخبار من علم الغيب الذي أخبر اللّه تعالىٰ به نبيه محمداً ﷺ ، ابتداءً وجعلها آية ودلالة علىٰ صدق نبوته[1].

مثل ماحل بالمكذبين من الأمم السابقة من العذاب .

ـ هذا النوع من الإخبار له دلالة أخرىٰ من جهة الاعتبار بما فيها من أحوال الكافرين التي توجب تجنب سبيلهم لأن حكم الشيء حكم نظيره[2].

يقول شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالىٰ : « جنس خرق العادة لايستلزم الإكرام بل تخرق عادته بالإهانة تارة وبالإكرام أخرىٰ ، وقد تكون تخويفاً لعباده قال

(١) انظر : ابن تيمية ، الجواب الصحيح : ٥/ ٣١٩ ، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ، ٥/ ٣١٩ـ ٣٢٠ .

تعالىٰ : ﴿وما نُرْسِلُ بالآيات إلاَّ تخويفاً﴾[1]، وقد يهلك بها كما أهلك أمماً مكذّبة، وإذا قص قصصهم قال : إن في ذلك لآيات ، وكان إهلاكهم خرقاً للعادة دل بها علىٰ أنه عاقبهم بذنوبهم وتكذيبهم للرسل وأن ما فعلوه من الذنوب مما ينهىٰ عنه ويعاقب فاعله بمثل تلك العقوبة، فهذه خرق عادات لإهانة قوم وعقوبتهم لما فعلوه من الذنوب تجري مجرىٰ قوله : عاقبتهم لأنهم كذبوا رسولي وعصوه ولهذا يقول سبحانه كلما قص قصه من كذب رسله وعقوبته إياهم يقول : ﴿فكيف كانَ عذابي ونُذُرِ ﴿١٦﴾ ولقد يسَّرْنا القُرآنَ للذكْرِ فهلْ من مُدَّكِرٍ﴾[2] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وتَرَكْنا فيها آيةً للَّذين يخافُونَ العذابَ الأليمَ﴾[3] ، وإذا كانت تلك العلامات مما جرت عادته أنه يفعلها مع من أرسله ويهلك بها من كذب رسله كانت أبلغ في الدلالة »[4].

- إثبات النبوة بالترهيب الوارد في الإخبار بالغيوب المستقبلة :

ودلالة الإخبار بالغيب المستقبل إنما تظهر عند وقوعها وفق ماأخبر به عنها فإذا وقع المخبر به كما أخبر عنه فيما مضىٰ عرف صدق من أخبر به وهذا لايمكن أن يخبر به إلاّ نبي أو من أخذ عن نبي ، وإذا تضمن الخبر أموراً غيبية مرهبة ومخوفةبسب عصيان الأنبياء وتكذبيهم كانت دلالة الخبر دلالة غيبية ترهيبية في إثبات النبوة ، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من هذا النوع ، وقد وقع في الدنيا بعض مما توعد به الكفار كما أخبر اللّه به في كتابه العزيز فكان ذلك دليلاً

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٩ .

(٢) سورة القمر ، من الآيتان : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) سورة الذاريات ، آية : ٣٧ .

(٤) ابن تيمية ، النبوات : ٢٣٢ ، مرجع سابق .

على حتمية وقوع ماتوعد اللّه به هؤلاء في الآخرة ، قال تعالى : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(١) .

يقول شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى : « فكان كما أخبرهم غلبوا في الدنيا كما شاهده الناس ، وهذا يصدق الخبر الأخير وهو أنهم يحشرون إلى جهنم وبئس المهاد »(٢) .

ومن الآيات التي تثبت النبوة لمحمد ﷺ وتشمل تحذير وترهيب من لم يصدق به قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٣) .

يقول صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية : « قال لهم : فإذا لم تعارضوه ولم يستهل لكم ماتبغون وبان لكم أنه معجوز عنه ، فقد صرح الحق عن محضه ، ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب ، وفيه دليلان على إثبات النبوة : صحة كون المتحدي به معجزاً ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لايعلمه إلاّ اللّه»(٤) ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم استخدم أسلوب الترهيب لإثبات النبوة .

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٢ .

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ١/ ٤١٠ ، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة ، أية : ٢٤ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ١/ ٢٢٣ ، مرجع سابق .

٢ ـ إثبات النبوة بالمنهج العاطفي من خلال الرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم:

إن اللَّه سبحانه جعل بعثة محمد ﷺ للعالمين رحمة فقال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١) ، فكان ﷺ رحمة لجميع الناس مسلمهم وكافرهم يقول الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ في تفسير الآية : « إن اللَّه أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم ، فأما مؤمنهم فإن اللَّه هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند اللَّه الجنة ، وأمّا كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله»(٢) .

وهذا من آياته وعلامات نبوته أن أمن أعداؤه من العذاب مدة حياته عليه الصلاة والسلام فيهم ، فأخرت عقوبتهم بسببه وأَمِنُوا به عذاب الاستئصال(٣) . قال تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٤) ، يقول الطبراني في تفسيرها : أي : يامحمد لاأعذبهم وأنت بين أظهرهم مقيم حتىٰ أخرجك من بينهم لأني لاأهلك قرية وفيها نبيها ، لأن القوم ـ أعني مشركي مكة ـ كانوا استعجلوا العذاب فقالوا : ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٥) ، ولما خرج النبي ﷺ من بين أظهرهم إلىٰ المدينة عجل لهم

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

(٢) الطبري ، جامع البيان : ٥/ ٢٨٧ ، مرجع سابق .

(٣) أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، دلائل النبوة ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤٠٩هـ : ١٥ ، والزمخشري ، الكشاف : ٤/ ١٧٠ ، مرجع سابق .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة الأنفال ، آية : ٣٢ .

العقوبة في الدنيا بيوم بدر ولاشك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون »[1] .

فهذه من دلائل نبوته ﷺ أن أمن المشركون من الخسف والغرق بسبب وجوده بين أظهرهم، فكان لهم رحمة وأماناً. يقول ابن عباس رضي الله عنهما «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق »[2] .

ولأن جانب الرحمة بالمدعوين يتحقق من خلال أشكاله وصوره الوجدانية التي منها : القول اللين اللطيف ـ والكلمة الاستعطافية ـ والمشاركة الوجدانية ، فإن بيان دور هذا الجانب في إثبات النبوة سيكون بتناول هذه الأساليب وبيان دورها في إثبات هذا الجانب العقدي المهم على النحو التالي :

أ- إثبات النبوة من خلال القول اللين والكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم :

يقول الماوردي فيما يخص القول اللين للرسول أثناء خطابه لأمته : « أما خطاب الرسول لأمته فيما بلغهم من رسالة ربه بعد ظهور معجزته والإخبار بنبوته ولزومه للأمة فمعتبر بشروط منها : أن ينتفي عنه مايقتضي التنفير من قبول قوله، لأن اللّه تعالى حماه من الغلظة لئلا ينفر من متابعته، وكان الأولى أن لاينفر عن قبول خطابه»[3] .

وبما أن اللّه عز وجل حمى الرسل عليهم السلام من الغلظة وكلامهم لين لطيف مع مدعويهم وإضافة إلى ذلك فإن في أقوالهم معجزة كالأفعال

(١) انظر : الطبري ، جامع البيان : ٤/ ٣٣ـ ٣٤ ، مرجع سابق .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ١٣٢ ، مرجع سابق .

(٣) علي بن محمد الماوري، أعلام النبوة، شرح وتعليق: محمد شريف سكّر، دار إحياء العلوم ، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٢هـ: ٤٩ .

والمعجزات من القول هو الإخبار عن غائب لايعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليلاً[1] .

وقد أخبر رسل اللّه تعالىٰ أقوامهم من خلال القول اللين اللطيف بأخبار غيبية منها الماضي ومنها المستقبل ، فألانوا لهم القول وأسدوا إليهم النصيحة محذرين منذرين من عذاب اللّه الذي لايرد عن القوم المجرمين، لأن الرسل يعلمون أموراً غيبية أطلعهم عليها المولىٰ عز وجل : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[2] .

يقول تعالىٰ بشأن قوم ثمود ونبيهم صالح عليه السلام في معرض مخاطبته لهم بالقول اللين والكلمة الاستعطافية ومحذراً إياهم من الخطر المحدق بهم إن ظلوا على عنادهم وكفرهم : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3] .

فقال هؤلاء الظالمون : ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4] . لأنهم لم يصدقوه فيما حذرهم منه وكذبوا رسالته .

---

(١) المرجع السابق : ١٢١ ـ١٢٣ .

(٢) سورة الجن ، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيتان: ٧٦ ـ ٧٧ .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات [1] : « فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة بلغ الخبر صالحاً عليه السلام فجاءهم وهم مجتمعون فلما رأى الناقة بكى وقال : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [2] .

فالشاهد أن صالحاً عليه السلام كان يناصحهم بالقول اللين اللطيف والكلمة الاستعطافية ويطلب منهم عدم التعرض للناقة بسوء ، وإن قتلها سيكون سبباً في وقوع العذاب ، وقد وقع كل ماأخبر به قبل وقوعه ، وهذا من دلائل نبوته ؛ لأنه لايعلم هذا إلاّ نبي علمه اللّه ، وهكذا بقية رسل اللّه عليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يخبرون أقوامهم بأخبار غيبية لا يعلمها أحد إلاّ هم بما علمهم اللّه تعالى ، وكانوا عليهم السلام يعلمون أقوامهم بأقوال لينة لطيفة وبالكلمة الطيبة التي من صورها الكلمة الاستعطافية ، لأن اللّه حماهم من الغلظة كما سبق بيانه ، فليزم الداعية أن ينهج منهج الأنبياء عليهم السلام في استخدام القول اللّين والكلمة الاستعطافية أثناء مخاطبته للناس . .

ب ـ إثبات النبوة من خلال المشاركة الوجدانية في القرآن الكريم :

للمشاركة الوجدانية صور متعددة منها التهنئة ومنها التعزية والتسلية والمواساة وتطييب الخاطر والبشارة بالنصر أو النجاح إلى غير ذلك ، وورد في القرآن الكريم من هذه صور عديدة وكانت دليلاً على إثبات النبوة لمحمدﷺ ومن ذلك على سبيل المثال : مابشر اللّه عز وجل به نبيه محمداً ﷺ وهو في هجرته من مكة إلى المدينة بالعودة إلى مكة منتصراً على أعدائه عندما كان الرسول ﷺ

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ، ٢/ ٣٠٦ ، مرجع سابق .

(٢) سورة هود ، آية: ٦٥ .

هجرته مهموماً محزوناً على خروجه من مكة وهي أحب البقاع إلى قلبه فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١) .

ووجه الدلاله في هذه الآية : أن اللَّه عز وجل أخبر رسوله ﷺ بعودته لمكة قاهراً لأعدائه وهذا من علم الغيب الذي لايعلمه إلاّ نبي علمه اللَّه، وقال جابر وابن عباس ومجاهد رضي اللَّه عنهم أجمعين : هذه الآية بشارة للنبي ﷺ بردّه إلى مكة قاهراً لأعدائه ، وقال مقاتل : خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فقال له جبريل عليه السلام إن اللَّه يقول : « **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ** » أي إلى مكة ظاهراً عليها (٢) .

وقد تحققت هذه البشاره ـ التي اشتملت على علم غيب المستقبل ـ لرسول اللَّه ﷺ ، فقد عاد إلى مكة فاتحاً لها قاهراً لأعدائه فيها ، فكانت هذه البشارة من دلائل نبوته ﷺ .

(١) سورة القصص ، آية : ٨٥.

(٢) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٢١٢ ، مرجع سابق.

٣ـ قضاء الحاجات وتأمين الخدمات ودورهما في إثبات النبوة في القرآن الكريم :

هذا الجانب له صورتان :

ـ قضاء الحاجات .

ـ وتأمين الخدمات .

ولبيان دور هذا الجانب في إثبات النبوة سيتم تناول كل صورة من صوره على حدة وبيان دورها في إثبات هذا الجانب العقدي المهم على النحو التالي :

أ ـ إثبات النبوة من خلال قضاء الحاجات في القرآن الكريم:

الحاجات تختلف وتتنوع وقضاؤها يختلف باختلافها لكن لعل أبرز ما احتاج إليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وترتب على هذه الحاجات معجزات ودلائل على نبوتهم هو إجابة الدعوة في مواقف احتاجوا عليهم السلام فيها لمدد اللَّه وعونه ونصره، فاقترنت الإجابة بالدعاء، فكانت دليلاً على نبوتهم وصحة رسالتهم.

ومن ذلك على سبيل المثال : إنجاء اللَّه عز وجل لأنبيائه ورسله وأوليائه فقال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾(١) .

وقال تعالى عنه أيضاً : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾(٢) .

---

(١) سورة الصافات ، آية : ٧٥.

(٢) سورة القمر ، الآيتان: ١٠ ـ ١١ .

وقد روي أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتىٰ يخر مغشياً عليه فيفيق وهو يقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون ، لكن لما استحكم اليأس من إجابتهم وطم عليه الأمر طلب من اللّه الفرج والنصر علىٰ القوم الظالمين فاستجاب اللّه له ونجاه ومن معه وأهلك الظالمين فكان ذلك من معجزاته ودلائل نبوته عليه السلام[1] .

وكذلك قال تعالىٰ عن إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقد جاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال حين ألقي في النار : حسبي اللّه ونعم الوكيل[3] ، ولهذا فإن إنجاء اللّه تعالىٰ لأنبيائه وإجابة دعوتهم كلما احتاجوا إلىٰ مدده وعونه لهو من أعظم الدلائل علىٰ نبوتهم عليهم الصلاة والسلام .

ولهذا علىٰ الداعية أن يعلم أن الله تعالىٰ مع عباده المخلصين بعونه ومدده، فيتعيّن توثيق الصلة بالله تعالىٰ والثقة في إجابة الدعوة منه سبحانه فهو قاضي الحاجات ومنفّس الكربات .

ب ـ إثبات النبوة من خلال تأمين خدمات المجتمع في القرآن الكريم :

لقد بينا سابقاً أن المقصود بتأمين الخدمات هو توفير مايحتاجه المجتمع من خدمات : دفاعية، وأمنية ، وتعليمية ، وصحية ، واقتصادية وغير ذلك .

وقد أظهر اللّه عز وجل من خلال هذه الجوانب لرسوله ﷺ من الآيات مالايمكن حصره في هذا المقام، وإنما سنتناول بعضاً مما جاء في القرآن الكريم،

(١) انظر : الزمخشري ، الكشاف : ٥/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ، مرجع سابق .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٢٤ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٨/ ٢٨٨، رقم الحديث : ٤٥٦٣، مرجع سابق.

ومن ذلك على سبيل المثال ماجاء في الجانب الدفاعي من معجزات وآيات، فقد نصر اللّه رسوله والمؤمنين وهم قلة على أعدائهم وهم كثرة في مواطن كثيرة ولعل أبرزها معركة بدر الكبرى التي أيّد اللّه عز وجل رسوله ﷺ فيها بنزول الملائكة يقاتلون مع المسلمين .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾(١) .

يقول القرطبي رحمه اللّه تعالى في تفسيره لهذه الآيات : « غزوة بدر الكبرى وهي أعظم المشاهد فضلاً لمن شهدها وفيها أمدّ اللّه بملائكته نبيه والمؤمنين في قول جماعة العلماء، وعليه يدل ظاهر الآية لا في يوم أحد ، ومن قال : إن ذلك كان يوم أحد جعل قوله تعالى : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ» إلى قوله : «تَشْكُرُونَ» اعتراضاً بين الكلامين »(٢) .

فالشاهد أن اللّه مدّ رسوله بالملائكة بغض النظر عن اختلاف المفسرين في مكان ووقت نزولهم .

ثم قال القرطبي : « وتظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت، ومن ذلك قول أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدراً : لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك

(١) سورة آل عمران ، من الآية : ١٢٣ ـ ١٢٥ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ١٢٤ ، مرجع سابق .

ولا أمتري [1] ، وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر نظر رسول اللَّه ﷺ إلىٰ المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي اللَّه ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه : « **اللهم أنجز لي ماوعدتني ، اللهم آت ماوعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض** » ، فمازال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه علىٰ منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يانبي اللَّه كفاك منا شدتك ربك ، فإنه سينجز لك ماوعدك فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [2] . فأمدّه اللَّه تعالىٰ بالملائكة » [3] .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : « بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلىٰ المشرك أمامه فخر مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول اللَّه ﷺ فقال : « **صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة** » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين » [4] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال : « بينما أنا أمتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أرمثلها قط ثم ذهبت ثم جاءت ريح

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل : ٣/ ٥٣ ، وذكره ابن هشام في السيرة : ٢/ ٢٤ ، وذكر الهيثمي نحوه في نزول الملائكة يوم بدر، انظر : مجمع الزوائد : ٦/ ٩٩، برقم : ٩٩٥٥ وقال : رواه أبو يعلىٰ ورجاله ثقات .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٩ .

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٢/ ٤٣٣، رقم الحديث : ١٧٦٣، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق : ١٢/ ٤٣٤، رقم الحديث: ١٧٦٣ .

شديدة لم أر مثلها قط إلاّ التي كانت قبلها ، قال : وأظنه ذكر : ثم جاءت ريح شديدة فكانت الريح الأولىٰ جبريل نزل في ألف من الملائكة مع رسول اللّه ﷺ وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول اللّه ﷺ وكان أبو بكر عن يمينه وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول اللّه ﷺ وأنا في الميسرة» (١) .

روىٰ البيهقي عن أبي واقد الليثي قال : « إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه ، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أن غيري قد قتله»(٢) .

وكذلك روىٰ البيهقي عن الربيع بن أنس قال : « كان الناس يوم بدر يعرفون قتلىٰ الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعناق وعلىٰ البنان مثل سمة النار قد أحرق به» (٣) .

فهنا تظهر معجزة نزول الملائكة تقاتل مع رسول اللّه ﷺ دفاعاً عن الدين وأهله وحماية للعقيدة الإسلامية التي تعتبر من أعظم وأجل الخدمات للمجتمع المسلم ، وقد كانت ثمرة هذه المعجزة بتوفيق اللّه عز وجل النصر العظيم علىٰ الشرك وأهله يقول تعالىٰ : ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾ (٤) .

---

(١) البيهقي ، دلائل النبوة : ٣/ ٥٥ ، قال عنه مخرّج الكتاب : رواه أبويعلىٰ ورجاله ثقات

(٢) المرجع السابق : ٣/ ٥٦ ، ابن هشام، السيرة النبوية : ٢/ ٢٢٤ ، مرجعان سابقان .

(٣) البيهقي ، دلائل النّبوّة : ٣/ ٥٦ ، مرجع سابق .

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٢٣ ـ ١٢٤ .

وهذا النصر والتمكين والإمداد جاء معلقاً على شرط وهو التقوى ومصابرة عدّوهم، يقول تعالى: ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١).

وهذا يعطي المسلم بشكل عام والداعية على وجه الخصوص حقيقة إيمانية بأن النصر مع الصبر والتقوى، فيلزم الداعية أن يتحلى بهذه الصفات الحميدة وهو يشارك بأي شكل من المشاركة في تأمين خدمات المجتمع وأن يحث إخوانه المسلمين على التحلي بتلك الخصال فهي من الأسباب الموجبة لعون الله تعالى وتوفيقه في كل الأمور.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٢٥.

المطلب الثاني

إثبات النبوة بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة

جاءت السنة النبوية المطهرة بأنواع كثيرة من دلائل النبوة وأيّد اللّه عز وجل رسوله المصطفىٰ ﷺ بكثير من المعجزات الحسية والعقلية، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأمور في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل لايعلمها الناس بل هي من علم الغيب التي لم يطلع اللّه عليها أحداً من خلقه إلاّ من ارتضاه من رسله، وأيضاً أخبر عليه الصلاة والسلام بدلائل وآيات ومعجزات الأنبياء من قبله، أخرج البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال النبي ﷺ : « **مامن الأنبياء نبي إلاّ أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه اللّه إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»(١) .

وسأتناول في هذا المطلب ماجاءت به السنة النبوية وأخبر به الرسول ﷺ وما أيّد اللّه عز وجل به رسوله عليه الصلاة والسلام من دلائل النبوة لإثبات هذا الجانب بالمنهج العاطفي من خلال أساليبه المختلفة علىٰ الطريقة التي اتبعتها في المطلب الأول .

١ ـ إثبات النبوة من خلال أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية المطهرة :

أسلوب الموعظة الحسنة من أهم أساليب المنهج العاطفي لما يتميز به من شدّة التأثير في نفوس الخلق ولتنوع أشكاله، ولكي تظهر أهميته ودوره في إثبات النبوة سأتناول دور صوره وأشكاله في إثبات هذا الجانب العقدي المهم علىٰ النحو التالي :

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٩/ ٥، رقم الحديث : ٤٩٨١ ، مرجع سابق .

أ- إثبات النبوة من خلال الإشارة في السنة النبوية المطهرة :

اعتبر العلماء الإشارة من دلائل النبوة استناداً إلى ماأيّد اللّه عز وجل به رسوله ﷺ من المعجزات من خلال الإشارة، ويكفينا في هذا المقام الاستشهاد بما رواه البيهقي عن ابن عمر : « أن النبي ﷺ لمّا دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلى كل صنم بعصاً وقال : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1] ، فكان لايشير إلى صنم إلاّ سقط من غير أن يمسه بعصاً »[2].

وفي رواية : « فيسقط الصنم ولايمسّه »[3].

وعند ابن حجر عن ابن عباس : « فلم يبق وثن استقبله إلاّ سقط على قفاه مع إنها كانت ثابتة بالأرض وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص »[4].

ولهذه المعجزات التي تمت للرسول ﷺ بالإشارة اعتبرت الإشارة من دلائل النبوة التي تثبت صدقها وصحتها .

فإذا علم هذا فإن الإشارة لها استخدامات لاتخفى على كل لبيب، ويتعيّن على الداعية استخدامها في دعوته كلما لزم الأمر بالقدر اللازم لأنها تزيد القول إيضاحاً وبياناً .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٨١.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٢٢ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٨/ ٢٢، مرجع سابق .

(٤) المرجع السابق : ٨/ ٢٢ .

ب – إثبات النبوة من خلال أسلوب التعريض في السنة النبوية المطهرة :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « الكهانة تناقض النبوة، لأن الكهنة تعينهم الشياطين والأنبياء تعينهم الملائكة» (١) .

«وقد كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب : أحدها يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث اللّه نبينا ﷺ. الثاني : أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وماخفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لايبعد وجوده، وهم يصدقون ويكذبون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام. الثالث : المنجمون : وهذا الضرب يخلق اللّه تعالىٰ فيه لبعض الناس قوة ما ولكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن : العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذي يستدل علىٰ الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة وهذه الأضرب كلها تسمىٰ كهانة » (٢) .

وكانوا في الجاهلية يترافعون إلىٰ الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلىٰ أقوالهم(٣) ، فلما جاء الإسلام أكذبهم كلهم ونهىٰ عن تصديقهم وإتيانهم(٤) ، وحتىٰ لايلتبس علىٰ ضعفاء العقول ماكان من حال الكهان في بعض أحوال النبوة في الإخبار عن غيب كشفت السنة النبوية المطهرة حقيقة الكهانة وأنها لاشيء .

---

(١) ابن تيمية، النبوات : ٣٣٨، مرجع سابق .

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم : ١٤/ ٣٨٥ ، مرجع سابق .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٠/ ٢٧٠ ، مرجع سابق .

(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم : ١٤/ ٣٨٦ ، مرجع سابق .

روىٰ الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالىٰ عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : «سأل أناس رسول اللَّه ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول اللَّه ﷺ : ليسوا بشيء . قالوا : يارسول اللَّه فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً . قال رسول اللَّه ﷺ : **(تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)**»[1] .

ومعنىٰ : ليسوا بشيء : أي ليس قولهم بشيء يعتمد عليه ، وقيل : أي باطل ولاحقيقة له[2] .

ففي قوله ﷺ : «**ليسوا بشيء**» وكذلك قوله : «**فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**» تعريض بحقيقة النبوة وصدقها ، وأن ماجاءت به هو الحق من عند اللَّه ، وهذا إثبات للنبوة بأسلوب التعريض .

جـ - إثبات النبوة من خلال أسلوب الكناية في السنة النبوية المطهرة :

لقد عبر الرسول ﷺ عن بعض معجزاته الدالة علىٰ نبوّته بأسلوب الكناية ومن ذلك أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة فخرجوا ناحية الصوت ، فإذا بالرسول ﷺ مستقبلهم وقد استبرأ الخبر علىٰ فرس لأبي طلحة ، كان قبل ركوب النبي ﷺ ضعيفاً هزيلاً بطيء السير ، فلما ركبه الرسول عليه الصلاة والسلام تغير حاله وأصبح نشيطاً سريعاً بسبب بركة ركوب المصطفىٰ ﷺ فعبّر عن ذلك رسول الهدىٰ عليه الصلاة والسلام بأسلوب الكناية الوارد في الحديث الذي رواه

---

(١) مسلم،صحيح مسلم بشرح النووي : ١٤/ ٣٨٧ ، رقم الحديث: ٢٢٢٨ ، مرجع سابق .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٢٧٠ ، وانظر : النووي، شرح صحيح مسلم : ١٤/ ٣٨٦ ، مرجعان سابقان.

البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أنس رضي اللّه عنه قال : « كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو علىٰ فرس لأبي طلحة عري وفي عنقه السيف وهو يقول : **(لم تراعوا ، لم تراعوا ثم قال: وجدناه. بحراً أو قال : إنه لبحر)**[1] .

وفي رواية : «فلما رجع قال : وجدنا فرسكم هذا بحراً ، فكان بعد ذلك لايجارىٰ»[2].

وفي رواية أخرىٰ : « فما سبق بعد ذلك اليوم »[3].

وفي رواية مسلم رحمه اللّه تعالىٰ : « **وجدناه بحراً أو إنه لبحر** . قال : وكان فرساً يبطأ»[4] ، ومعنىٰ يبطأ : أي بالبطء ، والعجز ، وسوء السير [5].

والمعجزة في الحديث : هو تحول حال الفرس من سوء السير والإبطاء إلىٰ حال لايجارىٰ فيه . بفضل ركوب النبي ﷺ . يقول ابن حجر رحمه اللّه تعالىٰ[6] : « أصبح الفرس لايسبق في الجري بفضل بركة النبي ﷺ لكونه ركب ماكان بطيئاً فصار سابقاً . بدليل الرواية السابقة : «فما سبق بعد ذلك اليوم » .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ١١٦ ، رقم الحديث : ٢٩٠٨ ، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق : ٦/ ٨٧ ، رقم الحديث : ٢٨٦٧ .

(٣) المرجع السابق: ٦/ ١٤٩ ، رقم الحديث : ٢٩٦٩ .

(٤) الإمام مسلم ، شرح صحيح مسلم للنووي : ١٥/ ٤٦٣ ، رقم الحديث : ٢٣٠٧ ، مرجع سابق .

(٥) المرجع السابق ، ١٥/ ٤٦٤ .

(٦) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ٨٧ ، مرجع سابق .

ففي الحديث عبّر النبي ﷺ عن هذه الآية باسلوب الكناية بقوله : «**وجدنا فرسكم هذا بحراً** » كناية عن سرعته ، أي كنىٰ عن سرعة الفرس بالبحر إشارة إلىٰ أنه لاينقطع [1] ، فكانت الكناية في هذا الحديث من الأساليب التي استخدمها الرسول عليه السلام لإثبات نبوته وبيان ماأكرمه اللّه به من أمور خارقة للعادة هي مما خص اللّه به الأنبياء عليهم السلام .

وإذا كان أسلوب الكناية المستخدم هنا في الدلالة علىٰ نبوة محمد ﷺ فإن له أيضاً مدلولاً في مجال الدعوة وهو أن القائد ينبغي أن يتصف بالشجاعة وعليه سرعة كشف الخطر ما لم يتحقق الهلاك ومن ثم تبشير الناس بعد الخوف[2] . لأن القائد إذا اتصف بتلك الصفات كان قدوة في الإقدام والتضحية التي تكون من أسباب تأثيره في الناس .

د – إثبات النبوة من خلال القصة في السنة النبوية المطهرة :

لقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب القصص لإثبات أصول العقيدة في النفوس، ومن ذلك إثبات النبوة ، فكان من القضايا النبوية التي رواها جم غفير من الصحابة واشتملت علىٰ أخبار هي من علم الغيب وناقشه المشركون ليتأكدوا من صحتها : الإسراء والمعراج .

والإسراء : باب طويل، لكن مما ورد فيه من دلائل النبوة ماقصه عليه الصلاة والسلام علىٰ أصحابه عن هذا الحدث العظيم ، فقد روىٰ الإمام مسلم رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : (**لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم**

(١) المرجع السابق : ١٠/ ٧٢٩.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم : ١٥/ ٤٦٤، مرجع سابق.

أثبتها فكربت كربة ماكربت مثله قط قال : فرفعه اللّه لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلاّ أنبأتهم به وقد رأيتي في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يامحمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام)[1].

وذكر القرطبي رحمه اللّه تعالىٰ أن المشركين قالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فخبرنا عن عيرنا أين لقيتها ؟ قال : « بمكان كذا وكذا مررت عليها ففزع فلان » فقيل له : مارأيت يافلان ؟ قال : مارأيت شيئاً غير أن الإبل قد نفرت قالوا: فأخبرنا متىٰ تأتينا العير ؟ قال : « تأتيكم يوم كذا وكذا » قالوا : أية ساعة؟ قال : « ماأدري طلوع الشمس من ها هنا أسرع أم طلوع العير من هاهنا»، فقال رجل ذلك اليوم : هذه الشمس قد طلعت . وقال رجل : هذه عيركم قد طلعت . واستخبروا النبي ﷺ عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن رآه قبل ذلك [2] ، فمما سبق يتبين أن الخبر النبوي في هذه القضية اشتمل علىٰ علوم غيبية لايعلمها إلاّ نبي فكانت من دلائل النبوة .

والقصص النبوي الشريف مليئ بالعلوم الغيبّية التي لا يعلمها إلاّ نبي علمه الله عز وجل، وهذا من أعظم الدلائل علىٰ نبوة محمد ﷺ ، وإضافة إلىٰ ذلك فإن القصص النبوي له تأثيره الخاص في النفوس يحمل الداعية علىٰ أن يحرص علىٰ استثماره في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وفي إثبات المسائل العقدية علىٰ وجه الخصوص .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٣٧٨ ، رقم الحديث: ١٧٢ ، مرجع سابق .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٣٧ ، مرجع سابق .

هـ - إثبات النبوة من خلال التذكير بنعم اللَّه تعالى في السنة النبوية المطهرة :

من المعلوم أن الخبر المعصوم بشقيه دليل قاطع على إثبات النبوة وغيرها ، وقد عدد النبي ﷺ في بعض أحاديثه نعم اللَّه تعالى عليه وعلى أمته التي كانت خير أمة أخرجت للناس ، وفي تعداده ﷺ لهذه النعم إثبات للنبوة، لأن هذه النعم كانت بسبب النبوة إلى جانب أنها تتضمن علوماً غيبية لايعلمها إلا نبي يعلمه اللَّه عز وجل .

ومن الأحاديث التي وردت عن المصطفى ﷺ فيها تعداد لنعم اللَّه عز وجل على سبيل المثال لا الحصر مارواه الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**»(١) .

وروى البخاري رحمه اللَّه تعالى عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا اللَّه له فالناس لنا فيه تبع : اليهود غداً والنصارى بعد غد**»(٢) .

فالرسول ﷺ في هذه الأحاديث يتحدث وهوالصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بنعم الله تعالى عليه ومن خلالها يثبت نبوّته ﷺ بقوله : «**فضّلت على الأنبياء بست**... الحديث» .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٥/ ١٧٩ ، رقم الحديث : ٥٢٣ ، مرجع سابق .

(٢) الإمام البخاري : صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٤٥٦ ، رقم الحديث : ٨٧٦ ، مرجع سابق .

ومن ذلك أيضا ما رواه الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي**»(١).

ولهذا كان أسلوب التذكير بنعم الله تعالىٰ من أساليب إثبات النبوة، ومما ينبغي أن يفطن له الداعية هو أن ما حبانا الله عز وجل به من النّعم التي كانت ولا تزال إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها هي بسبب محمد ﷺ، وهي شواهد ودلائل يعجز الإنسان عن حصرها تدل الدلالة القاطعة علىٰ نبوة محمد ﷺ، فيلزم تذكرها والتذكير بها، لأن ذلك مما يقوي الإيمان في النفوس.

و- إثبات النبوة من خلال أسلوب المدح والثناء في السنة النبوية المطهرة:

ورد في السنة النبوية المطهرة تنويع في أساليب إثبات النبّوة وكان من ضمن تلك الأساليب المدح، فقد مدح الرسول ﷺ نفسه الزكيّة وأثبت من خلال هذا الأسلوب النبوة له عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»(٢).

يقول ابن حجر رحمه الله في شرح ذلك: خصّه بالذكر لظهور ذلك له يومئذ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود(٣).

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ١٢٤، رقم الحديث: ٢٨٤، قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٤٤٨، رقم الحديث: ٣٣٤٠، ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/ ٤٢٩، رقم الحديث: ١٩٤، مرجعان سابقان.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠، مرجع سابق.

وكذلك ما رواه الشيخان رحمهما الله تعالىٰ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب**»[1].

هذا الحديث الشريف ليس بشعر كما يتصور البعض، لأنه مفتقد لشروطه، وهي كما ذكرها النووي رحمه الله تعالىٰ بأن الشاعر سمي شاعراً لوجوه منها: أنه شعر القول وقصده وأراده واهتدىٰ إليه وأتىٰ به كلاماً موزوناً علىٰ طريقة العرب مقفىٰ، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعراً، وعلىٰ هذا فالكلام الموزون لا يكون شعراً إلاّ بالشروط المذكورة وهي القصد وغيره مما سبق. والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يُعد شعراً وإن كان موزوناً[2].

أمّا قوله: «**أنا النبي لا كذب**»: أي أنا النبي حقاً فلا أفرّ ولا أزول. وأمّا قوله: «**أنا ابن عبدالمطلب**»: فإنه كانت شهرته ﷺ بجدّه أكثر، لأن أباه عبدالله توفىٰ شاباً في حياة أبيه عبد المطلب قبل اشتهار عبدالله وكان عبدالمطلب مشهوراً، فكان ينسب لجدّه لشهرته، ومنه حديث همام بن ثعلب في قوله: أيكم ابن عبدالمطلب؟ وقد كان مشتهراً عندهم أن عبدالمطلب بشّر بالنبي ﷺ وأنه سيظهر وسيكون شأنه عظيماً، وكان قد أخبره بذلك سيف بن ذي يزن وقيل: إن عبدالمطلب رأىٰ رؤيا تدل علىٰ ظهور النبي ﷺ وكان ذلك مشهوراً عندهم فأراد النبي ﷺ تذكيرهم بذلك وتنبيههم بأنه ﷺ لابد من ظهوره علىٰ الأعداء وأن العاقبة له لتقوىٰ نفوسهم[3]، يقول النووي رحمه الله تعالىٰ معلقاً علىٰ الحديث: « وفي الحديث دليل جواز قول الإنسان في الحرب: أنا فلان وأنا ابن

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٨٥، رقم الحديث: ٢٨٦٤، مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٤٥٨، رقم الحديث: ١٧٧٦، مراجع سابقة.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم: ١٢/ ٤٥٩، مرجع سابق.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

فلان ومثله قول سلمة : أنا ابن الأكوع ، وقول علي رضي الله عنه : أنا الذي سمتني أمي حيدرة ، وأشباه ذلك ، وقد صرح بجواز ذلك علماء السلف وقالوا : وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار كفعل الجاهلية»[1] .

ومما سبق يتضح أن المصطفى ﷺ قد استخدم أسلوب المدح ومن خلاله أثبت عليه الصلاة والسلام نبوّته ، ولهذا يلزم الداعية أن يكون على دراية وعناية بالأساليب البيانية هذه لكي يعينه ذلك على فهم النصوص الشرعية ومعرفة المراد منها ، وأيضاً تكون عوناً له في استخدامها على الوجه الشرعي الصحيح في دعوته إلى الله تعالى .

ز- إثبات النبوة من خلال أسلوب ذمّ ماينا قض النبوة في السنة النبوية المطهرة :

ذمّ الرسول ﷺ الكهانة والسحر والعرافة لما فيها من الكفر والاستعانة بالشياطين ، وجاء الذّم على وجه النهي عن إتيانهم تارة وعلى وجه بيان حقيقتها وأنها ليست بشيء تارة أخرى وثالثة على وجه بغضها وكراهتها ، يقول ابن حجر رحمه اللّه تعالى : « ورد في ذم الكهانة ماأخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه : « **من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** »[2] ، وفي رواية مسلم : « من أتى عرافاً »[3] .

ويقول شارح تحفة الأحوذي : « والحديث الذي فيه : « من أتى كاهناً » قد يشتمل على إتيان الكاهن والعراف والمنجم »[4] .

---

(١) المرجع السابق : ١٢/ ٤٦١ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري : ١٠/ ٢٦٧ ، وكذلك انظر : الترمذي ، الجامع الصحيح : ١/ ٢٤٢ ، رقم الحديث : ١٣٥ ، مراجع سابقة .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٤/ ٣٨٩ ، رقم الحديث : ٢٢٣٠ ، مرجع سابق .

(٤) المباركفوري ، تحفة الأحوذي : ١/ ٤٣٩ ، مرجع سابق .

ويستنبط من ربط الرسول ﷺ بين إتيان الكهان والكفر بما أنزل على محمد ﷺ في الحديث السابق إثبات النبوة وصدق الرسالة .

ومن ذمّه ﷺ للكهان ماجاء عنه عليه الصلاة والسلام من النهي عن إتيانهم فيما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت : يارسول اللّه أموراً كنا نصنعها في الجاهلية : كنا نأتي الكهان . قال : « **فلا تأتوا الكهان**»(١) .

وبين النبي ﷺ حقيقة الكهانة فعن عائشة رضي اللّه عنها قالت : سأل أناس رسول اللّه ﷺ عن الكهانة فقال لهم رسول اللّه ﷺ : « ليسوا بشيء » . قالوا : يارسول اللّه فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً . قال رسول اللّه ﷺ : (**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقرها في أذن وليّه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**) (٢) .

ففي الأحاديث السابقة ذمّ الرسول ﷺ الكهانة لما فيها من الكفر والاستعانة بالشياطين ، ولأنها تناقض النبوة حيث يدعي الكاهن الغيب وهو كاذب ، أمّا النبي فإن ما يقوله صدق وحق ، لأن الذي يعلمه هو الله عز وجل ، ولهذا يلزم الداعية أن يكون على دراية وعلم بالأساليب البيانيّة التي فيها المدح والذّم لكي يفيده ذلك في معرفة مرامي ومقاصد وأهداف تلك الأساليب في الدعوة إلى الله تعالى ، فعندما ذمّ رسول الهدى عليه الصلاة والسلام الكهّان والكهانة وربطها بالكفر فهو يثبت في الوقت نفسه النبوّة وهذه من جماليات اللغة العربية .

ح- إثبات النبوة من من خلال أسلوب الترغيب في السنة النبوية المطهرة :

نوّع الرسول ﷺ أساليب إثبات النبوة ، فكان من تلك الأساليب أسلوب الترغيب في العمل الصالح ، ومن ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٤/ ٣٨٥ رقم الحديث : ٢٢٢٧ ، مرجع سابق .
(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٢٣ .

حارثة بن وهب قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل لو جئت بالأمس لقبلتها، فأمّا اليوم فلاحاجة لي بها**»(١).

ففي هذا الحديث يحثّ الرسول ﷺ على الصدقة ويرغّب في المبادرة لفعلها والسبب هو ما أخبربه عليه الصلاة والسلام من علوم غيبيّة في المستقبل ستقع وهي كثرة الأموال وظهور كنوز الأرض ووضع البركات فيها(٢). يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : «ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبدالعزيز وبذلك جزم البيهقي وأخرج في «الدلائل» من طريق يعقوب بن سفيان بسنده إلى عمر بن أسيد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب قال : «إنما ولي عمر بن عبدالعزيز ثلاثين شهراً ، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده ، قد أغنى عمر الناس» ، ثم قال : قال البيهقي : فيه تصديق ما روي في حديث عدي بن حاتم الذي قال الرسول ﷺ فيه : «**ولئن طالت بك حياة لترينّ الرجل يخرج ملء كفّه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه**»(٣). يقول ابن حجر بعد ذلك : ولاشك في رجحان هذا الإحتمال لقوله في الحديث : «**ولئن طالت بك حياة**»(٤).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٣٥٥، رقم الحديث: ١٤١١ ومسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٧/ ٧٩ رقم الحديث: ١٠١١ ، مراجعان سابقان.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم: ٧/ ٧٩، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٧٤٦ ، جزء من الحديث: ٣٥٩٥، مرجع سابق.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٧٤٩، مرجع سابق.

وخلاصة القول : إن حديث الرسول ﷺ السابق تضمّن : الترغيب في الصدقة والحث على المبادرة بها واغتنام إمكانها قبل تعذرها حيث قد صرح بهذا المعنى بقوله ﷺ في رواية مسلم«**تصدقوا فيوشك الرجل**» ، وتضّمن علوماً غيبيّة في المستقبل وقد وقعت كماقرر العلماء، وهذه معجزة ودليل على نبوته ﷺ أخبربها من خلال أسلوب الترغيب في الأعمال الصالحة .

ولهذا يتضح سعة اللغة، وتنوع أساليبها مما يحتم على الداعية الاهتمام والعناية بهذه الأساليب لتعينه على أداء مهمته الدعوية على الوجه الشرعي المطلوب .

ط – إثبات النبوة من خلال أسلوب الترهيب في السنة النبوية المطهرة

من الأحاديث الدالة على نبوته ﷺ وقوع ما أخبر به كما أخبر واشتمال هذه الأخبار على أسلوب التخويف والترهيب ومن ذلك مارواه البخاري رحمه اللّه تعالى عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه حدّث : « عن سعد بن معاذ أنه قال : كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول اللّه ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة . فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل ، فقال : ياأبا صفوان من هذا معك ؟ فقال : هذا سعد . فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أمّا واللّه لولا أنك مع أبي صفوان مارجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد ورفع صوته عليه : أما واللّه لئن منعتني هذا لأمنعنك ماهو أشد عليك منه طريقك على المدينة . فقال له أمية : لاترفع صوتك ياسعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعنا

عنك ياأميّة ، فواللّه لقد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : إنهم قاتلوك ، وفي رواية : يزعم أنه قاتلك[1] ، قال : بمكة ؟ قال : لاأدري ، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً . فلما رجع أمية إلىٰ أهله قال : ياأم صفوان ألم تري ماقال لي سعد ؟ قالت : وماقال لك ؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لاأدري . فقال أمية : واللّه لا أخرج من مكة . فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال : ياأبا صفوان إنك متىٰ مايراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتىٰ قال : أمّا إذا غلبتني فواللّه لأشترين أجود بعير بمكة[2] . ثم قال أمية : ياأم صفوان جهزيني . فقالت له : ياأبا صفوان وقد نسيت ماقال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا . ماأريد أن أجوز معهم إلاّ قريباً فلما خرج أمية أخذ لايترك منزلاً إلاّ عقل بغيره فلم يزل بذلك حتىٰ قتله اللّه عز وجل ببدر»[3] .

ومن إخباره ﷺ بما سيقع ووقع كما أخبر وكانت من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام مارواه ابن كثير رحمه اللّه تعالىٰ عن عروة بن الزبير قال : « كان أبي بن خلف أخو بني جمح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول اللّه ﷺ فلما بلغت رسول اللّه ﷺ حلفته قال : بل أنا أقتله إن شاء اللّه ، فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديث مقنعاً وهو يقول : لانجوت إن نجا محمد . فحمل علىٰ رسول اللّه ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول اللّه ﷺ

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٧٦٨ ، رقم الحديث : ٣٦٣٢ ، مرجع سابق .

(٢) لأشترين أجود بعير بمكة : يعني فأستعد عليه للهرب إذا خفت شيئاً . انظر : ابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٣٥٥ ، مرجع سابق .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٧/ ٣٥١ ، رقم الحديث : ٣٩٥٠ ، مرجع سابق .

بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير وأبصر رسول اللّه ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بالحربة فوقع إلىٰ الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ماأجزعك ؟ إنما هو خدش ، فذكر لهم قول رسول ﷺ : أنا أقتل أبياً ، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلىٰ النار فسحقاً لأصحاب السعير »[1] .

وفي رواية أخرىٰ لابن إسحاق : « لّما أسند رسول اللّه ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لانجوت إن نجوت ، فقال القوم : يارسول اللّه يعطف عليه رجل منّا؟ فقال رسول ﷺ : دعوه ! فلما دنا منه تناول رسول اللّه ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فقال بعض القوم كما ذكر لي : فلما أخذها رسول اللّه ﷺ انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله رسول ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ[2] منها عن فرسه مراراً »[3] .

فمما سبق يتضح أن الرسول ﷺ أخبر بأمور غيبية لايعلمها إلا هو بما علمه اللّه . ووقعت كما أخبر بها إضافة إلىٰ أن هذه الأخبار اشتملت علىٰ تخويف ووعيد ، وكان من يتوعده عليه الصلاة والسلام يتوجس وقوع هذا الوعيد بين الفينة والأخرىٰ لعلمهم بصدق محمد ﷺ وأنه لايكذب : ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4] ، ولهذا كان أسلوب الترهيب أحد الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ في إثبات النبوة .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٤/ ٤٠٨ ، والبيهقي ، دلائل النبوة : ٣/ ٢٣٧ ، و ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٣٩ ، مراجع سابقة .

(٢) تدأدأ : تقلب عن فرسه وتدحرج (انظر : البيهقي ، الدلائل : ٣/ ٢٣٨ ، مرجع سابق) .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٤/ ٤٠٨ ، ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٣٨ ، مرجعان سابقان .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٣٣ .

٢ ـ إثبات النبوة بالمنهج العاطفي من خلال الرحمة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة :

روىٰ الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قيل : يارسول اللَّه ادع علىٰ المشركين قال : « **إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة**»(١) .

وقد بينا في المطلب الأول أنه ﷺ كان سبباً في أمن أعدائه مدّة حياته عليه الصلاة والسلام فيهم . فكان كما قال عليه الصلاة والسلام : «**إنما أنا رحمة مهداة**»(٢) الرحمة بالمدعوين تتحقق من خلال : القول اللين اللطيف والكلمة الاستعطافية والمشاركة الوجدانية وغير ذلك .

ولتمام إيضاح دور جانب الرحمة بالمدعوين في إثبات النبوة سنتناول ذلك من خلال بيان دور أساليب هذا الجانب (المذكورة آنفاً) في إثبات النبوة علىٰ النحو التالي :

أ ـ إثبات النبوة من خلال القول اللين والكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة :

أيّد اللَّه عز وجل رسوله ﷺ بآيات ومعجزات كان سببها تحليه عليه السلام بالأخلاق الفاضلة والقول اللين والكلمة الطيبة ، لأن اللَّه حماه من الغلظة : ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾(٣) ، وكانت هذه الخصال آيات وعلامات علىٰ نبوته عليه الصلاة والسلام جعلت الكثير من أهل الكتاب

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١١٥ ، رقم الحديث : ٢٥٩٩ ، مرجع سابق .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٦/ ٦٥٢ ، مرجع سابق .
(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ .

يدخلون في الإسلام، ومن ذلك ما أخرجه البيهقي عن عبد اللّه بن سلام الحبر قال: « إن اللّه عز وجل لمّا أراد هُدَىٰ زيد بن سعنة. قال زيد بن سعنة: مامن علامات النبوة شيء إلاّ وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلاّ اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولايزيده شدة الجهل عليه إلاّ حلماً، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، فخرج رسول اللّه ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فأتاه رجل علىٰ راحلته كالبدوي فقال: يارسول اللّه إن بصرىٰ قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سنة وشده وقحوط من الغيث، فأنا أخشىٰ يارسول اللّه أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر رسول اللّه ﷺ إلىٰ رجل إلىٰ جانبه أراه علياً، فقال رسول اللّه ﷺ: «**مابقي منه شيء أو مابقي معك منه شيء**»، قال زيد بن سعنة: فدنوت منه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلىٰ أجل كذا وكذا فقال: (**لا يايهودي! ولكني أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان**). قلت: نعم. فبا يعني فأطلقت هميماني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلىٰ أجل كذ وكذا فأعطاه الرجل وقال: (**احمل إليهم وأعنهم**). قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة وخرج رسول اللّه ﷺ إلىٰ جنازة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي اللّه عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلىٰ علىٰ الجنازة دنا من جدار ليجلس إليه فأتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضي يامحمد حقي، فواللّه ماعلمتكم بني عبد المطلب لمطل ولقد كان لي بمماطلتكم علم. قال: فنظرت إلىٰ عمر وإذا عيناه تدوران في وجه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال: ياعدو اللّه! أتقول

لرسول اللَّه ﷺ ماأسمع وتصنع ماأرىٰ، فوالذي بعثه بالحق لولا ماأحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك . و رسول اللَّه ﷺ ينظر إلىٰ عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : (**ياعمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة . اذهب به ياعمر فاعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان مارعته**) ، قال زيد : فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر . فقلت : ماهذه الزيادة ياعمر؟ فقال : أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أزيدك مكان مارعتك . فقلت : أتعرفني ياعمر ؟ قال : لا . فمن أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سعنة قال : الحبر؟ قلت : الحبر . قال فما دعاك إلىٰ أن فعلت برسول اللَّه ﷺ مافعلت ، وقلت له ماقلت ؟ قلت : ياعمر إنه لم يكن من علامات النبوة شيء إلاّ وقد عرفته في وجه رسول اللَّه ﷺ حين نظرت إليه إلاّ اثنين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولاتزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما . فأشهدك ياعمر أني قد رضيت باللَّه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وأشهدك أن شطر مالي ، فإني أكثرهم مالاً صدقة علىٰ أمة محمد ﷺ . فقال لي عمر : أو علىٰ بعضهم ، فرجع عمر وزيد إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وآمن به وصدقه وتابعه وشهد معه مشاهد كثيرة وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر . رحم اللَّه زيداً»[1] .

وفي رواية أنه قال : « أما واللَّه مافعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلىٰ نعتك في التوراة : محمد بن عبد اللَّه مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب في الأسواق ، ولامتزين بالفحش ولاقول الخنا ، أشهد

(١) روىٰ قصة إسلامه الطبراني وابن حبّان والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح ، (انظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٦/ ٢٧٨، مرجع سابق).

أن لاإله إلاّ اللّه وأنك رسول اللّه وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك اللّه . وكان اليهودي كثير المال»[1].

أمّا الكلمة الاستعطافية فهي كقول الداعي: يابني ، يا أبت ، يا قوم، ونحو ذلك، وقد وردت في السنة النبوية المطهرة ضمن تركيب كلام الرسول ﷺ، الذي يتضمن أحد المعجزات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام، والحديث رواه مسلم رحمه الله تعالى عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل رسول الله ﷺ أحد عن الدّجال أكثر مما سألته عنه فقال لي: «**أي بُنَيَّ،وما ينصبك منه ؟ إنه لن يضرك**» **قال** قلت : انهم يزعمون أن معه أنهار الماء وجبال الخبز، قال:«**هو أهون على الله من ذلك**»[2].

يذكر النووي رحمه الله تعالى في شرحه للحديث أن قوله: «أي بني وما ينصبك منه؟ إنه لن يضرك» هو من معجزات النبوة الدالة على نبوّة محمد ﷺ حيث إن فيها تقريراً بأمر هو من علم الغيب، وهذا لا يعلمه إلاّ نبي علمه الله عز وجل[3].

ومما سبق يتضح للداعية دور القول اللّين اللطيف والكلمة الاستعطافية في إثبات النبّوة، وهذا يعطي تلك الأساليب أهمية كبيرة كونها استخدمت في المسائل العقدية المهمة، ولهذا يلزم الداعية الاهتمام بها واستخدامها على ضوء الكتاب والسنة.

---

(١) المرجع السابق : ٦/ ٢٨١.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٣٠٧، رقم الحديث: ٢١٥٢، مرجع سابق.

(٣) انظر: النووي ، شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٣٠٨، مرجع سابق.

ب- إثبات النبوة من خلال المشاركة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة :

من صور المشاركة الوجدانية الدعاء للمصاب بمرض أو لصاحب حاجة أو غير ذلك ، وفيما شوهد من معجزات أفعاله ماورواه الماوردي : « أن طفيلاً العامري جاء إلىٰ النبي ﷺ فشكا إليه الجذام ، فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحاً »(١) .

وروىٰ الماوردي كذلك : « أن أبا قتادة بن ربعي جاءه يوم أحد وقد انقلعت إحدىٰ عينيه وتعلقت علىٰ وجهه ، فقال : يارسول اللّه ﷺ إن لي امرأة وأخشىٰ أن يقصني هذا عندها . فردها رسول اللّه ﷺ إلىٰ موضعها فكانت أحسن عينيه »(٢) .

وروىٰ الماوردي أيضاً عن عروة بن الزبير(٣) « أن زبيرة أسلمت فأصيب بصرها ، فقالوا لها : أصابك اللات والعزىٰ ، فرد اللّه عليها بصرها فقال عظماء قريش : لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقتنا إليه زبيرة فأنزل اللّه تعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾(٤)، وأخرج الأصبهاني عن أم جندب قالت : رأيت النبي ﷺ اتبعته امرأة من خثعم ومعه صبي لها به بلاء ، فقالت : يارسول اللّه إن صبي هذا وبقية أهلي به بلاء لايتكلم ، فقال رسول اللّه ﷺ : ائتوني بشيء من الماء ، فأتي بماء فغسل يديه ثم مضمض فاه ثم أعطاها فقال : اسقيه منه وصبي عليه منه واستشفي اللّه له . قالت : فلقيت المرأة فقلت لو

(١) الماوردي ، أعلام النبوة : ١١٧ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ١١٨ .

(٣) المرجع السابق : ١١٨ .

(٤) سورة الأحقاف ، آية : ١١ .

وهبت لي منه . فقالت : إنما هو لهذا المبتلىٰ . قالت : فلقيت المرأة من الحول فسألتها عن الغلام قالت برأ وعقل عقلاً ليس كعقول الناس »[1] .

ومن هنا يتبيّن للدّاعية دورأسلوب المشاركة الوجدانية في إثبات النبوة ، والذي ينبغي علىٰ الداعية أن يستثمر مثل ذلك في دعوته فيذكرها ويستشهد بها علىٰ إثبات حقائق الإسلام علىٰ نحو ذلك .

(١) الأصبهاني ، دلائل النبوة : ٣٤٩ ، مرجع سابق .

٣ـ قضاء الحاجات وتأمين الخدمات ودورهما في إثبات النبوة في السنة النبوية المطهرة :

ذكرنا في المطلب الأول أن هذا الجانب له صورتان : قضاء الحاجات وتأمين الخدمات، ولتمام دور هذا الجانب بصورتيه في إثبات النبوة سنتناول كل صورة على حدة ودورها في اثبات هذا الجانب العقدي المهم على النحو التالي :

أ- إثبات النبوة من خلال قضاء الحاجات في السنة النبوية المطهرة :

كان محمد ﷺ كما وصفته خديجة رضي اللّه عنها : يحمل الكل ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق مع من يعرف ومن لايعرف، وقد أظهر اللّه عزو جل له من خلال هذا الخلق معجزات وآيات تدل على نبوته وصدق رسالته، ومن ذلك على سبيل المثال ماذكره ابن كثير عن محمد بن إسحاق، قال : « قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها . فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول اللّه ﷺ جالس في ناحية المسجد . فقال : يامعشر قريش من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك يهزون به إلى رسول اللّه ﷺ لما يعلمون مابينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فهو يعديك عليه . فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول اللّه ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه . فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر مايصنع ؟ فخرج رسول اللّه ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه . فقال : من هذا ؟ قال : « **محمد فاخرج**»، فخرج إليه ومافي وجهه قطرة دم وقد انتقع لونه . فقال: « **اعط هذا الرجل حقه** »، قال : لاتبرح حتى أعطيه الذي له . قال : فدخل فخرج إليه بحقه

فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول اللّه ﷺ وقال للإراشي : « **إلحق لشأنك**» ، فأقبل الإراشي حتىٰ وقف علىٰ ذلك المجلس فقال : جزاه اللّه خيراً فقد أخذت الذي لي وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، واللّه ماهو إلاّ أن ضرب عليه بابه فخرج ومامعه روحه فقال : « اعط هذا الرجل حقه» فقال : نعم ! لاتبرح حتىٰ أخرج إليه حقه فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه .

ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك ، فواللّه مارأينا مثل ماصنعت فقال : ويحكم واللّه ماهو إلاّ ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل مارأيت مثل هامته ولاقصرته ، ولا أنيابه لفحل قط ، فواللّه لو أبيت لأكلني »[1] .

فهذه الحادثة فيها من الآيات الخارقة للعادة مايثبت نبوة محمد ﷺ من خلال نجدته ومساعدته للمحتاجين .

ومما سبق يتبيّن للداعية دورقضاء الحاجات في إثبات النّبوة ، ويتعيّن عليه أن يعي أهمية قضاء حاجة ذوي الحاجات وأن ينهج منهج الرسول ﷺ فيقدم للمحتاجين مايستطيعه أيّاً كان نوع تلك الحاجات ، ففي ذلك أجر عظيم وثواب كبير ، وإذا رافق هذا العمل الإخلاص والاجتهاد في قضاء الحاجة فسوف يكتب الله عز وجل بإذنه وتوفيقه نجاحه ، لأن الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٣/ ٥٠ ، وكذلك:الأصبهاني : دلائل النبوة : ١٤٣ ، مرجعان سابقان .

ب – إثبات النبوة من خلال تأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة :

ذكرنا أن تأمين الخدمات يتحقق بتوفير مايحتاجه المجتمع من خدمات اجتماعية متنوعة : دفاعية، وأمنية ، وتعلّيمية ، وصحية ، واقتصادية وغير ذلك من الخدمات .

وقد كان الرسول ﷺ هو المسؤول بعون اللّه عز وجل عن توفير هذه الخدمات لمجتمع الإسلام، فكان عليه الصلاة والسلام يجتهد ويبذل قصارىٰ مايملك في سبيل تحقيق هذه الخدمات، وقد أظهر اللّه عز وجل له آيات ومعجزات بينات من خلال قيامه بهذا الواجب الشريف أثبتت صدق نبوته وصحة رسالته، ولايمكن في هذا المقام حصر هذه الدلائل لكل المجالات الخدمية، وإنما سنتناول البعض منها كنموذج لبقية المجالات الآخرىٰ .

فمن ذلك علىٰ سبيل المثال : مايتعلق بالمجال الاقتصادي وتوفير الحياة المعيشية الكريمة لأفراد المجتمع المسلم بتأمين الخدمات الضرورية .

أخرج أبو داود رحمه اللّه تعالىٰ عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : شكا الناس إلىٰ رسول اللّه ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلىٰ وواعد الناس يوماً يخرجون فيه . قالت عائشة : فخرج رسول اللّه ﷺ حين بدأ حاجب الشمس فقعد علىٰ المنبر فكبر ﷺ وحمد اللّه عز وجل ثم قال : « **إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم اللّه عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم** » ثم قال : «**الحمد للّه رب العالمين، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » لاإله إلاّ اللّه يفعل مايريد ، اللهم أنت اللّه لاإله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ماأنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين** » ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتىٰ بدا بياض إبطيه ، ثم حوّل إلىٰ الناس ظهره وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل علىٰ الناس ونزل فصلىٰ ركعتين ،

فأنشأ اللَّه سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن اللَّه فلم يأت مسجده حتىٰ سالت السيول ، فلما رأىٰ سرعتهم إلىٰ الكنّ ضحك ﷺ حتىٰ بدت نواجذه فقال : «**أشهد أن اللَّه على كل شيء قدير وأني عبد اللَّه ورسوله** »[1] .

وروىٰ الإمام البخاري رحمه اللَّه تعالىٰ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : «أصاب أهل المدينة قحط علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ فبينا هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال : يارسول اللَّه هلكت الكراع ، هلكت الشاء فادع اللَّه يسقينا ، فمدّ يده ودعا ، قال أنس : وإن السماء كمثل الزجاجة : فهاجت ريح أنشأت سحاباً ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتىٰ أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلىٰ الجمعة الأخرىٰ ، فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال : يارسول اللَّه : تهدمت البيوت فادع اللَّه يحبسه . فتبسم ثم قال : «**حوالينا ولاعلينا** »، فنظرت إلىٰ السحاب يتصدع حول المدينة كأنه إكليل»[2] .

وممّا سبق يتبين دور تأمين الخدمات في إثبات النبوّة، ولهذا يستفاد من الحديث أنه يتعين علىٰ الداعية أن يبادر إلىٰ تأمين هذا الجانب إذا احتاج إليه المجتمع، وأن يبذل في تحقيق ذلك ما في وسعه وإذا لم يستطع فعليه حثّ الناس وأعيان المجتمع ومفكريه إلىٰ تأمينه، لأن الخدمات العامة أمر جليل ونفعها عظيم، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فكان عليه الصلاة والسلام لا يدع مجالاً من مجالات الخير إلاّ طرقه وأمر به وحثّ علىٰ فعله ورغب فيه، فهو الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أبو داود ، السنن : ١/ ٤٨٣ ، رقم الحديث : ١١٧٣ والألباني ، صحيح سنن أبي داود : ١/ ٣٢٠، رقم الحديث: ١١٧٣ ، وقال عنه: حسن.

(٢) الحديث سبق تخريجه ص: ٢٥١ .

المبحث الثالث

إثبات البعث بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة

ويشتمل على توطئة ومطلبين

المطلب الأول : إثبات البعث بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: إثبات البعث بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة .

تـوطـئة :

البعث في اللغة : الإثارة ، يقال بعثت الناقة إذا أثرتها [1] .

وفي الاصطلاح الشرعي : إثارة الناس من قبورهم يوم القيامة وإعادتهم بعد موتهم للحساب والجزاء [2] .

وقيل : هو إحياء الموتىٰ بعد النفخة الثالثة في اليوم الآخر [3] .

والمعاد في التصور الإسلامي هو : « إعادة اللَّه عز وجل للأجساد بعينها التي أطاعت وعصت ، فينعمها ويعذبها كما ينعم الروح التي آمنت بعينها ويعذب التي كفرت بعينها ، والمكذبون بالبعث لم ينكروا قدرة اللَّه علىٰ خلق أجسام أُخر غير هذه الأجسام يعذبها وينعمها ، كيف وهم يشهدون النوع الإنساني يخلق شيئاً بعد شيء ! فكل وقت يخلق اللَّه سبحانه أجساماً وأرواحاً غير الأجسام التي فنيت ، فكيف يتعجبون من شيء يشاهدونه عياناً ؟! وإنما يعجبوا من عودهم بأعيانهم بعد أن مزقهم البلىٰ وصاروا عظاماً ورفاتاً ، فتعجبوا أن يكونوا هم بأعيانهم مبعوثين للجزاء ، ولهذا قالوا : ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ [4] ، وقالوا : ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [5] .

ولو كان الجزاء إنما هو لأجسام غير هذه لم يكن ذلك بعثاً ولا رجعاً ، بل

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات : ٦٣ ، مادة : بعث ، مرجع سابق .

(٢) سعود عبدالعزيز العريفي ، الأدلة العقلية النقلية علىٰ أصول الاعتقاد ، : ٥٦٠ ، مرجع سابق .

(٣) الدكتور / عبدالباقي أحمد عطا الله ، اليوم الآخر في الكتاب والسنة ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤٠٩هـ ١٠٩ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ١٦ .

(٥) سورة ق ، آية : ٣ .

يكون ابتداءً ولم يكن لقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾[1] كبير معنىٰ، فإنه سبحانه جعل هذا جواباً لسؤال مقدر وهو : أنه يميز تلك الأجزاء التي اختلطت بالأرض واستحالت إلىٰ العناصر بحيث لاتتميز ، فأخبر سبحانه أنه قد علم ماتنقصه الأرض من لحومهم وعظامهم وأشعارهم، وأنه كما هو عالم بتلك الأجزاء فهو قادر علىٰ تحصيلها وجمعها بعد تفرقها وتأليفها خلقاً جديداً[2] .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه اللّٰه تعالىٰ : « إن شبه المنكرين للمعاد كلها تعود إلىٰ ثلاثة أنواع :

أحدها : اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض علىٰ وجه لايتميز ولايحصل معه تميز شخص عن شخص .

الثاني : أن القدرة لاتتعلق بذلك .

الثالث : أن ذلك أمر لافائدة فيه ، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعد شيء هكذا أبداً ، كلما مات جيل خلفه جيل آخر فأما أن يميت النوع الإنساني كله ثم يحييه بعد ذلك ، فلا حكمة في ذلك »[3] .

ثم قال رحمه اللّٰه تعالىٰ : « فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية علىٰ ثلاثة أصول :

أحدها : تقرير كمال علم الرب سبحانه ، كما قال في جواب من قال : ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

---

(١) سورة ق ، آية : ٤ .

(٢) انظر : محمد بن أبي بكر ابن القيم، الفوائد ، تحقيق وتعليق ، محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، الطبعة: السادسة ، تاريخها : ١٤١٨هـ :١٩ ـ ٢٠ .

(٣) المرجع السابق : ٢٠ .

عَلِيمٌ﴾[1]. وقال : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾[2]. وقال تعالىٰ : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾[3].

والثاني : تقرير كمال قدرته : كقوله : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[4]. وقوله : ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[5]. وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6].

والثالث : كمال حكمته : كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[7].

وقوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾[8]. وقوله : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[9]. وقوله تعالىٰ : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[10].

وقوله تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) سورة يس ، الآيتان: ٧٨ـ٧٩.

(٢) سورة الحجر ، الآيتان: ٨٥ـ٨٦ .

(٣) سورة ق ، آية : ٤ .

(٤) سورة يس ، آية : ٨١.

(٥) سورة القيامة ، آية : ٤ .

(٦) سوة الحج ، آية : ٦ .

(٧) سورة الأنبياء، آية: ١٦ .

(٨) سورة ص ، آية : ٢٧ .

(٩) سورة القيامة ، آية : ٣٦.

(١٠) سورة المؤمنون ، الآيتان: ١١٥ـ١١٦ .

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1] .

ومسألة البعث والنشور من المسائل المعتبرة في صحة الدين، والبحث عن هذه المسألة إمّا أن يقع عن إمكانها أو عن وقوعها ، أمّا الإمكان فيجوز إثباته تارة بالعقل وبالنقل أخرىٰ .

فأمّا الإثبات بالعقل فيكون بأحدِ الاستدلالات التالية :

١ ـ الاستدلال بالبدء علىٰ الإعادة .

٢ ـ الاستدلال بخلق السموات والأرض .

٣ ـ الاستدلال بإحياء الأرض الميتة .

٤ ـ الاستدلال بإخراج النار من الشجر الأخضر .

٥ ـ الاستدلال بإحياء الأموات في الدنيا .

وأمّا الوقوع فلا سبيل إليه إلاّ بالنقل [2] .

وبهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع [3] .

وحيث إن أسلوب القرآن حينما يخاطب الإنسان في المسائل العقدية خاصة (كالوحدانية ، النبوية، والبعث) فإنه لا يخاطب العقل بمعزل عن العاطفة، ولاالعكس، بل يخاطب الإنسان بكيانه من عقل وعاطفة وأحاسيس، وماذاك إلاّ لأن العقل هو مناط التكليف، ولأن العقل المنضبط بضابط الشرع يستطيع التمييز بين الحق والباطل، بينما القلب هو موطن الإيمان ووعاء الشعور ومرتكز

(١) سورة الجاثية ، آية : ٢١ .

(٢) انظر : الرازي ، مفاتيح الغيب : ٢/ ١١٣ ـ ١١٤ ، مرجع سابق .

(٣) ابن قيّم الجوزية ، الفوائد : ٢٢ ، مرجع سابق .

الفطرة، فلاغنىٰ لأحد من العقل أو القلب عن الآخر، ولهذا كان منهج القرآن في مخاطبة الإنسان مزيجاً من المنهج العقلي والمنهج العاطفي، حتىٰ يجد الحق طريقه إلىٰ الفطرة السليمة التي فطر الله تعالىٰ الناس عليها، فيحيا وازع الإيمان بالقلب ويتم الاقتناع والتصديق بدين الله تعالىٰ .

وبالنظر والتأمل في مجموع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد أن المنهج العاطفي يظهر أدلة البعث السابقة من خلال أساليبه المختلفة مقرونة بالاستدلالات العقلية السابقة أو ضمن تركيب الخبر المعصوم، وسوف نبين ذلك من خلال المطلبين التاليين :

المطلب الأول : إثبات البعث والنشور بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : إثبات البعث والنشور بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة .

المطلب الأول

إثبات البعث والنشور بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم قد عالج قضية إنكار البعث بأساليب متعددة وأدلة متنوعة تأخذ بالألباب وتقيم الحجة الدامغة والدليل المقنع والبرهان الساطع أمام العقول الشاردة فإذا بها تستيقظ من سباتها وتفيق من غفلتها وتنتبه من شرودها فتسلم بكمال القدرة والعلم والحكمة الإلهية، فلم يترك اللّه جل جلاله باباً من البيان المفهم إلاّ ساقه إليهم، فتارة يسوق إليهم الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث، وتارة يذكرهم بمصير المكذبين من قبلهم، وهو في كل مرّة يعالجهم بالحكمة والموعظة الحسنة وفق المنهج العاطفي المنضبط الحكيم [1].

ولكي يتم إبراز دور المنهج العاطفي في إثبات البعث ، فإننا سنبين ذلك وفق أساليبه المختلفة كما جرت العادة في المبحثين الأول والثاني على النحو التالي :

١ ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال الموعظة الحسنة وأشكالها المختلفة في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [3].

---

(١) انظر: محمد سعيد البارودي، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، دار الوفاء، جدة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٧هـ: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٣٢ .

(٣) سورة الطلاق، آية : ٢ .

ولإبراز دور الموعظة الحسنة في إثبات البعث والنشور نورد أشكالها المختلفة ودور كل منها في إثبات هذه القضية المهمة على النحو التالي :

أ - إثبات البعث من خلال الإشارة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإشارة في القرآن الكريم بمعناها الحسي مرّة واحدة في قوله تعالى : ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾(١) .

وهذه الإشارة لا تحمل أي دلالة على ما نريده من إثبات البعث ولكن من المعلوم أن الإشارة الحسّية هي الإيماء باليد أو الرأس أو بحركة العين والحاجب، أوما يظهر على الوجه من الصفرة أو الحمرة أوالعرق أوالشحوب أو غير ذلك من حركات تقاسيم الوجه . وبما أن هذه الحركات هي في الواقع إشارات تعبر عن معنى معين ويفهم منها أحوال ومقامات معينة، فقد وردت في القرآن الكريم آيات توصف أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار وما يصدر عن كل منهم من حركات لأعضائهم سابقة الذكر هي في حدّ ذاتها إشارات تعبير تقوم مقام النطق، وقد ذكرها الحق تبارك وتعالى لأنها فعلاً تقوم مقام ذلك، فهي تعبّر عن السرور إن كان صاحبها من أهل الجنة وتعبّر عن الهلع والخوف إن كان من أهل النار، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾(٢) . أي حسنة جميلة من النعيم(٣) . فظهور النضارة عليها : إشارة مفهومة معلومة عن النعيم . وأيضاً قوله تعالى بشأن أهل النار : ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**﴾(٤) . أي كالحة

(٣) سورة مريم، الآيات : ٢٧-٢٩ .

(٢) سورة القيامة، آية : ٢٢ .

(٣) القاسمي، محاسن التأويل : ٩/ ٣٦٨، مرجع سابق .

(٤) سورة القيامة، آية : ٢٤ .

لجهامة هيئاتها وهول ماتراه هناك من الأهوال وأنواع العذاب والخسران[1]. فهذه علامات بارزة وإشارات واضحة يعرف بها حال هؤلاء وما يعانونه ويكابدونه من الهول والخوف والندامة. ومثله قوله تعالىٰ: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[2]. ومعنىٰ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رافعيها إلىٰ السماء، وقوله ﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لايطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان[3]. فحركات رؤوسهم وعيونهم هذه هي إشارات ثابتة بنص القرآن، ستحدث يوم القيامة فهي إثبات ليوم القيامة وبالتالي فهي إثبات للبعث؛ لأن البعث أحد أحداث ذلك اليوم العظيم بل يسبق التنعّم في الجنّة والعذاب في النار فإثباته من باب أولىٰ. ومن هذا يتضح دور الإشارة الحسية في إثبات البعث.

أمّا الإشارة المعنوية المتمثلة في أسماء الإشارة فقد وردت كثيراً في القرآن الكريم وكان من ضمن دلالاتها البعث وتوضيح ذلك في الآتي:

من المعلوم عند علماء النحو أن الأصل في أسماء الإشارة أن يراد بها الإشارة الحسّية قريبة أو بعيدة[4]. ومن المعلوم عند علماء اللغة أن لأسماء الإشارة أغراضاً ومقاصد بلاغية تؤديها التراكيب المتضمّنة اسم الإشارة، ومن تلك المقاصد[5]:

ـ تمييز المشار إليه لإحضاره في ذهن السامع حساً، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز لتنزله في المحسوس الذي أصله أن يستعمل فيه منزلة وضع اليد.

(١) القاسمي، محاسن التأويل: ٩/ ٣٦٨، مرجع سابق.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٣.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل: ٦/ ٣٢١، مرجع سابق.

(٤) طالب الزيلعي، المعاني: ١٨١، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق: ١٨٣.

ولو كان في المعارف ما هو أعرف منه فإن ذلك لا ينافي أن تكون فيه خصوصية يفوق بها ما سواه.

كما أن اسم الإشارة يحسك بالتعيين والتحديد وكأنك ترىٰ المشار إليه، فتكون دلالته التقرير، ومن ذلك فيما يخص إثبات البعث قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾[1].

فقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾: ذلك اسم إشارة إلىٰ ما تقدم ذكره يفيد: تحديد وتعيين وإبراز وتعظيم يوم القيامة الذي يكون البعث أحد أحداثه، وسمي ذلك اليوم بالحق، لأنه ثابت الوقوع.

وإذا تأملنا التركيب العام للجملة: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ نجد أن اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ مثله مثل بقية أسماء الإشارة المستعملة في النصوص القرآنية لاتكشف عن دلالتها البلاغية إلاّ بمعونة السياق أو مقتضىٰ الحال أو المقام فهي لا تؤديها بطبيعتها وإنما يستفاد من السياق الذي استعملت فيه لإظهار دلالتها.

فاسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ هنا من أغراضه تجسيد وإبراز يوم القيامة ودلالته زيادة تأكيد وقوعه[2].

ومساهمة اسم الإشارة في إثبات البعث ضمن السياق يأخذ عدة صور منها:

الآيات القرآنية التي جاء فيها تبشير وتهنئة للمؤمنين بالفوز والأجر العظيم بعد البعث والنشور ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ

(١) سورة النبأ، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) انظر: طالب الزيلعي، المعاني: ١٩٤، مرجع سابق.

الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]. فالمقصود بالفزع الأكبر في الآية كما فسره القرطبي رحمه الله تعالىٰ: هو أهوال يوم القيامة والبعث[2].

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ : يعني تقول لهم الملائكة تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ : أي قابلوا ما يسرّكم[3].

فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ يزيد الخبر قوة وتقريراً وأن ذلك اليوم الذي كنتم توعدونه في الدنيا هذا هو قد وقع حقيقة لامراء فيها.

الصورة الثانية: أن اسم الإشارة ورد ضمن تراكيب آيات من القرآن يثبت الحق تبارك وتعالىٰ من خلالها حقيقة وقوع البعث، لكن في معرض سياق التهكم بأصحاب النار، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

ومثله قوله تعالىٰ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[5].

وأيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٢٢٩، مرجع سابق.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٢٦٩، مرجع سابق.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٤.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥١.

(٦) سورة الأحقاف، آية: ٣٤.

يقول صاحب الكشاف[1] في تفسير قوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: هذا اسم إشارة إلى العذاب بدليل قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ والمعنى: التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[2].

ويقول ابن كثير في تفسير الآية السابقة: أي يقال لهم: أما هذا حق؟ أفسحر هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾: أي لايسعهم إلا الاعتراف[3].

وهذا بلا شك تأكيد لوقوع العذاب في اليوم الآخر، وإثبات وقوع العذاب يوم القيامة هو في الحقيقة إثبات للبعث؛ لأن عذاب أصحاب النار أو نعيم أهل الجنة لا يكون ولا يقع ولا يتأتى إلاّ بعد البعث.

فالخلاصة: أن أسماء الإشارة بطبيعة دلالتها تحدد المراد منها تحديداً ظاهراً يميزه تميزاً كاشفاً، وهذا التحديد قد يكون مقصداً مهماً للمتكلم؛ لأنه حين يكون معنياً بالحكم على المسند إليه بخبر ما فإن تمييز المسند إليه تميزاً واضحاً يمنح الخبر مزيداً من القوة والتقرير[4].

ومما سبق يتضح دور أسماء الإشارة في إثبات هذه المسألة العقدية المهمة، ولهذا ينبغي على الداعية أن يهتم بأسماء الإشارة كنوع من الألفاظ التي تتضمن مقاصد ومرامي عظيمة ولها مدلولات جليلة وهي تقوم مقام الإشارة الحسية، وقد فضّلت في عدّة مواضع من الإعجاز المبين على المعارف الأخرى وفي مقدمتها الضمير إيماءً إلى دلالة لا تتحقق إلاّ به وللإيذان بغرض بلاغي لايظهر إذا قدرت معرفة أخرى بدلاً منه[5].

---

(١) الزمخشري، الكشاف: ٥/ ٥١٣، مرجع سابق.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٣٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢١٤، مرجع سابق.

(٤) انظر: طالب الزيلعي، المعاني: ١٨٤، مرجع سابق.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٩٤ـ ١٩٥.

ب – إثبات البعث من خلال اسلوب التعريض في القرآن الكريم :

أخبر الحق تبارك وتعالىٰ عن البعث والنشور ضمن إخباره عن اليوم الآخر، وقد نوع اللّه عز وجل أساليب الإخبار وكان من ضمنها أسلوب التعريض، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ : ﴿ **مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾(١) .

فالتعبير هنا بالحياة الدنيا فيه تعريض بالحياة الآخرة التي من أعظم أحداثها البعث والنشور ومن ذلك أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾(٢) .

وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾(٣) .

يقول صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية : « أي أعرض عن دعوة من رأيته معرضاً عن ذكر اللّه وعن الآخرة ولم يرد إلاّ الدنيا ولاتتهالك علىٰ إسلامه»(٤) .

فالخلاصة : أن الحق سبحانه أخبر عن البعث والنشور من خلال إخباره عن الدار الآخرة باسلوب التعريض وهذا من إعجاز القرآن الكريم البياني .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١١٧ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٥٥ .

(٣) سورة النجم ، آية : ٢٩ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ٥/ ٦٤٤ ، مرجع سابق .

وهذا مما يجب على الداعية الاهتمام والعناية؛ به لأن تلك الأساليب مما يعين على فهم المراد من النصوص الشرعية التي يحتاجها الداعية في مثل إثبات هذه المسائل العقديّة وغيرها .

جـ - إثبات البعث من خلال أسلوب الكناية في القرآن الكريم :

استخدم القرآن الكريم أسلوب الكناية في إثبات البعث والنشور ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(١) .

يقول ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله : ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ**﴾ : حث على الإنفاق لأنه يذكر بأن هنالك وقتاً تنتهي الأعمال إليه ويتعذر الاستدراك فيه، وانتفاء البيع والخلّة والشفاعة كناية عن تعذّر التدارك للفائت وانتفاء هذا الشيء الذي عُبِّر عنه بالكناية لا يكون إلاّ يوم القيامة(٢) .

ومثله قوله تعالى : ﴿**قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ**﴾(٣) .

يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسير قوله : ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ**﴾ : لقد كنى هنا بنفي البيع والخلال التي هي وسائل النوال والإرفاد عن انتفاء الاستزادة، وانتفاء الاستزادة هذه من تلك الأعمال لا يكون إلاّ يوم القيامة(٤) .

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٤ .

(٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: ٣/ ١٤، مرجع سابق.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣١ .

(٤) المرجع السابق: ١٣/ ٢٣٤ .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾(١).

كناية عن يوم القيامة الذي يستحقون فيه العذاب ويستوجبونه بسبب كفرهم(٢).

إلىٰ غير ذلك من الآيات المتضمنة أسلوب الكناية الذي من خلاله يثبت الحق تبارك وتعالىٰ البعث بعد الموت.

ولهذا يلزم الداعية أن يلم بهذا الأسلوب وغيره من الأساليب البلاغية كونها واردة في الكتاب العزيز، وهي إحدىٰ إعجازاته، ولكونها تعين علىٰ فهم المراد من النصوص الشرعية ولكي يستخدمها هو في دعوته كلما اقتضت الحاجة بالشكل الصحيح.

د- إثبات البعث من خلال القصة في القرآن الكريم :

باستقرائنا للاستدلال علىٰ البعث في القرآن الكريم نجد أنه ضرب لنا أمثلة تاريخية ونماذج واقعية لأناس قد ماتوا ثم بعثوا في الدنيا من خلال القصص القرآني لكيلا نستبعد البعث، وأنه تعالىٰ قادر علىٰ كل مايريد، وقدرته ليس لها حد ولا عليها قيد؛ بل هي قدرة مطلقة عن جميع القيود والحدود، وبمجرد صدور الأمر عنه سبحانه لإيجاد أي شيء يريده فإنه يوجد في الحال وفق مراده تعالىٰ ، ومن هذه الأمثلة القرآنية والنماذج التاريخية الواقعية في الدنيا قصة إحياء قتيل بني إسرائيل في عهد موسىٰ عليه السلام عندما سئل عن قاتله، فأشار عليهم بذبح بقرة معينة وضرب القتيل ببعضها فإنه يحىٰ بإذن اللّٰه ويخبر عن قاتله

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٢.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: ٥/ ٢٥٦٦، مرجع سابق.

ويتخذ القرآن الكريم من هذه الحادثة دليلاً قوياً وبرهاناً ساطعاً على قدرته تعالى على إحياء الموتى بعد فنائهم . قال تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١) .

يقول القرطبي رحمه اللّه في معنى قوله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ : أي كما أحيا هذا بعد موته كذلك يحي اللّه كل من مات (٢) .

فلما نفذ القوم ماأشار به موسى عليه السلام عليهم قام القتيل بقدرة اللّه سبحانه وتعالى وأخبر عن قاتله ثم سقط جثة ميتة كما كان ، واللّه تبارك وتعالى يسوق هذه القصة للبشرية كلها كدليل واقعي مشهود على قدرته تعالى على إحياء الموتى وحجة واضحة على كل منكر للبعث إلى قيام الساعة .

ومن ذلك أيضاً قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾(٣) .

وكذلك قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها ، قال تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤) .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٧٣ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم : ١/ ٣١٣ ، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٤٣ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩ .

ومن ذلك أيضاً قصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١) .

وكذلك قصة أهل الكهف الذين ضرب اللّه النوم علىٰ أذانهم ثلاثمائة وتسع سنين ثم أيقظهم اللّه عز وجل بعد هذه المدّة الطويلة (٢)، ولذلك قال اللّه في قصتهم : ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ (٣) .

ولاشك أن هذه الآيات الخارجة عن سنن الكون المألوفة تجهز علىٰ كل شك في النفوس وتضمحل معها كل دعوىٰ من شأنها التشكيك في قدرة اللّه تعالىٰ .

ومما سبق تبيّن أن المنهج العاطفي من خلال القصة الوجدانية في القرآن الكريم أظهر قدرة اللّه عز وجل وأبرز كذلك الاستدلال علىٰ الإعادة بإحياء الموتىٰ في الحياة الدنيا . ومن هنا تتضح أهمية هذا الأسلوب في إثبات البعث بعد الموت .

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٦٠ .

(٢) قد يقال : إن الضرب علىٰ أذانهم سنين عدداً لايعني إماتتهم فهم كانوا أحياء وإن لم يكن لهم إدراك فلا يستدل بقصتهم علىٰ البعث . والجواب : إن السياق صريح في الاستدلال بقصتهم علىٰ البعث . أمّا وجه ذلك مع كونهم ليسوا بميتين فالحال التي لبثوا عليها في كهفهم ثلاثمائة سنين تأخذ حكم الموت دون شك فهي نوع وفاة مثله ومثل النوم كما دلّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الزمر ، آية : ٤٢ ، فإذا كان الإرسال من الوفاة الصغرىٰ دليلاً علىٰ البعث فلا شك أن بعث أصحاب الكهف من رقدتهم أولىٰ بالدلالة عليه . انظر : تفسير البغوي : ٥/ ٣١٤ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الكهف ، آية : ٢١ .

ولهذا ينبغي على الداعية أن يهتم بالقصص القرآني كثيراً في إثبات مثل هذه المسائل العقدية وغيرها لما له من تأثير في النفوس ولصدق حدوثه، فهو صادر عن الله عز وجل وهو أصدق القائلين سبحانه.

هـ- إثبات البعث من خلال التذكير بنعم اللّه تعالى في القرآن الكريم :

نعم اللّه تعالى كثيرة على الإنسان لا تعد ولا تحصى ولعل أبرزها وأظهرها نعمة خلق الإنسان، يقول صاحب الكشاف عن هذه النعمة : « نعمة خلق الإنسان هي سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما»(١).

وقد ذكّر القرآن الكريم بهذه النعمة وبأطوارها التي مرّت بها مستدلاً بها على قدرة اللّه عز وجل على البعث، فالقادر على إيجاد هذه النعمة العجيبة قادر على البعث بعد الموت قال تعالى : ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾(٢).

وفي آيات أخرى كذلك يظهر القرآن الكريم قدرته من خلال التذكير بنعمة النشأة الأولى هذه، وأن القادر عليها أوّل مرّة قادر على الإعادة قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ**

(١) الزمخشري، الكشاف : ١/ ٢١٥، وكذلك انظر : الرازي، مفاتيح الغيب : ٢/ ٩٣، مرجعان سابقان.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٥ـ ٣٧.

عَلِيمٌ ﴾[1] .

فهذه الآيات فيها : دعوة الإنسان إلىٰ النظر في خلق نفسه التي لاتفارقه ولاتغيب عنه، ليكثر من التأمل في عجيب صنع اللَّه وخلقه لأن دليل النفس أكمل وإحاطته بها أَسْهَلُ وأتم علىٰ قدرة اللَّه الخالق المبدع سبحانه وتعالىٰ .

والتأمل في أصل خلق الإنسان وهي : « النطفة » مايبعث علىٰ الإيمان بالبعث لأن النطفة وهي متشابهة الأجزاء يخلق اللَّه عز وجل منها بقدرته أعضاء متفاوتة وأنواعاً مختلفة : من اللحم ، والعظم والعصب والشَّعر والظفر والجلد . . . وغير ذلك، وهذا من أعظم الأدلة علىٰ كمال قدرة اللَّه سبحانه ، فكيف يستبعد المشركون البعث وهو عبارة عن إعادة الحياة إلىٰ الأجسام ؟ والإعادة في نظر الإنسان أهون من البدء، والكل عند اللَّه سبحانه هين . ولذلك بدئت الآية بالاستفهام الدال علىٰ الإنكار والتعجب من حال المنكرين له والمستبعدين وفق المنهج العاطفي فقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾ تذكير للإنسان بنعمة خلقه وأيضاً من مراد قوله تعالىٰ : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ ﴾ الرؤية القلبية .

ومن أعظم الآيات الدالة علىٰ قدرة اللَّه تعالىٰ وأن أمر الإعادة إلىٰ الحياة مرّة أخرىٰ في غاية اليسر بالنسبة للهَّ سبحانه أن الإنسان في مراحل حياته الأولىٰ التي أوجده اللَّه عز وجل فيها من نطفة ، تنتهي إلىٰ أن يصير خصماً مبيناً : «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» ، فنطقه ، وفهمه ، وقدرته علىٰ المخاصمة والإبانة لما يريد إبانته ، كل هذا نعم جليله ، وآيات عظيمة . لأن سائر الأعضاء والأجزاء في الإنسان ناشئ بقدرة اللَّه سبحانه عن الأطوار والمراحل التي ينتقل فيها الجسم من طور إلىٰ

(١) سورة يس ، الآيات : ٧٧ـ٧٩ .

طور كما قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾(١) .

يقول صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ : «أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ماأبعدها ! حيث جعله حيواناً وكان جماداً، وناطقاً وكان أبكماً ، وسميعاً وكان أصماً ، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطره وغرائب حكمه لاتدرك بوصف الواصف ولا تُبلغ بشرح الشارح »(٢) .

فالنطق والفهم والقدرة علىٰ الإفهام أعجب وأغرب من إبداع الخلق كما أنها من أعلىٰ درجات نعم اللّه تعالىٰ منحها اللّه سبحانه الإنسان في الخلق والتكوين .

وفي قوله سبحانه : ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ إشارة إلىٰ حال الإنسان الكفور الجحود لنعم اللّه سبحانه الذي مايلبث بعد أن تتكامل فيه هذه النعم الجليلة حتىٰ يبادر اللّه سبحانه المنعم المتفضل باستعمال جوارحه ونطقه وعقله وفهمه التي أنعم اللّه بها عليه في محادّاة اللّه سبحانه ومحاربته، ويصبح خصيماً كفوراً لربه يبالغ في الخصومة والجدال بالباطل وينكر إنعام اللّه وإفضاله ويعبد غيره ويخاصم في أمر البعث والجزاء .

ويبين خصومته : أي يظهرها ويجاهر بها .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات: ١٢ ـ ١٦ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٢٢١، مرجع سابق .

ويوضح عز وجل هذه الخصومة التي يبارز العبد بها ربه بقوله : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، وهو مثل ناشيء عن قصور علمه وسوء أدبه مع ربه سبحانه حين ينكر البعث وليس له من حجة تحمله على هذا الكفر سوى استبعاده البعث وتشبيهه قدرة الخالق سبحانه بقدرة المخلوق : « قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » وهو مع ذلك ينسى دليلاً قائماً في نفسه على قدرة اللّه سبحانه على البعث «وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .

ويذكر ابن تيمية رحمه اللّه تعالى شبهة المشركين الواردة في هذه الآية وطريقة القرآن الكريم في دفعها وإثبات البعث فقال : « قول اللّه تعالى : «مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » : قياس حذفت إحدى مقدمتيه لظهورها والأخرى سالبة كلية قرن معها دليلها وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي أي : لا أحد يحي العظام وهي رميم، فإن كونها رميماً يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة تفرق أجزائها واختلاطها بغيرها ونحو ذلك من الشبهات .

والتقدير : هذه العظام رميم ولا أحد يحي العظام وهي رميم، فلا أحد يحييها ومضمونها امتناع الإحياء، فبين سبحانه إمكانه من وجوه ببيان إمكان ماهو أبعد من ذلك وقدرته عليه فقال : « يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» وقد أنشأها من التراب، ثم قال : « وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال . ثم قال : «الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا» فبين أنه أخرج النار الحارة اليابسة من البارد الرطب وذلك أبلغ في المنافاة[1] .

(١) انظر : ابن تيمية ، الفتاوى : ٣/ ٣٠٠ ، مرجع سابق، وحول هذا المعنى كذلك انظر : الشيخ/ محمد جمال الدين القاسمي، دلائل التوحيد، دارالكتب العلمية ، بيروت، الطبعة : الأولى، تاريخها: ١٤٠٥هـ: ١٠٨ .

ومن آيات التذكير بنعمة خلق الإنسان والاستدلال بها وبأطوارها على إمكانية البعث بعد الموت قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(١).

ويبين سيد قطب رحمه اللّه تعالى دلالة خلق الإنسان على الإعادة بقوله : «إن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل . . . . لتشير إلى أن الإرادة المدبّرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال إذ إن الإنسان لايبلغ كماله في حياة الأرض ، فهو يقف ويتراجع « لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا » فلابد من دار أخرى يتم بها تمام الإنسان ، فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة ، فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبّرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة ، وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة ونواميس الحياة والبعث ونواميس الحساب والجزاء »(٢).

وكذلك من آيات التذكير بنعمة الخلق والاستدلال بها على الإعادة قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(٣).

---

(١) سورة الحج ، آية : ٥ ـ ٧.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٤/ ٢٤١١ ، مرجع سابق .

(٣) سورة مريم ، الآيتان : ٦٦ ـ ٦٧ .

ومعناه أن الإنسان لو تذكر الإيجاد الأوّل وتأمل فيه لما استبعد الإيجاد الثاني .

ومما سبق يتضح أن المنهج العاطفي ومن خلال أسلوب التذكير بنعم اللّه تعالىٰ الكثيرة والتي اقتصرنا هنا علىٰ إحداها وهي التذكير بنعمة خلق الإنسان أبرز قدرة اللّه عز وجل وعلمه وحكمته في الإعادة بعد الموت ، ولهذا تتضح أهمية هذا الأسلوب في إثبات المعاد .

ومعلوم أن نعم الله عز وجل كثيرة وهي شواهد علىٰ موجدها وخالقها ، وقد أوجدها سبحانه من قبل أن تكون شيئاً مذكوراً ، فالقادر علىٰ إيجادها قادر علىٰ الإعادة بعد الموت ، فيلزم الداعية أن يتنبّه لذلك وأن يستثمره في إثبات المسائل العقدية لأنها خير شاهد علىٰ ذلك .

و- إثبات البعث من خلال أسلوب المدح في القرآن الكريم :

إن أعظم الأدلة الدالة علىٰ وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالىٰ بذلك ، ومن أساليب الإخبار هذه : المدح ، فقد مدح اللّه عز وجل نفسه المقدسة لأنه القادر علىٰ البعث بعد الموت قال تعالىٰ : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(١) .

فالمدح والثناء والتمجيد لله وحده في الدنيا والآخرة ، في الدنيا لأن كل مافي السموات والأرض للّه وحده وتحت تصرفه وقهره : «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» .

---

(١)سورة سبأ ، آية : ١ .

وهو وحده المستحق للحمد في الآخرة : « وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» وفي ذلك إشعار بأن حكمة اللّه الخبير الذي لاتخفىٰ عليه خافية اقتضت أن تكون للناس حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية ، فمن حمده في الأولىٰ لربوبيته وألوهيته حمده في الآخرة لعدالته ورحمته [1] .

ولّما كان البعث من موجبات الحمد والثناء علىٰ اللّه لما فيه من كمال عدالته عز وجل ، فقد ساق القرآن حقيقة البعث مع الثناء والتمجيد للّه تعالىٰ في أسلوب تشبيهي يحمل معه الدليل المرئي الملموس ، قال تعالىٰ : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2] .

ففي هذه الآيات يظهر أسلوب المدح كمال قدرة اللّه علىٰ الخلق والتدبير والتي تعتبر من أعظم أدلة البعث .

وكذلك أثبت المولىٰ عز وجل البعث بأسلوب تقريري في صورة الشأن المسلّم به من خلال مدحه نفسه المقدسة سبحانه في الأولىٰ والآخرة ، قال تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3] .

يقول القرطبي رحمه اللّه تعالىٰ في تفسير هذه الآيات : « تمدّح سبحانه بأنّه المنفرد بالوحدانية وأن جميع المحامد إنما تجب له وأن لاحكم إلاّ له وإليه المصير»[4] .

---

(١) انظر : عطية محمد شعبان ، منهج الإسلام العلمي في دعوة الرسل : ١٨٤ ، مرجع سابق

(٢) سورة الروم ، الآيات : ١٧ ـ ١٩ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٧٠ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٣/ ٢٠٣ ، مرجع سابق .

ومن المدح الذي استخدمه القرآن الكريم أيضاً في إثبات البعث : مدح المؤمنين به قال تعالىٰ : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١) .

فالمهتدون والمفلحون في الآيات السابقة هم المتصفون بما تقدم، حيث من صفاتهم التي كانت من أسباب نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة : الإيقان بالدار الآخرة الذي يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات، والإيقان واليقين هو العلم دون شك(٢) .

ومن ذلك أيضاً : قوله تعالىٰ : ﴿...وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(٣) .

ففي الآيات السابقة وغيرها من آيات القرآن الكريم يتبين أن أسلوب المدح يبرز كمال قدرة اللّه تبارك وتعالىٰ وعلمه وحكمته وعدالته والتي تعتبر أهم وأعظم أدلّة البعث ، وكذلك مدح اللّه عز وجل أنبياءه ورسله وعباده الصالحين لتصديقهم باليوم الآخر وعلمهم أكثر من غيرهم بأدلته المذكورة سابقاً ، ولهذا تأتي أهمية أسلوب المدح في إثبات البعث .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية الاهتمام بالأساليب البيانيّة التي منها المدح واستخدامها في الدعوة وفق شروطها الشرعية .

---

(١) سورة البقرة ، الآيات : ١ ـ ٥ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١/ ١٨ ، مرجع سابق .

(٣) سورة آل عمران ، الآيات : ٧ ـ ٩ .

ز ـ إثبات البعث من خلال أسلوب الذّم في القرآن الكريم:

ذكرنا أن من أعظم الأدلة على وقوع البعث إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك وقد ورد هذا الإخبار بأساليب متعددة، منها أسلوب ذمّ الآلهة التي تعبد من دون اللّه تعالى لعدم قدرتها على الخلق والإعادة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾(١).

يقول ابن كثير رحمه اللّه تعالى في تفسير هذه الآية (٢): « يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون اللّه ، الخالق لكل شيء المالك لأزمة الأمور الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، ومع هذا عبدوا معه من الأصنام مالا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون ولايملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً فكيف يملكون لعابديهم؟! ﴿**وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا**﴾ أي : ليس إليهم من ذلك شيء ،بل ذلك مرجعه كله إلى اللّه عز وجل فهو الذي يحي ويميت وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم» .

﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾(٣) ، ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾(٤).

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٣.

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٢١٣ ، مرجع سابق .

(٣) سورة لقمان ، آية : ٢٨.

(٤) سورة القمر ، آية : ٥٠.

﴿إِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾(١) ، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾(٢)، ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾(٣) .

فالملاحظ هنا أن أسلوب الذّم يبرز عجز الآلهة التي تعبد من دون اللّه تعالىٰ وعدم قدرتها علىٰ شيء من الخلق والإعادة ويثبت في الوقت نفسه أن الإعادة ينفرد بها الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٤) .

ومن صور الذّم أيضاً التي تثبت البعث ذمّ المنكرين للمعاد قال تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(٥) .

أنكر اللّه عز وجل حسبان الكافرين أن يسوي اللّه سبحانه بين المحسنين والمسيئين، وفي قوله جل شأنه : ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ذمّ لهذا الحكم الذي أصدره الكفار لأنه يتنافىٰ مع وعد اللّه وحكمه وحكمته فكأنه قال : « كلا لا يستوون في شيء منهما فإن هؤلاء في عزّ الإيمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة اللّه تعالىٰ ورضوانه في الممات ، وأولئك في ذلّ الكفر والمعاصي في المحيا وفي لعنة اللّه والعذاب الخالد في الممات شتّان بينهما ، وقوله : ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ استئناف مقرر لماسبق من الحكم، فإن خلق اللّه تعالىٰ لهما ولما

(١) سورة النازعات، آية: ١٣ .

(٢)سورة الصافات ، آية : ١٩ .

(٣) سورة يس ، آية : ٥٣ .

(٤) سورة النمل ،آية : ٦٤ .

(٥) سورة الجاثية ، الآيتان : ٢١ـ ٢٢ .

فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لامحالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات، وانتصار المظلوم من الظالم، وإذا لم يطّرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات كائن حتماً.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فيه معنى التعليل، إذْ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل . . . . »[1].

فقد أبرز أسلوب ذم هؤلاء المنكرين للبعث حكمة اللّه تعالى وعدالته التي تعتبر من أهم أدلة البعث؛ لأن العدل قد لايتم في حياتنا الدنيا بين الإنسان وأخيه بالصورة المرضية التامة، فاستدعى الأمر بالعدل الإلهي المطلق أن يكون هناك يوم آخر، ذلك العدل الذي لايعرف المحاباة ولا الرشوة ولاالتزوير ولاتشويه الحقائق، بل كل إنسان يجازي بحسب نيّته وعمله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2]، ومما سبق تظهر أهمية دور أسلوب الذّم في إثبات البعث والنشور.

فينبغي على الداعية أن يهتم بهذا الأسلوب بالقدر اللازم وبما يناسب استخدامه لأسلوب المدح؛ لأن هذين الأسلوبين متلازمان ويتعين على الداعية استخدامهما معاً بالقدر المناسب لكل منهما حتى يكون المدعو مقتدياً بالممدوحين ومجتنباً للمذمومين.

---

(١) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ١١٥ ـ ١١٦، مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٠.

ح- إثبات البعث من خلال أسلوب الترغيب في القرآن الكريم :

لقد أثبت القرآن الكريم البعث عن طريق إخبار العليم الخبير بوقوعه، وقد نوّع الحق تبارك وتعالىٰ أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب، ومن تلك الأساليب : أسلوب الترغيب في الجنّة [1] ولقاء اللّه تعالىٰ، ففي مواضع كثيرة من القرآن الكريم يخبرنا المولىٰ عز وجل عن البعث والنشور من خلال أسلوب الترغيب في الجنة والتشويق إلىٰ النعيم المقيم يوم القيامة .

قال تعالىٰ : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[2].

وقال تعالىٰ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

وقال تعالىٰ : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4].

وقال تعالىٰ : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[5].

إلىٰ غير ذلك من الآيات القرآنية التي يخبر فيها الحق تبارك وتعالىٰ بوقوع

---

(١) انظر : عمر سليمان الأشقر ، اليوم الآخر ـ القيامة الكبرىٰ، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة : الأولىٰ، تاريخها: ١٤٠٧هـ: ٧٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ .

(٤) سورة الحديد ، آية : ٢١ .

(٥) سورة محمد ، آية : ١٥ .

البعث والنشور من خلال الترغيب في الجنة ، وأسلوب الترغيب في الجنة ولقاء اللّه عز وجل يبرز قدرة اللّه عز وجل وعلمه وحكمته وعدله وهذه هي أهم دلائل البعث، فبخصوص مايتعلق بالقدرة الإلهية فإن اللّه تعالىٰ أخبرنا من خلال أسلوب الترغيب بأنه أعدّ للأتقياء جنّة عرضها كعرض السماء والأرض، والذي يخلق هذا الشيء العظيم قادر علىٰ إعادة الخلق من باب أولىٰ، قال تعالىٰ : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

وأمّا مايتعلق بالحكمة والعدل الإلهي فيظهر ذلك فيما أخبر به المولىٰ عز وجل علىٰ وجه الترغيب بما أعده سبحانه للأتقياء الصالحين مما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر علىٰ قلب بشر : ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) ، فمجازاتهم بهذا النعيم والفضل العظيم هو مقتضىٰ الحكمة والعدل الإلهي من البعث والنشور .

وأمّا مايتعلق بالعلم الإلهي المحيط بكل شيء علىٰ وجه التفصيل الوارد في أسلوب الترغيب في ماعند اللّه ماأخبر به الحق تبارك وتعالىٰ في قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً﴾(٣) .

والذرة : كان يقول عنها المفسرون القدامىٰ : إنها البعوضة أو النملة الحمراء، وكانوا يقولون أيضاً : إنها الهباءة التي ترىٰ في ضوء الشمس .

فقد كان ذلك أصغر مايتصورون من لفظ الذرة .

يقول سيد قطب رحمه اللّه تعالىٰ : «ونحن الآن نعلم أن الذّرة شيء محدد

(١) سورة غافر ، آية : ٥٧ .

(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

يحمل هذا الاسم وأنه أصغر بكثير من تلك الهباءة التي ترىٰ في ضوء الشمس » .

فالهباءة ترىٰ بالعين المجردة ، أمّا الذرة فلا ترىٰ أبداً حتىٰ بأعظم المجاهر في المعامل إنما هي رؤيا في ضمير العلماء لم يسبق لواحد منهم أن رآها بعينه ولابمجهره وكل مارآه هو آثارها . فهذه أو مايشابهها من ثقل من خير أو شر تحضر ويراها صاحبها ويجد جزاءها[1] : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[2] ، وقال تعالىٰ : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3] .

وإن تلك هذه الذرة حسنة يضاعفها الحق تبارك وتعالىٰ ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً ، ومعنىٰ يضاعفها : أي يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده سبحانه الثواب ، أخرج الإمام أحمد رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي عثمان النّهدي أنه قال لأبي هريرة : بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «إن اللّه عز وجل يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة » ، قال أبو هريرة : لابل سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **إن اللّه عز وجل يعطيه ألفي ألف حسنة** » ثم تلا : ﴿يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] فقال : إذا قال أجراً عظيماً فمن يقدر قدره »[5] .

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٦/ ٣٩٥٦، مرجع سابق .

(٢) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ـ ٨ .

(٣) سورة سبأ ، الآيتان : ٣ ـ ٤ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(٥) الإمام أحمد ، المسند بشرح حمزة الزين : ٩/ ٥٥٧ ، رقم الحديث : ١٠٧٠٧ ، وقال عن الشيخ الزين : إسناده صحيح ، مرجع سابق .

فعلم اللَّه عز وجل الشامل بكل شيء في السموات والأرض حتىٰ بالذرات وماهو أصغر منها وماهو أكبر الوارد في معرض الترغيب فيما عند اللَّه ، لايعجزه سبحانه أجزاء وذرات بني آدم المتمزقة والمتحللة بعد الموت كما يتصور المكذبون بالبعث والنشور عن طريق هذه الشبهة .

ومما سبق يتضح أن أسلوب الترغيب في الجنة وماعند اللَّه يوم القيامة يظهر قدرة اللَّه تعالىٰ علىٰ إقدار ذلك، ويبرز علمه المحيط بكل شيء ليعلن عدله ، وحكمته من البعث والنشور ، وهذه هي أهم أدلة البعث، ولأجل ذلك كان أسلوب الترغيب في الجنة وفي ماعند اللَّه من أهم أساليب إثبات البعث يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم ؛ لأن إثبات الجنة هو في الحقيقة إثبات للبعث؛ لأنه لايتصور دخول الجنة والتنعم بنعميها دون البعث، فالجنة ودخولها والتنعم بها لاحق للبعث ، ولهذا فإن إثبات الجنة الوارد في القرآن الكريم يثبت البعث بطريق الأولىٰ .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية العناية بهذا الأسلوب المهم الذي استخدمه القرآن الكريم كثيراً لأغراض عدّة منها إثبات البعث والمعاد بعد الموت .

ط- إثبات البعث من خلال أسلوب الترهيب في القرآن الكريم :

من أساليب إخبار الحق تبارك وتعالىٰ الواردة في القرآن الكريم لإثبات البعث أسلوب الترهيب الذي يظهر اللَّه تعالىٰ من خلاله عظمته وقدرته .

قال تعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾[1].

يبيّن اللَّه عز وجل في هذه الآيات عجب كفار قريش من هذا الحديث الذي لم تستوعبه عقولهم، فظنوا أن هذا الإيجاد عبث؛ لأن الحديث عن بعث هذه الأجسام لمجازاتها على أعمالها في حياتها الدنيا حديث خرافة أو حديث كذب وافتراء على اللَّه أو مس من جنون أصاب قائله فأجرى على لسانه هذا الحديث العجيب الغريب، ولذا فقد انطلقوا يخاطب بعضهم بعضاً بهذا القول الذي حكاه اللَّه عنهم .

وقد بيّن اللَّه سبحانه أن الأمر ليس كما ذكروا، فليس الرسول ﷺ مفترياً على اللَّه كما أنه لم يمسّه جنون ، وإنما الأمر راجع إليهم هم، فعدم إيمانهم بالآخرة المترتب على عدم الإيمان بقدرة اللَّه هو اختلال في العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك لقدرة الخالق وجلال حكمته .

لاسيما وأدلة القدرة على ذلك مشهورة ومعاينة، ثم ذكرهم بتلك الأدلة على وجه الترهيب والتهديد فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، والآية : الدلالة الواضحة على قدرة اللَّه .

فكيف يستبعد عليه إعادة تلك الأجسام الضعيفة بعد تفرقها وهو القادر على خلق هذه الآيات العظيمة من السماء والأرض، ذلك هو دليل البعث؛ لأنه يدل على كمال القدرة ومن المقدور عليه إعادة خلق الإنسان وإيجاده مرّة أخرى .

يقول سيد قطب رحمه اللَّه في تفسير هذه الآيات : « هؤلاء المكذبون بالآخرة يوقظهم بعنف على مشهد كوني منتزع من مشاهداتهم أو من مدركاتهم

(١) سورة سبأ ، الآيات: ٧ـ٩ .

المشهودة على كل حال ، فخسف الأرض يقع ويشهده الناس وترويه القصص والروايات أيضاً، وسقوط قطع من السماء يقع كذلك عند سقوط الشهب وحدوث الصواعق وهم رأوا شيئاً من هذا أو سمعوا عنه ، فهذه اللمسة توقظ الغفاة الغافلين الذين يستبعدون مجيء الساعة و العذاب أقرب إليهم لو أراد اللّه أن يأخذهم به في هذه الأرض قبل قيام الساعة، يمكن أن يقع بهم من هذه الأرض وهذه السمّاء التي يجدونها من بين أيديهم ومن خلفهم محيطة بهم وليست بعيدة عنهم قبل الساعة المغيبة في علم اللّه .

وفي هذا الذي يشهدونه من السماء والأرض والذي يتوقع من خسف الأرض في أي لحظة أو سقوط قطع من السماء ، في هذا آية للعبد الذي يرجع ويتوب »[1] .

ومما سبق يتضح أن اقتران دليل القدرة هذا بالتهديد يظهر وبجلاء قدرة اللّه أكثر فأكثر، وقد حذّر الحق تبارك وتعالى من النار وخوّف ورهّب منها، وفي ذلك إثبات للبعث؛ لأن دخول النار لاحق للبعث. ومما ورد في النار وأن الله أعدها للكفرة والظالمين قوله تعالى ﴿**فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[2] .

وقال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[3] . ويقول تعالى في وصف حال أهلها : ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾[4] .

---

(١) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٥/ ٢٨٩٥ـ ٢٨٩٦ ، مرجع سابق .

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٤ .

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٩ .

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩ ـ ٥٠ .

وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(١).

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي وصفت النار وأحوال أهلها والتي تثبت حتمية وقوع البعث من خلال الترهيب من دخول النار الذي يبرز قدرة الله سبحانه في خلق هذه النار العظيمة التي قال عنها الرسول ﷺ : «**ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**، قيل : يارسول الله إن كان لكافية قال : **فضّلت عليهنّ بتسعة وستين جزءاً كلهنّ مثل حرّها**» (٢)، وذكر ابن حجر أن الحاكم وابن ماجه زادا : «**فإنها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها**»(٣).

وفي معرض إثبات البعث أيضاً من خلال أسلوب الترهيب يظهر علم اللّه عز وجل وحكمته في قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾(٤).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات : « هذه إحدىٰ الآيات اللاتي أمر اللّه رسوله ﷺ فيها أن يقسم بربه العظيم علىٰ وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٥ ـ ١٦ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٣٩٨، رقم الحديث : ٣٢٦٥، مرجع سابق.

(٣) ابن حجر، فتح الباري : ٦/ ٤٠٢، مرجع سابق.

(٤) سورة سبأ ، الآيات: ٣ ـ ٥ .

الكفر والعناد فقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره : «عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» .

وقال مجاهد وقتاده : « لا يَعْزُبُ عَنْهُ» : لايغيب عنه أي : الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفىٰ عليه منه شيء ، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أوّل مرّة فإنه بكل شيء عليم ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ أي سعوا في الصد عن سبيل اللَّه وتكذيب رسله «أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ » أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين » [1] .

ومما سبق يتضح أن أسلوب الترهيب يظهر قدرة اللَّه تعالىٰ علىٰ حصول البعث ويبرز علمه بالأشياء علىٰ التفصيل ، فهو العالم بما كان وما يكون ، ومالايكون ويظهر كذلك حكمة الحق تبارك وتعالىٰ من البعث والنشور ، وهذه جميعها أهم أدلة هذه القضية المهمة ولهذا كان أسلوب الترهيب من أهم أساليب المنهج العاطفي في إثبات البعث الذي ينبغي علىٰ الداعية الاهتمام به في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ وفق منهج القرآن الكريم .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٦٩٨ ، مرجع سابق .

٢ ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم :

وصور هذا الجانب كما مرّ معنا تتمثل في : القول اللين والكلمة الاستعطافية والمشاركة الوجدانية، وسنبين دور كل صورة من هذه الصور في إثبات قضية البعث فيما يلي :

أ – إثبات البعث من خلال القول اللين في القرآن الكريم :

أمر اللّه تعالىٰ رسوله موسىٰ عليه السلام أن يخاطب فرعون بالقول اللين اللطيف؛ لكون ذلك أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع في التذكر والخشية من اللّه، وحتىٰ يوصل له رسالة ربه ويرشده إلىٰ الخير ودلائل التوحيد، وأن له رباً ومعاداً وبين يديه جنّة ونار يتضح ذلك من سياق الآيات التالية، قال تعالىٰ : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (١).

---

(١) سورة طه، الآيات: ٤٢ـ٥٥.

يقول الرازي : إن من الكلام اللين في الآيات السابقة قوله : « **فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ** »، وقد كان لهذا الكلام اللين اللطيف الأثر الناجح في إصغاء فرعون لهما حيث سألهما : « **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ** »، وعند ذلك أجابه موسىٰ عليه السلام بدلائل التوحيد وذكرّه بقدرة اللّه في الكون من حوله مستدلاً بذلك علىٰ البعث بعد الموت قائلاً : ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴾ (١) .

يقول الشيخ السعدي رحمه اللّه تعالىٰ في تفسير الآيات السابقة : « ولما ذكر كرم الأرض وحسن شكرها لما ينزله اللّه عليها من المطر، وإنها بإذن ربها تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقناولم نك شيئاً وقد علمنا ذلك وتحققناه فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا ليجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها، وهذان دليلان علىٰ الإعادة واضحان : إخراج النبات من الأرض بعد موتها وإخراج المكلفين منها في إيجادهم » (٢) .

فمما سبق يتضح أثر القول اللين في النفوس ودوره في الإصغاء والاستماع؛ ليصل الداعية إلىٰ جو نفسي يمكنه من عرض الدعوة علىٰ المدعو ودعوته إلىٰ اللّه من خلال بيان التوحيد ودلائله، وتوضيح مسائل العقيدة الأخرىٰ التي من أهمها مسألة البعث كما فعل موسىٰ عليه السلام مع فرعون في الآيات السابقة .

(١) سورة طه، الآيات: ٥٠ـ٥٥ .

(٢) الشيخ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥/ ٩٨ ، مرجع سابق .

ب- إثبات البعث من خلال الكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم :

الكلمات الاستعطافية يقصد بها قول الداعي : ياأبت ، يابني ، ياقوم . . . . وكذلك نحو قول الداعي : إني أخشىٰ عليك، إني أخاف عليكم . . . . إلىٰ غير ذلك .

ولهذه الكلمات دور مهم في الدعوة لكونها مقدمات عاطفية لها وقع كبير في النفوس وكونها أبلغ وأنجح في التذكير والخوف من اللّه .

ومن خلالها يستطيع الداعية أن يثبت المعاد والبعث والنشور عن طريق إخبار الحق تبارك وتعالىٰ بذلك، فهو أصدق القائلين، وكذلك عن طريق إظهار قدرة اللّه وحكمته وعلمه جلّ جلاله، ومن ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(١) .

ففي الآيات السابقة يثبت الحق تبارك وتعالىٰ الرجعة والمعاد بقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾، وبينّ سبحانه أن الحكمة من ذلك قوله : ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ : أي الجزاء . ويبين سبحانه بعد ذلك أن علمه شامل علىٰ وجه التفصيل بكل شيء، يدخل في ذلك علمه سبحانه بأعمال البشر مهما صغرت، وكذلك علمه سبحانه بأجزاء البشر المتناثرة في الأرض بعد الموت وبعد فنائها، فالله سبحانه يعلم ذلك كله ويعلم ماهو أدقّ من ذلك وألطف : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾، ويقدر عز وجل علىٰ إعادة تلك الأجزاء : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)، كل هذا أورده سبحانه من خلال الكلمة الاستعطافية .

---

(١) سورة لقمان ، الآيتان : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) سورة يس، آية : ٨٢ .

يقول ابن كثير رحمه اللّه في تفسير الآية : هذه من وصايا لقمان النافعة لولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل مايعرف[1].

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» : أي أحضرها اللّه يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازىٰ عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر[2].

فمن الآية السابقة وأقوال العلماء في تفسيرها :

يُبين لقمان لابنه بهذا الأسلوب الاستعطافي قدرة اللّه عز وجل التي لايقف أمامها شيء إلاّ طاع وامتثل لأمره سبحانه .

وكذلك من خلال هذا الأسلوب يبيّن لقمان لابنه حكمة اللّه في مجازاة الناس علىٰ أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وكذلك بهذا الأسلوب أظهر علم اللّه جلّ شأنه الذي لايخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء مهما دق أو لطف .

ومثل قول «يَا بُنَيَّ» في الآية السابقة تأتي الكلمات الاستعطافية الأخرىٰ بالتأثير نفسه ولإيضاح أدلة البعث المتمثلة في قدرة اللّه تعالىٰ وحكمته وعلمه .

وأمّا قول الداعية : « إني أخاف عليك أو عليكم . . . . وماشابهها فقد وردت في القرآن كثيراً ومن ذلك قول الرسل عليهم الصلاة والسلام ومنهم نوح

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٥٩١ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ٣/ ٥٩٣ .

عليه السلام حيث قال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(١) .

أي : إن استمررتم على ماأنتم عليه عذبكم اللّه عذاباً أليماً موجعاً شاقاً في الدار الآخرة »(٢) .

ومنهم شعيب عليه السلام حيث قال : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾(٣) . أي في الدار الآخرة(٤) .

ومنهم نوح عليه السلام حيث قال لقومه : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٥) .

وقال مؤمن آل فرعون محذراً قومه : ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾(٦) .

يعني يوم القيامة (٧) .

فهؤلاء الرسل عليهم السلام وهم المبلغين عن اللّه عز وجل يقطعون بوقوع البعث محذرين أقوامهم من مغبة التمادي في الباطل، وقد صحة الدلائل على

(١) سورة هود ، الآيتان: ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٥٨٠ ، مرجع سابق .
(٣) سورة هود ، آية : ٨٤ .
(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٥٩٧ ، مرجع سابق .
(٥) سورة الأعراف ، آية: ٥٩ .
(٦) سورة غافر ، آية : ٣٢ .
(٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٩٩ ، مرجع سابق .

صدقهم عليهم السلام وبالتالي على صدق ماجاؤا به ومن ذلك المعاد . ولهذا يثبت البعث من هذا الوجه .

ومما سبق يتبين دور الكلمة الطيبة في إثبات البعث سواء بتقريره عن طريق الأنبياء عليهم السلام أو عن طريق الوصول إلى عرض وإظهار قدرة اللّه وعلمه وحكمته عز وجل ، التي تعتبر أهم دلائل المعاد إلى اللّه عز وجل .

فيلزم الداعية الاهتمام بالكلمات ا لاستعطافية التي هي صورة من صور الكلمة الطيبة وعليه استخدامها وفق منهج القرآن الكريم، فهي من المداخل الطيبة المؤثرة في النفوس التي تجلب المحبة والألفة وهذا مما ينبغي أن يحرص عليه الداعية .

جـ – إثبات البعث من خلال المشاركة الوجدانية في القرآن الكريم :

المشاركة الوجدانية تعني المشاركة القلبية للغير، ولها صور عديدة منها التهنئة و التعزية والتسلية . . . .إلى غير ذلك، وقد وردت في القرآن الكريم كثيراً ، وكان لها دور في إثبات البعث، ومن ذلك قوله تعالى : **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**(١) .

(١) سورة النمل ، الآيات: ٦٧ ـ ٧٥ .

ويشرح ابن كثير رحمه اللّه مفردات الآيات السابقة فيقول : « يقول تعالىٰ مخبراً عن منكري البعث من المشركين : إنهم استبعدوا إعادة الأجسام بعد صيرورتها عظاماً ورفاتاً وتراباً ثم قال : «لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ» أي : مازلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ، ولانرىٰ له حقيقة ولاوقوعاً وقولهم : « إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ » يعنون : ماهذا الوعد بإعادة الأبدان « إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ » : أي أخذه قوم عمّن قبلهم من كتبهم يتلقاها بعض عن بعض وليس له حقيقة .

قال تعالىٰ مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد : « قُلْ » يامحمد لهؤلاء : «سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ » أي : المكذبين بالرسل وماجاؤهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلّت بهم نقم اللّه وعذابه ونكاله ونجىٰ اللّه من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين، فدلّ ذلك علىٰ صدق ماجاءت به الرسل وصحته .

ثم قال تعالىٰ مسلياً لنبيه ﷺ : « وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ » : أي : المكذبين بما جئت به ولاتأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات، « وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» أي : في كيدك وردّ ماجئت به ، فإن اللّه مؤيدك وناصرك ومظهر دينك علىٰ من خالفه وعانده في المشارق والمغارب . ثم يقول تعالىٰ مخبراً عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك : «وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» قال اللّه مجيباً لهم : « قل» يامحمد «عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» . قال ابن عباس : عسىٰ أن يكون قرب لكم بعض الذي تستعجلون »[1] .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٩٨ ، مرجع سابق .

وقال القاسمي في معنىٰ : « بَعْضُ الَّذي تَسْتَعْجِلُونَ » أي : من العذاب، فحصل لهم القتل ببدر، ولعذاب الآخرة أمرّ [١].

وقال الزمخشري : و« عسىٰ » و « لعل » و « سوف » في وعد الملوك ووعيدهم يدلّ علىٰ صدق الأمر وجدّه ومالا مجال للشك بعده . وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم ، وأنهم لايعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لايفوتهم وأن الرمزة إلىٰ الأغراض كافية من جهتهم فعلىٰ ذلك جرىٰ وعد اللّه ووعيده »[٢].

يقول القاسمي في معنىٰ كلام الزمخشري : لأن حقيقة الترجي محال في حقه تعالىٰ فهو علىٰ هذا استعارة تمثيلية [٣].

ثم ختم الحق تبارك وتعالىٰ الآيات بقوله « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» يقول ابن عباس في معنىٰ « وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ » : يعني ومامن شيء[٤]. فيهما إلا وقد علمها الله وأحاط بها وأثبتها في اللوح المبين المثبت فيه مقدوراته تعالىٰ [٥].

ومما سبق يتضح من تسلية الحق تبارك وتعالىٰ لنبيه ﷺ بعدم الاكتراث بالمكذبين بالمعاد : إثبات البعث : وذلك أنه بعدما أمر اللّه عز وجل نبيه ﷺ أن لايحزن ولايكن في ضيق مما يمكرون ، أمره كذلك أن يعدهم ببعض العذاب في الدنيا ، فوعدهم عليه الصلاة والسلام ووقع ما وعد به النبي ﷺ في يوم بدر ،

(١) القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٥٠٤ ، مرجع سابق .
(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٤٧٠ ، مرجع سابق .
(٣) القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٥٠٤، مرجع سابق .
(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٤٩٩ ، مرجع سابق .
(٥) القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٥٠٤، مرجع سابق .

فكان ذلك دليلاً على قدرة اللَّه عز وجل وأنه لايعجزه شيء، وكان أيضاً دليلاً على صحة وقوع عذاب الآخرة ولهذا يثبت المعاد بهذا الدليل .

ويثبت كذلك بدلائل صدق النبوة الواردة في الآيات السابقة : حيث إن إخبار الرسولﷺ بعلوم هي من علوم الغيب وقت الإخبار بها « وهي هنا : الوعد بحلول بعض العذاب في الدنيا « **قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**» ، ووقوع هذا الخبر كما أخبر به المصطفى عليه الصلاة والسلام لدليل على صدق نبوة محمد ﷺ ، وبالتالي صدق ماجاء به، ومن المعلوم أن مما جاء به الإيمان بالبعث والنشور، ولهذا يتضح إثبات البعث من خلال التسلية التي هي من صور المشاركة الوجدانية، وهذا مما يبيّن أهمية هذا الأسلوب وصوره المتعددة، فينبغي على الداعية الاهتمام به ؛ لأن المشاركة الوجدانية بصورها المختلفة تعتبر تصديقاً عملياً للمحبة القلبية، فتقتنع النفوس بصدق محبة الداعية لهم فتقبل عليه وتسمع منه وتستجيب بإذن الله تعالى .

٣ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي

من خلال قضاء الحاجات وتأمين الخدمات في القرآن الكريم

لقد كان لقضاء الحاجات وتأمين الخدمات دلالات عظيمة في إثبات البعث، وقد ورد في القرآن الكريم نصوص تبيّن ذلك، ولإبراز هذه الدّلالات لهذا الجانب ككل نتناول صوره المختلفة: في قضاء الحاجات ـ تأمين الخدمات كل منهما على حدة وإيضاح دور كل منهما في إثبات هذه المسألة العقدية المهمة وذلك على النحو التالي:

أ ـ إثبات البعث من خلال قضاء الحاجات في القرآن الكريم:

من المعلوم أن إخبار الحق تبارك وتعالى هو أعظم دليل على وقوع المعاد وإثبات الرجعة إلى الله تعالى بعد الموت[١] وقد نوّع سبحانه في القرآن الكريم إثباته للبعث من خلال الإخبار عن يوم القيامة الذي من أحداثه البعث والنشور، وكان من ذلك: الإخبار عن حال من كان يقوم بقضاء حوائج المحتاجين من الناس على اختلاف أنواعها ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره سبحانه من الجزاء والفوز العظيم لمن كان يطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً[٢] قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ٢/ ١١٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: عمر الأشقر، كتاب اليوم الآخر ـ القيامة الكبرى ـ: ٧٣، مرجع سابق.

﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً﴾(١).

ففي الآيات السابقة يبيّن سبحانه ماأعده في الجنة لعبادة الأبرار الذين من صفاتهم : السعي في حاجة إخوانهم المحتاجين في الدنيا وسدّ خلّتهم، وإثبات هذا النعيم لأصحاب هذه الصفات من أساليب إثبات البعث والجزاء التي وردت في القرآن الكريم، ولهذا ينبغي على الداعية الاهتمام بهذا الجانب المهم وأن يحث المدعوين على الإنفاق في سبيل الله ومساعدة المحتاجين وفكّ الأسرى، وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم. . . . إلى غير ذلك من المحتاجين، ولاشك أن ما أعدّه الله عز وجل لمن نذر نفسه لخدمة هؤلاء لهو من أقوى الدوافع وأعظم البواعث على عمل الخير وفعل الطاعات وهذا من ثمار الإيمان باليوم الآخر.

ب- إثبات البعث من خلال تأمين الخدمات في القرآن الكريم :

إن من الخدمات العامة الأساسية : الماء ، والغذاء ، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم كثيراً، وحثّ الحق تبارك وتعالى على التفكر في كيفية خلق وإيجاد تلك الأشياء من الخدمات وصيرورتها على تلك الهيئات المختلفة ، وهي لم تك من قبل شيئاً، وجعل سبحانه في تلك الآيات دلالة على إعادة الخلق بعد الموت،

(١) سورة الإنسان ، الآيات : ٨ ـ ٢٢ .

ومما ورد في كتابه العزيز قوله تعالىٰ : ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(١) .

ففي هذه الآيات جاء سبحانه بالإعادة وبإحياء الأرض الميتة في سياق واحد وفي معرض الحديث عن الإحياء بعد الموت ليرشدنا إلىٰ القياس يقول ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسير هذه الآيات(٢) : « إن قوله : ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا دليل علىٰ قدرته تعالىٰ إحياء الموتىٰ كما يحي الأرض الميتة الهامدة وهي القحلة التي لا نبت فيها ولاشيء . وقال قتادة : غبراء متهشمة ، وقال السدي : ميّتة . وقوله : ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ﴾ أي : فإذا أنزل الله عليها المطر ، ﴿اهْتَزَّتْ﴾ أي : تحركت بالنبات وحييت بعد موتها ﴿ وَرَبَتْ ﴾ أي : ارتفعت لما سكن فيها الثرىٰ ، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون من ثمار وزروع ، وأشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها (خدماتها) . ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ أي : حسن المنظر طيب الريح . وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي الخالق المدبّر الفعال لما يشاء ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي : كما أحيا الأرض وأنبت منها هذه الأنواع قادر علىٰ أن يحيي الأموات بعد الموت . ونظيره قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾» (٣) .

---

(١) سورة الحج ، الآيات : ٥ ـ ٧ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٢٨٠ ، مرجع سابق .

(٣) سورة فصلت ، آية : ٣٩ .

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالىٰ عند تفسير هذه الآيات حديثاً عن الإمام أحمد عن وكيع بن حدس عن عمّه أبي رزين العقيلي أنه قال: يارسول الله، أكلّنا يرىٰ ربّه عزّ وجل يوم القيامة ؟ وما آية ذلك في خلقه؟ . فقال رسول الله ﷺ: أليس كلّكم ينظر إلىٰ القمر مخلياً به ؟ قال: بلىٰ. قال: فالله أعظم، قال: قلت: يارسول الله كيف يحيي الله الموتىٰ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال: **أما مررت بوادي أهلك محلاً؟** قال: بلىٰ، قال: **أما مررت به يهتز خضراً؟** قال: قلت: بلىٰ، قال: فكذلك يحيي الله الموتىٰ وذلك آيته في خلقه»[1].

وفي رواية أخرىٰ عن أبي رزين العقيلي قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يارسول الله، كيف يحي الله الموتىٰ ؟ قال: «**أما مررت بأرض من أرضك مجدبة، ثم مررت بها مخصبة** ؟ قال: نعم، قال: **كذلك النشور**»[2].

وخلاصة ما سبق أن الخالق سبحانه أثبت البعث بدلالة إحياء الأرض بعد الموت ودعا الخلق إلىٰ استشعار ذلك واستحضاره من خلال النظر في الغذاء بشتىٰ أنواعه الذي يعتبر من أهم النعم و الخدمات، قال تعالىٰ: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾[3].

---

(١) الإمام أحمد، المسند بشرح الشيخ حمزة الزين: ١٢/ ٤٨٢، رقم: ١٦١٣٦، وقال عنه الشيخ/ الزين: إسناده صحيح.

(٢) المرجع السابق: ١٢/ ٤٨٣، برقم: ١٦١٣٨، قال عنه الشيخ/ الزين: إسناده صحيح.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٢٥ـ٣٢.

فهذا الطعام بشتىٰ أنواعه لم يك شيئاً، لكن لّما أنزل الحق سبحانه المطر علىٰ الأرض أحياها به فأخرجته، فقوله تعالىٰ : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ أمر من الله سبحانه بالتفكر في الطعام وفي مراحل خلقه وصوره المختلفة والذي كان أصله حبوباً ميّتة وأرضاً ميتة، وقد جاء هذا الأمر بعد ذكر النشور بعد الموت في قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾(١).

فربط سبحانه في هذه الآيات بين النظر في الطعام الذي هو من أعظم النعم والذي جعله الله سبحانه خدمة للناس وبين البعث بعد الموت ليثبت سبحانه الإعادة بدلالة إحياء الأرض والحبوب الميتة.

يقول الرازي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾(٢) : وجه الاستدلال به علىٰ البعث أن الحب وأقسامه من مطول مشقوق وغير مشقوق كالأرز والشعير ومدور ومثلث ومربع وغير ذلك علىٰ اختلاف أشكاله إذا وقع في الأرض النّدية واستولىٰ عليه الماء والتراب فالنظر العقلي يقتضي أن يتعفن ويفسد؛ لأن أحدهما يكفي في حصول العفونة ففيهما جميعاً أولىٰ، ثم إنه لايفسد بل يبقىٰ محفوظاً، ثم إذا ازدادت الرطوبة تنفلق الحبة فلقتين فيخرج منها ورقتان. وأمّا المطول فيظهر في رأسه ثقب وتظهر الورقة الطويلة كما في الزرع. وأما الذي مما فيه من الصلابة العظيمة التي بسببها يعجز عن فلقه أكثر الناس إذا وقع في الأرض النّدية ينفلق بإذن اللّه ونواة التمر تنفلق من نقرة علىٰ ظهرها ويصير مجموع النواة من نصفين يخرج من أحد النصفين الجزء الصاعد ومن الثاني الجزء الهابط .

(١) سورة عبس، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤ .

أمّا الصاعد فيصعد وأمّا الهابط فيغوص في أعماق الأرض، والحاصل أنه يخرج من النواة الصغيرة شجرتان إحداهما خفيف صاعد والأخرىٰ ثقيل هابط مع اتحاد العنصر واتحاد طبع النواة والماء والهواء والتربة ، أفلا يدل ذلك علىٰ قدرة كاملة وحكمة شاملة، فهذا القادر كيف يعجز عن جميع الأجزاء وتركيب الأعضاء ؟ »[1].

وكذلك الحال بالنسبة لنعمة الماء الذي جعلها الله سبحانه خدمة للناس، يقول الرازي أيضاً في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ ؟ [2] :

« وتقديره : أن الماء جسم ثقيل بالطبع وإصعاد الثقيل أمر علىٰ خلاف الطبع، فلابد من قادر قاهر يقهر الطبع ويبطل الخاصية ويصعد مامن شأنه الهبوط والنزول. وثانيهما : أن تلك الذرات المائية اجتمعت بعد تفرقها . وثالثها : تسييرها بالرياح. ورابعها : إنزالها في مظان الحاجة والأرض الجرز، وكل ذلك يدل علىٰ جواز الحشر. أمّا صعود الثقيل فلأنه قلب الطبيعة ، فإذا جاز ذلك فلم لايجوز أن يظهر الحياة والرطوبة من حساوة التراب والماء . والثاني : لما قدر علىٰ جمع تلك الذرات المائية بعد تفرقها فلم لايجوز جمع الأجزاء الترابية بعد تفرقها؟ والثالث : تسيير الرياح. فإذا قدر علىٰ تحريك الرياح التي تضم بعض تلك الأجزاء المتجانسة إلىٰ بعض فلم لايجوزها هنا ؟ والرابع : أنه تعالىٰ أنشأ السحاب لحاجة الناس إليه فها هنا الحاجة إلىٰ إنشاء المكلفين مرّة أخرىٰ ليصلوا إلىٰ مااستحقوه من الثواب والعقاب أولىٰ »[3].

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب : ٢/ ١١٤، مرجع سابق .

(٢) سورة الواقعة ، الآيتان: ٦٨ ـ ٦٩ .

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب : ٢/ ١١٤ ـ ١١٥ ، مرجع سابق .

ومما سبق يتبين أن اللَّه عز وجل دعانا للتأمل في أعظم نعمه التي منها الماء والطعام، وكيف يتم خلقها، وأن تلك النعم هي من آثار القدرة الإلهية التي لاحدود لها والعلم الإلهي الذي لامنتهىٰ له ليصل المتأمل إلىٰ معرفة حقيقة ماأخبر الحق تبارك وتعالىٰ به، وهو صدق البعث وحقيقة وقوعه، ومن هنا تتبيّن أهمية التأمل في خلق الخدمات الضرورية للمجتمع التي منها الماء والطعام، التي استدل الخالق عز وجل بخلق تلك الأشياء علىٰ المعاد .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يستثمر هذه النعم التي جعلها الله تعالىٰ خدمات لهم في تقوية الإيمان بالمعاد؛ لأن الإيمان بتلك المسألة من أعظم البواعث علىٰ فعل الطاعات وترك المنكرات .

المطلب الثاني

إثبات البعث بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة

لقد استخدم الرسول ﷺ المنهج العاطفي في إثبات البعث والنشور من خلال أساليب هذا المنهج التالية :

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة .

٢ ـ إظهار الرحمة بالمدعوين .

٣ ـ قضاء الحاجات وتأمين الخدمات .

ولتوضيح ذلك نتبع الآتي :

١ ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال الموعظة الحسنة وأشكالها المختلفة في السنة النبوية المطهرة:

روىٰ الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن ابن عباس قال : «قام رسول الله ﷺ بالموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلىٰ الله عراة غرلاً ، ثم قرأ ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[1] . إلىٰ آخر الآية قال : أوّل من يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم ، وإنه سيؤتىٰ برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : رب أصحابي ، فيُقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2] . إلىٰ آخر الآية فيُقال : هؤلاء لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم

(١) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآيات : ١١٦ ـ ١١٨ .

منذ فارقتهم»[1].

فالرسول ﷺ في هذا الخبر المعصوم يخبر ومن خلال الموعظة بحقيقة وقوع البعث والسؤال والحساب وأحوال الناس في ذلك اليوم ـ يوم القيامة ـ ولبيان دور الموعظة الحسنة أكثر في إثبات ذلك سنتناولها من خلال أشكالها وصورها المتعددة على النحو التالي:

أ – إثبات البعث من خلال الإشارة اللطيفة المفهومة في السّنة النبوية المطهرة:

أثبت الرسول ﷺ البعث بعد الموت من خلال الإشارة اللطيفة المفهومة في حديثه الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد صاحب رسول اللّه ﷺ قال: قال: رسول اللّه ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين: ويشير بأصبعيه فيمدهما**»[2].

وفي رواية: «**وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى**»[3].

وفي رواية مسلم رحمه اللّه تعالى عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يشير بأصبعيه التي تلي الإبهام والوسطى وهو يقول: «**بعثت أنا والساعة هكذا**»[4].

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٣٠١، رقم الحديث: ٣١٦٧، قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١١/ ٤٢٢، رقم الحديث: ٦٥٠٣، مرجع سابق.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٤٢٣، مرجع سابق.

(٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٩٢، رقم الحديث: ٢٩٥٠، مرجع سابق.

وقيل في معنىٰ إشارة النبي ﷺ : إنها تعني الإعلام بأنه لم يبق منذ بعثته إلىٰ قيام الساعة إلاّ بمقدار التفاضل بين هذين الأصبعين، وأنه لم يبق علىٰ مجيء يوم القيامة إلاّ زمن يسير يماثل مقدار التفاوت في الطول الذي يكون بين السبابة والوسطىٰ (١).

وقيل معنىٰ إشارة النبي ﷺ : إنه ليس بين بعثته عليه الصلاة والسلام وبينها نبي، فهو النبي الأخير فلا يليه نبي آخر وإنما تليه القيامة كما تلي السبابة الوسطىٰ وليس بينهما أصبع أخرىٰ » (٢).

وقال القرطبي رحمه اللّه تعالىٰ : وحاصل الحديث : تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها (٣).

والشاهد من هذا كله إثبات وقوع الساعة والبعث والنشور من خلال إشارة المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة والسلام التي دعمت قوله وخبره وزادته إيضاحاً وبياناً، ومن هنا تتبين أهمية الإشارة في إثبات هذه القضية العقدية المهمة التي ينبغي علىٰ الداعية أن يستخدمها بالقدر اللازم إذا لزم الأمر.

ب – إثبات البعث من خلال أسلوب التعريض في السنة النبوية المطهرة :

من كمال الشريعة الإسلامية وتمام منهجها الوضوح والبيان للمسائل العقدية التي منها البعث بعد الموت التي أثبتها الرسول ﷺ في سنته بمختلف أنواع

(١) انظر : ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٩/ ٥٤٦، مرجع سابق.
(٢) انظر : المباركفوري، تحفة الأحوذي : ٦/ ٤٦٠، مرجع سابق.
(٣) المرجع السابق : ٦/ ٤٦٠.

الأساليب البيانية الواردة في أخباره وأقواله، ومن ذلك أسلوب التعريض، والدليل على ذلك على سبيل المثال مارواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** »(١).

ولتمام معنى الحديث نذكر شرحه الذي ذكره النووي رحمه اللّه تعالى حيث قال : «معنى الحديث : أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ماأعد اللّه له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأمّا الكافر فإنما له من ذلك ماحصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد »(٢).

ووجه دلالة الحديث : هو التعريض باليوم الآخر فقوله ﷺ : « **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» تعريض بأن هناك يوماً آخر هو يوم القيامة الذي من أحداثه البعث والنشور والجزاء على الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

ومما سبق يتبين دور أسلوب التعريض في إثبات البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، فيلزم الداعية استخدامه إذا لزم الأمر على ضوء الكتاب والسنة .

جـ – إثبات البعث من خلال أسلوب الكناية في السنة النبوية المطهرة :

وضّحت السنة الشريفة حقيقة البعث بشتى الأساليب البيانية حتى لاتدع مجالاً لمنكري هذه القضية بالتشكيك في إثباتها . ومن تلك الأساليب : أسلوب الكناية التي عرفها ابن حجر رحمه اللّه تعالى بقوله : هي ذكر شيء بغير لفظه الموضوع يقوم مقامه (٣).

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨/ ٣٩٥ ، رقم الحديث :٢٩٥٦ ، مرجع سابق .

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم : ١٨/ ٣٩٥ ، مرجع سابق .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٩/ ٥٤٧ ، مرجع سابق .

وقد ورد في السنة النبوية المطهرة أخبار تثبت البعث والنشور بعد الموت من خلال أسلوب الكناية، ومن ذلك ماروواه الترمذي رحمه اللّه تعالى عن المستَوْرِدِ بن شداد الفهري عن النبي ﷺ قال : « **بعثت أنا في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه لأصبعيه السبابة والوسطى** »(١).

يقول ابن حجر في معنى : « في نفس الساعة » : بفتح الفاء : كناية عن القرب أي بعثت عند تنفسها (٢).

وكذلك قوله ﷺ : « **كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته واضعاً سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ** » (٣).

فقوله : « صاحب القرن » كناية عن موصوف وهو إسرافيل عليه السلام الملك المكلف بالنفخ. وماوراءه كناية عن صفة التأهب والاهتمام لقرب الموعد، وهي صورة تخييلية تصور الأمر الشديد، وهذا يبدو من خلال صورة هذا الملك وفي مقابله صورة الرسول ﷺ ناظراً إليه(٤).

وخلاصة القول من الأحاديث النبوية الشريفة السابقة أن البعث ثابت بخبر الرسول ﷺ من خلال أسلوب الكناية.

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح : ٤/ ٤٢٩، رقم الحديث : ٢٢١٣، قال عنه: حديث غريب.
(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١١/ ٤٢٣، مرجع سابق.
(٣) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٣٤٧، رقم الحديث : ٣٢٤٣، وقال عنه : هذا حديث حسن.
(٤) انظر : المباركفوري، تحفة الأحوذي : ٩/ ١١٢، شرح الحديث رقم : ٣٢٤٣، وانظر كذلك : يوسف أبو العدوس، المجاز المرسل والكناية : الأبعاد المعرفية والجمالية، دار الأهلية، الأردن، عمّان، الطبعة: الأولى، تاريخها : ١٩٩٨م : ١٧٣.

ولهذا يلزم الداعية الإلمام بالأساليب البلاغية واستخدامها في دعوته كلما لزم الأمر كالتعريض والكناية وغيرها إضافة إلىٰ أنها ذات فائدة في فهم المراد من النصوص الشرعية وخاصة في المسائل العقدية المهمة كالوحدانية، والنبوة والبعث . . . إلىٰ غير ذلك .

د - إثبات البعث من خلال القصة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة:

بين النبي ﷺ من خلال القصة الوجدانية قدرة اللَّه تعالىٰ في الإحياء بعد الممات ليكون ذلك دليلاً علىٰ إمكانية البعث بعد الموت، فقد أخرج البخاري في صحيحه ،عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ ذكر رجلاً فيمن كان سلف - أو قبلكم - أتاه اللَّه مالاً وولداً يعني أعطاه . قال : فلما حضر قال لبنيه : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يبتئر عند اللَّه خيراً - فسرها قتادة : لم يدخر - وإن يقدم علىٰ اللَّه يعذبه فانظروا ، فإذا مت فأحرقوني، حتىٰ إذا صرت فحماً سحقوني - أو قال : فاسهكوني - ثم إذا كان ريح عاصف فاذروني فيها . فأخذ مواثيقهم علىٰ ذلك وربي . ففعلوا . فقال اللَّه : كن . فإذا رجل قائم .

ثم قال : أي عبدي ، ماحملك علىٰ مافعلت ؟ قال : مخافتك أو فرق منك فما تلافاه أن رحمه اللَّه »[1] .

وفي رواية : « فقال لأهله : إذا أنامت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا به فجمعه اللَّه ثم قال : ماحملك علىٰ الذي صنعت ؟ قال : ماحملني عليه إلاّ مخافتك . فغفر له . »[2] .

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٣٧٨ ، رقم الحديث : ٦٤٨١ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ١١/ ٣٧٨ ، رقم الحديث : ٦٤٨٠ .

يقول ابن حجر رحمه اللّه في معنىٰ : « فقال اللّه كن » أنه ورد في رواية أخرىٰ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه : « فأمر اللّه الأرض فقال اجمعي مافيك منه ففعلت »(١) .

فهذا الحديث الشريف يبين قدرة اللّه تعالىٰ في إحياء الموتىٰ للاستدلال بذلك علىٰ إمكانية البعث والنشور بعد الموت ، وأن ذلك كائن يو القيامة كما أخبر بذلك المولىٰ عز وجل ورسله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية الاهتمام بالقصص القرآني والنّبوي لأن ذلك إضافة إلىٰ كونه إخبار معصوم فإن فيه تأثيراً في النفوس يؤدي إلىٰ قبول الخير والاستجابة له .

هـ- إثبات البعث من خلال التذكير بنعم اللّه تعالى في السنة النبوية المطهرة:

نعم اللّه تعالىٰ علىٰ المتقين يوم القيامة كثيرة وقد أخبرنا النبي ﷺ بهذه النعم من باب التذكير بأن اللّه لايضيع أجر من أحسن عملاً ، وأن اللّه تعالىٰ أعدّ لعباده الصالحين في الجنة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر علىٰ قلب بشر ، والرسول ﷺ عندما يثبت الجنة عن طريق الوحي فإنما يثبت البعث بعد الموت ؛ لأن الجنة تالية له . ومن أخبار المصطفىٰ ﷺ التي يتحدث فيها عليه الصلاة والسلام بنعم اللّه علىٰ سبيل المثال قوله : «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أوّل من يقرع باب الجنّة** »(٢) .

(١)ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١١/ ٣٨٢ ، مرجع سابق .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/ ٤٣٤ ، رقم الحديث : ١٩٦ ، مرجع سابق .

وكذلك قوله ﷺ: « **آتي باب الجنة يوم القيامه فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لاأفتح لأحد قبلك** »[1].

فالرسول ﷺ عندما يخبرنا عن الجنة ففي ذلك إثبات للبعث، وهذا الإثبات أتى من خلال تحدّث النبي ﷺ بنعم اللّه عليه[2]. وأن اللّه فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام وأنه خصه من بينهم بهذه الكرامة.

ومن التذكير بنعم اللّه تعالى يوم القيامة الوارد في السنة النبوية المطهرة مارواه الإمام البخاري رحمه اللّه تعالى عن صفوان بن محرز المازني قال : « بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي اللّه عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول اللّه ﷺ في النجوى ؟ فقال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **إن اللّه يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب .حتى إذا قرره ذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته . وأمّا الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللّه على الظالمين**»[3].

فالشاهد من الحديث الشريف أن اللّه تعالى يذكر المؤمن بذنوبه ثم يذكره بنعمة سترها عليه في الدنيا والغفران له يوم القيامه .

ومن النعم التي يذكر بها الحق عز وجل يوم القيامة ما رواه مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنّ أوّل**

(١) المرجع السابق : ٣/ ٤٣٤ ، رقم الحديث: ١٩٧ .

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ٣/ ٤٢٩ ، مرجع سابق.

(٣) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٥/ ١٢٠ ، رقم : ٢٤٤١ ، مرجع سابق .

الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فَأُتِيَ به، فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال:قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أُمِرَ فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فَأُتِيَ به فعرفه نعمه فعرفها. قال:فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن قال:كذبت. ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن. ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه فَأُتِيَ به فعرفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك. قال:كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جَوَادُ فقد قيل ثم أُمِرَ به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» (١).

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : «**فَأُتِيَ به فعرّفه نعمه فعرفها**» أي : ذكَّره بنعمه فتذكرها . ومثله ما رواه البخاري رحمه الله تعالىٰ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : «كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة والآخر يشكو قطع السبيل. فقال رسول الله ﷺ «أمّا قطع الطريق. . . ثم ساق الحديث إلىٰ أن قال : «**ثم ليقفنّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولاترجمان يترجم له ثم ليقولنّ له:ألم أُتِكَ مالاً؟ فليقولنّ :بلى ثم ليقولنّ :ألم أرسل إليك رسولاً؟ فيقولنّ :بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلاّ النار فيتقينّ أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»(٢).

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٣/ ٤٥، رقم الحديث: ١٩٠٥، مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣/ ٣٥٥، رقم الحديث: ١٤١٣، مرجع سابق.

وكذلك قوله ﷺ : «**يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ قال:فيقول :لا.فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني**»(١).

فخلاصة القول في دلالة الأحاديث السابقة على المعاد أن الرسول ﷺ أثبت البعث من خلال الوقائع التي سوف تحدث يوم القيامة، والتي منها التذكير بنعم الله تعالى على الخلق في الدنيا وفي الآخرة من سمع وبصر ومال وولد، وقبل ذلك نعمة الإسلام وإرسال الرسل عليهم السلام ثم نعمة الستر يوم القيامة، فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين أن تلك النعم سوف تكون حجة على العبد أو عليه، فليزم الجميع تسخيرها في طاعة الله وشكر خالقها وموجدها.

و- إثبات البعث من خلال أسلوب المدح في السنة النبوية المطهرة:

لقد مدح رسول اللّه ﷺ ربه عز وجل بما هو أهله من الأوصاف والصفات التي تبرز قدرته وعلمه وحكمته في الخلق والتدبير ، وهذه الصفات تعتبر من أعظم أدلة البعث كما أنه ﷺ شهد بالمعاد وبقيام الساعة وأن ذلك كله حق وهو الصادق المصدوق، أخرج الإمام البخاري رحمه اللّه تعالى عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : « **اللهم لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض، ومن فيهن ، ولك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت ،**

(١) الترمذي، السنن : ٤/ ٥٣٤، رقم الحديث: ٢٤٢٨، قال عنه : حديث صحيح غريب.

وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ماقدمت ومأأخرت، ومأأسررت ومأأعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلاّ أنت. أولا إله غيرك) [1] .

ولتمام المعنىٰ نقف علىٰ معنىٰ مفردات الحديث [2] .

قوله : (**قيّم السموات**) : أي القائم بنفسه بتدبير خلقه المقيم لغيره .

وقوله : (**ولقاؤك حق**) : فيه الإقرار بالبعث بعد الموت وهو عبارة عن مآل الخلق في الدار الآخرة بالنسبة إلىٰ الجزاء علىٰ الأعمال .

وقوله : (**والجنة حق والنار حق**) : فيه إشاره إلىٰ أنهما موجودتان .

وقوله : (**والساعة حق**) : أي يوم القيامة .

وإطلاق اسم الحق علىٰ ماذكر من الأمور معناه أنه لابد من كونها وأنها مما يجب أن يصدق بها وتكرار لفظ حق للمبالغة في التأكيد .

وقوله : (**أنت المقدم وأنت المؤخر**) : أي أشار بذلك إلىٰ نفسه لأنه المقدم في البعث في الآخرة والمؤخر في البعث في الدنيا .

ومن خلال المدح أيضاً أثبت النبي ﷺ البعث بعد الموت حيث مدح نفسه بوصفه سيد الناس يوم القيامة لما يحصل عليه من الكرامة والاصطفاء والتميّز عن سائر الأنبياء في ذلك اليوم ، روىٰ الإمام مسلم رحمه اللّٰه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ في حديث الشفاعة الطويل أنه قال : (**أنا سيد الناس يوم القيامة ....)** [3] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٣٣ .

(٢) انظر : ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٣/ ٦ ـ ٨ ، مرجع سابق .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص : ٣١٤ .

ذكر الإمام النووي في شرح الحديث أن القاضي عياض قال : قيل : السيد الذي يفوق قومه والذي يفزع إليه في الشدائد والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة، وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها وتسليم جميعهم له ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه عليه الصلاة والسلام .

. . . . وقال النووي : قوله ﷺ : (**أنا سيد الناس يوم القيامة**) : إن هذا من قبيل النصيحة لنا بتعريفنا حقه عليه الصلاة والسلام [1] .

ومدح ﷺ بعض أهل الجنة بذكر أوصافهم فقال : (**وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال**) [2] .

وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : مرّ بجنازة فأُثني عليها خيراً فقال النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **وجبت ، وجبت ، وجبت** » ومرّ بجنازة فأُثني عليها شراً فقال رسول اللّه ﷺ : « **وجبت ، وجبت ، وجبت** » قال عمر : فدىً لك أبي وأمي ، مرّ بجنازة فأثني عليها خيراً فقلت : وجبت ، وجبت وجبت ، ومرّ بجنازة فأثني عليها شراً [3] فقلت : وجبت وجبت ، وجبت . فقال رسول اللّه ﷺ : (**من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار ،**

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم : ٣/ ٤٢٩ ، مرجع سابق .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨/ ٣٢١، جزء من الحديث رقم: ٢٨٦٥، مرجع سابق .

(٣) قال النووي رحمه اللّه تعالىٰ في قوله : « فأثنىٰ عليها شراً » : قال أهل اللغة : الثناء بتقديم الثاء وبالمد يستعمل في الخير ولايستعمل في الشر ، هذا هو المشهور ، وفيه لغة شاذة أنه يستعمل في الشر أيضاً وإنما استعمل الثناء الممدود هنا في الشر مجازاً لتجانس الكلام كقوله تعالىٰ : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ » سورة الشورىٰ ، آية : ٤٠ وقوله تعالىٰ : « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ » (سورة آل عمران : آية : ٥٤)، (انظر : النووي، شرح صحيح مسلم : ٧/ ١٩) .

أنتم شهداء اللَّه في الأرض، أنتم شهداء اللَّه في الأرض ، أنتم شهداء اللَّه في الأرض» (١).

فالشاهد من الحديث أن الثناء الوارد فيه استخدمه الرسول ﷺ في إثبات الجنة والنار، وهي ممّا يحصل في اليوم الآخر بعد البعث والنشور، وحصولهما دليل على وقوع البعث .

وكذلك مدح الرسول ﷺ الجنّة ومافيها بذكر أوصافها ونعيمها ودرجاتها وغير ذلك من أمور الآخرة التي أعدت للأبرار، والتي جاءت في السنة النبوية المطهرة على وجه المدح والثناء بذكر الأوصاف والمميزات لإثبات البعث والنشور، ويتضح من ذلك كله أهميّة المدح والثناء ودوره في إثبات هذه القضية العقدية المهمة فيلزم الداعية الاهتمام ، بهذا الأسلوب والعناية به واستخدامه بضوابطه الشرعية في تلك المسائل العقدية وغيرها من موضوعات الدعوة ؛ لأن لهذا الأسلوب أثره الطيب في النفوس .

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ٧/ ١٨، رقم الحديث: ٩٤٩، مرجع سابق.

ز- إثبات البعث من خلال أسلوب الذّم في السنة النبوية المطهرة:

أثبتت السنة النبوية الشريفة قضية البعث والنشور بعد الموت من خلال ذّم النار بذكر أوصافها وهو منهج القرآن الكريم، حيث قال اللّه تعالىٰ عنها في محكم كتابه: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١).

وروىٰ الترمذي رحمه اللّه تعالىٰ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « **تعوذوا باللّه من جب الحزن** قالوا: يارسول اللّه: وماجب الحزن؟ قال: **وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرّة**. قلنا: يارسول اللّه ومن يدخله؟ قال: القراء المراؤون بأعمالهم »(٢).

فالرسول ﷺ يذم هذا الوادي في جهنم ويأمر أصحابه أن يتعوذوا منه ثم أن في الحديث أيضاً ذماً لداخليه وهم القراء المراؤن بأعمالهم.

ومن خلال الذّم أيضاً يثبت المصطفىٰ ﷺ البعث بذكر أوصاف أهل النار، فقال ﷺ: « **أهل النار خمسة: الضعيف الذي لازَبْرَ له(٣) الذين هم فيكم تبعاً لايبتغون أهلاً ولامالاً، والخائن الذي لايخفى له طمع وإن دقّ إلاّ خانه ورجل لايصبح ولايمسي إلاّ وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحّاش** »(٤).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩٧.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٥١٢، رقم الحديث: ٢٣٨٣، قال عنه: حديث حسن غريب، وخرجه ابن ماجه في المقدمة: ١/ ١٦٦، حديث رقم: ٢٥٦، مرجعان سابقان.

(٣) قوله: « لازَبْرَ له» أي لاعقل له يزبره ويمنعه مما لاينبغي. وقيل: هو الذي لامال له. (شرح صحيح مسلم للنووي: ١٨/ ٣٢٢.).

(٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٢٢، رقم الحديث: ٢٨٦٥، مرجع سابق.

فالشاهد في الحديث قوله : « **أهل النار خمسة** » : فيه ذمّ لهؤلاء الخمسة وإثبات لوقوع النّار يوم القيامة وبالتالي إثبات للبعث والجزاء على الأعمال .

وكذلك أخبر الرسول ﷺ بأحوال أهل النار على وجه الذّم فقال : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولاآتيه وأنهى عن المنكر وآتيه** »[1] .

فالذّم الحاصل في الأحاديث الشريفة السابقة وغيرها كثير وردت في وصف النار ودركاتها وأهلها وأحوالهم، يثبت به وقوع البعث كما أخبر به المصطفى عليه الصلاة والسلام فهو الصادق المصدوق : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[2]، ومن ذلك تبدو أهمية هذا الأسلوب واضحة في اثبات قضية البعث والنشور بعد الموت؛ لأن وجه دلالة الأحاديث السابقة تتمثل في أن إثبات النار فيه إثبات للجزاء، وهذا لايتأتى إلاّ بعد البعث، فكان ذلك دليلاً على إثبات البعث .

ح- إثبات البعث من خلال أسلوب الترغيب في الجنّة في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا سابقاً أن إخبار النبي ﷺ عن الجنة يمثل إثباتاً للمعاد؛ لأن وجوب دخول الجنة لايتم إلاّ بالبعث أولاً، ومالايتم الواجب به فهو واجب .

ومن أخبار الرسول ﷺ عن الجنّة ماجاء على وجه الترغيب فيها، ومما جاء في السنة الشريفة من ذلك مارواه البخاري رحمه اللّه تعالى عن أبي هريرة رضي

(١) المرجع السابق : ١٨/ ٤١١ ، رقم الحديث : ٢٩٨٩ .

(٢) سورة النجم ، الآيات: ٣ـ ٥ .

اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : (١)« **قال اللَّه : أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر ، فاقرؤوا إن شئتم : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**(٢) .

وقال أيضاً : « **إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيله كل درجتين مابينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم اللَّه فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** »(٣) .

ومن ذلك أيضاً قوله (٤) : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤوا إن شئتم : «وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾»**(٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام كذلك : « **الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زواية منها للمؤمن أهل لايراهم الآخرون** »(٦) .

وخلاصة القول من الأحاديث الشريفة السابقة أن النبي ﷺ أخبر وهو الصادق المصدوق عن الجنة وأوصافها ودرجاتها وهي ماأعده اللَّه تعالىٰ لعباده الصالحين المتقين يوم القيامة بعد البعث والنشور، وإثبات الجنة بصورة الترغيب هذه هو إثبات للبعث بالترغيب بالأولىٰ، وكذلك رغّب الرسول ﷺ في الأعمال الصالحة بالجزاء العظيم يوم القيامة يوم البعث والنشور، روىٰ البخاري رحمه الله

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٣٨٣ ، رقم ٣٢٤٤ ، مرجع سابق .

(٢) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٣/ ٤٩٤ ، جزء من الحديث رقم ٧٤٢٣ ، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق: ٨/ ٧٩٩، رقم الحديث: ٤٨٨١ .

(٥) سورة الواقعة ، آية : ٣٠ .

(٦) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٣٨٣ ، رقم الحديث : ٣٢٤٣ ، مرجع سابق.

تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ،ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»(١).

فالرسول ﷺ في هذا الحديث يثبت حتميّة وقوع اليوم الآخر، وأن من أحداثه بعث الناس من قبورهم، وأن من اتصف بالخصال المذكورة في الحديث فسوف يظله الله عز وجل في ظله في ذلك اليوم، وهذا إثبات للبعث والمعاد من خلال أسلوب الترغيب في الأعمال الصالحة ، الذي يلزم الداعية بيانها للناس؛ لأن فيها منجاة وفوزاً في ذلك اليوم العصيب. وأن يستثمر ما ورد من نصوص شرعية مرغبة فيما يرضي الرب عز وجل بالقدر اللازم والمناسب؛ لأن النفوس جبلت علىٰ حب الخير فتجد في هذا الأسلوب بغيتها.

ط- إثبات البعث من خلال أسلوب الترهيب من النار في السنة النبوية المطهرة:

هنا تأتي الصورة الأخرىٰ لإثبات البعث وهي صورة الترهيب من النار التي وردت في السنة النبوية الشريفة ودلالة هذا الأسلوب هو دلالة أسلوب الترغيب نفسه حيث: إثبات حقيقة النار هو إثبات لحقيقة وقوع البعث، ومن الإخبار الوارد في السنة بهذا الأسلوب ماروا ه الإمام مسلم رحمه اللّٰه تعالىٰ عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: « **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً** » قلت: يارسول اللّٰه ، النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلىٰ

(١) المرجع السابق: ٢/ ١٨٦، رقم الحديث: ٦٦٠.

بعض ؟ قال ﷺ : « **ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** »[1].

يقول النووي في شرح الحديث ، الغرل : معناه غير مختونين ، جمع أغرل وهو الذي لم يختن ، وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لاشيء معهم ولايفقد منهم شيء حتىٰ الغرلة تكون معهم »[2].

وهذا فيه رد علىٰ شبهة المنكرين للبعث بحجة أن أجزاء الإنسان بعد الموت تتفرق وتتمزق وتتحلل في التراب واستبعادهم إرجاع تلك الأجزاء إلىٰ ماكانت عليه !

فالرسول ﷺ هنا يثبت البعث وحتمية وقوعه وأن الناس يخرجون من الأرض بكاملهم لاينقص منهم شيء حتىٰ الغرلة التي تقطع وترمىٰ في الأيام الأولىٰ من حياة الإنسان ، فهذا الحديث يثبت القدرة الإلهية التي لانهاية لها ويثبت العلم الإلهي الذي لاحدود له ، وهذه أهم أدلة البعث . فاللّه تعالىٰ بعلمه الشامل يعلم أجزاء الأجسام مهما دقت أو لطفت أو تآكلت أو تحللت واختلطت بأجزاء أخرىٰ ، ومهما تدارك عليها الزمن ، وبقدرته تعالىٰ يستطيع إرجاع تلك الأجزاء إلىٰ ماكانت عليه ، وحكمته وعدالته تقتضي ذلك ليجزىٰ كل علىٰ ماقدم .

والمتأمل في الحديث يجد أن هذه الأدلة وردت فيه علىٰ صورة الترهيب من يوم القيامة وحشر الناس وآخر الحديث يؤكد ذلك : « **ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض** » .

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨/ ٣١٧ ، رقم الحديث : ٢٨٥٩ ، مرجع سابق .

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم : ١٨/ ٣١٧ ، مرجع سابق .

هذا جانب من جوانب إثبات البعث من خلال الترهيب، وهناك جوانب أخرىٰ منها علىٰ سبيل المثال وصف أقل الناس عذاباً يوم القيامة، ومما ورد في ذلك مارواه البخاري رحمه اللّٰه تعالىٰ عن النعمان بن بشير رضي اللّٰه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه** »(١).

وفي رواية : « **لايرى أن أحداً أشد عذاباً منه وإنه لأهونهم عذاباً** »(٢).

فالشاهد في الحديث أن النبي ﷺ أثبت وقوع البعث بالإخبار عن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، وورد في السنة النبوية الشريفة الكثير من الإخبارات عن النار وعن دركاتها وأهلها وأحوالهم فيها، وكل ذلك يستدل به علىٰ وقوع البعث والنشور بعد الموت . ومن هذا تتبين أهمية أسلوب الترهيب من النار في إثبات المعاد .

فيتعيّن علىٰ الداعية أن يولي أسلوبي الترغيب والترهيب جلّ اهتمامه؛ لأن هذين الأسلوبين متلازمان، ربط بينهما القرآن الكريم كثيراً ، وأن يكون استخدامه لهما بقدر مناسب متفق مع منهج القرآن الكريم، ليكون المدعو دوماً بين الرجاء والخوف.

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٥٠٧ ، رقم الحديث : ٦٥٦١ ، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١/ ٥٢٤، مرجع سابق.

٢ ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال الرحمة والرأفة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة

الرحمة والرأفة بالمدعوين من أوجب الواجبات على الداعية، أمر بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وربط سبحانه بين رحمته والبعث في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

ذكر القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، أي: وعد بها فضلاً منه وكرماً فلذلك أمهل. وذكر النفس هنا عبارة عن وجوده وتأكيد وعده وارتفاع الوسائط دونه. ومعنى الكلام: الاستعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال إليه، وإخبار منه سبحانه بأنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم الإنابة والتوبة فمن رحمته أن أمهلهم إلى يوم القيامة»(٢).

فإذا كان هذا بالنسبة لله عز وجل فينبغي على الداعية أن يتحلى بهذه الصفات، فيتحبب للناس ويقرب منهم ويتألفهم ويرحمهم، أما قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ فيؤكد الحق سبحانه بالقسم ونون التأكيد بأن يوم القيامة واقع حتماً، وقد ذكر سبحانه تأكيد وقوع ذلك اليوم بعد رحمته؛ لأن من رحمته سبحانه الإمهال إلى يوم القيامة.

وهذا الجانب له صور عديدة منها:

أ ـ القول اللين اللطيف.

ب ـ الكلمة الاستعطافية.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢.

(٢) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم: ٦/ ٢٥٤، مرجع سابق.

جـ ـ المشاركة الوجدانية .

ولتمام بيان دور هذا الجانب في إثبات البعث نتناول صوره الآنفة الذكر ونبين دور كل صورة منها في إثبات البعث على النحو التالي :

أ – إثبات البعث من خلال القول اللين اللطيف في السنة النبوية المطهرة :

القول اللين هو : اللطف في الخطاب والطيب في الكلام، وإذا عرفنا ذلك وتأملناه وعرضناه على قول الحق تبارك وتعالى الوارد في الحديث القدسي التالي نجد أن قوله عز وجل هذا في غاية اللطف واللين، حامل الشعور العاطفي والإحساس الوجداني بحق اللّه تعالى على خلقه وضرورة تصديقه فيما أخبر به ومما ورد في السنة النبوية الشريفة من أقواله عز وجل اللطيفة في الدعوة إليه وإثبات المعاد مارواه الإمام البخاري رحمه اللّه تعالى عن أبي هريرة رضي اللّه عنه : « عن النبي ﷺ قال : قال اللّه تعالى : **كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأمّا تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته. وأمّا شتمه إياي فقوله : اتخذ اللّه ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد**» (١) .

ففي الحديث السابق ومن خلال القول اللين اللطيف يستدل المولى عز وجل ببدء الخلق على الإعادة . ووجه هذا الدليل : أن المنكرين للبعث لاينازعون في أن اللّه تعالى يخلق في الدنيا أناساً أمثالهم، فهذا واقع مشاهد ومحسوس، فإن اللّه تعالى يخلق قرناً بعد قرن، ويخلق الولد من الوالدين، وهذه هي النشأة الأولى التي علموها وبها احتج على قدرته على النشأة الآخرة (٢) .

(١)البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٨/ ٩٤٤ ، رقم الحديث : ٤٩٧٤ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى : ١٧/ ٢٥٢ ، مرجع سباق .

وهذه الدلالة ظاهرة على إمكانية البعث وأيضاً على القدرة عليه ، ومن هنا تتضح أهمية القول اللين اللطيف في إثبات قضية البعث بعد الموت .

فالرسول ﷺ يخبر بهذا القول اللين اللطيف عن الله تعالى وهذا من أعظم الأدلة على مشروعية استخدام هذا المنهج ، وإذا كان هذا ما يعامل الله به خلقه فحري بالداعية أن يتخلق بهذه الصفات وأن يحث على التخلق بها فالقول اللين اللطيف هو مفتاح القلوب المقفلة ومؤنس النفوس المستوحشة .

ب - إثبات البعث من خلال الكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة :

يقصد بالكلمات الاستعطافية قول الداعي : ياأبت ، يابني ، ياعمّ ، ياقوم . . . . إلى غير ذلك ، وكذلك قول الداعي : إني أخشى عليك ، أو إني أخاف عليكم .

هذه الكلمات الاستعطافية لها دور كبير في الدعوة إلى اللّه وفي إثبات قضايا الدعوة بشكل خاص ؛ لأن منكر المسائل الاعتقادية يحتاج للمداراة وللكلمة الطيبة النّدية الاستعطافية نحو ماسبق ذكره .

وقد ورد في السنة النبوية المطهرة أحاديث شريفة تشتمل على هذه الكلمات الاستعطافية لإثبات قضايا العقيدة التي منها البعث والنشور بعد الموت في معرض تحذير المدعو من مغبّة تماديه في الباطل وعدم إيمانه بيوم البعث ، ومن ذلك على سبيل المثال مارواه الإمام مسلم رحمه اللّه تعالى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللّه ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد اللّه بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول اللّه ﷺ : «**ياعمّ قل لاإله إلا اللّه كلمة**

أشهد لك بها عند اللّه »[1].

وفي الحديث الآخر عند مسلم أيضاً : « **أشهد لك بها يوم القيامة** »[2].

فالرسول ﷺ في الأحاديث الشريفة السابقة يخاطب عمّه بلطف وبهذه الكلمة الاستعطافية المؤثرة « ياعمّ» ، ويثبت له في هذا الخطاب اللطيف نفسه يوم القيامة ، يوم البعث والنشور . وكذلك من أدّلة البعث في السنة النبوية الشريفة : قوله ﷺ : « **فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنا فسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم** »[3].

ففي هذا الحديث يثبت المصطفىٰ ﷺ من خلال الكلمة الاستعطافية « **أخشى عليكم** » : اليوم الآخر بما فيه من أحداث البعث والنشور والحساب والجنة والنار، بإماءة لطيفة وردت في قوله : « **أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم** » ، فقوله : «**تبسط الدنيا**» فيه تعريض بأن هناك داراً أخرىٰ .

ومما سبق يتضح أن دلالة هذه الكلمات الاستعطافية هو ورودها في إخبار المصطفىٰ ﷺ بحقيقة وقوع البعث ومساعدتها الداعي في التأثير في نفسية المدعو ليسمع الحق . فهي جزء من الخبر المعصوم، ومعلوم أن الخبر المعصوم دليل قائم بذاته علىٰ حقيقة وقوع البعث . ومن هنا تتبين أهمية هذه الكلمات الاستعطافية في إثبات قضية المعاد .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١١٤ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ١٧٥ ، رقم الحديث : ٢٥ .

(٣) المرجع السابق : ١٨/ ٣٩٦ ، رقم الحديث : ٢٩٦١ .

فينبغي على الداعية أن يحرص على استخدامها بالقدر اللازم والمناسب وفي المواطن التي تستخدم فيها. فهي من الكلمات التي تعبّر عن محبة الداعية للمدعوين وبشاشته وأريحيّته.

جـ - إثبات البعث من خلال المشاركة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة :

المشاركة الوجدانية من أشكال الرحمة والرأفة بالمدعوين، وهي تعني المشاركة القلبيّة للغير في الأفراح، وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الصورفي دعوته إلى الله ولنأخذ إحداها ونبيّن دورها في إثبات البعث، ولتكن التسلية. روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس أنّ رجلاً قال : «يارسول الله أين أبي؟ قال : **(في النار)** ، فلمّا قفىّ دعاه فقال : **(إنّ أبي وأباك في النار)**[1].

يقول النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث إن قوله : «إن أبي وأباك في النار، هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة»[2].

فالرسول ﷺ في هذا الحديث أثبت وقوع النار وهي مما يكون يوم القيامة من خلال التسلية التي هي صورة من صور المشاركة الوجدانية ليخفف على هذا الرجل مصيبته في أبيه، وما آل إليه حاله المشؤوم.

ولهذا ينبغي على الداعية أن يهتم بهذا الأسلوب في دعوته إلى الله تعالى؛ لأن من يشارك الناس همومهم وأفراحهم وأتراحهم يشاركوه هم أيضاً فيمايهمه من أمر الدعوة، فيستجيبون له ويقبلون عليه ويساهمون معه في كل مايريد.

(١) المرجع السابق: ٣/ ٤٣٨، رقم الحديث: ٢٠٣.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ٣/ ٤٣٩، مرجع سابق.

٣ـ إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحوائج وتأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة

هذا الجانب من المنهج العاطفي له صورتان، ولكي يتضح دوره في إثبات البعث نتناول دور كل صورة من صوره في إثبات هذه القضية على النحو التالي :

أ- إثبات البعث بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحوائج في السنة النبوية المطهرة :

تتمثل دلالة قضاء الحوائج على البعث والنشور في أن اللَّه تعالى أمر خلقه بمساعدة الناس وبذل المعروف لهم وقضاء حوائجهم، وتعبدهم بذلك ووعدهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل في الجنة يوم القيامة، لأن حكمته سبحانه تقتضي ذلك، ولهذا ورد في السنة النبوية الشريفة الربط بين قضاء الحوائج وثوابها وأجرها في الجنة يوم القيامة بعد البعث والنشور، ومن ذلك مارواه الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس اللَّه عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره اللَّه في الدنيا والآخرة ، واللَّه في عون العبد مادام العبد في عون أخيه** .... الحديث» (١).

وأخرج مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ: « **كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة**» (٢).

ومما ورد من قصص المحتاجين من صحابة رسول الله ﷺ، ما رواه الإمام

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١١٨.

(٢)مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٤٢٢ ، جزء من الحديث رقم : ٣٠٠٦.

مسلم رحمه الله تعالىٰ عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحيّ من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أوّل من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله ومعه غلام له، معه ضمامة من صحف وعلىٰ أبي اليسر بردة ومعافري وعلىٰ غلامه بردة ومعافري، فقال له أبي: ياعمّ إني في وجهك سفعة من غضب، قال: أجل كان لي علىٰ فلان بن فلان الحراميّ مال فأتيت أهله فسلمت فقلت: ثم هو؟ قالوا: لا. فخرج عليّ ابن له جفر، فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي، فقلت: اخرج إليّ فقد علمت أين أنت. فخرج فقلت: ما حملك علىٰ أن اختبأت منّي؟ قال: أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت والله معسراً قال: قلت: آلله، قال: آلله قلت: آلله. قال: آلله قلت: آلله قال: آلله قال: فأتي بصحيفته، فمحاها بيده، فقال: إن وجدت قضاء فاقضني وإلاّ أنت في حلّ فأشهد بصر عيني هاتين ووضع اصبعيه علىٰ عينيه، وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا وأشار إلىٰ مناط قلبه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظلّه**»(١).

وبيّن الرسول الكريم ﷺ أن قضاء الحوائج لاتنفع صاحبها إذا لم يرد بها وجه اللّه عز وجل، وربط ذلك عليه الصلاة والسلام بيوم الدين أخرج مسلم عن عائشة رضي اللّه عنها قالت «: قلت: يارسول اللّه ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: **لاينفعه، إنه لم يقل يوماً ربّ اغفرلي خطيئتي يوم الدين**»(٢).

(١) المرجع السابق: ١٨/ ٤٢٢، جزء من الحديث رقم: ٣٠٠٦.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٤٤٤، رقم الحديث: ٢١٤.

وخلاصة القول : أن حكمة اللّه تعالىٰ قضت أن يكون هناك يوم آخر للجزاء علىٰ الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ومن تلك الأعمال قضاء الحوائج كما سبق أن بينا فضلها وثوابها يوم القيامة في الأحاديث الشريفة السابقة، ومن خلال هذه الصورة التي فيها تبرز حكمة الحق تبارك وتعالىٰ في حتمية وقوع البعث والجزاء يتضح لنا أهمية قضاء الحوائج في إثبات البعث والنشور بدليل الحكمة الإلهية العادلة .

ولهذا يلزم الداعية رعاية هذا الجانب والاهتمام به كثيراً، يقول الرسول ﷺ: «**هل تنصرون وترزقون إلاّ بضعفائكم**»(١).

وما ذاك إلا أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا .

ذكر ابن حجر رحمه الله تعالىٰ أن سبب الحديث هو قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: «أرأيت رجلاً يكون في حامية القوم ويدفع عن أصحابه أيكون نصيبه كنصيب غيره»؟ فذكر الحديث. ثم قال: والمراد بالفضل هنا إرادة الزيادة من الغنيمة، فأعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء فإن كان القوي يترجح بفضل شجاعته فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه»(٢).

وهذا كله مما يزيد من أهمية قضاء حوائج المحتاجين من الضعفاء والمساكين وبذل الجهد في مساعدتهم وسدّ خلّتهم؛ لأن ذلك من الأسباب العظيمة المؤدية بإذن الله إلىٰ النصر والتمكين والرزق.

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ١٠٨، رقم الحديث: ٢٨٩٦، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ١٠٩، مرجع سابق.

ب ـ إثبات البعث من خلال تأمين خدمات المجتمع الضرورية في السنة النبوية المطهرة :

إن تأمين خدمات المجتمع الضرورية لأفراده : الأمنية ، والصحية ، والتعليمية ، والاجتماعية . . . . إلىٰ غير ذلك من أفضل القربات إلىٰ اللّه تعالىٰ ومن أجل الأعمال ؛ لأن أثرها في المجتمع عميم ونفعها أشمل من غيرها من الأعمال الأخرىٰ ، وإذا قصد بهذه الأعمال رضاء الحق سبحانه كان لصاحبها الأجر العظيم يوم القيامة ؛ لأن حكمة اللّه عز وجل تقتضي ذلك ، وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن الخير كل الخير والأجر كل الأجر هو خير وأجر الآخره ؛ روىٰ البخاري رحمه اللّه تعالىٰ عن أنس رضي اللّه عنه قال : « قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلىٰ المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلىٰ بني النجار فجاؤوا متقلدي السيوف كأني أنظر إلىٰ النبي ﷺ علىٰ راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله حتىٰ ألقىٰ بفناء أبي أيوب ، وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم ، وإنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلىٰ ملأ من بني النجار فقال : « **يابني النجار ثامنوني بحائطكم هذا** » قالوا : لا واللّه لانطلب ثمنه إلاّ إلىٰ اللّه .

فقال أنس : فكان فيه ما أقول لكم : قبور المشركين ، وفيه خرب وفيه نخل . فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول :

« **اللهم لاخير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة** »[1] .

(١)البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١/ ٦٧٨ ، رقم الحديث : ٤٢٨ ، مرجع سابق .

فمن هذا الحديث يتبين أهمية تأمين الخدمات لأفراد المجتمع، يتضح ذلك من الاهتمام النبوي في تأمين أرض للمسجد وقوله لبني النجار : « **ثامنوني بحائطكم هذا**»، ثم اهتمامه ﷺ بتسوية المكان وقطع الأشجار .

وكذلك مشاركته ﷺ صحابته في بناء المسجد حيث روىٰ البخاري من رواية ابن شهاب : « ثم بناه مسجداً وطفق رسول اللّه ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقولُ وهو ينقل اللبن :

هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر ربنـــا وأطـــهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخره فارحم الأنصار والمهاجره» (١) .

فهذا الاهتمام النبوي في إنشاء وتأمين هذه الأعمال الخدمية الجليلة ربطه المصطفىٰ ﷺ بالآخرة ، مذكراً بالمعاد مثبتاً للبعث والنشور في قوله : «**اللهم إن الأجر أجر الآخرة**» ؛ لأن حكمته سبحانه تقتضي ذلك اليوم ليجازىٰ كل علىٰ عمله، ومن عمل هذه الأعمال الجليلة فله من اللّه الأجر العظيم .

ومما سبق يتضح أن الرسول ﷺ أثبت قضية البعث من خلال تقديم الخدمات وتأمينها لأفراد المجتمع المسلم .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يقبل علىٰ هذا الجانب بهمة ونشاط، ولو تأملنا الحديث السابق في قيام الرسول ﷺ باختيار مكان المسجد وطلبه من بني النجار المثامنة علىٰ الأرض ثم تسويتها وقطع أشجارها والمشاركة في بناء المسجد وهو ينقل معهم اللبن وهم يرتزجون والرسول ﷺ معهم في همة المصطفىٰ ﷺ

(١)البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٧/ ٢٩٧ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٣٩٠٦، مرجع سابق .

ونشاطه ومبادرته وحيويته ليعطي الداعية أعظم باعث وأقوىٰ حافز للمبادرة في تأمين الخدمات العامة للمجتمع .

وخلاصة هذا المبحث هو :

أنّ اللّه ـ عز وجل ـ أثبت وقوع البعث والنشور عن طريق إخبار الوحي بشقيه ، وقد تنوّع الإخبار الإلهىٰ هذا في إثبات هذه القضية ، ومما أظهر ذلك وجلاه المنهج العاطفي من خلال أساليبه المختلفة ، فتارة يقرر المولىٰ ـ عز وجل ـ حقيقة وقوع المعاد بالكناية ، وأخرىٰ بالمدح ، وثالثة بالذّم ، ورابعة بالترغيب ، وخامسة بالترهيب ، إلىٰ غير ذلك من الأساليب التي تناولناها في ثنايا هذا المبحث .

كما أن الحق تبارك وتعالىٰ من خلال الوحي بشقيه بيّن كيفية الاستدلال علىٰ إمكانية حدوثه من خلال بيان القدرة الإلهية والعلم والحكمة الإلهية التي تعتبر أهم أدلة البعث والنشور ، وقد كشف لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الاستدلال علىٰ إمكانية حدوثه عن طريق :

ـ دلالة النشأة الأولىٰ والاستدلال بها علىٰ الإعادة .

ـ دلالة خلق السموات والأرض وماهو أعظم من خلق الإنسان .

ـ دلالة إحياء الموتىٰ في الحياة الدنيا .

ـ دلالة إحياء الأرض الميتة .

إلىٰ غير ذلك من الدلالات التي وردت في الكتاب والسنة وجلاّها المنهج العاطفي من خلال أساليبه المتنوعة التي تناولناها في هذا المبحث ، والتي من شأنها أن تولد القناعة والإيمان بحقيقة المعاد وتزيل كل شبهة يرددها أصحاب الفكر والاعتقاد المنحرف .

المبحث الرابع

الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي
في الكتاب والسنة
ويشتمل على توطئة ومطلبين:

المطلب الأول : الدعـوة إلى الطاعـات بالمنهج العـاطفي في القرآن الكريم.

المطلب الثـاني : الدعـوة إلى الطاعـات بالمنهج العـاطفي في السنة النبوية المطهـرة .

توطئة :

مفهوم الطاعة :

١ ـ المعنى اللغوي : [١]

طاع له طوعاً وطيعاً : أطاع وانقاد فهو طائع .

وأطاعه ، وله طاعة : أي مضىٰ لأمره وانقاد لأمره .

وطاوعه : أي : وافقه ، والمراد أتاه طائعاً سهلاً .

والطواعة والطواعيّة : أي : الطاعة .

ورجل مطواع : أي مطيع .

وفلان حسن الطواعية لك : أي حسن الطاعة لك . .

وطاع له يطوع إذا انقاد ، ولسانه لايطوع بكذا : أي لا يتابعه .

ومنه يقال : جاء فلان طائعاً غير مكره .

طاعة الرؤساء : أي التزام ما يصدره الرؤساء من أوامر وتعليمات .

٢ ـ الطاعة في النصوص الشرعية :

ورد لفظ الطاعة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بدلالات متقاربة تعود في جملتها إلىٰ المعنىٰ اللغوي السابق، قال الراغب الأصفهاني[٢]: الطوع :

---

(١) انظر : إسماعيل حمّاد الجوهري/ الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية ـ تحقيق / أحمد عبدالغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت : ٣/ ١٢٥٥ ، مادة : طوع، وقريب منه : انظر : ابن منظور، لسان العرب : ٨/ ٢١٩ ، مادة : طوع ، مرجع سابق .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، مادة : طوع : ٣١١، مرجع سابق.

الانقياد، ويضاده الكره . قال تعالىٰ : ﴿ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ (١) ، وقال تعالىٰ : ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾(٢) . والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار لما أمر والارتسام فيما رسم قال تعالىٰ : ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفىٰ بالله وكيلا﴾ (٣) . وقال تعالىٰ : ﴿طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم﴾(٤) ، أي أطيعوا وقد طاع له يطوع وأطاعه يطيعه قال تعالىٰ : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ (٥) ، وقال تعالىٰ : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولىٰ فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾(٦) ، وقال تعالىٰ ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفىٰ بالله وكيلا﴾ (٧) .

وأمّا في السنة النبوية المطهرة فقد وردت هذه المادة ومشتقاتها في عشرات الأحاديث ، وهي تعود في أهميتها إلىٰ المعنىٰ اللغوي وإلىٰ المعنىٰ الشرعي في القرآن الكريم، ومنها علىٰ سبيل المثال :

قوله ﷺ : « **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصى الأمير فقد عصاني** » (٨) .

---

(١) سورة فصلت ، آية : ١١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٨١ .

(٤) سورة محمد ، آية ٢١ .

(٥) سورة التغابن ، آية : : ١٢ .

(٦) سورة النساء ، آية : ٨٠ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية : ٤٨ .

(٨) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ١٤١ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٢٩٥٧ ، مرجع سابق .

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « **السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة**» (١) .

وكذلك قوله ﷺ : « **ياأيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدّع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله** » (٢) .

٣ ـ المعنى الاصطلاحي :

يعرّف ابن حجر رحمه الله تعالىٰ الطاعة بأنها : الإتيان بالمأمور به والانتهاء عن المنهي عنه (٣) .

وعرفت الطاعة كذلك بأنها : الانقياد والامتثال لأوامر الله عز وجل وفق ما جاء في كتابه وسنة نبيه ﷺ (٤) .

وعرفت كذلك بأنها : الانقياد لشرع الله تعالىٰ من كتاب وسنة ولمن تجب طاعته شرعاً في المعروف (٥) .

وعرفها الشيخ محمد بن صالح العثيمين بأنها (٦) : عبارة عن موافقة الأمر مع تمام الانقياد والذل . ثم قال : وبهذا التعريف تكون الطاعة شاملة لفعل

---

(١) المرجع السابق : ١٣/ ١٥١ ، رقم الحديث : ٧١٤٤ .

(٢) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٤/ ١٨١ ، رقم الحديث: ١٧٠٦ ، وقال عنه : حديث حسن صحيح .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ١٣٩ ، مرجع سابق .

(٤) صفوت عبدالفتاح محمود، الطاعة والمعصية في ضوء الكتاب والسنة، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٢هـ : ٩ .

(٥) سليمان ناصر مرزوق، الدعوة إلىٰ الله بالمنهج الحسي في القرآن الكريم: ١/ ٢٤١ ، مرجع سابق .

(٦) الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع ، دار المسلم، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها : ١٤١٢ هـ : ٧ .

الأوامر واجتناب النواهي، وحينئذ تكون ملتقية مع تفسير التقوىٰ التي جعلها الله سبحانه وتعالىٰ سبباً لسعادة الدنيا والآخرة . فطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ هي موافقة أمر الله ورسوله واجتناب مانهىٰ الله عنه ورسوله، وقد أمر الله تعالىٰ بطاعته وطاعة رسوله في عدة آيات من القرآن، منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١) .

أهمية الطاعة :

الطاعة لله تعالىٰ ناموس إلهي فطرت عليه الخلائق كلها من حيوان ونبات وجماد في السماء والأرض فلم يبق ذرة في الأرض إلاّ وقد أذعنت لربها وخضعت، بحيث تسير وفق إرادة إلهية كونية لا تتخلف عنها أبداً ، يقول الحق تبارك وتعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٢) .

ويقول تعالىٰ : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٣) .

ويقول تعالىٰ : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾(٤) .

فالكون كله خاضع ومستسلم لله تعالىٰ، وهو بهذا المعنىٰ طائع لله عز وجل، غير أن الثقلين منحهما الخالق تبارك وتعالىٰ إرادة وقوة بهما يستطيعان التصرف والاختيار للخير أو الشر، بسبب ذلك تمرد أكثر الثقلين عن التزام الطاعة المطلقة القائمة علىٰ الاختيار، ولكنهم لا يدركون أنهم ـ بالرغم من هذا التمرد ـ

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٢ .

(٢) سورة فصلت ، آية: ١١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ١٥ .

يتحركون وفق إرادة كونية محيطة ضمن ملك الله عز وجل وملكوته، قال القرطبي في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[1] : أي استسلم وانقاد وخضع وذلّ، وكل مخلوق فهو منقاد مستسلم؛ لأنه مجبول علىٰ مالايقدر أن يخرج عنه ، وقيل : المعنىٰ أن الله خلق علىٰ ما أراد منهم ، فمنهم الحسن والقبيح والطويل والقصير والصحيح والمريض وكلهم منقادون اضطراراً، فالصحيح منقاد طائع محبّ لذلك، والمريض، منقاد خاضع وإن كان كارهاً والطوع : الانقياد والاتباع بسهولة . والكره ما كان بمشقة وإباء من النّفس »[2] .

فالطاعة لله تعالىٰ إذن ناموس فطري لا تستقيم أمور الحياة بدونها ، ومن ثم كانت ضرورية، فالفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة لا يمكن أن يقوم أحدها بدون طاعة .

ولهذا خلق الله البشر متفاوتين في عقولهم ومواهبهم وقدراتهم وأخلاقهم لتنظيم الحياة بالتعاون والتناصر وفق ناموس الطاعة كما قال جل وعلا : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[3] .

ذكر الرازي في تفسير الآية : أنّ الله عز وجل أوقع هذا التفاوت بين العباد في القوة والضعف، والعلم والجهل، والحذاقة والبلاهة، والشهرة والخمول، والله فعل ذلك لأنه لو سوّىٰ بينهم في كل هذه الأحوال لم يخدم أحد أحداً، ولم

(١) سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٨٢ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الزخرف ، آية : ٣٢ .

يصر أحد منهم مسخراً لغيره، وحينئذٍ يفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد نظام الدنيا»[1].

غير أن هذه الطاعة ليست مطلقة كطاعة الله ورسوله؛ بل هي مقيدة، ولهذا فإن الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] جاءت بأسلوب بديع معجز، وضع الله عز وجل بها الطاعة في مكانها اللائق بها. يقول الألوسي في تفسير الآية: «وأعاد الفعل وإن كانت طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله تعالى اعتناءً بشأنه عليه الصلاة والسلام وقطعاً لتوهم أنه لايجب امتثال ماليس في القرآن، وإيذاناً بأن له ﷺ استقلالاً بالطاعة ما لم يثبت لغيره ومن ثم لم يعد في قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إيذاناً بأنهم لا استقلال لهم فيها استقلال الرسول ﷺ»[3].

إذن فطاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ وليست مستقلة.

أثر الطاعة في حياة الفرد والمجتمع:

الطاعات الشرعية[4] تجلب لصاحبها الصلاح والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وبصلاح الأفراد تصلح المجتمعات.

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ٢٧/ ١٨٠، مرجع سابق.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) الألوسي، روح المعاني: ٤/ ٩٥ ـ ٩٦، وانظر: محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ترتيب وضبط: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: بدون، تاريخها: ١٤١٧هـ: ١/ ٣٨.

(٤) الطاعات الشرعية: أي الطاعة بالاختيار وهي التي يثاب عليها المؤمنون بخلاف الطاعة الكونية وهي الطاعة بالإكراه والقسر كما هو حال المخلوقات مع الخالق عز وجل.

ومن الآثار الطيبة للطاعات في حياة الفرد[1] :

١ ـ صلاح الفرد في معاشه ومعاده .

٢ ـ إخبات العبد إلىٰ ربه عز وجل .

٣ ـ شعور العبد بالأنس بربه تعالىٰ ، فالطاعة تشرح الصّدر وبها يطمئن القلب وتتسع النفس ويكون الإنسان المطيع لربه عز وجل مسروراً دائماً ويحي حياة سعيدة ، قال تعالىٰ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [2] .

٤ ـ من آثار الطاعة علىٰ الفرد أنه يزداد بها علماً قال تعالىٰ : ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [3] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [4] .

٥ ـ عدم تسخط العبد المطيع لربه سبحانه علىٰ ما يصيبه من قضاء الله وقدره .

٦ ـ البركة في العمر ، قال تعالىٰ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[5] .

وقال الرسول ﷺ : « **من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [6] .

---

(١) انظر : الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين : الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع : ١٦ ، مرجع سابق .

(٢) سورة النحل ، آية : ٩٧ .

(٣) سورة مريم ، آية : ٧٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٨٢ .

(٥) سورة نوح ، الآيات : ٢ـ ٤ .

(٦) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/ ٥١٠ ، رقم الحديث : ٥٩٨٦ ، مرجع سابق .

٧ ـ من آثارها أيضاً نفي الفقر والذنوب، قال عليه الصلاة والسلام : «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلاّ الجنة**» (١) .

٨ ـ من آثار الطاعات أيضاً الشعور بالعزة والكرامة قال تعالىٰ : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ (٢) .

يقول القرطبي رحمه الله تعالىٰ في تفسير الآية : « قيل في معنىٰ الآية : من كان يريد بعبادته الله عز وجل العزة ـ والعزة له سبحانه ـ فإن الله عز وجل يعزه في الآخرة والدنيا . ثم قال : قلت : وهذا أحسن » (٣) .

إلىٰ غير ذلك من الآثار الحميدة التي تتركها الطاعات علىٰ صاحبها .

أمّا بالنسبة لآثار الطاعات على المجتمع فمنها :

١ ـ حصول الأمن وحلوله وثبوته واستقراره :

إن المجتمع الذي يعرف حقوق الرب تبارك وتعالىٰ من إقامة حدوده وفعل طاعاته وترك معاصيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحل به الأمن ويستقر فيه، قال تعالىٰ : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم**

(١) الترمذي، الجامع الصحيح : ٣/ ١٧٥ ، رقم الحديث : ٨١٠، قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح، مرجع سابق.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٠ .

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ٢١٠، مرجع سابق .

مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (١) .

وقال تعالىٰ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

٢ ـ كثرة الطاعات في المجتمع تجعل أفراده أحبة متآلفين متآزرين علىٰ الحق متعاونين ضدّ الباطل، قال تعالىٰ : ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٣) .

٣ ـ وفرة النعم ودوامها، قال تعالىٰ : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾(٤) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ (٥) .

وكذلك المجتمع الذي تكثر فيه الطاعات ينزل الله عليه بركات من عنده في نعمه وأرزاقه، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (٦) .

يقول المراغي في تفسيره لهذه الآية : «أي ولو أن أهل مكة ومن حولهم من أهل القرىٰ آمنوا بما دعاهم إليه خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام من عبادته

(١) سورة النور، آية: ٥٥ .
(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢ .
(٣) سورة الفتح ، آية: ٢٩ .
(٤) سورة نوح ، آية: ١٠ ـ ١٢ .
(٥) سورة الجن، آية: ١٦ .
(٦) سورة الأعراف ، آية: ٩٦ .

تعالىٰ وحده، واتقوا مانهاهم عنه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام، لفتحنا عليهم أنواعاً من بركات السماء والأرض لم يعهدوها من قبل في صفاتها ونمائها وثباتها وأثرها فيهم، فأنزلنا عليهم الأمطار النافعة التي تخصب الأرض وتكسب البلاد رفاهية العيش، وأتيانهم من العلوم والمعارف وفهم سنن الكون ما لم يصل إلىٰ مثله البشر من قبل »[1] .

إلىٰ غير ذلك من الآثار الطيبة التي تتركها الطاعة علىٰ فاعلها سواء كان فرداً أو مجتمعاً .

أقسام الطاعة :

تنقسم الطاعة إلىٰ أقسام كثيرة منها ما هو من أصول الدين كأركان الإسلام الخمسة التي بينها النبي ﷺ بقوله في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة، والحج ، وصوم رمضان** »[2] ومنها دون ذلك .

يقول الشيخ / محمد بن صالح العثيمين : « وهذا القسم من الطاعة هو أساس الإسلام، ولهذا جعله النبي ﷺ عماداً للإسلام حيث قال : « **بني الإسلام على خمس** »، فشهادة ألاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله بها يدخل الإنسان في الإسلام، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا بها يتم الإسلام لأنها أعمال متنوعة ، فالصلاة عمل بدني حيث كان فعلاً، والصيام عمل بدني حيث كان تركاً للمألوف من طعام وشراب

(١) أحمد مصطفىٰ المراغي، تفسير المراغي، خرّج آياته وأحاديثه: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٩/ ٣٦١ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١/ ٦٩ ، رقم الحديث: ٨ ، مرجع سابق .

ونكاح، والزكاة عمل مالي محض متىٰ وصل إلىٰ مستحقه فقد برأت منه الذمة، وأمّا الحج فإنه عمل بدني لكن غالباً ما يكون المال شرطاً فيه أو مكملاً له كمسألة الهدي مثلاً» (١).

ثم إن من الطاعات الأخرىٰ ماهو دون ذلك بمراحل كبيرة، ومنها ماهو بين هذا وذاك، ولكن هذه الطاعات التي يطلب من المرء فعلها هي ـ كما قال أهل العلم ـ داخلة في مسمىٰ الإيمان (٢).

يقول النووي رحمه الله تعالىٰ: «إن اسم الإيمان يتناول ما فسّر به الإسلام في الحديث السابق(٣) وسائر الطاعات؛ لأنها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له، ولهذا فسّر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم» (٤).

وذكر أيضاً أن اسم الإسلام يتناول أيضاً ماهو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات؛ لأن ذلك كله استسلام. وذكر أن الإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهي الأعمال(٥).

ويقول: «ويطلق اسم الإيمان علىٰ الأعمال ـ الطاعات ـ وهذا متفق عليه عند أهل الحق، ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر

(١) الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، الطاعة والمعصية: ٩، مرجع سابق.
(٢) انظر المرجع السابق: ١٠
(٣) الحديث السابق: يقصد به: الحديث الذي ذكرناه في بداية تقسيم الطاعات، ص: ٤٢٤.
(٤) النووي، شرح صحيح مسلم: ١/ ١٢٤، مرجع سابق.
(٥) انظر: المرجع السابق: ١/ ١٢٤.

قال تعالىٰ : ﴿ وما كان اللهُ ليُضيع إيمانكُم ﴾ (١) ، أجمعوا ـ أي أهل الحق ـ علىٰ أن المراد صلاتكم» (٢) .

وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ : أن ظواهر الشرع تطلق الإيمان علىٰ الأعمال ـ الطاعات ـ كما وقع في الحديث الشريف : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** » (٣) .

وقال : « إن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه وأنها خلق أهل التصديق فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي ، وقد نبه ﷺ علىٰ أن أفضلها التوحيد المتعين علىٰ كل أحد والذي لايصح شيء من الشعب إلاّ بعد صحته وأدناها مايتوقع ضرره بالمسلمين من إماطة الأذىٰ عن طريقهم وبقي بين هذين الطرفين أعداد لو تكلف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه» (٤) .

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم ابن حِبّان : « تتبعت معنىٰ هذا الحديث مدّة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد علىٰ هذا العدد شيئاً كثيراً ، فرجعت إلىٰ السنن فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين ، فرجعت إلىٰ كتاب الله تعالىٰ فقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالىٰ من الإيمان فإذا هي تنقص عن البضع والسبعين ، فضممت الكتاب إلىٰ

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم : ١/ ١٢٥ ، مرجع سابق .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٢٠٢ ، رقم الحديث : ٣٥ ، مرجع سابق .

(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم : ٢/ ٢٠٣ ، مرجع سابق .

السّنن وأسقطت المعاد فإذا كل شيء عدّه الله تعالىٰ ونبيه ﷺ من الإيمان تسع وسبعون شعبة لايزيد عليها ولا تنقص، فعلمت أن مراد النبي ﷺ أن هذا العدد في الكتاب والسنن »[1] .

فإذا علم هذا فإن باب الطاعات باب واسع، وليس المراد هنا في هذا المبحث حصر الطاعات، فالمجال ليس مجال حصر، إنما المراد هو إثبات أن في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دعوة إلىٰ الطاعات بالمنهج العاطفي، فمن أهداف هذا المبحث إذاً إبراز دور المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الطاعات في الكتاب والسنة.

وسيتم تناول ذلك إن شاء الله تعالىٰ وإيضاحه وفق المطلبين التاليين :

ـ المطلب الأول : الدعوة إلىٰ الطاعات بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم.

ـ المطلب الثاني : الدعوة إلىٰ الطاعات بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة.

(١) المرجع السابق : ٢/ ٢٠٣ ، وذكر النووي أن أبا حاتم رحمه الله ذكر ذلك في كتاب : وصف الإيمان وشعبه وذكر فيه أن رواية من روىٰ بضع وستون شعبة أيضاً صحيحة فإن العرب قد تذكر للشيء عدداً ولا تريد نفي ما سواه .

المطلب الأول

الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم

القرآن الكريم مليء بالدعوة إلى الطاعات وإلى السلوك القويم والنهي عن المعاصي، فلا تكاد تخلو سورة من سوره الكريمة من الدعوة إلى الفضائل والحض عليها، وكان للمنهج العاطفي في تجلية ذلك وإظهاره دور بارز من خلال أساليبه المتنوعة يدعو، فهو إلى الفضائل ويحث عليها بالترغيب حيناً وبالوعد بالجزاء في الآخرة حيناً آخر، وثالثاً بالقصة وابعاً بالتذكير بنعم الله تعالى . . . . إلى غير ذلك من الأساليب المختلفة .

وسأكتفي هنا نظراً لكثرة الآيات المتعلقة بالمنهج العاطفي بذكر بعضها الدّاعية إلى الطاعات ولفت أنظار المسلمين وغيرهم إلى ما في القرآن الكريم من الدّرر النّفيسة والجواهر الثمينة التي لا توجد في غيره من الكتب السماوية مع إلقاء الضوء عليها بشيء من الإيجاز مستشهداً ببعض أقوال العلماء والمفسرين كلما أمكن وذلك من خلال أساليب المنهج العاطفي على النحو التالي :

١ ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال الموعظة الحسنة وأشكالها المختلفة في القرآن الكريم :

من أعظم أساليب المنهج العاطفي الداعية إلى الطاعات : أسلوب الموعظة الحسنة لتعدد أشكاله وتأثيره في النفوس، وقد استخدمه القرآن الكريم في الدعوة إلى الطاعات كثيراً، ولعل أجمع آية في ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) .

ففي هذه الآية : يأمر الحق تبارك وتعالىٰ بالعدل : وهو القسط والتسوية في الحقوق فيما بين الخلق وترك الظلم وإيصال كل ذي حق حقه . ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ : أي التفضيل بأن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأن يعفو عنه . ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ : أي إعطاء القرابة ما يحتاجون إليه .

﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ : أي عمّا فحش من الذنوب وأفرط قبحها كالزنا ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ : أي كل من أنكره الشرع . ﴿وَالْبَغْيِ﴾ : أي العدوان علىٰ الناس . ﴿يَعِظُكُمْ﴾ : أي بما يأمركم وينهاكم . ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ : أي تتعظون بمواعظ الله فتعملون بما فيه رضا الله تعالىٰ (٢) .

وروىٰ ابن جرير عن ابن مسعود أن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية(٣) . وروىٰ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ : أن عثمان بن مظعون مرَّ علىٰ النبي ﷺ وهو جالس بفناء بيته فكشر إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له : ألا تجلس ؟ فقال : بلىٰ . فجلس ثم أوحي إليه هذه الآية فقرأها عليه . قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً ﷺ (٤) .

---

(١) سورة النحل ، آية : ٩٠ .

(٢) القاسمي ، محاسن التأويل : ٦/ ٤٠٢ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٦/ ٤٩٢ .

(٤) الإمام أحمد ، المسند بشرح أحمد شاكر : ٣/ ٢٨٥ ، رقم الحديث : ٢٩٢٢ ، قال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح .

ولما تليت الآية على أكتم بن صيفي قال لقومه: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذناباً[1]. وعن عكرمة أن النبي ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية فقال له: يا ابن أخي! أعد عليّ، فأعادها. فقال الوليد: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وماهو بقول البشر[2].

إلى غير ذلك من استخدامات القرآن الكريم لأسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الطاعات، وقد أشار القرآن الكريم إلى النتائج الطيبة التي يحصل عليها من اتبع مواعظ الشرع الحنيف فقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا**﴾[3].

ولزيادة بيان دور أسلوب الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الطاعات ـ الذي ينبغي أن يفطن له الداعية ـ هو معرفة هذا الأسلوب من خلال أشكاله العاطفية التالية:

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال الإشارة في القرآن الكريم:

ورد لفظ الإشارة في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾[4].

---

(١) الألوسي، روح المعاني: ١٤/ ٣٢٤، مرجع سابق.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل: ٦/ ٤٠٢، مرجع سابق.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٦.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٢٧ـ٢٩.

فمريم عليها السلام من خلال إشارتها هذه طلبت من القوم أن يكلموا عيسى عليه السلام لتدفع التهمة عن نفسها، لكن في هذه الإشارة أيضاً دعوة إلى التفكر في هذه الآية العظيمة ـ وهي خلق عيسى عليه السلام من غير أب ـ وأن في ذلك دلالة واضحة على عظمة الله عز وجل ينبغي الوقوف بالفكر عندها والتأمل في قدرة الله تعالى التي تتجلى في هذا الحدث العظيم .

وكأن في ذلك إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١) : أي جعلناه آية بأن خلقناه من غيرأب كما خلقنا آدم، وأنعمنا عليه بالنبوّة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني إسرائيل(٢) ، ولا شك في أن الدعوة إلى التفكر في آيات الله تعالى من أفضل الطاعات، ومن الآية : يتبيّن أن الإشارة الحسية تستخدم في الدعوة إلى الطاعات، وأما الإشارة المعنوية المتمثلة في أسماء الإشارة فقد استخدمها القرآن الكريم كثيراً في الدعوة إلى الطاعات ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣) .

يقول صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ : وفي اسم الإشارة الذي هو : ﴿أُولَئِكَ﴾ إيذاناً بأن ما يرد عقيبه، فالمذكورون قبله أهل لا كتسابه من

(١) سورة الزخرف ، آية : ٥٩ .

(٢) انظر : الزمخشري ، الكشاف : ٥/ ٤٥٢ ، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة، الآيات : ١ ـ ٥ .

أجل الخصال التي عددت لهم[1] .

فإذا تأملت النص الكريم وجدت أنه قد عقب المشار إليه وهو مصدوق المتقين بأوصاف هي : الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله عز وجل والإيمان بما أنزل ، والإيمان بالآخرة، ثم عرّف المسند إليه باسم الإشارة : ﴿أُولَئِكَ﴾ المشار به إلىٰ مصدوق (الَّذِينَ) تنبيهاً علىٰ أن المشار إليه كان جديراً بما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم الذي هو (الهُدَىٰ) علىٰ أن المشار إليه جدير بما يرد بعده من أجلها كما في قوله تعالىٰ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

فقد ذكر الأوصاف بعد ﴿الَّذِينَ﴾ ونبّه باسم الإشارة علىٰ أن المشار إليه جدير بذلك أي : حقيق بذلك الحكم من أجل الأوصاف التي ذكرت بعد المشار إليه[2] . أمّا تكرير ﴿أُولَئِكَ﴾ : فتنبيه علىٰ أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدىٰ فهي ثابتة لهم بالفلاح[3] . وخلاصة القول : أن تركيب النص الكريم السابق : المتضمن اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ قد حقق الدعوة إلىٰ الطاعات بعدّة ألوان من فنون البلاغة ومنها :

ـ الإيجاز، فقد أفاد اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ أن يؤدي السياق الدّلالة علىٰ موصوف بصفات عديدة، فبني الحكم علىٰ هذه الصفات .

أي : هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات كلها ، هم ـ دون سواهم ـ الكاملو الإيمان . وفي هذا دعوة للاقتداء بهم وعمل عملهم، وكذلك فيه تثبيت لهؤلاء

(١) الزمخشري، الكشاف : ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) انظر : طالب الزوبعي، كتاب المعاني : ١٨٥ ، مرجع سابق.

(٣) الزمخشري، الكشاف : ١/ ١٦٠ ، مرجع سابق.

المؤمنين على ما هم عليه من الطاعة فدلالة التنبيه باستخدام ﴿أُولَئِكَ﴾ على المشار إليه التي اجتمعت له هذه الصفات حري بأن تثبت له الهداية التي من شأنها أن تجعلهم لا يفرطون في كرامتهم ولا يستمرؤون الذّل ولا يرضون الهوان ولا تغمرهم مفاتن الحياة الدنيا(١).

ويشارك أيضاً اسم الإشارة بقية تراكيب الآيات في الدعوة إلى الطاعات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾(٢). إلى أن قال ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾(٣).

فلو تأملنا اسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فإنه يفيد التنبيه والتعظيم لهذا الرزق العظيم والذي يفيد الترغيب في ما عند الله وحثّ العباد على الفوز بهذا الفضل العظيم. بأن يكونوا من عباد الله المخلصين التي لا تخفى صفاتهم.

وأيضاً اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ أَبْرَزَ ونبّه على فضل الله العظيم ـ من فواكه، وجنات وسرر، وحور عين، . . . . إلى غير ذلك ـ ثم أعقبه بالأمر بعمل هؤلاء العباد المخلصين من الإيمان بالله والعمل بمقتضى ذلك الإيمان.

---

(١) طالب الزوبعي، البلاغة العربية ـ علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين: ١٨٦، مرجع سابق.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٤٠ ـ ٤٩.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ٦٠ ـ ٦١.

ومما سبق يتضح دور اسم الإشارة في الدعوة إلى الطاعات ولهذا ينبغي على الداعية أن يعي أن عليه مسؤلية الإلمام بأساليب القرآن البيانية لكي تكون عوناً له على معرفة المراد من النصوص الشرعية ولتساعده في تنويع أساليبه في الدعوة إلى الطاعات وغيرها.

ب ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب التعريض في القرآن الكريم :

استخدم القرآن الكريم أسلوب التعريض في الدعوة إلى الطاعات كثيراً، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ (١) .

وفي قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ (٢) .

وفي قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١١٣ ـ ١١٥ .

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ ـ ٦١ .

(٣) سوة الذاريات، الآيات: ١٥ ـ ١٩ .

ففي الآيات السابقة مدح الحق تبارك وتعالىٰ المؤمنين من أهل الكتاب ومن أمة محمد ﷺ لفعلهم للصالحات واشتغالهم بالطاعات، وفي ذلك دعوة إلىٰ فعل الطاعات بأسلوب التعريض عن طريق حثّهم وحضهم علىٰ أن يسلكوا مسلك هؤلاء الصالحين.

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يهتم بهذا الأسلوب المهم ـ أسلوب التعريض ـ أثناء دعوته للطاعات وأن يهتدي بهدي القرآن الكريم، ففي ذلك تنوع لأساليب الدعوة مما يضفي عليها قوة في التأثير والاقناع.

جـ ـ الدعـوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الكناية في القرآن الكريم :

الكناية كما مّر معنا: هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه. وقد استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلىٰ الطاعات ومن ذلك علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ: ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (١). فقوله: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ كناية عن التواضع ولين الجانب. يقول القرطبي رحمه الله تعالىٰ: «أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم. وأصله أن الطائر إذا ضّم فرخه إلىٰ نفسه بسط جناحه ثم قبضه علىٰ الفرخ، فجعل ذلك وصفاً لتقريب الإنسان أتباعه. ويقال: فلان خافض الجناح. أي وقر ساكن. والجناحان من ابن آدم: جانباه، ومنه: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ**﴾ (٢). وجناح الطائر: يده (٣).

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) سورة طه، آية: ٢٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٣٨، مرجع سابق.

ومنه أيضاً قوله تعالىٰ : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (١) ، فقوله : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ ، فالذل هنا كناية عن اللين ، يقول القرطبي رحمه الله : فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلّة في أقواله وسكناته ونظره ، ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب (٢) .

من الأمثلة السابقة يتبين دور الكناية في الدعوة إلىٰ الطاعات ، ولهذا يلزم الداعية أن يعلم دور هذا الأسلوب في التأثير والإقناع والاستمالة ، ومن ثم عليه أن يستخدمه في الحدود التي يرىٰ استخدامه مناسباً ؛ لأن في تنوع أساليب الدعوة تشويقاً واستمالة وقبولاً .

د ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال القصة الوجدانية في القرآن الكريم:

استخدم القرآن الكريم القصة الوجدانية في الدعوة إلىٰ الطاعات ، ومن ذلك قصة يوسف عليه السلام ، فهذه القصة فريدة في نمطها وأسلوبها وإعجازها ومقاصدها وغاياتها ، فقد اشتملتها سورة واحدة ، لم تتكرر حلقة من حلقاتها في سورة أخرىٰ ، ولهذا كان لها طابع خاص في ترابط أحداثها وترتيب أهدافها ولن نذكر كل ما ورد في تلك القصة ـ رغم أهميتها ـ لكن سنذكر بعض الوقفات الدعوية التي تهم الداعية في رحلته الدعوية ، وفي الوقت نفسه تدعو إلىٰ الطاعات فمن ذلك اهتمامه عليه السلام بأمر الدعوة حتىٰ في المواطن الحرجة ، يتمثل ذلك في دعوته السجينين الذين دخلا معه السجن يقول الحق عز وجل

(١) سورة الإسراء ، آية : ٢٤ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٥٩ ، مرجع سابق .

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴿٣٦﴾ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴿٣٧﴾ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿٣٨﴾ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴿٣٩﴾ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (١). وفي هذا دعوة صريحة للدعاة وهم يقومون بواجب الدعوة للإهتمام بأمرها في كل ظرف وموطن باللطف والرفق ولين الجانب (٢) يقول تعالى في آخر السورة : ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾(٣).

وكذلك ما ذكره الحق عز وجل بشأن موسى عليه السلام ومساعدته للمرأتين يقول الحق عز وجل : ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴿٢٣﴾ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف ، الآيات : ٣٦ ـ ٤٠ .

(٢) انظر : الدكتور / محمد بكر إسماعيل ، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ، دار المنار ، المدينة : بدون ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : بدون : ١٣٠ ـ ١٣٣ .

(٣) سورة يوسف ، آية : ١١١ .

(٤) سورة القصص ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

وفي هذا دعوة إلىٰ الطاعات التي منها مساعدة المحتاجين، وغير ذلك الكثير، فقصص القرآن كله يدعو إلىٰ الطاعات، وما ذكرناه هو لمجرد التمثيل.

هـ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب التذكير بنعم الله تعالى في القرآن الكريم:

إنّ الحديث عن النّعم من الأهمية بمكان مع عجزنا عن حصرها، فقد أسدىٰ المولىٰ عز وجل لكل عبد من العباد من أنواع النعم ما تقصر العقول عن الوقوف عليه فضلاً عن النعم العامة الكثيرة الوفيرة المتنوعة التي لاتحصىٰ قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

(١) سورة النحل، الآيات: ٤ ـ ١٨.

وهذه النعم إذا تناولها الإنسان على ما يجب وكما يجب وتحرى بها الوجه الذي لأجله خلقت انتفع بها عاجلاً وصارت له زاداً إلى النعيم الدائم في الآخرة، ولهذه الأهمية نرى الحق تبارك وتعالى يتخذ من التذكير بها أسلوباً للدعوة إلى الحق والهداية إلى فعل الخير والطاعات، ومن ذلك :

ـ الدعوة إلى التوحيد من خلال أسلوب التذكير بنعم الله تعالى : قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ففي هذه الآيات دعا الحق تبارك وتعالى إلى عبادته ودلّل على استحقاقه للعبادة دون سواه بنعمه على خلقه المتمثلة في الخلق، وفرش الأرض لهم وبناء السماء فوقهم وإنزال الماء من السحاب . . . إلى غير ذلك من النعم المذكورة في الآيات والتي تفرد سبحانه بخلقها وإيجادها وحده دون سواه فهو المستحق للعبادة وحده لاشريك له .

ـ الدعوة إلى تقوى الله وطاعة رسله : يدعو نبي الله هود عليه السلام قومه إلى تقوى الله وطاعته من خلال استشعار نعم الله تعالى عليهم، وأن هذه النعم تستوجب شكر موجدها والمنعم بها فقال لقومه : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٢) .

(١) سورة البقرة، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) سورة الشعراء، الآيات : ١٣١ ـ ١٣٤ .

إلى غير ذلك من الطاعات التي دعا إليها القرآن الكريم من خلال أسلوب التذكير بنعم الله تعالى وفق المنهج العاطفي .

ومن هنا يتبيّن دور هذا الأسلوب ونجاحه في الدعوة إلى الطاعات ؛ لأن نعم الله تعالى على العباد واضحة محسوسة ، ولها عند من وفقه الله عز وجل قيمة رفيعة ، فلا تتطلب إلاّ مجرد الذكر من خلال هذا الأسلوب وهذا ما ينبغي على الداعية فعله ، فالتذكير بنعم الله على خلقه إضافة إلى ماسبق يعتبر من الأسباب المعينة على السماع منه وقبول مواعظه فينبغي اهتمامه بذلك .

و ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب المدح والثناء في القـرآن الكريم :

مدح الحق تبارك وتعالىٰ أنبياءه ورسله وعباده الصالحين لما اتصفوا به من الإخلاص لله سبحانه وحسن الطاعة، ومن خلال مدحه عز وجل هذا لهؤلاء الأبرار فإنه في الوقت نفسه يدعو إلىٰ الاقتداء بهم في فعل الطاعة وأعمال البر، ومن ذلك قوله تعالىٰ في مدح إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (١) . وقال أيضاً : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾(٢) . وقال سبحانه مادحاً سليمان عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣) . وقال في حق أيوب عليه السلام : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(٤) . وقال في حق محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥) . وقال سبحانه في حق أمة محمّد ﷺ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٦) .

وقال تعالىٰ مادحاً عباده المؤمنين : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ

---

(١) سورة هود ، آية : ٧٥ .
(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٠ .
(٣) سورة ص ، آية : ٣٠ .
(٤) سورة ص ، آية : ٤٤ .
(٥) سورة القلم ، آية: ٤ . .
(٦) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

فمن الآيات السابقة نجد أن القرآن الكريم دعا إلىٰ الطاعات من خلال أسلوب المدح الذي منحه أنبياءه وعباده الصالحين لاتصافهم بالطاعات، وفي مدحهم هذا لهذا السبب دعوة إلىٰ الطاعات التالية :

ـ الدعوة إلىٰ الإنابة إلىٰ الله تعالىٰ .

ـ الدعوة إلىٰ طاعة الله ورسوله : وهذا معنىٰ القنوت في قوله تعالىٰ(٢) : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾(٣) .

ـ الدعوة إلىٰ الصبر في طاعة الله تعالىٰ .

ـ الدعوة إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله .

ـ الدعوة إلىٰ الخشوع في الصلاة .

ـ الدعوة إلىٰ الإعراض عن اللغو .

ـ الدعوة إلىٰ إخراج الزكاة .

ـ الدعوة إلىٰ العفة وإلىٰ المحافظة علىٰ الفروج إلاّ علىٰ الأزواج أو ما ملكت الأيمان .

ـ الدعوة إلىٰ مراعاة الأمانة وحفظها .

---

(١) سورة المؤمنون، آية : ١ ـ ١١ .

(٢) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٧٧٦، مرجع سابق .

(٣) سورة النحل ، آية : ١٢٠ .

ـ الدعوة إلى مراعاة العهد والوفاء به .

ـ الدعوة إلى المحافظة على الصلاة فهي عمود الدين .

إلى غير ذلك من الطاعات التي دعا إليها الحق تبارك وتعالى في القرآن الكريم من خلال أسلوب المدح ؛ لأن الله عز وجل لا يمدح من الأعمال إلاّ ما يرتضيه ، فإذا مدح عملاً فهو له طاعة ينبغي فعله والتقرب إليه به ، وإذا مدح عبداً فإنما ذلك لإخلاصه وطاعته له سبحانه فينبغي الاقتداء بهذا العبد الممدوح من الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه﴾ (١) .

ومما سبق يتبيّن دور أسلوب المدح في الدعوة إلى الطاعات ، وإذا علم ذلك فيلزم الداعية أن يستثمر تلك النصوص القرآنية الكريمة في دعوته إلى الطاعات ، فهذا الأسلوب له وقع كبير وأثر عظيم في النفوس ينبغي على الداعية الاهتمام به واستخدامه في دعوته .

ز ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الذمّ في القرآن الكريم:

نوّع الحق تبارك وتعالى أساليب الدعوة إلى الطاعات فكان منها أسلوب ذمّ الكفرة والملحدين والمنافقين والمتكبّرين عن عبادة الله تعالى ، وفي هذا الأسلوب تحذير من المذمومين هؤلاء و أفعالهم الذميمة ودعوة لغيرهم بأن يجتنبوا طريقهم ، ومن الآيات الدّالة على هذا على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٢) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٩٠ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٦٢ ـ ٦٣ .

ففي هذه الآيات وبّخ الله عز وجل اليهود وذمهم على مسارعتهم في المعاصي والظلم والاعتداء فقال : « لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ثم وبّخ علماءهم على تركهم نهيهم فقال : « لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»، وهو سبحانه بهذه الآيات يحذر المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من الأفعال الذميمة ويدعو إلى مخالفتهم بفعل الطاعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول القرطبي رحمه الله تعالى : «ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »(١) . وهذا يعني أنه ينبغي على العلماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا فيه دعوة إلى الخير وفعل الطاعات .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢) .

ففي هذه الآية ذمّ الله تعالى اليهود لما تركوا العمل بالتورات فقال : « بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ»، وفي هذا إشارة من الله عز وجل للمسلمين أن يتعلموا القرآن الكريم ويعرفوا معانيه ويعملوا بما فيه يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : « وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذمّ ما لحق هؤلاء »(٣) .

وهذا يعني أن الآية الكريمة وإن كانت في ذمّ اليهود إلاّ أنها تتضمن الدعوة

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦/ ١٥٣ ، مرجع سابق .
(٢) سورة الجمعة ، آية : ٥ .
(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٦٢ ، مرجع سابق .

إلى فعل الطاعات من تدبر للقرآن ومعرفة ما فيه والعمل به . وبهذا يتضح دور أسلوب الذمّ في الدعوة إلى الخير الذي ينبغي أن يتنبه له الداعية وأن يوظف تلك النصوص للدعوة تلك الطاعات .

ح ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الترغيب في القـــرآن الكريم :

استخدم القرآن الكريم في دعوته إلى الطاعات أسلوب الترغيب، نلمح ذلك جليّاً في الربط بين الإيمان وفعل الطاعات وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء في الدنيا والجنة في الآخرة، فقد بيّن القرآن الكريم في مواضع كثيرة ومتكررة هذا الارتباط كقوله تعالى : ﴿**وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا**﴾(١) . أي وأوحى إلى أنه لو استقام الجنّ والإنس على ملّة الإسلام لوسّعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغزير بالذكر لأنه أصل السعة والخيرات كلها في الدنيا(٢) . فهي البركات بكل أنواعها وألوانها وبكل صورها وأشكالها ما يعهده الناس وما يتخيلونه وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال (٣) .

وقال تعالى في الترغيب في الطاعات ومن أهمها الرجوع لله عز وجل والتوبة إليه والاستغفار من المعاصي والذنوب : ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ (٤) : وهذا من أبلغ مـــا يكون من لذات الدنيـــا

(١) سورة الجن ، آية: ١٦ .

(٢) علي محفوظ، هداية الرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة ، دار النصر ، القاهرة، الطبعة: الخامسة، تاريخها: ١٣٧١هـ: ١٩٤ .

(٣) انظر: سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧١٣، مرجع سابق .

(٤) سورة نوح ، الآيات: ١٠ـ١٢ .

ومطالبها[1] . ومثله قوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] . وقال تعالىٰ أيضاً : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[3] .

هكذا نجد هذه النوعية من النصوص تربط بين هذه النعم الإلهية المنهمرة من السماء أو المخرجة من الأرض بإيمان الناس وإسلامهم، كل ذلك ليحملهم علىٰ الإيمان ويرغبهم في الطاعات كما قال تعالىٰ : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[4] .

وقد بيّن القرآن الكريم علىٰ وجه الترغيب ما أعدّه الله عز وجل للمتقين الذين يعملون الطاعات، ودعا إلىٰ المسارعة والمبادرة إلىٰ فعل هذه الطاعات لنيل سلعة الله الغالية التي عرضها كعرض السماء والأرض فقال تعالىٰ : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . فمن هؤلاء المتقون ؟ وما أوصافهم ؟ بين ذلك الحق عز وجل بقوله : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[5] .

---

(١) انظر : الشيخ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨ / ٢٠٧ ، مرجع سابق .

(٢) سورة الأعراف، آية : ٩٦ .

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٧٠ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ ـ ١٣٦ .

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن الله عز وجل دعا إلى فعل الطاعات من خلال أسلوب الترغيب، فبدأ بالترغيب في الجنة والمغفرة لمن فعل الطاعات المذكورة في الآيات وهي:

- الإنفاق في وجوه الخير في السراء والضراء، يقول ابن كثير: أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال[1].
- كظم الغيظ: أي إذا أثار بهم الغيظ كتموه.
- العفو عن الناس: أي العفو عمن أساء إليهم.
- التوبة والاستغفار إذا صدر منهم معصية.
- عدم الإصرار على الذنوب.

ومثلما أنه بدأ بالترغيب في المغفرة والجنة ختم الآيات أيضاً بالترغيب في المغفرة والجنّة التي مدحها الله عز وجل فقال: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، والمتتبع للآيات القرآنية التي تدعو إلى الخير والطاعات يجد أن أسلوب الترغيب يقف على رأس الأساليب التي تحث على ذلك وتطلبه، ومن الأمثلة السابقة يتبيّن دور هذا الأسلوب في الدعوة إلى الطاعات والعمل الصالح وهذا ماينبغي أن يفطن له الداعية، فعليه أن يستثمر النصوص السابقة ونظائرها في دعوته إلى الفضائل والطاعات.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١/ ٥٣٠، مرجع سابق.

ط ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الترهيب في القـرآن الكريم :

كـما استخـدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب في الدعوة إلىٰ الطاعـات فقـد حذّر ورهّب من المعاصي وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة ، وهو في الوقت نفسه يدعو بهذا التحذير والترهيب منها إلىٰ اجتنابها وفعل الطاعات والعمل الصالح .

ومن الآيات القـرآنيـة الـشـاهدة علىٰ ذلك علىٰ سبـيل المثـال قـوله تعـالىٰ : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(١) .

وقـال تعـالىٰ : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٢) .

وقال تعـالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٣) . إلىٰ أن قال سبحانه عن مصير المنافقين : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٤) .

وقال تعـالىٰ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٥) .

وقـال تعـالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥١ .

(٢) سورة النساء ، الآيات : ١٣٦ ـ ١٣٨ .

(٣) سورة النساء ، آية : ١٤٢ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١٤٥ .

(٥) سورة النساء ، الآيتان : ١٥٠ ـ ١٥١ .

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً ﴾ (٢) .

ومن النماذج السابقة الشاهدة علىٰ استخدام الترهيب في الدعوة إلىٰ الطاعات بالتلميح نجد هذه الآيات تدعو بالإماءة اللطيفة إلىٰ الطاعات التالية :

- الدعوة إلىٰ توحيد الله عزوجل وعدم الإشراك به .
- الدعوة إلىٰ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .
- الدعوة إلىٰ الإيمان الصادق واجتناب النفاق .
- الدعوة إلىٰ النشاط في العبادات التي من أهمها الصلاة .
- الدعوة إلىٰ ذكر الله عز وجل كثيراً .
- الدعوة إلىٰ الإيمان برسل الله تعالىٰ جميعهم وعدم التفريق بينهم .
- الدعوة إلىٰ الإيمان بآيات الله عز وجل وعبادته وحده دون سواه .

وآيات الترهيب في القرآن كثيرة جداً لكن الذي ينبغي أن نعلمه في هذا المقام هو أن أسلوب الترهيب من الأساليب الداعية إلىٰ فعل الطاعات؛ لأن وصف أحوال الكفار والمنافقين والعصاة علىٰ نحو ما ذكر في القرآن مما يثير الخوف والرعب والفزع في النفوس، ويحملها ذلك علىٰ أن تفر إلىٰ ربها وبارئها فتخلص له العبودية وتتوب إليه وتتقرب بشتىٰ أنواع الفضائل والطاعات، ومن هنا يكون دور هذا الأسلوب العاطفي في الدعوة إلىٰ الأعمال الصالحة، فإذا علم ذلك فإنه يلزم الداعية الاهتمام بهذا الأسلوب علىٰ ضوء القرآن الكريم لما له من تأثير في النفوس ولكن بالقدر اللازم الذي يتناسب مع أسلوب الترغيب .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣٦ .

(٢) سورة الفتح ، آية : ١٣ .

٢ ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم :

هذا الجانب له صور منها :

أ ـ القول اللين اللطيف .

ب ـ الكلمة الاستعطافية .

جـ ـ المشاركة الوجدانية .

ولكي يتضح دور هذا الجانب نتناول دور كل صورة من صوره السابقة ونبين دورها في الدعوة إلى الطاعات في القرآن الكريم فيما يلي :

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال القول اللين اللطيف في القرآن الكريم :

ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم نماذج عدّة من القول اللين ، لعل أبرزها ما ذكره على ألسن رسله عليهم السلام فقد كان الرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الخلق خُلُقاً وتعاملاً ، وكانوا يمتازون عن غيرهم بلين القول ولطفه . وسأورد هنا بعض النماذج من أقوال هؤلاء الرسل عليهم السلام التي أخبرنا عنها القرآن الكريم وما انطوت عليه من دعوة إلى الطاعات ، فمن هؤلاء نوح عليه السلام قال تعالى في قوله اللين اللطيف مع قومه وهو يدعوهم للإيمان وفعل الطاعات : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (١) . ويقول لهم في آيات أخرى :

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٠٥ ـ ١١٠ .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ويقول الله تعالىٰ في شأن هود عليه السلام وقومه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) .

وعندما اتهمه قومه بالسفاهة ردّ عليهم بكلام جميل لطيف ليّن نفىٰ فيه السفاهة عن نفسه وأبلغهم فيه أنه رسول من رب العالمين، وأنه ـ رغم هذا الاتهام ـ لهم ناصح أمين، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (٣) .

فبالتأمل في أقوال الأنبياء عليهم السلام السابقة نلحظ أنها امتازت باللين واللطف في تبليغ الحق للناس والدعوة إليه والحث علىٰ الطاعات، وما ذلك إلاّ لعلمهم عليهم السلام بما علمهم الله عز وجل، بأن الرفق بالناس واللين في القول يعطي الحق تبارك وتعالىٰ عليه مالا يعطيه علىٰ غيره، ولهذا فإن اللين في القول من الأساليب الناجحة في الدعوة إلىٰ الله عز وجل، وهو منهج الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام وما كان من منهجهم عليهم السلام فهو خير ونجاح.

ب ـ الدعوة إلى الطاعة من خلال الكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم:

الكلمة الاستعطافية يقصد بها قول الداعي: ياأبت، يابني، ياقوم . . .

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٦١ ـ ٦٢ .

(٢) سورة الشعراء الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٧ .

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٦٧ ـ ٦٨ .

وكذلك قول الدّاعي للمدعو: إني أخشىٰ عليك، إني أخاف عليك . . . ونحو ذلك .

وقد كان لهذه الكلمات دور كبير في الدعوة إلىٰ الطاعات، ومما ورد منهافي القرآن الكريم علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (١) .

وقال تعالىٰ أيضاً : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾(٢) .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣) .

فلو تأملنا الآيات السابقة نلاحظ أن الكلمات الاستعطافية استخدمت في الدعوة إلىٰ الطاعات التالية :

ـ الدعوة إلىٰ إقامة الصلاة .

ـ الدعوة إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ـ الدعوة إلىٰ الصبر علىٰ مشاق العبادة والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ .

---

(١) سورة لقمان ، آية : ١٧ .

(٢) سورة مريم ، الآيات: ٤١ـ٤٥ .

(٣) سورة الأعراف ، آية: ٥٩ .

ـ الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يستخدم هذه الكلمات في مخاطبة المدعوين لما لها من تأثير إيجابي في الدعوة إلىٰ الطاعات .

جـ ـ الدعـــوة إلى الطاعـات من خـلال المشـاركـة الوجـدانيـة في الـقـرآن الكريم :

من صور المشاركة الوجدانية : المشاورة، وقد استخدم القرآن الكريم هذه الصورة في الدعوة إلىٰ الطاعات، ومن ذلك ماحكاه القرآن الكريم عن مشاورة إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام في قوله تعالىٰ : ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**﴾[1] .

يقول أبو السعود في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ **فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ**﴾ «من الرأي ، وإنما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله تعالىٰ، فيثبت قدمه ويصبّره إن جزع ويأمن عليه إن سلّم وليوطن نفسه ويهون عليها ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله»[2] .

ويقول ابن كثير في تفسير ذلك : « وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه

(١) سورة الصافات: الآيات: ٩٩ـ١٠٦ .

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم: ٥/ ٣٣٤، مرجع سابق.

وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه»[1] .

وقال الرازي: «الحكمة في مشاورة الابن في هذا الباب أن يطلع ابنه على هذه الواقعة ليظهر له صبره في طاعة الله، فتكون فيه قرة عين لإبراهيم حيث يراه قد بلغ في الحكم إلى هذا الحدّ العظيم، وفي الصبر على أشد المكاره إلى هذه الدرجة العالية . ويحصل للابن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا »[2] .

ويقول الدكتور / محمد بكر إسماعيل: « أتى إبراهيم إلى ولده إسماعيل عليهما السلام فأخبره بمارأى، لا ليستشيره في أمر قضاه الله وقدره، ولكن ليعرف رأيه ويختبر حلمه وصبره، وليهيئ نفسه لاستقبال هذه التضحية بصدر رحب وقلب مطمئن، فوجده يسرع إلى امتثال أمر الله تعالى إسراعاً فاق كل تصور»[3] . فما أروع عاطفة البنوّة حين تلتقي مع عاطفة الأبوة على أمر قد جمع بينهما على هدف واحد هوالتفاني في مرضاة ربهما تبارك وتعالى . إن سرور الوالد بولده عندئذ قد أنساه وطأة الحادث، وألم المصاب مما جعله يقدم على تنفيذ الأمر بهمة عالية وعزم صادق، غير مبال بما وراء ذلك من بشاعة المنظر ولوعة الفراق.

من هنا يتبين أن المشاورة كصورة من صور المشاركة الوجدانية لها نتائجها الإيجابية خاصة إذا كانت حقّاً على طاعة الله ومرضاته، وهذا ماينبغي على الداعية أن يهتم به وأن يوجه من استشاره إلى كل خير وهدى، وأن يقدم له الرأي الأمين، فالمستشار مؤتمن. ولاشك أن تثبيت الآخرين والشد على أيديهم عندما يتخلله دعوة إلى الحق وإلى الصبر والتحمل من أجل طاعة الله ومرضاته، لا شك

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٢٠، مرجع سابق.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب : ٢٦/ ١٣٧، مرجع سابق.

(٣) محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن : ٨٨، مرجع سابق.

أن ذلك من المشاركة الوجدانية في الدعوة إلى الطاعات، وهذا مما ينبغي أن يفطن له الداعية؛ لأن في ذلك إبرازاً لدور هذا الأسلوب العاطفي المهم في الدعوة إلى الله تعالى .

٣ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحوائج وتأمين الخدمات في القرآن الكريم:

تقدم بيان أن هذا الجانب له صورتان :

أ ـ قضاء الحوائج .

ب ـ تأمين الخدمات .

ولكي يتضح دور هذا الجانب في الدعوة إلى الطاعات يجدربنا أن نتناوله من خلال صوره المذكورة فنقول :

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال قضاء الحوائج في القرآن الكريم :

لقد اهتم الإسلام بقضاء حوائج المحتاجين أشد اهتمام، وحث المجتمع الإسلامي ـ بمختلف الأساليب ـ إلى التعاون والتآزر والتآخي والتعاطف والتراحم لما لهذا الأمر من أهمية، ولما له من دور مهم في تأمين بيئة مناسبة يُعْبَدُ فيها الحق عز وجل وحده دون سواه بيقين الإيمان وراحة البال، وتُؤَدَّى فيها شعائره وطاعاته على الوجه الذي يرضاه دون همّ ولا تشويش؛ لأن هذه الحاجات لها تأثيرها على عقيدة العبد وعلى تأديته لشعائره الدينية وفعله للطاعات سلباً وإيجاباً. فكلما كانت حاجات العبد مقضيّة ومؤمنة كانت سبباً ـ لمن وفقه الله تعالى ـ إلى شكر الله عز وجل وعبادته وفعل طاعاته . وإذا لم يجد المسلم من يسدّ خلّته ويقضي حاجاته ويقف معه في أزماته في ظل عقيدة الدين الإسلامي فإن ذلك له أثره السلبي على عقيدة هذا المحتاج، فقد يضعف إيمانه إن

كان من أصحاب النفوس الضعيفة، ويصبح هذا العبد أسير همومه وحاجاته القائمة ، تؤرقه وتشغله ليل نهار ، في جلوسه وفي مضجعه، وبالتالي يضعف إيمانه وتضمحل طاعاته، يقول الشيخ يوسف القرضاوي : « فالفقير الذي لايجد ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه وأهله وولده ، كيف يستطيع أن يفكر تفكيراً دقيقاً ، ولا سيما إذا كان هناك بجواره من تغص داره بالخيرات وتموج خزائنه بالذهب، وقد رووا عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أن الجارية أخبرته يوماً في مجلسه أن الدقيق نفد فقال لها : « قاتلك الله لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه »؛ ويروىٰ عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : «لاتستشر من ليس في بيته دقيق » : أي لأنه مشتت الفكر مشغول البال فلا يكون حكمه سديداً . . وذلك أن الانفعال الحاد يؤثر علىٰ سلامة الإدراك وصحّة الرأي كما يقرر علم النفس وكما جاء به الحديث الصحيح : « **لا يقضينّ حكم بين اثنين وهو غضبان**»[1] ، وقاس الفقهاء علىٰ الغضب شدة الجوع وشدة العطش وغيرهما من الانفعالات المؤثرة، وفي نحو هذا قال الشاعر :

إذا قل مال المرء قـــــل بهاؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وأصبح لايدري وإن كان دارياً أقدامـــــه خير له أم وراؤه» [2]

فالإسلام يعترف بأثر العوامل الاقتصادية والحاجات المعنوية قال تعالىٰ : ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾**﴾ [3] .

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٣/ ١٦٩، رقم الحديث: ٧١٥٨، مرجع سابق .

(٢) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة ، القاهرة، الطبعة: السادسة، تاريخها: ١٤١٥هـ: ١٥ .

(٣) سورة البقرة، آية : ١٥٥ .

وكما أن الله تعالىٰ قضىٰ بهذا الاختبار المتمثل في الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، فإنه تعالىٰ جعل هذه الأمور ميداناً للتنافس في أعمال الخير، فأمر بإطعام الطعام وتأمين الخائف وسدّ الخلّة وقضاء حاجة المحتاج، نلحظ ذلك في الآيات التالية :

ـ قوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (١) .

ففي هذه الآية دعا الحق تبارك وتعالىٰ إلىٰ بذل المال في وجوه الخير التي منها ما ذكر في الآية .

وكرر سبحانه الدعوة إلىٰ هذا العمل الجليل في آيات أخرىٰ فقال تعالىٰ : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٣) .

ـ وقد تكون الحاجة : شفاعة يُحتَاج إليها في جلب نفع لمسلم أو دفع ضر عنه، فنرىٰ القرآن الكريم يدعو إلىٰ فعلها قال تعالىٰ : ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ (٤) .

ـ وقد تكون الحاجة : إنظار معسر، فنرىٰ القرآن الكريم يدعو إلىٰ الإنظار في هذه المسألة علىٰ وجه الأمر قال تعالىٰ : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ

(١) سورة البقرة ، آية: ١٧٧ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٩٢ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٨ .

(٤) سورة النساء ، آية: ٨٥ .

مَيْسَرَةٍ﴾[1] .

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تحث وتدعو إلىٰ قضاء حوائج المحتاجين من المسلمين وإعانتهم؛ لأن في قضاء تلك الحاجات عوناً لهؤلاء المحتاجين علىٰ تأدية تكاليف الدين من طاعات وقربات، والدعوة الإسلامية في هذا العصر تحتاج إلىٰ تفعيل هذا الجانب، فكما أنها تحتاج إلىٰ الكلمة الطيبة فهي تحتاج أيضاً إلىٰ المساعدة المادية أو المعنوية، وقد يكون لقضاء حاجة المحتاج أثراً نفسياً لا ينسىٰ، يترتب عليه طاعات لله عز وجل كثيرة وهذا ما ينبغي أن يفطن له الداعية.

ب ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال تأمين الخدمات في القرآن الكريم :

إن هذا الجانب بابه واسع ولايمكن الإلمام بكل مجالاته؛ لأن خدمات المجتمع تتعدد وتتنوع، فمنها الخدمات الأمنية، ومنها الاجتماعية، ومنها التعليمية، ومنها الصحية . . . . إلىٰ غير ذلك من المجالات، ونظراً لعدم الإحاطة بكل جوانب هذا الأمر فلنأخذ جانباً واحداً من هذه المجالات، ونتعرف علىٰ توجيه القرآن الكريم بخصوص الدعوة إليه وطلب تأمينه ليكون عوناً للمسلمين علىٰ تأدية واجباتهم وطاعاتهم الدينية، ولعل أبرز تلك الخدمات بناء المساجد وإعمارها ليتسنىٰ للمسلمين تأدية فرائضهم وإحياء شعائر دينهم علىٰ الوجه الذي رسمه لهم الحق تبارك وتعالىٰ، يقول الله عز وجل في شأن بناء المساجد وإعمارها: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾**[2] .

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٠ .

(٢) سورة التوبة، آية: ١٨ .

فبيّن المولىٰ عز وجل هنا أن من يعمر مساجد الله هو من اتصف بهذه الصفات الأربع، وفي هذا دعوة إلىٰ بناء المساجد وتعميرها بالترغيب في هذه الصفات، لأن من لم يؤمن بالله عز وجل ولا باليوم الآخر لا يعمر المساجد وكذلك من لم يؤمن بالصلاة مع جماعة المسلمين لا يعمر المساجد [1] .

يقول الزمخشري في تفسير الآية : « والعمارة تتناول رَمَّ ما استرم منها وقمّها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم بل هو أجلّه وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد » [2] .

وإذا أُمِّن بناء المساجد فإن ذلك يكون سبباً في تأدية عبادات وطاعات كثيرة منها : إقامة الصلاة لأنها المقصود الأعظم من بناء المساجد [3] .

ومنها قراءة القرآن ودراسة العلم . . . . . إلىٰ غير ذلك من الطاعات ، وهكذا الحال في بقيّة المجالات الخدميّة الأخرىٰ ، فإنشاء المدارس والمستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية ودور العجزة . . . وغيرها يترتب عليه ما يعود بالخير والنفع والفائدة علىٰ الإسلام والمسلمين، وهذا جانب مهم ينبغي الحث عليه والدعوة إلىٰ كل ما يُفعِّله .

(١) انظر : الرازي، مفاتيح الغيب : ١٦/ ٩، مرجع سابق .

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٣/ ٢١، مرجع سابق .

(٣) انظر : الرازي، مفاتيح الغيب : ١٦/ ٩، مرجع سابق .

المطلب الثاني

الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي في السنّة النبوية المطهرة

السنة النبوية المطهرة مليئة هي الأخرىٰ بالدعوة إلىٰ الطاعات وإلىٰ السلوك الفاضل القويم، فقد أوتي الرسول ﷺ القرآن ومثله معه من الخير والفضل والبركة، وكانت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلىٰ الطاعات قولاً وفعلاً وتقريراً، فكان قدوة في الخير وأسوة في الفضل مثالاً يحتذىٰ في طاعة الله تعالىٰ، فهو أفضل الخلق وأشرف الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وما ذاك إلاّ لإخلاصه لله وتقواه وطاعته له سبحانه. ونظراً لكثرة ما دعا إليه عليه الصلاة والسلام من فضائل الأعمال وتعذر ذكر ذلك كلّه في هذا المقام سأقتصر هنا علىٰ ذكر ما أعتقد أنه مناسب وقام الدليل عليه من السنّة النبوية المطهرة مُظهراً ذلك من خلال المنهج العاطفي وأساليبه المختلفة علىٰ، طريقة المطلب الأول نفسها وذلك علىٰ النحو التالي:

١ ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال أسلوب الموعظة الحسنة وأشكالها المختلفة في السنة النبوية المطهرة:

كان الرسول ﷺ يتعهد أصحابه بالموعظة الحسنة من خلال أشكالها المختلفة، فيدعوهم إلىٰ الطاعات تارة بالترغيب وأخرىٰ بالترهيب وثالثة بالوعد بالجزاء الحسن في الآخرة... إلىٰ غير ذلك من أشكال الموعظة الحسنة.

روىٰ الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها

القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يارسول الله؟ قال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»** (١).

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: **أيها الناس، تصدقوا فمرّ على النساء** فقال: **يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**. فقلن: وبم ذلك يارسول الله؟ قال: **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء»**(٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي وعظ بها المصطفى ﷺ أصحابه يدعوهم فيها للإيمان وفعل الطاعات، ولكي يظهر دور هذا الأسلوب في الدعوة إلى الطاعات جلياً سنتناوله من خلال أشكاله العاطفية على النحو التالي:

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال الإشارة في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ الإشارة في دعوته إلى الطاعات، ومن ذلك على سبيل المثال مارواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد عن النبي

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٤٠٩، رقم الحديث: ١٤٦٢، مرجع سابق.

ﷺ قال : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بأصبعيه السبابة والوسطى**»(١).

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه**»(٢).

وفي بيان ساعة استجابة الدعاء من يوم الجمعة استخدم الإشارة في ذلك. روى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلاّ أعطاه إياه. وأشار بيديه يقللها**»(٣).

وفي بيان الغسل من الجنابة بيّن رسول الله ﷺ كيفية ذلك مستخدما الإشارة فقال : «**أمّا أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً.وأشار بيديه كلتيهما**»(٤).

ومما سبق يتبين أن النبي ﷺ استخدم الإشارة في الترغيب في الأعمال الصالحة وفي بيان كيفية الإتيان بالطاعات على الوجه الشرعي الذي رسمه ﷺ لأمته.

وللإشارة استخدامات كثيرة جداً يصعب حصرها في هذه العجالة، لكن ينبغي على الداعية أن يفطن لذلك وأن يهتم بها وأن يستخدمها بالقدر اللازم دون مبالغة ولاتعطيل.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠١.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٢٨١، رقم الحديث، ١٩١٤، قال عنه : حديث حسن غريب، مرجع سابق.

(٣) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٢/ ٥٣٤، رقم الحديث: ٩٣٥، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق: ١/ ٤٧٦، رقم الحديث: ٢٥٤.

ب ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب التعريض في السنة النبوية المطهرة :

استخدم الرسول ﷺ أسلوب التعريض في الدعوة إلى الطاعات كثيراً ومن ذلك على سبيل المثال قوله لأصحابه عندما شكوا إليه ما لحقهم من أذى المشركين : «**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أوعصب مايصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين مايصرفه ذلك عن دينه**»(١) .

فهنا يدعو المصطفى ﷺ أصحابه إلى الصبر والتحمل في سبيل الله بأسلوب التعريض والتلويح بماحصل للمؤمنين السابقين من أذى المشركين لهم .

وكذلك يذكر الرسول ﷺ صفات حميدة لبعض الناس على وجه المدح مثلاً ويعرض بذكرها إلى الدعوة إليها والتحلي بها ، ومن ذلك على سبيل المثال قوله : «**أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً**»(٢) ، وقوله ﷺ كذلك : « **أهل اليمن نقية قلوبهم، حسنة طاعتهم** »(٣) ، فهنا يدعو الرسول ﷺ إضافة إلى مدح أهل اليمن وذكر خصائصهم إلى التحلي بلين القلوب والرقة والرحمة ، وفي الحديث الثاني يدعو إلى نقاء القلوب من الحسد والضغائن وجميع الأمراض القلبية ، وكذلك يدعو إلى حسن الطاعة . وذلك كله أتى باستخدام أسلوب التعريض والتلويح وهو من جماليات اللغة العربية . وهو كلام جميل مفهوم ، وبهذا يتضح دور أسلوب التعريض في الدعوة إلى الطاعات والذي يلزم الداعية الاهتمام به .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص : ١٠٥ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٨/ ١٢٣ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٤٣٨٨ ، مرجع سابق .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٨/ ١٢٥ ، وقال : خرّجه البزّار .

جـ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال الكناية في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب الكناية في الدعوة إلى الطاعات، ومن ذلك على سبيل المثال قوله عليه الصلاة والسلام: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»(١).

فالعض هنا: كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها، فإن من أراد أن يأخذ شيئاً أخذاً شديداً. يأخذه بأسنانه(٢). ففي هذا الحديث دعا ﷺ إلى ضرورة التمسك بقوةٍ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من خلال أسلوب الكناية، وكذلك من استخدامات المصطفى للكناية في الدعوة إلى الطاعات قوله عليه الصلاة والسلام: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»(٣) فقوله: «**احفظ الله**»: كناية عن الائتمار بأمره والانتهاء بنهيه. وقيل: «**احفظ الله**» أي: راع حق الله، وتحرّ رضاه(٤).

فمن الأحاديث السابقة التي أوردناها على سبيل المثال استخدم الرسول ﷺ أسلوب الكناية ودعا بها إلى الطاعات التالية:

ـ الدعوة إلى ملازمة السنة والتمسك بها.

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: ٥/ ٤٣، جزء من الحديث ذي الرقم: ٢٦٧٦. قال عنه: حديث حسن صحيح. مرجع سابق.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي: ٧/ ٤٧٦، مرجع سابق.

(٣) الحديث سبق تخريجه ص: ٢٥٥.

(٤) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي: ٧/ ٢٦٢، مرجع سابق.

ـ الدعـوة إلى ملازمة سنـة الخلـفاء الراشـدين الأربعة: أبي بكر وعمر وعـثـمـان وعلي رضي الله عنهم أجـمـعين؛ لأن من الناس من لـم يدرك زمن الرسـول ﷺ وأدرك زمن الخلفـاء الراشـدين، أو أدرك زمنه وزمن الخلفـاء الراشدين ولكنه حدث أمر لم يحدث في زمنه ففعله الخلفاء، فأشار بهذا الإرشاد إلى سنة الخلفاء إلى دفع ماعساه يتردد في بعض النفوس من الشك ويختلج فيها من الظنون، ولهذا ذكر سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده. وقد قيل: هم الخلفاء الأربعة لأنه عليه الصلاة والسلام قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد انتهت بخلافة علي رضي الله عنهم أجمعين[1].

ـ الدعوة إلى مراعاة حق الله تعالى وتحري رضاه والائتمار بأمره والانتهاء بنهيه سبحانه.

وهكذا كان دور أسلوب الكناية في الدعوة إلى الطاعات، فعلى الداعية العناية به وأن يستخدمه كلما لزم الأمر تنويعاً للأسلوب الدعوي ولأثره الطيب في النفوس.

د ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال القصة في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب القصة في الدعوة إلى الطاعات، ومن ذلك ماروواه البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم إذْ أصابهم مطر فآووا إلى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم**

(١) انظر: المرجع السابق: ٧/ ٤٧٥ـ٤٧٦.

بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجيرعمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقراً وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها. فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز .فقلت له:اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا . فانساخت عنهم الصخرة. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عنهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنّا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر.فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنّا .فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عمّ من أحب الناس إليّ وأني راودتها عن نفسها فأبت إلى أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلمّا قعدت بين رجيلها فقالت: اتق الله ولاتفض الخاتم إلاّ بحقه فقمت وتركت المائة الدينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنّا ففرج الله عنهم فخرجوا»[1].

ففي هذه القصّة دعوة إلى فعل الطاعات التالية :

ـ الدعوة إلى الإخلاص في العمل .

ـ الدعوة إلى المحافظة على الأمانة وردها إلى أهلها كاملة غير منقوصة .

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٦/ ٦١٨، رقم الحديث: ٣٤٦٥، مرجع سابق.

ـ الدعوة إلىٰ برّ الوالدين وخدمتهما وإيثارهما علىٰ الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلهما.

ـ الدعوة إلىٰ العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة.

وهكذا دور القصة في الدعوة إلىٰ الطاعات يقول ابن حجر رحمه الله تعالىٰ من فوائد هذا الحديث: «الإخبار عما جرىٰ للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها»(١).

ويقول الشيخ / سليمان الدويش: «فالغار في الجبل إنما يرمز إلىٰ كل ضائقة تلم بالإنسان لاينقذه غير عمله الصالح وطاعاته لله عز وجل، فهي النجاة من المهالك والحفظ في الشدائد والتيسير عند المصائب والأزمات»(٢).

وهكذا تتضح مكانة القصة الوجدانية وأهميتها وتأثيرها في النفوس وفاعليتها في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وفي حمل المدعويين إلىٰ حب الطاعة وفعلها، لتكون لهم سبباً في النجاة من المهالك، فليزم الداعية أن ينوّع أساليبه في الدعوة وأن يستثمر القصص القرآني والنبوي في دعوته إلىٰ الطاعات خاصة لماتتمتع به القصة من جذب وتأثير.

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٦٢٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: سليمان بن عبدالعزيز الدويش، وسائل الترغيب وأنواعه في دعوة النبي ﷺ، دار النشر: بدون، المدينة: بدون، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٨٨.

هـ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب التذكير بنعم الله تعالى في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب التذكير بنعم الله تعالىٰ في الدعوة إلىٰ الطاعات، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال ما حدث بعد أن غزا رسول الله ﷺ حنيناً وقسم الغنائم فأعطىٰ المؤلفة قلوبهم ثم بلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس وكأنه حصل في نفوسهم شيء. فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**يا معشر الأنصار:ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ ومتفرقين فجمعكم الله بي؟... إلى أن قال:«إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(١).

فالشاهد أن الرسول ﷺ بعد أن ذكرهم بنعم الله تعالىٰ عليهم دعاهم إلىٰ الصبر.

ومن ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ: «**ويحكم ياقريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف**»(٢).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة السابقة نجد أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التذكير بنعم الله تعالىٰ في الدعوة إلىٰ الطاعات التالية:

أ ـ الدعوة إلىٰ الصبر وتحمل المشاق في طاعة الله ورسوله ﷺ.

ب ـ الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠٦.

(٢) الإمام أحمد، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين: ١٨/ ٦٠١، رقم الحديث: ٢٧٤٧٩، قال عنه الشيخ/ الزين: إسناده حسن.

فإذا علم ذلك فإنه يلزم الداعية أن يذكر المدعوين بنعم الله تعالىٰ عليهم التي يصعب علىٰ الإنسان حصرها ؛ لأن التذكير يفيد قال تعالىٰ : ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(١) وميزة نعم الله تعالىٰ إنها محسوسة لا تحتاج إلاّ إلىٰ تذكير فعلىٰ الداعية أن يفطن لذلك وأن يستخدمه كأسلوب مؤثر من أساليب الدعوة إلىٰ الطاعات .

و ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب المدح في السنة النبوية المطهرة :

استخدم رسول الله ﷺ أسلوب المدح في الدعوة إلىٰ الطاعات ، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال ماذكره بحق العبد المملوك الصالح : «**نعمّا لأحدهم يحسن عبادة ربّه وينصح لسيده**»(٢) .

وكذلك مارواه البخاري رحمه الله تعالىٰ عن حفصة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «**نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل**. قال سالم(٣) : فكان عبدالله لاينام من الليل إلاّ قليلا»(٤) .

وكذلك مدح الرسول ﷺ بعض الطاعات علىٰ وجه الخصوص ، ومن ذلك مارواه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد فقال : « **نعم الجهاد الحج**»(٥) .

---

(١) سورة الذاريات، آية : ٥٥ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٥/ ٢١٦، رقم الحديث : ٢٥٤٩، مرجع سابق .

(٣) سالم : هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب .

(٤) المرجع السابق : ٧/ ١١٤ ، رقم الحديث : ٣٧٣٩ .

(٥) المرجع السابق : ٦/ ٣٩، رقم الحديث : ٢٨٧٦ .

فمن الأحاديث السابقة يتبين أن الرسول ﷺ كان ينوع بين أساليب الدعوة إلى الطاعات وكان من بينها أسلوب المدح الذي دعا به في الأحاديث السابقة إلى الطاعات التالية:

- دعوة العبد المملوك إلى إحسان العبادة والنصح للسّيدّ.

- الدعوة إلى قيام الليل.

- دعوة النساء إلى الحج وأنه أفضل لهن من الجهاد[1].

وهكذا يتضح دورأسلوب المدح في الدعوة إلى الطاعات الذي يلزم الداعية أن يفطن له مع ضوابطه الشرعية المعروفة التي سبق ذكرها.

ز - الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الذّم في السنة النبوية المطهّرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب الذّم في الدعوة إلى الطاعات والحثّ عليها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله عليه الصلاة والسلام: «**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت بل نُسِّيَ،واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النّعم**»[2].

ومن ذلك أيضاً ذمّ الرسول ﷺ للعالم الذي لا يعمل بعلمه فقال: «**مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه**»[3].

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٩٣، مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٩/ ٩٩، رقم الحديث: ٥٠٣٢، مرجع سابق.

(٣) الألباني، صحيح الترغيب والترهيب: ١٢٨، رقم الحديث ١٢٦، قال عنه: صحيح، مرجع سابق.

ومن ذلك أيضا ذم الرسول ﷺ المرائي في جهاده وعلمه وصدقته، روىٰ مسلم رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال:فما عملت فيها؟ قال:قاتلت فيك حتى استشهدت، قال:كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمّه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها.قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن، قال:كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال:فما عملت فيها ؟قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك.قال:كذبت ،ولكنك فعلت ليقال هو جواد. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**»[1].

ويقول عليه الصلاة والسلام كذلك: «**إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة: يبغض الشيخ الزاني، والفقير المختال، والمكثر البخيل**... الحديث»[2].

فالأحاديث السابقة نماذج فقط علىٰ استخدام أسلوب الذّم في التحذير من المعاصي والدعوة إلىٰ الطاعات، فمن الطاعات التي دعت إليها الأحاديث السابقة مايلي:

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ٣٩٢.

(٢) الأمام أحمد، المسند بشرح الشيخ/ حمزة الزين: ١٥/ ٥٠٢، رقم الحديث: ٢١٢٥٣، قال عنه الشيخ/ الزين: إسناده صحيح.

ـ الدعوة إلىٰ استذكار القرآن الكريم ومداومة قراءته .

ـ الدعوة إلىٰ الإخلاص في العمل .

ـ الدعوة إلىٰ الانتفاع بالعلم عندما يوفق الإنسان إلىٰ علم شرعي صحيح .

ـ الدعوة إلىٰ العفاف وأنه في حق الشيخ الكبير أولىٰ .

ـ الدعوة إلىٰ التواضع وأنه في حق الفقير أولىٰ .

ـ الدعوة إلىٰ البذل والعطاء والإنفاق في وجوه الخير وأنه في حق الغني أولىٰ .

ففي الأحاديث السابقة ذم لمرتكب تلك المعاصي وتعريض بمن ينهج منهجهم، وفي هذا الأسلوب أيضاً دعوة إلىٰ مخالفة هؤلاء المذمومين وهكذا يكون دور أسلوب الذم في الدعوة إلىٰ الطاعات الذي ينبغي علىٰ الداعية الاهتمام به كأسلوب من أساليب الدعوة .

ح ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال الترغيب في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ في دعوته إلىٰ الطاعات أسلوب الترغيب، ومما ورد عنه ﷺ قوله : **«لن يوافى عبد يوم القيامة يقول لاإله إلاّ الله يبتغي بها وجه الله إلا حرّم الله عليه النار»**(١) .

وروىٰ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«من قام ليلة**

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٢٩٠، رقم الحديث: ٦٤٢٣، مرجع سابق.

القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه»(١).

وروى البخاري رحمه الله أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سرّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام كذلك: «**من صام يوماً في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»(٣).

وقال أيضاً ﷺ: «**من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بيت في الجنة**»(٤).

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**ما نقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبداً بعفوٍ إلاّ عزّاً، وماتواضع أحد لله إلاّ رفعه الله**»(٥).

وقال أيضاً: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**»(٦).

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الواردة في الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الترغيب، ولو تأملنا الأحاديث الشريفة السابقة لوجدناها تدعو

---

(١) المرجع السابق: ٤/ ١٤٨، رقم الحديث: ١٩٠١.

(٢) المرجع السابق: ٤/ ٣٨١، رقم الحديث: ٢٠٦٧.

(٣) المرجع السابق: ٦/ ٥٩، رقم الحديث: ٢٨٤٠.

(٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٦/ ٣٥٤، رقم الحديث: ٧٢٨، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق: ١٦/ ١٠٩، رقم الحديث: ٢٥٨٨.

(٦) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٣٨٣، رقم الحديث: ٢٤٤٢، مرجع سابق.

إلى الطاعات التالية :

ـ الدعوة إلى التوحيد الخالص .

ـ الدعوة إلى قيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً .

ـ الدعوة إلى صيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً فهو ركن من أركان الإسلام .

ـ الدعوة إلى صلة الأرحام .

ـ الدعوة إلى صيام التطوع .

ـ الدعوة إلى صلاة التطوع .

ـ الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله والعفو والتواضع .

ولهذا ينبغي على الداعية أن يستثمر النصوص الشرعية الكريمة في ترغيب الناس في العمل الصالح وفعل الطاعات فإن لها دوراً كبيراً في التأثير في النفوس بالإقناع والاستمالة؛ لأن النفوس جبلت على حب الخير العاجل والآجل .

ط ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال أسلوب الترهيب في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ في دعوته إلى الطاعات أسلوب الترهيب من المعاصي والتحذير منها ومن سوء عاقبتها؛ لأن هذا الأسلوب يشير بالإماءة اللطيفة والتلويح إلى فعل الطاعات، ومن ذلك على سبيل المثال قوله عليه الصلاة والسلام : « **من مات يجعل لله نداً أدخل النار**»(١) .

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٦٩٠، رقم الحديث، : ٦٦٨٣، مرجع سابق .

وفي رواية مسلم رحمه الله تعالىٰ : «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**»(١) . وقال ﷺ في حق من ترك صلاة العصر تهاوناً : «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»(٢) . وقال ﷺ أيضاً في حق من أخذ شبراً من الأرض ظلماً : «**من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»(٣) .

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي يرهب ويحذر الرسول بها من المعاصي وتدعو في الوقت نفسه إلىٰ فعل الطاعات ، ولو تأملنا الأحاديث الشريفة السابقة لوجدناها تدعوا إلىٰ الطاعات التالية :

ـ الدعوة إلىٰ التوحيد وعبادة الله وحده دون سواه .

ـ الدعوة إلىٰ المحافظة علىٰ الصلوات وصلاة العصر علىٰ وجه الخصوص .

ـ الدعوة إلىٰ العدل واجتناب الظلم وعدم التعدي علىٰ الآخرين .

فإذا علم ذلك فينبغي علىٰ الداعية أن يوظف النصوص النبوية الكريمة السابقة ـ وكذلك نظائرها ـ في الدعوة إلىٰ الطاعات ؛ لأن الترهيب من المعاصي يجعل النفوس تنفر منها فتتركها من أجل الله تعالىٰ ، وإذا ترك المسلم ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه وزجر كان في ذلك طاعة له سبحانه .

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٢٧٠ ، رقم الحديث : ٩٢ ، مرجع سابق .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري : ٢/ ٤٣ ، رقم الحديث ٥٥٣ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ٦/ ٣٥٢ ، رقم الحديث : ٣١٩٨ .

٢ ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرأفة والرحمة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة:

هذا الجانب له صور منها :

أ ـ القول اللين اللطيف .

ب ـ الكلمة الاستعطافية .

جـ ـ المشاركة الوجدانية .

ولبيان دور هذا الجانب في الدعوة إلى الطاعات سنتناول كل صورة من هذه الصور ونبرز دورها في الدعوة إلى الطاعات في السنة النبوية المطهرة على النحو التالي :

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال القول اللين اللطيف في السنة النبوية المطهرة :

إن القول اللين اللطيف من حسن الخلق الذي حث عليه النبي ﷺ ، روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال : « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وإنه كان يقول : **إن خياركم أحسنكم أخلاقاً**»(١) .

والقول اللين اللطيف يأتي بمعنى الرفق أيضاً الذي قال عنه المصطفى ﷺ : «**مهلاً ياعائشة ، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش**»(٢) .

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/ ٥٦٠ ، رقم الحديث : ٦٠٣٥ ، مرجع سابق .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ١١٣ .

ومن القول اللّين اللطيف دعاء المدعو بالكنية[1]. نحو : ياأبازيد، ويا أبا عمرو. . ونحو ذلك، ومن تطبيقات الرسولﷺ لذلك في دعوته إلىٰ الطاعات مارواه الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي ذر رضي الله عنه قال : «كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرّة المدينة فاستقبلنا أحد فقال : **يا أباذر** ، قلت : لبيك يارسول الله، قال : **مايسرني إلاّ شيئاً أرصده لِدَيْن، إلاّ أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا، هكذا ـ عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ـ ثم مشى ثم قال: إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة ـ إلاّ من قال هكذا وهكذا وهكذا ـ عن يمنيه وعن شماله ومن خلفه ـ وقليل ماهم**»[2].

وقال أيضاً ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي موسىٰ أنه قال : قال رسول الله : «**يا أباموسى ، ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة** ؟ قلت : ما هي يا رسول الله ؟قال : **لا حول ولا قوة إلاّ بالله** »[3].

وروىٰ الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن موسىٰ بن طلحة قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله ﷺ : «**يا أباذر ! إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة ، وخمس عشرة**»[4].

فمن الأحاديث الشريفة السابقة يتبين أن الرسول ﷺ في دعوته إلىٰ الطاعات كان يستخدم في مخاطبته للناس الكنية، وهو من قوله ﷺ اللّين اللطيف وخلقه

(١) انظر : الرازي، مفاتيح الغيب : ٢٢/ ٥١، مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٣١٨، رقم الحديث : ٦٤٤٤، مرجع سابق.

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٧/ ١٩٢، رقم الحديث : ٢٧٠٤/ ٤٥، مرجع سابق.

(٤) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٣/ ١٣٤ ، رقم الحديث : ٧٦١، قال عنه : حديث حسن.

العظيم لما في ذلك من أثر إيجابي في السماع والقبول، فعلى الداعية أن يهتدي بهدي المصطفى ﷺ، وعليه أن يستخدم الكنية وغيرها من ألوان لين القول ليتحبّب بذلك إلى المدعوين وليكون له الاحترام والتقدير ولقوله الإنصات والقبول. وهذه من الأمور المهمة التي ينبغي على الداعية الاهتمام بها.

ب ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال الكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا سابقاً أن من صور الكلمة الاستعطافية قول الداعي للمدعو: يا أبت، يابني، ياعم.. وكذلك نحو: إني أخشى عليك أ وأخاف عليك... إلى غير ذلك.

ومما ورد من هذا في السنة النبوية الشريفة في مجال الدعوة إلى الطاعات ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لماحضرت أباطالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ: «**ياعمّ قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله**»(١).

وروى ابن ماجه رحمه الله تعالى عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلّ الثرى ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدّوا**»(٢).

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١١٤.

(٢) ابن ماجه، السنن بتعليقات مصباح الزجاجة للبوصيري: ٤/ ٤٤٦، رقم الحديث: ٤١٩٥، قال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٣/ ٣٠٤، رقم: ٣٣٣٨: حديث حسن.

وروىٰ ابن ماجه أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة فقال رسول الله ﷺ: « **إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تملّ فاقرأه في شهر**» فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي. قال: «**فاقرأه في عشرة**». فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال: «**فاقرأه في سبع**» قلت: دعني استمتع من قوتي وشبابي فأبىٰ»[1].

فالكلمات الاستعطافية الواردة في الأحاديث الشريفة السابقة هي:

ياعم، يا إخواني، إني أخشىٰ أن يطول عليك الزمان، وبالتأمل في الأحاديث الشريفة السابقة نلاحظ أنها دعت من خلال الكلمة الاستعطافية إلىٰ الطاعات التالية:

- الدعوة إلىٰ توحيد الله عز وجل.
- الدعوة إلىٰ الاستعداد للموت بالإيمان والعمل الصالح.
- الدعوة إلىٰ الاقتصاد في العبادة.

ومما سبق يلزم الداعية أن يستخدم تلك الكلمات الاستعطافية في دعوته إلىٰ الله ومخاطبة الناس؛ لأنها تؤدي إلىٰ المحبة والألفة والتقارب، وهي مفاتيح خير يستهل بها الداعية حديثه للناس فيكون لها صدىً إيجابياً في النفوس يورث الاستماع والإصغاء والقبول.

جـ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال المشاركة الوجدانية في السنة النبويّة المطهرة:

المشاركة الوجدانية هي أحد صور الرحمة والشفقة بالمدعوين، ومن مقاصدها التحبّب إلىٰ الناس من خلال التخلق بمجموعة من الصفات الرفيقة

(١) ابن ماجه، السنن: ٢/ ١٣٥، رقم الحديث: ١٣٤٦، وله شاهد عند البخاري، انظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٤/ ٢٨٥، رقم الحديث: ١٩٨٠، مرجعان سابقان.

الودودة التي إذا توفرت في المسلم ـ الداعية على وجه الخصوص ـ تجعل الناس ينجذبون إليه ، ويتعلقون به ، ويقبلون منه ، وقد كان هذا شأن النبي ﷺ ، فقد ورد في الأثر أنه : «**من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبّه**» (١) .

وقد وردت نصوص كثيرة تربط بين الإيمان وخلق المشاركة الوجدانية التي منها التحابب فقال عليه الصلاة والسلام : «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ،ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم**»(٢) .

فالسلام هو أحد صور المشاركة، فهو تحية ودعاء، يقول صاحب كتاب : هذه أخلاقنا : «والسلام الحقيقي هو الارتياح القلبي المتبادل وما التحية إلا مظهراً من مظاهره»(٣) .

ويقول النووي رحمه الله تعالىٰ : والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع . وفيه لطيفة أخرىٰ وهي أنه يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة(٤) .

ولهذا نرىٰ المصطفىٰ ﷺ يؤكد أهمّيّته بقوله : «**تصافحوا يذهب الغِلّ ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء**»(٥) .

---

(١) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٥/ ٥٥٩ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٣٦٣٨ ، قال عنه «ليس إسناده بمتصل» ، مرجع سابق .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٢٢٧ ، رقم : ٥٤ ، مرجع سابق .

(٣) محمود محمد الخزندار ، هذه أخلاقنا ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة : الخامسة ، تاريخها : ١٤٢٠هـ : ٢٠٦ .

(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم : ٢/ ٢٢٨ ، مرجع سابق .

(٥) مالك بن أنس، الموطأ ، تحقيق : الدكتور / بشار عواد معروف ، محمود محمد خليل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة: الثانية ، تاريخها : ١٤١٣هـ : ٢/ ٧٩ ، حديث رقم : ١٨٩٦ ، قال عنه محقق الكتاب: هذا حديث مرسل .

فالهدية والسلام من صور المشاركة الوجدانية ، فكم تذيب الهدية من رواسب الحقد، وكم يمحو البدء بالسلام من وَحَر الصدور حيث لا تكون المصافحة مجرد تلامس للأكف ولا إلقاء السلام مجرد ألفاظ تتحرك بها الشفاه وإنما حيث يكون السلام بمعناه الواسع والأعمّ الذي يؤهلنا لدخول الجنة ويحقق بيننا المحبة ويكون مفتاح إلفة وقبول؛ لأن غالب أحوال المسلم إن لم تكن كلها تبدأ بالسلام، وكذا الداعية في دعوته لا يتصور البدء في الخطبة أو الموعظة أو الدرس أو المحاضرة دون البدء بالسلام ، السلام الحقيقي الذي يعبر عن الحب والمودة والإقبال ويرجى من استخدامه الوصول إلى أعماق المشاعر والأحاسيس .

ومن تطبيقات الرسول ﷺ إضافة إلى ما سبق لصور المشاركة الوجدانية أنه كان عليه الصلاة والسلام يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، وكان يتخذ من هذه الصور وسيلة لتبليغ الحق للناس ودعوتهم إلى الإيمان وحثهم على فعل الطاعات روى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله عنه قال : «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : **الحمد لله الذي أنقذه من النار**»(١) .

فعيادة المريض هي إحدى صور المشاركة الوجدانية؛ لأن فيها مشاركة للمريض في أحزانه وبلائه وهمومه، وهي من الدلائل العمليّة على المحبة والألفة، ولها تأثير إيجابي على عواطف المريض وعواطف أسرته، وقد لاحظنا هذا التأثير الإيجابي على عواطف الغلام وعواطف أبيه في الحديث السابق نتج

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٣/ ٢٧٨ ، حديث رقم : ١٣٥٦ ، مرجع سابق

عنه طاعة رسول الله ﷺ والنجاة من النار ، وبهذا يتبين دور المشاركة الوجدانية في الدعوة إلى الطاعات ، الذي ينبغي أن يتنبّه له الداعية ويهتم به فمشاركة الناس في أفراحهم بالحضور والتهنئة ، ومشاركتهم في أتراحهم وأحزانهم بالحضور أيضاً والتعزية والتسرية والمواساة . . . إلى غير ذلك من صور المشاركة الوجدانية العديدة هي تعبير صادق ملموس عن محبة الداعية للخير لكل الناس ، وهذه الصفة تجعل الداعية في عيون المدعوين كبيراً وتجعل له الاحترام والتقدير ، فيُسمع قوله ويطاع أمره . والناس في هذا العصر ـ عصر المدنية ـ يحتاجون إلى هذا الأسلوب اللطيف ، فيثبتون على الحق ، ويحيون سنة المصطفى ﷺ .

٣ ـ الدعوة إلى الطاعات بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحوائج وتأمين الخدمات في السنة النبويّة المطهرة:

هذا الجانب كما سبق أن بيّنا له صورتان :

أ ـ قضاء الحاجات .

ب ـ تأمين الخدمات .

ولإيضاح دور هذا الجانب في الدعوة إلى الطاعات يجدر بنا تناول صوره السابقة كل منها على حدة ونبيّن دورها في الدعوة إلى الطاعات على النحو التالي :

أ ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال قضاء الحاجات في السنة النبويّة المطهرة:

مرّ معنا في المطلب الأول أن المحتاج يكون مشتّت الفكر ، مضطرب الوجدان ، مما يجعله لايعيش بأمن واطمئنان ، ولايتاح له فرصة تصريف أموره على الوجه المطلوب ، ومن ذلك عدم تأديته لشعائر دينه وطاعة ربّه على الطريقة

التي يحبها الله عز وجل ويرضاها. وقد اهتم الإسلام بهذا الجانب وأولاه رعايته وعنايته، فلا يجوز في نظر الإسلام أن يعيش فرد في مجتمع الإسلام - ولو كان من أهل الذمّة - جائعاً أوعارياً أو مشرداً محروماً من المأوىٰ أو من الزواج وتكوين الأسرة[1]، ومن أجل ذلك دعا الإسلام إلىٰ التكاتف والتآزر والتعاطف، وأول ماشرعه لذلك هو تضامن أعضاء الأسرة الواحدة، فقد جعل الإسلام ذوي القربىٰ متضامنين متكافلين يشد بعضهم، أزر بعض ويحمل قويهم ضعيفهم، ويكفل غنيّهم فقيرهم، وينهض قادرهم بعاجزهم، فإن العلائق بينهم أشد قوة، وبواعث التعاطف والتراحم والتساند أوثق عروة، وذلك لما بينهم من الرحم الواصلة والقرابة الجامعة، هذه هي الحقيقة الكونية، وقد أيّدتها الحقيقة الشرعية: ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[2]، ويقول الرسول ﷺ: « **ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**»[3]. وأوجب المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام برّ الوالدين والأقارب عندما سأله أحد الصحابة وقال: يارسول الله من أبر؟قال: «**أمك وأباك وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذاك ،حق واجب ورحم موصولة**»[4] وقال أيضاً: «**يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك**»[5]. ولكن ليس لكل فقير قريب قادر موسر لينفق عليه،

(١)انظر: يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: ٣٧ مرجع سابق.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٧٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٦٥٣، جزء من الحديث ذي الرقم: ٦١٣٨.

(٤) أبوداود، السنن: ٥/ ٢٢١، رقم الحديث: ٥١٤٠، قال المنذري: ذكره البخاري في تاريخه تعليقاً.

(٥)محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٢/ ٢٠٤، رقم الحديث: ٢٥٣١، وقال عنه: صحيح.

فماذا يصنع المسكين الضعيف الذي ليس له أقارب أقوياء يحملونه من ذوي عصبته أو ذوي رحمه؟ وماذا يصنع المحتاجون العاجزون أمثال الصبي اليتيم، والمرأة الأرملة، والأمّ العجوز، والشيخ الهرم؟ ماذا يصنع المعتوه والأعمى والمريض وذو العاهة؟ وماذا يعمل القادر الذي لم يجد عملاً يرتزق منه؟ والعامل الذي وجد عملاً لايقوم دخله منه بكفايته هو وأسرته؟.

أيترك هؤلاء للفقر القاهر، والحاجة القاسية والمجتمع ينظر إليهم وفيه الأغنياء الموسرون ولايقدم لهم عوناً؟!

إن الإسلام لم ينس هؤلاء، فلقد فرض الله لهم في أموال الأغنياء حقاً معلوماً، وفريضة مقررة ثابتة هي الزكاة، فالفقراء والمساكين هم أول من تصرف لهم الزكاة. حتى إن النبي ﷺ لم يذكر في بعض المواقف إلاّ هذا المصرف؛ لأنه المقصود أولاً كأمره لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن أن يأخذها من أغنيائهم ويردها في فقرائهم[1].

وفوق هذه الحقوق المفروضة عمل الإسلام على تكوين النفس الخيرّة، المعطية الباذلة، وجاءت النصوص الشرعية ترغب في البذل والعطاء من غير الزكاة والكفارات والهدي وغيرها.

ومن تطبيقات المصطفى ﷺ في قضاء الحاجات التي كانت لها عظيم الأثر في النفوس وكبير الحافز على فعل الخير والطاعات، الكثير مما روته كتب السنّة المطهرة، أختار منها ماورد في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وفي آخرها: «وشغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: **كاتب ياسلمان**، فكاتبت صاحبي على ثلاث مئة نخلة

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه: ٣/ ٤٤٩،رقم: ١٤٩٦، مرجع سابق.

أجيبها له بالفقير وبأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : **أعينوا أخاكم**، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشرة، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ : **اذهب ياسلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي**، ففقرت لها، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي عليّ المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال : **مافعل الفارسي المكاتب**؟ قال : فدُعيت له، فقال : **خذ هذه فأدّ بها ماعليك ياسلمان**، فقلت : وأين تقع هذه يارسول الله مماعليّ؟ قال : **خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك**، قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، **ثم لم يفتني معه مشهد**»[1] .

فالشاهد من الحديث أن الرسول ﷺ كان يتفقد أصحابه الذين لا يراهم ويسأل عن مشاركتهم ويعينهم على قضاء حوائجهم ليتسنّى لهم عبادة الله وحده والمشاركة في إعلاء كلمة الله تعالى من خلال الجهاد وفعل الطاعات، فسلمان رضي الله عنه قبل مساعدة الرسول عليه الصلاة والسلام له في عتقه، قد شغله الرق عن الجهاد، وبعد المساعدة النبوية حتى أعتق يقول سلمان : ثم لم يفتني معه مشهد . ومن هنا ومن خلال هذا الحديث يتبيّن دور قضاء الحوائج في فعل الخير والطاعات، فيلزم الداعية أن يهتم بهذا الجانب المهم وأن يحرص على مساعدة

(١) الإمام أحمد ، المسند، بشرح الشيخ/ حمزة الزين : ١٧/ ٩٥، رقم الحديث : ٢٣٦٢٧، قال عنه الشيخ/ الزين : إسناده صحيح فيه ثلاثة من الصحابة ورواته مشاهير ثقات .

المدعوين كلما لزم الأمر واحتاجوا له ، لما في ذلك من عواقب حميدة تعود بالفائدة على المحتاج والدعوة .

ب ـ الدعوة إلى الطاعات من خلال تأمين خدمات المجتمع في السّنّة النبوية المطهرة:

إن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الأمة في دينهم ودنياهم؛ لأنها بنيت على أصل عظيم وهو : جلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم، ومن شأن هذه الشريعة كذلك تحصيل المصالح وتكميلها وتقليل المفاسد وتعطيلها، لأن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها وحكم كلها . وقد تحدث القرآن الكريم وتحدثت السنة النبوية المطهرة عن الإنفاق ـ بصفة عامة ـ الذي تُؤَمّن به الخدمات، فقد يكون من بيت مال المسلمين إذا كانت ظروف الدولة تسمح بذلك وكانت مواردها تكفي . وقد يكون من إنفاق أهل الخير، من مالهم الخاص . وسواء كان تأمين هذه الخدمات من الإنفاق العام أو الخاص فالحاصل أن في تأمينها فوائد ومصالح عديدة جعلت الإسلام يعتني بها ويوليها جلّ اهتمامه، نذكر من تلك المصالح مايلي :

ـ إن تأمين الخدمات وإنشاء مرافقها التابعة لها فيه إعانة لأفراد المجتمع الإسلامي وخدمة تقدم لهم يسدون من خلالها حاجتهم، كالتعليم والصحة وغير ذلك، فتأمين هذه الخدمات لأفراد المجتمع يسّهل عليهم مهمة الحصول عليها ويكفيهم مؤنة البحث عنها . هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تلك المرافق تحتاج إلى طاقات بشرية يقومون بتشغيلها وتفعيلها للاستفادة منها، وهذا فيه إتاحة فرصة للعمل الشريف، يقول صاحب كتاب : التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية : «إن النظرة الشاملة توضح أن الدولة التي تنفق في أبواب

الخدمات العامة كالمواصلات والطرق والجسور والمنشآت المدنية والعسكرية من شأن هذه الإنفاقات أن توجد فرصاً واسعة للعمالة تستوعب طاقات بشريّة لديها إمكانات العمل فكرياً وبدنياً، وعن طريق كسب هذه الطبقات تنشر الثروة بين أبناء المجتمع ويتحقق نوع من الكفاية الذاتية لكثير ممن يعولهم العامل سواء كانوا زوجة وأولاداً أم كانوا آباء وأقارب»[1] .

وما أكثر الخدمات في عصرنا الحاضر التي أصبحت ضرورية وفي الوقت نفسه تعتبر ثروة للمجتمع ومستخدماً كبيراً لأعداد هائلة من الطاقات البشرية .

ـ إن تأمين الخدمات العامة يساهم في تقليل الجريمة من سرقة وسطو وحرابة وغيرها وبالتالي انتشار الأمن والاستقرار في ربوع المجتمع الإسلامي .

ـ إن في تأمين الخدمات العامة الشعور بالواجب والمسؤولية والمواطنة الصالحة لكل من أفراد المجتمع والحكومات، فيتماسك المجتمع ويتعاون على الخير والصلاح فهي إذن من مظاهر التآزر الذي حث عليه الإسلام .

ـ إن في تأمين تلك الخدمات عزاً للأفراد وكرامة لهم من بؤس الحاجات . وفيها أيضاً بناء للمجتمع وسيادة للأمة وتأكيد حريتها واستقلالها . إلى غير ذلك من المصالح المترتبة على تأمينها ، وهي لا تخفى على كل لبيب، فإذا علمنا ذلك فينبغي أن نعلم أيضاً أن تأمين تلك الخدمات ومايترتب على تأمينها من مصالح هي طاعات وقربات في حد ذاتها إذا ابتغي بها وجه الله عز وجل، ثم إنها تكون

(١) محمد بن أحمد الصالح، التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة : الثانية، تاريخها: ١٤١٣هـ :١٢٨، وانظر: كذلك: حمد حسن رقيط، مسئولية الدعوة إلى الله ، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٧هـ: ١١٦ـ١١٩ .

من أكبر الدوافع على العمل الصالح وانتشار الطاعات .

ولهذه الأهمية نرى السّنّة النبويّة المطهرة تدعو إلى كل ما فيه خير ومصلحة المجتمع الإسلامي ، ومن ذلك التوجيهات النبوية وتطبيقات الصحابة التالية :

روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «أصاب عمر بخيبر أرضاً فأتى النبي ﷺ فقال : أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال : **إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها** ، فتصدق أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه»(١) .

وذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أن البغوي روى من طريق بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال : «لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له النبي ﷺ : **تبيعنيها بعين في الجنة؟** فقال : يارسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها . فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي ﷺ فقال : أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال : **نعم** ، قال : قد جعلتها للمسلمين»(٢) .

وفي مجال الجهاد في سبيل الله عز وجل الذي شرع لإعلاء كلمة الله تعالى ودحر الشرك وأهله ، واظهار هيبة الإسلام وعزة وكرامة أهله ، وتحقيق عبادة الله وحده دون سواه ، يقول ﷺ في تجهيز الغزاة : «**من جهّز غازياً في سبيل الله فقد**

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٥/ ٤٨٨ ، رقم الحديث : ٢٧٧٢ ، مرجع سابق .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٥/ ٤٩٨ ، مرجع سابق .

غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»[1] .

وفي مجال التعليم لاحظنا كما مرّ معنا أن الرسول ﷺ جعل فداء من لم يكن لهم فداء من الأسرىٰ يوم بدر تعليم أولاد الأنصار الكتابة[2] .

وفي مجال تأمين دور العبادة ـ المساجد ـ يقول عليه الصلاة والسلام : «**من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله**»[3] .

وبصفة عامة يقول المصطفىٰ ﷺ : «**من بنى بنياياً من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً من غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار، ما انتفع به من خلق الله تبارك وتعالى** »[4] .

وقال أيضاً مرغباً في تأمين الخدمات للناس : « **إن ممّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه، أونهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»[5] .

هذه النصوص والتطبيقات مجرد أمثلة علىٰ عناية السّنة النبّوية المطهرة بمجال

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٦١، رقم الحديث: ٢٨٤٣، مرجع سابق.

(٢) انظر : الإمام أحمد، المسند بشرح أحمد شاكر : ٣/ ٢٠، رقم: ٢٢١٦، قال عنه أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٤٠٩، رقم الحديث: ٥٣٣/ ٤٤ مرجع سابق.

(٤) الإمام أحمد، المسند بشرح حمزة الزين: ١٢/ ٢٤٩، رقم الحديث: ١٥٥٥٣، قال عنه الشيخ/ الزين: إسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع: ٣/ ٣٢٦، رقم الحديث: ٤٧٣٩: هذا الحديث رواه أحمد وفيه زبّان وثّقه أبو حاتم وفيه كلام .

(٥) ابن ماجه ، السنن: ١/ ١٥٧، رقم الحديث : ٢٤٢/ ٤، و الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١/ ١٢١، رقم الحديث: ١٠٧، وقال عنه : حسن، مرجعان سابقان.

تأمين خدمات المجتمع لا للحصر، وقد كانت هذه النصوص الشريفة والتوجيهات النبوية الكريمة للمسلمين على مرّ العصور: المصابيح الهادية، والقوة الدافعة لتربية أزكى المشاعر، وأنبل العواطف، وأصدق العزائم الراغبة في عمل الخير وخير العمل. فانتشرت الخدمات بمرافقها المتعددة متمثلة بالأوقاف الإسلامية في أنحاء البلاد الإسلامية حتى كانت من السعة والضخامة والتنوع ما جعلها مفخرة للنظام الإسلامي، وأصبح الفقراء والمحرومون يجدون من «تكاياها» ما يقيهم الجوع والعرى، ومن مستشفياتها المجانية ما يعالجون به الأمراض والأوصاب، ومن «سبلها وربطها» ما يعينهم على الأسفار وقطع المفاوز والقفار[1].

ومما سبق يتضح لنا أهمية ودور تأمين الخدمات في الدعوة إلى الطاعات، الذي يلزم الداعية أن يولي هذا الأمر جلّ اهتمامه؛ لأن هذا الجانب يتميز بالنفع العام، ومعلوم أنه كلما كان النفع أشمل وأعم كلما كان فضله أكبر ومكانته أعظم.

(١) انظر: يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: ١٢٩ ـ ١٣٢، مرجع سابق.

المبحث الخامس

التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي
في الكتاب والسنة
ويشتمل على توطئة ومطلبين

المطلب الأول : التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة.

توطئة :

مفهوم المعصية :

ـ المعنى اللغوي :

العصيان : خلاف الطاعة . وعصاه يعصيه عصياً ومعصية . ومنه : عصى العبد ربه إذا خالف أمره ، وعصى فلان أميره إذا لم يطعه ، فهو عاص وعصي[1] .

وقيل العصيان : الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمر[2] ، قال تعالى : ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[3] .

يقول الراغب : وعصى عصياناً : إذا خرج عن الطاعة . وأصله أن يتمنّع بعصاه[4] . قال تعالى : ﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[5] .

وقال الجرجاني : العصيان : هو ترك الانقياد[6] .

ـ المعنى الشرعي:

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : «لفظ المعصية والفسوق والكفر إذا

---

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب : ٩/ ٢٥١ ، مادة : عصا ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق : ٩/ ٢٥١ .

(٣) سورة طه ، الآيتان : ٩٢ ـ ٩٣ .

(٤) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ٣٣٩ ، مرجع سابق .

(٥) سورة طه ، آية : ١٢١ .

(٦) الجرجاني ، التعريفات : ١٩٥ ، مرجع سابق .

أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[1] ، ويقول تعالىٰ : ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[2]»[3] .

المعصية : جمعها معاص والمعاصي هي : ترك المأمورات وفعل المحظورات . أو ترك ما أوجب الله وفرض في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ وارتكاب مانهىٰ الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة[4] . قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5] .

«وقيل : المعصية : ضد الطاعة ، والمراد بها مخالفة العبد ربه فيما أمره ونهاه»[6] . وقد جاء معنىٰ العصيان بألفاظ كثيرة في القرآن الكريم منها :

ـ الذنب : قال تعالىٰ : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾[7] .

ـ الخطيئة : قال تعالىٰ : ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾[8] .

---

(١) سورة الجن ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة هود ، آية : ٥٩ .

(٣) أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية ، الإيمان ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة : الخامسة ، تاريخها : ١٤١٦هـ : ٥١ .

(٤) انظر : حامد بن محمد المصلح ، المعاصي وآثارها علىٰ الفرد والمجتمع ، مكتبة الضياء ، جدّة ، الطبعة : الثالثة ، تاريخها : ١٤١٢هـ : ٣٠ .

(٥) سورة النساء ، آية : ١٤ .

(٦) سليمان ناصر مرزوق ، الدعوة إلىٰ الله بالمنهج الحسي : ١/ ٢٧١ ، مرجع سابق .

(٧) سورة العنكبوت ، آية : ٤٠ .

(٨) سورة النساء ، آية : ١١٢ .

ـ السيئة: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾(١).

ـ الحوب: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(٢).

ـ الإثم: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾(٣).

ـ الفسوق والعصيان: قال تعالىٰ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾(٤).

ـ الفساد: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾(٥).

أثر المعصية على الفرد والمجتمع:

يعتقد بعض الناس أن جزاء السيئات لا يكون إلاّ في الآخرة، ولهذا فإن طائفة من الناس قد شغلهم أمر الدنيا وانصرفوا إليها وأعرضوا عن أمر الآخرة، فرتعوا في المعاصي رغبة في الحصول علىٰ المتاع الفاني، ومؤثرين له علىٰ المتاع الباقي، فضيعوا بذلك دنياهم وآخرتهم، ولم يدركوا أن المعاصي تجلب علىٰ صاحبها شقاوة الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٢.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣٣.

ولو تأملنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ لوجدناها تنطق صراحة بأن جزاء مخالفة هدىٰ الله عز وجل ليس قاصراً علىٰ نار الآخرة وإنما يحصل مع ذلك تعاسة الحياة وشقاوة العيش علىٰ هذه الأرض، سواء علىٰ الفرد أو المجتمع ونوضح بعضاً من ذلك في الآتي :

أثر المعاصي على الفرد:

تجلب المعاصي كثيراً من الآثار السيئة علىٰ صاحبها ، من أهمها ماذكره ابن القيم رحمه الله تعالىٰ حيث بيّن الآثار السيئة للمعاصي التي منها[1] :

ـ حرمان العلم وصعوبة تحصيل العلوم : لأن التقوىٰ تورث العلم، قال تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [3] .

فالعاصي يحرم بعصيانه من فائدة العلم ونوره في القلب، لأن المعصية تضع حاجزاً بين العلم والقلب، من أجل ذلك حذر الإمام مالك الإمام الشافعي من

---

(١) انظر : محمد بن أبي بكر ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق : سعيد محمد اللحام. مكتبة المعارف، الرياض، دار إحياء العلوم ، بيروت، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤٠٧هـ : ٨٢ـ ١٦٠، وانظر كذلك : سلمان زيد سلمان اليماني، القلب ووظائفه في الكتاب والسنة، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة : الأولىٰ، تاريخها : ١٤١٤هـ : ٢٥٩ ـ ٢٦٢، وانظر : أبوبكر أحمد السيد، الإنسان بين دوافع الخير ونوازع الشر، دارالقلم، الكويت، الطبعة : الأولىٰ، تاريخها : ١٤١٣هـ : ٧٣ـ ٨٨.

(٢) سورة الأنفال، آية : ٢٩ .

(٣) سورة الحديد، آية : ٢٨ .

المعاصي لأنها تطفيء العلم: «فقد جلس الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ بين يدي مالك يوماً وقرأ عليه فأعجبه ما رأىٰ من فور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال مالك رحمه الله تعالىٰ: إني أرىٰ الله قد ألقىٰ علىٰ قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية» (١).

- حرمان الرزق: فالمعصية تحرم العبد من الرزق، فقد ورد في السنة النبوية المطهرة أن الرسول ﷺ قال: « **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»(٢).

- وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله عز وجل.

- الجفوة والهجران: ذلك أن العاصي ينبذه أهل الخير ويرفضه عامة الناس فيعيش وكأنه في عزلة وحياة هجران، وبذلك يحرم بركة التعامل ودعاء المخلصين ومجالسة العلماء.

- سواد القلب وظلمته: لا شك أن قلب العاصي يسودّ من كثرة المعاصي؛ لأن القلب كالزجاج، كثرة الذنوب تسوّده فتحجب فيه الرؤية، فلا يهتدي بنور الإيمان بل يتخبط في الظلمات ويتبع خطوات الشيطان، ويهجر السنن ويعشق البدع، ويخاف من كل شيء ولا يخاف الله، إنها قلوب عميت فضلّت.

روىٰ الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشْرَبَهَا نكت فيه نكته سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضرّه فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مُرباداً كالكوز**

(١) السيد عسكر، آثار المعاصي والذنوب - سلسلة رسائل البشير - دار البشير، طنطا، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٩٩٧م: ٢٢.

(٢) الإمام أحمد، المسند، بشرح أحمد الزين: ١٦/ ٣٠٦، رقم الحديث: ٢٢٣٣٧، قال عنه أحمد الزين: إسناده صحيح.

مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلاّ ما أشرب من هواه) [1] .

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: «قال صاحب التحرير: معنىٰ الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة وإذا صار كذلك افتن وزال عنه نور الإسلام)[2] .

ـ وهن في القلب والبدن: فقلب العاصي قلب مريض، لأنه صاحب بصر زائغ وسمع متجسس، ومطعم مريب، يهوىٰ الرذائل ولا تستهويه الفضائل، فكل ذلك يورث العاصي وهناً بالقلب. وإذا كان العبد يستمد قوة بدنه من قوة قلبه وضعفه من ضعفه، فإن بدن العاصي يكون ضعيفا وضعفه هذا ناتج عن وهن القلب، ولا يغرّنك ضخامة الأجسام، فالفيل أضخم الحيوانات وليس أشجعها ولا أفضلها، والسابقون من الأوائل انتصرت أجسامهم لقوة إيمان قلوبهم قال تعالىٰ: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾[3] .

ـ حرمان الطاعة: فالمعاصي تحجب القلب عن نور الطاعة وتبعده عن طريق التقوىٰ وتحرمه من نور الله عزوجل، فمن حرم الطاعة فقد حرم الخير كله، وما قيمة العبد بدون الطاعة؟ إنه كالحيوان الذي يعيش حياته بدون هدف، حتفه في سمنته، كذلك العصاة أبدانهم وقود نار جهنم إلاّ ما رحم ربك وتاب عليه.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٢٩، رقم الحديث: ١٤٤، مرجع سابق.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ٢/ ٣٣١، مرجع سابق.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ١ ـ ٤ .

ـ نسيان الله: فأصحاب المعاصي قلوبهم قاسية لا يخطر ببالهم إلاّ ما ينتج عن أهوائهم ونزواتهم، ولايعرفون الله إلاّ في الشدائد، يعيشون عيشة الضّنك، ويحشرون وهم يتخبطون في ظلمة بصائرهم، يقول تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾(٢).

ـ المعاصي تزيل النعم: فكما أن الشكر والطاعة والتقوىٰ تستجلب الرزق وتفتح أبواب الخير كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٣). فإن المعاصي تزيل النعم لأن النعم تعرقلها الذنوب قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٤)، يقول الإمام علي رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلاّ بذنب ولا دفع إلا بتوبة» (٥). ويقول تعالىٰ ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

(١) سورة الحشر، آية: ١٨ـ١٩.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٤ـ١٢٧.

(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠ـ١٢.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٥) ابن القيم، الجواب الكافي: ١١٣، مرجع سابق.

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1] . ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : «إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في القلوب، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القبر والقلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضاً في قلوب الخلق»[2].

آثار المعاصي على المجتمعات :

لقد شهد التاريخ كثيراً من المجتمعات التي أهلكتها المعاصي ومحقتها الذنوب، فكان ذلك عقاباً لها وردعاً لغيرها، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾[3] .

وإن كل من يقرأ التاريخ بتدبر سيدرك أن الله تبارك وتعالىٰ لم يهلك أمة من الأمم السابقة إلاّ بسبب ذنوبها وبعد أن أرسل إليها رسولاً ينذرها ويحذرها ويخوفها عاقبة ارتكاب الذنوب ومصير من وقعوا في المعاصي، يقول تعالىٰ : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[4] .

فقد قامت في الأرض حضارات وعُمِرتَ مدائن وسيطرت ممالك، لكنها جميعاً وبسبب ذنوبها بادت واندثرت وأصبحت أثراً بعد عين وصارت عبرة لمن يعتبر، قال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي

(١) سورة الشورىٰ، آية: ٣٠.

(٢) ابن القيم، الجواب الكافي: ٥٨، مرجع سابق.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٧.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٩.

الأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[1] .

ومن أجل العظة والاعتبار ـ وغير ذلك من الأهداف ـ استعرض القرآن الكريم ذلك التاريخ مجملاً مرّة كما في هذه الآيات، ومفصلاً مرات أخرىٰ لعل أهل مكة ومن بعدهم يعتبرون بما جرىٰ للسابقين فيتركوا الكفر والعصيان ويلزموا طريق الطاعة والإيمان، يقول تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[2] .

وحين يستعرض القرآن الكريم تاريخ الأمم السابقة، فإنه يركز علىٰ مواطن العبرة في ذلك التاريخ ويبيّن آثار المعاصي علىٰ المجتمعات.

فهؤلاء عاد: قوم هود عليه السلام كانوا في قوة ومنعة، وكانوا في بحبوحة من النعم، بلغوا في الحضارة الصناعية مبلغاً عظيماً، فكانوا يبنون المباني الضخمة يتفاخرون بها، ويعتزون بما وصلوا إليه من قوة حتىٰ قالوا: من أشد منّا قوة؟ فلمّا ولغوا في الترف وارتكسوا في المعاصي وانكبّوا علىٰ الذنوب وأصرّوا علىٰ عبادة الأصنام وكذّبوا رسولهم وسخروا منه قائلين: «قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ»[3]، أهلكهم الله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[4] .

---

(١) سورة الفجر، الآيات: ٦ـ١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٣٦.

(٤) سورة الحاقة، الآيات: ٦ـ٨.

وفعلت الريح فعلها فيهم وكانت كما وصف الله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(١).

وهؤلاء ثمود قوم صالح عليه السلام، كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين، رائعة الصنع والإبداع والأناقة ويعيشون في جنات وعيون وزروع ونخل طعلها هضيم لكنهم بدلاً من شكر هذه النعم والاعتراف بفضل المنعم سبحانه اتجهوا إلىٰ الفساد والانحراف، فأرسل الله عز وجل إليهم نبيه صالحاً عليه السلام يأمرهم بتقوىٰ الله تعالىٰ وطاعته والبعد عن الفساد والمفسدين، قائلاً ما حكاه القرآن الكريم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾(٢). فكذبوا رسولهم واتهموه بأنه مسحور وزعموا أنهم يتشاءمون منه وتحدّوه أن يأتيهم بآية فقال لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾(٣).

وبعد أن عقروا الناقة عزموا علىٰ قتل نبي الله صالح عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ(٤) وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٥٠ ـ ١٥٣.

(٣) سورة هود، الآيتان، ٦٤ ـ ٦٥.

(٤) أي لنقتلنّه غدراً في الليل انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٩١، مرجع سابق.

(٥) سورة النمل، الآيات: ٤٨ ـ ٥٢.

لقد أرسل الله على هذا النفر حجارة رضختهم وقتلتهم قبل قومهم ثم لما انتهت الأيام الثلاثة جاءتهم صيحة من السماء وأصبحوا في ديارهم جاثمين[1] ، وأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون .

هذا على سبيل المثال ، وإلاّ فإن الأمم التي أهلكها الله عز وجل بسبب الذنوب كثيرة ، ولهذا نجد القرآن الكريم لفت أنظار الناس إلى ذلك حين قصّ علينا جانباً من قصص هؤلاء في سورة العنكبوت ثم ختم ذلك بقوله تعالى : ﴿**فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[2] .

ويجب أن نعلم أن الله تعالى استجاب لرسوله ﷺ في دعوته أن لا يهلك أمته بسنة عامة ، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : «.. **إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامّة**، . . . إلى أن قال : «**وإن ربي قال :يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لايرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامّة**..»[3] ، إلاّ أن المعاصي والذنوب لها آثار سيئة على المجتمعات منها[4] :

---

(١) أي صرعى لا أرواح فيهم .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٤٠ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨/ ٣٤٠ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٢٨٨٩ ، مرجع سابق .

(٤) انظر : الشيخ/ محمد صالح العثيمين ، الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع : ١٨ ـ ٣٠ ، مرجع سابق .

- إحلال النقم وكثرة المحن: قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1].

- ضياع الأمن وانعدام الاستقرار: يقول تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2].

- انتشار الأمراض: يقول الرسول ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[3].

- تسليط الأعداء من الداخل ومن الخارج: قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4].

إلىٰ غير ذلك من الآثار السيئة للمعاصي علىٰ الفرد والمجتمع.

أقسام المعاصي:

اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ في انقسام المعاصي وعدمه علىٰ قولين:

القول الأول: وهو قول جمهور العلماء من السلف والخلف أن المعاصي تنقسم إلىٰ قسمين: كبائر وصغائر، يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ[5]. «وقد

(١) سورة المائدة، آية: ١٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٢.

(٣) ابن ماجه، السنن: ٤/ ٣٦٧، جزء من الحديث ذي الرقم: ٤٠١٩، قال عنه محقق الكتاب: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٥) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ١٨٦، مرجع سابق.

دلّ القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن الذنوب كبائر وصغائر لقوله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾(٢) .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان: مكفرات لما بينهم إذا اجتنبت الكبائر**» وفي رواية : «**مالم تغش الكبائر**»(٣) .

ولذلك قال الغزالي : «لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عُرِفَ في مدارك الشرع»(٤) .

ويقول ابن حجر الهيتمي : «ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك، ولأن ما عظمت مفسدته أحق باسم الكبيرة، على أن قوله تعالى : ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾(٥) صريح في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر»(٦) .

القول الثاني: أنكر طائفة من أهل العلم أن يكون في المعاصي كبائر وصغائر

---

(١) سورة النساء، **آية**: ٣١.

(٢) سورة النجم، **آية**: ٣٢.

(٣) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٣/ ٤٦٩، رقم الحديث: ٢٣٣، مرجع سابق.

(٤)انظر: أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي ، كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر، علق عليه: محمد خير طعمه حلبي، وخرج أحاديثه : خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٩هـ: ١/ ١٢.

(٥)سورة النساء، آية: ٣١.

(٦) ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر: ١/ ١٢، مرجع سابق.

وقالوا بل سائر المعاصي كبائر، واستدلوا على قولهم هذا بأن كل مخالفة بالنسبة لجلال الله وعظمته كبيرة، فكرهوا تسمية أي معصية صغيرة. وقالوا: إن المعصية تتضمن الاستهانة بأمر المطاع ونهيه وانتهاك حرمته، وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب[1].

يقول ابن حجر الهيتمي: «ولا خلاف بين الفريقين في المعنى، وإنما الخلاف في التسمية والإطلاق لإجماع الكل على أن من المعاصي ما يقدح في العدالة ومنها ما لا يقدح فيها، وإنما الأولون فرّوا من هذه التسمية نظراً إلى عظمة الله تعالى، وإجلالاً له عن تسمية معصيته صغيرة لأنها بالنظر إلى باهر عظمته كبيرة، ولم ينظر الجمهور إلى ذلك لأنه معلوم، فقسموها إلى كبائر وصغائر[2]. وقد تظاهرت على هذا التقسيم دلائل الكتاب والسنة وأقوال العلماء كما سبق بيانه.

واختلف الناس في الكبائر هل لها عدد يحصرها على قولين[3]:

القول الأول: لم يحصر بعدد ومن هؤلاء من قال: كل ما نهى الله عنه في القرآن فهو كبيرة وما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة.

وقالت طائفة من هؤلاء: ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن أو غضب أو عقوبة فهو كبيرة، وما لم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة.

وقيل: كل ما ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة فهو كبيرة، ومالم يترتب عليه لا هذا ولاهذا فهو صغيرة.

---

(١) انظر: ابن القيّم، الجواب الكافي: ١٨٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر: ١/ ١١/، مرجع سابق.

(٣) انظر: ابن القيم، الجواب الكافي: ١٨٨، مرجع سابق.

ويقول الشيخ ابن عثيمين: القاعدة في هذا: «كل ذنب رتب الشارع عليه عقوبة خاصة فإنه من كبائر الذنوب. وهذا أعم من قول بعض العلماء: كل ذنب رتب عليه اللعنة أو الغضب أو نفي الإيمان أو كان فيه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة»[1].

القول الثاني: الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها وفي حد الكبيرة[2].

أما الصغائر فإنها كثيرة جداً ويجب أن يكون معلوماً أن من الصغائر ما يكون كبيرة بسبب الإصرار عليه أو الاستهانة به[3].

فإذا علم هذا، فإنه يتضح أن المعاصي كثيرة جداً يصعب حصرها ولا نريد ذلك وليس من أهداف هذا البحث الحصر؛ لأن المجال ليس مجال استقصاء كل النصوص التي استخدم فيها المنهج العاطفي في التحذير من المعاصي ولا عامة المعاصي كذلك. إنما المراد: إثبات أن القرآن الكريم والسنة المطهرة استخدما المنهج العاطفي في التحذير من المعاصي بمختلف أساليبه فأوردنا نماذج فقط من آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المطهرة الدالة والمثبتة بأن الكتاب والسنة فيهما تحذير المعاصي بالمنهج العاطفي.

وسيتم تناول ذلك إن شاء الله تعالى وفق المطلبين التاليين:

- المطلب الأول: التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة.

---

(١) الشيخ/ محمد الصالح العثيمين، الطاعة والمعصية: ١٤ ـ ١٥، مرجع سابق.

(٢) لزيادة الفائدة في تفصيل ذلك يرجع إلى كتاب الجواب الكافي، لابن القيم: ١٨٨ وكذلك كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، ١/ ١٢ ـ ١٧، مرجعان سابقان.

(٣) ابن عثيمين، الطاعة والمعصية: ١٥، مرجع سابق.

المطلب الأول

التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في القرآن الكريم

بيّنّا فيما سبق الآثار السيئة للمعاصي وأنها معاول هدم، تهدم أمن الأمة، وتقوض صرح المجتمع، وتذهب براحة الناس وسعادتهم وتستدرّ سخط الرب عز وجل وانتقامه. ولهذا جاء التحذير من المعاصي مستفيضا في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

وباستقراء نصوص القرآن الكريم نجد أن الحق عز وجل استخدم المنهج العاطفي في التحذير من المعاصي بشكل كبير جداً، لعلمه سبحانه وتعالى بجدوى هذا المنهج، وأنه من المناهج الدعوية التي تؤثر في النفوس وتبعد العباد عن المعاصي والرذائل، ونظرا لكثرة الآيات القرآنية المتعلقة بالمنهج العاطفي في التحذير من المعاصي، سأكتفي بذكر بعضاً منها؛ لأن المجال ليس مجال حصر كما سبق أن بينا إنما هو مجال إيراد نماذج تبين دور المنهج العاطفي في التحذير من المعاصي وسيتم تناول ذلك من خلال أساليب هذا المنهج على النحو التالي:

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٥.

١ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال الموعظة الحسنة في القرآن الكريم :

يتميز أسلوب الموعظة الحسنة بفاعليته في الدعوة إلى الله تعالى بشكل عام، وفي التحذير من المعاصي بشكل خاص؛ لأن التحذير يحتاج إلى بيان وإيضاح المخاطر التي تؤدي إليها المعاصي، وبأساليب عاطفية متنوعة، وهذا ما يتوفر في أسلوب الموعظة الحسنة، وقد حذّر الله تعالى من المعاصي بهذا الأسلوب جملة فقال تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾(١) . ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أن معنى ذلك : أي : انصحهم وحذّرهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم(٢) .

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(٣) .

ومعنى يعظكم هنا : أي : يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عن الذي نهاكم عنه من الشر(٤) .

وكذلك حذّر الله عز وجل بالموعظة الحسنة إجمالاً في قوله تعالى : ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾(٥) .

يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله : ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾، أي : أنهاك عن هذا السؤال وأحذرك لئلا تكون أو كراهية أن تكون

(١) سورة النساء، آية: ٦٣ .

(٢) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ١/ ٦٨٠، مرجع سابق .

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠ .

(٤) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٧٦٥، مرجع سابق .

(٥) سورة هود، آية: ٤٦ .

من الجاهلين أي الآثمين، ومنه قوله تعالىٰ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾(١) . أي يحذركم الله وينهاكم(٢) .

وكذلك من التحذير بالموعظة في القرآن الكريم قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٣) .

وإضافة إلىٰ ماسبق فإن دور أسلوب الموعظة الحسنة يبدو أكثر وضوحاً من خلال أساليبه المختلفة التي سنتناولها علىٰ النحو التالي :

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال الإشارة في القرآن لكريم:

الإشارة تأتي بمنزلة الكلام، وتفهم ما يفهم القول، وفي إجماع العقول أن العيان أقوىٰ من الخبر، ولذا قيل : ليس الخبر كالعيان، وفي هذا دليل علىٰ أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوىٰ من الكلام(٤) .

وقد كان للإشارة دور كبير في إيضاح وتمييز وتعيين المعاصي التي نهىٰ الله عنها ، وقد ورد ذلك في القرآن كثيراً ومن أمثلة ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(٥) .

فاسم الإشارة (هذه) أفاد كما قال ابن عاشور : « بأن هذه الشجرة كانت مرئية لآدم وزوجه، والمراد شجرة من نوعها أو كانت شجرة وحيدة في الجنّة»(٦) .

---

(١) سورة النور، آية: ١٧ .

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ٩/ ٣٣، مرجع سابق.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٣ .

(٤) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٧٠ـ٧١، مرجع سابق.

(٥) سورة البقرة، آية: ٣٥ .

(٦) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير : ١/ ٤٣٢، مرجع سابق.

ويؤكد ذلك ابن كثير رحمه الله تعالىٰ فقال: «إن الله جلّ ثناؤه نهىٰ آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها»(١).

فهي هنا أفادت التعيين والتحديد للشيء المنهي عنه.

ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

فالإشارة هنا بـ ﴿هَذِهِ﴾ أفادت التمييز والتعظيم والتحديد للناقة التي جعلها الله آية لثمود قوم صالح عليه السلام.

والخلاصة: أن اسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديداً ظاهراً ويميزه تمييزاً كاشفاً، وهذا التحديد يكون مقصداً مهماً للمتكلم، لأنه حين يكون معيناً بالحكم علىٰ المسند إليه بخبر ما، فإن تمييز المسند إليه تميزاً واضحاً يمنح الخبر مزيداً من القوة والتقرير، وهذا ما هو واضح في الأمور المنهي عنها سابقاً(٣).

ومما سبق يتبيّن أن الإشارة استخدمها القرآن الكريم في التحذير من المعاصي، فينبغي علىٰ الداعية أن يفطن لمثل هذا في القرآن الكريم وأن يكون علىٰ علم ودراية بأساليب القرآن البيانية، لأنها تعين علىٰ فهم المراد من النصوص الشرعية.

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال التعريض في القرآن الكريم:

نوّع القرآن الكريم أساليب تحذيره من المعاصي، فكان من ضمن تلك الأساليب أسلوب التعريض، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١/ ١١٣، مرجع سابق.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٣) انظر: طالب الزوبعي، علم المعاني: ٨٤، مرجع سابق.

وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1] . يقول ابن عاشور رحمه الله تعالىٰ في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ : «التحذير من أن يعملوا ما لا يرضي الله تعالىٰ والتحريض علىٰ الاستكثار من الطاعة ليستحقوا وصف المتقين»[2] . فهذا تعريض فيه تحذير وإنذار من مغبة الوقوع في المعاصي .

ويقول الألوسي رحمه الله في معنىٰ الآية : ﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ : أحسناً أم قبيحاً فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال ، إرشاد لهم إلىٰ الشكر وتحذير لهم عن الوقوع في مهاوي الكفر[3] .

وكذلك استخدم القرآن الكريم أسلوب التعريض في إنكاره علىٰ أهل الإيمان أن يقولوا ما لا يفعلون فقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[4] . يقول الشيخ فضل إلهي : « ومما يجب التنبّه له في هاتين الآيتين الكريمتين بأن الله عز وجل ناداهم بوصف الإيمان ولعل ذلك كان تعريضاً بأن الإيمان من شأنه أن يزع المؤمن عن مخالفة فعله قوله»[5] . فالله سبحانه في هاتين الآيتين حذّر المؤمنين بأسلوب التعريض أن تخالف أفعالهم أقوالهم وهم مؤمنون بالله ورسوله .

---

(١) سورة الأعراف، آية : ١٢٩ .

(٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير : ٩/ ٦٢ ، مرجع سابق .

(٣) الألوسي، روح المعاني : ٩/ ٤٦ ، مرجع سابق .

(٤) سور الصف، الآيتان : ٢ ـ ٣ .

(٥) فضل إلهي، السلوك وأثره في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ : الناشر : إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة : الأولىٰ : تاريخها : ١٤١٩هـ : ٣٠

ومن هنا يتبين دور أسلوب التعريض في التحذير من المعاصي الذي ينبغي أن يتنبه له الداعية وأن يستخدمه كلما لزم الأمر واقتضت الحاجة.

جـ ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الكناية في القرآن الكريم:

الكناية كما سبق أن عرفناها هي أن تتكلم بلفظ وتريد لازم معناه، وهي من الأساليب البلاغية المؤثرة في النفوس، استخدمها القرآن الكريم في التحذير من المعاصي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ (١).

ففي الآية: حذّر الله عز وجل ونهى عن الشح والتبذير بأسلوب الكناية، فقد كنّى الله عز وجل بغّل اليد إلى العنق عن الشح والبخل وببسط اليد كل البسط عن التبذير والإسراف.

يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: «قد أتت هذه الآية تعليماً بمعرفة حقيقة من الحقائق الدقيقة، فكانت من الحكمة، وصيغت الحكمة في قالب البلاغة. والحكمة تتمثل في المحمود في العطاء وهو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام من كل حقيقة لها طرفان، وقد تقرر في حكمة الأخلاق أن لكل خلق طرفين ووسطا، فالطرفان إفراط وتفريط وكلاهما مقر مفاسد للمصدر وللمورد، وأن الوسط هو العدل. فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال، إذ يجر إليه كراهية الناس إياه. وكراهيته إياهم والطرف الآخر التبذير والإسراف وفيه مفاسد لذي المال وعشيرته؛ لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف غير جديرة بالصرف. والوسط هو وضع المال في مواضعه، وهو الحدّ الذي عبر عنه في الآية بنفي حالين بين «لا و لا»»(٢).

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٩.

(٢) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: ١٥/ ٨٤، مرجع سابق.

فانظر إلى هذه الصورة المحسوسة التي تصل إلى جذور النفس، فصورة اليد المغلولة إلى العنق يمكن لكل واحد أن يتصورها بدون عناء ولا تكليف ولم يجعلها مغلولة فحسب ولكنها إلى العنق. أي شدّت بالغُلّ وهو القيد من السير يُشدّ به يد الأسير فإذا غُلت اليد إلى العنق تعذّر التصرف بها فتعطل الانتفاع بها فصار مصدر البذل معطلاً فيه. وبضدّه مثل المسرف بباسط يده غاية البسط ونهايته وهو المفاد بقوله «كُلَّ الْبَسْطِ »أي البسط كلّه الذي لا بسط بعده، وهو معنى النهاية. وهذا هو قالب البلاغة المصوغة في تلك الحكمة[1].

إن هذا التحذير بهذه الصيغة البلاغية له أثره في النفوس وله عمله في المشاعر والأحاسيس أكثر وأكثر من قولنا: اجتنب البخل والإسراف[2].

وأيضا من النماذج التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من المعاصي وبأسلوب الكناية قوله تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

قال ابن الأثير في المثل السائر في بحث الكناية: فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾الخ، فإنه كنّى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتاً، ثم جعل ماهو الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة فهي أربع دلالات واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله، فأمّا جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله، فشديد المناسبة جداً، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه؛ لأن أكل اللحم تمزيق على

(١) انظر: المرجع السابق: ١٥/ ٨٥.

(٢) انظر: فضل حسن عبّاس، البلاغة، فنونها وأفنانها: ـ علم البيان والبديع ـ دارالفرقان، عمّان، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٢٦٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٢.

الحقيقة . وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة ، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها ، آمران بتركها والبعد عنها ، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ، ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر ، إلاّ أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه ، فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة ، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبهاً لأنك إذا نظرت إلى كل واحد من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قصدت له»[1] .

فبالتأمل في الآيات السابقة نجد أن المولى عز وجل نهى وحذّر عباده من خلال أسلوب الكناية من ارتكاب المعاصي التالية :

- التحذير من البخل والشحّ .
- التحذير من الإسراف والتبذير .
- التحذير من الغيبة ، والتنفير منها .

وهكذا يكون دور الكناية في التحذير من المعاصي في سائر الآيات التي استخدمت هذا الأسلوب لما له من دور كبير في التأثير في النفوس الذي يفضي غالباً إلى الامتناع عن المحرمات والذنوب التي نهى الشارع عنها بهذا الأسلوب العاطفي الفعّال .

والذي ينبغي التنبه له بالنسبة للداعية هو أن عليه إدراك أهمية مثل هذه الأساليب البلاغية المؤثرة ، ومراجعة معانيها وأهدافها ومواطن استخدامها لتكون له عوناً بإذن الله في إيصال الحق إلى الناس ودعوتهم إلى الخير بأساليب متنوعة مشوّقة .

---

(١) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠ ، مرجع سابق .

د ـ التحذير من المعاصي من خلال القصة في القرآن الكريم :

إن من أهداف القصّة في القرآن الكريم عموماً التحذير من المعاصي والتنفير منها، قال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(١) .

ولنأخذ في هذا المقام نموذجاً من القصص الوارد في القرآن الكريم نبيّن من خلاله الحياة الذميمة والعاقبة الوخيمة لأصحاب تلك المعاصي ومقترفيها، ألا وهي قصة قارون حيث ترينا هذه القصة عاقبة البغي والاغترار بكثرة المال والاهتمام البالغ بجمعه وكنزه والتفاني في حبّه إلىٰ الحد الذي يملك علىٰ المرء قلبه وعقله وكيانه كله، فينسىٰ معه كل ما يشغله عنه ويثنيه عن طلبه، ويعيش عبداً لهذا الحطام الزائل، ويكفر بمن خلقه وسوّاه وعلىٰ موائد كرمه ربّاه. هذه القصة ترينا أن كفران النعم يكون سبباً في زوالها، وأن الباغي تدور عليه الدوائر، وأن الله ليس عنه بغافل، وأنه يمد له في النعم ويطيل له في الأمد إنذراً وإعذاراً ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. وقد وردت قصة قارون بتمامها في سورة القصص دون أن يحدد الحق تبارك وتعالىٰ زمان وقوعها ولا مكانه .

يقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٢) .

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١ .

(٢) سورة القصص، الآيات: ٧٦ـ ٧٨ .

فضرب الله لكل متكبّر وكل مغرور وكل معجب بنفسه : قارونَ مثلاً يستبينون به حالهم ومآلهم، ويعرفون به أقدارهم ومنازلهم بين الناس، فيعلمون من خلال هذا المثل أنهم ليسوا على شيء، وأن العزّة ليست لهم وإنما هي للمؤمنين، وأن العاقبة يوم القيامة للمتقين. والقرآن الكريم لم يفصح عن إيمان قارون ولكن أغلب الظن كما يقول صاحب كتاب : قصص القرآن أنه لم يؤمن أبداً، بل نافق وخادع وأعان فرعون وآزره على حرب موسىٰ ومن آمن معه ومالاه على قتلهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم للخدمة [1] ، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [2] .

وقد كان لقارون ثروة عظيمة وضعها في كنوز أي في صناديق ، والكنز مجموعة من المال في وعاء خصص له يسمىٰ بالخزانة أو الصندوق أو التابوت ونحو ذلك، وكان لكل خزانة مفتاح يخصها، وكان لهذه المفاتيح عصبة من الرجال الأشداء يحملونها ويقومون على حراستها وإنهم ليعجزون وهم الأقوياء الأشداء عن حملها فكيف بالكنوز نفسها؟ قال تعالىٰ : ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ﴾ [3] .

يقول صاحب كتاب قصص القرآن : وليس المهم هنا أن نبكي على قارون أو نتباكىٰ عليه، فمثله لا تبكي عليه أرض ولا سماء، ولا يعنينا أن نتعجب من كثرة

(١) انظر : محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل : ٢٧٥، مرجع سابق.

(٢) سورة غافر، الآيات : ٢٣ ـ ٢٥.

(٣) سورة القصص، آية : ٧٦ .

ماله أو نسأل أنفسنا كيف جمعه ومن أين اكتسبه، فهذا ليس هو منتهى البغية ولكن الموعظة الكبرى والفائدة العظمى في المبادئ الخمسة التي وردت على لسان قومه في الحوار الذي دار بينهم وبينه والتحذير من عاقبة التخلي عن هذه المبادئ كما حصل من قارون وتلك المبادئ هي[1] :

المبدأ الأول : يتمثل في قوله جل شأنه : ﴿**لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ والفَرح - بفتح الفاء وكسر الراء - هو شديد الفرح إلى حدّ الغرور والعجب والبطر والخيلاء وحب الظهور. ولا بأس أن يفرح المؤمن لخير مسّه ، ولكن البأس كل البأس أن يغتر به ويركن إليه وينسى من منّ به عليه، فليحذر المسلم من هذا.

المبدأ الثاني: يتمثل في طلب الآخرة والعمل لها قال تعالى : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ**﴾، أي : اطلب الآخرة طلباً حثيثاً ببعض ما آتاك الله لابجميع ما أتاك الله حتى لا تحرم نفسك من طيّبات الحياة، وفي ذلك تحذير من نسيان العمل للآخرة.

المبدأ الثالث: يتمثل في قوله تعالى : ﴿**وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾، أي : اجتهد في طلب حظك الذي قدّره الله لك في سابق علمه وتحصيله بواسطة الأسباب المشروعة، فالحياة حركة والعمل عبادة والسعي على الرزق طاعة وكفّارة للذنوب ونعم المال الصالح مع الرجل الصالح، ولا غنى للإنسان عن بركة الله عز وجل، والغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وفي هذا تحذير من عدم العمل للدنيا بما يرضى الله تعالى.

---

(١) انظر : محمد بكر إسماعيل ، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل : ٢٧٦ - ٢٧٨، مرجع سابق.

المبدأ الرابع: هو جماع للمبادئ السابقة وهو ما تضمّنه قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾، أي: قابل إحسان الله إليك بالإحسان إليه في طاعته، والإحسان إلىٰ خلقه بقدر الطاقة البشرية، وكن علىٰ مستوىٰ المسؤولية في جمع المال من وجوه الخير وصرفه في وجوه الخير، وكن حسن الشعور بأنعم الله عليك حتىٰ تتمكن من أداء شكرها، فعلىٰ قدر المسئوولية يكون الجزاء، فصاحب المال ليس مالكاً له علىٰ الحقيقة ولكنه مستخلف فيه وموكل في حفظه وإنفاقه في محله.

المبدأ الخامس: يتمثل في قوله تعالىٰ : ﴿**وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾، وهو مبدأ يصعب علىٰ الأغنياء أن يمتثلوه لأن الطّغيان يصحب المال ويسير معه حيث سار : ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾ (١).

هذا هو منهج الله تعالىٰ في الحياة، أجراه علىٰ لسان المؤمنين من قوم موسىٰ لا يحتاج إلىٰ إضافة ولا إلىٰ تحليل وتعليل أكثر مما ذكر.

وبعد أن نصح الحكماء من قوم موسىٰ عليه السلام قارون كان ردّه عليهم يتمثل في كلمة تحمل مفتاح شخصيته وتكشف عما يكنّه في طويته ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾، هكذا ينطق بكلمة الكفر باستخفاف ودون مبالاة ولم يدر أن الله له بالمرصاد، وأنه لن يمهله بعد هذه المقولة حتىٰ يأخذه كما أخذ من قبله من الطغاة المتكبرين، وقد جاء وعيده عقب مقولته مباشرة في الآية نفسها فقال عز وجل : ﴿ **أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ**﴾.

ذلك كان المشهد الأول من مشاهد القصة يتجلىٰ فيه: البغي، والتطاول،

(١) سورة العلق، الآيتان، : ٦ ـ ٧.

والإعراض عن النصح، والتعالي على العظة، والإصرار على الفساد، والاغترار بالمال، والبطر الذي يقعد بالنفس عن الشكر.

أمّا المشهد الثاني فيتمثل في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (١).

هكذا وقفت طائفة منهم أمام فتنة الحياة الدنيا وقفة المأخوذ المبهور المتهاوي المتهافت، ووقفت طائفة أخرى تستعلي على هذا كله بقيمة الإيمان والرجاء فيما عند الله والاعتزاز بثوابه عز وجل.

ويأتي المشهد الثالث والأخير ليضع نهاية لهذا البغي والطغيان، فأنزل الله سبحانه الضربة القاضية بقارون فلم تبق له باقية، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (٢).

هكذا في سرعة خاطفة كان قارون تحت الأرض بعد أن كان فوقها، يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية (٣): لمّا ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقّب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في الصحيح عند البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا رجل يجر إزاره إذ خُسِفَ به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**» (٤).

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٧٩ـ ٨٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٨١.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٥٣٢، مرجع سابق.

(٤) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٣١٨، رقم الحديث: ٥٧٩٠، مرجع سابق.

وأصبح الذين كانوا يقولون: ياليت لنا مثل ما أوتي قارون في جليّة من أمرهم بعد تلك الغفلة التي ألّمت بهم، يحمدون الله على أن لم يؤتهم مثل ما أوتي قارون، وعبروا عن سعادتهم بما هم فيه وأيقنوا أنه لا فلاح مع الكفر والفجور، ولا قيمةللمال وتوابعه بدون الإيمان والعمل الصالح: ﴿**وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ (١). وتنطوي مشاهد هذه القصة ليأتي بعدها بيان القصد من ذكرها في قاعدة تعد خلاصة الخلاصة لقواعد الإيمان كلها: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (٢). فالآية تبين أن المراد من هذه القصة التحذّير من العلو في الأرض والفساد والطغيان والغرور وهكذا كان دور القصة في التحذير من المعاصي في القرآن الكريم وفق المنهج العاطفي المنضبط.

وإذا علم ذلك فإنه يلزم الداعية التنّبه لهذا القصص الذي يحمل في طياته ومشاهده التحذير و الإنذار من ا لمعاصي والمحرمات، وعليه استثمار ماورد في القرآن الكريم منه في الدعوة إلى الله تعالى بالوعظ والإرشاد والتوجيه والتحذير من المعاصي على وجه الخصوص.

هـ ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب التذكير بنعم الله تعالى في القرآن الكريم:

النعم التي تصل للإنسان نوعان: نعم دنيوية ونعم أخروية. والتذكير بها من الأساليب العاطفية التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من المعاصي،

(١) سورة القصص، آية: ٨٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

فالمسلم ينتفع بإذن الله تعالىٰ إذا ذكرّ بالنعم الدنيوية؛ لأنه يستشعر فضل الله عليه ويدرك أن كل نعمة هو فيها هي من الله عز وجل، فيطيع الله فيها ويتخذها مطية للدار الآخرة ونعيمها الذي لا ينفد ولا يزول، ويكون ذلك من الأسباب القوية في اجتناب المسلم للمعاصي والذنوب. وينتفع كذلك إذا ذكرّ بالنعم الأخروية وما أعده الله لعباده الصالحين، فيكون ذلك من أكبر الدوافع والبواعث علىٰ طاعة الله واجتناب معاصيه لطمعه وشوقه إلىٰ تلك النعم. وغير المسلم يذكر بالنعم الدنيوية وأن الموجد لها و المنعم بها هو الله، فهي الشواهد علىٰ وجوده ووحدانيته وبالتالي تكون بإذن الله من الأسباب التي توصل للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتناب نواهيه والنماذج الواردة في القرآن الكريم في هذا المجال كثيرة يصعب حصرها، وليس المراد هنا الحصر، إنما المراد هو إثبات أن القرآن الكريم استخدم هذا الأسلوب في التحذير من المعاصي، فمن ذلك قول موسىٰ عليه السلام لقومه: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾ (١).

فهنا في هذه الآية: يذكرّ موسىٰ عليه السلام قومه بنعم الله تعالىٰ عليهم في الدنيا والآخرة، حيث جعل فيهم الأنبياء وهم عليهم السلام يعلّمون الناس الخير في الدنيا، من أطاعهم نجا في الدنيا والآخرة. وحصل علىٰ نعيم الدنيا ونعيم اليوم الآخر.

ثم أمرهم عليه السلام بعد ما ذكرهم بنعم الله تعالىٰ عليهم بطاعة الله ونهاهم وحذرهم عن معاصيه فقال: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ**

(١) سورة المائدة، آية: ٢٠.

لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (١) .

والحق تبارك وتعالىٰ يذكرّ عباده بنعمة القرآن والسنة بعدما نهاهم عن مخالفة ما جاء فيها من تشريع فيه خير الدنيا والآخرة فقال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ (٢) .

ويحذر نبي الله صالح عليه السلام قومه من الفساد في الأرض بعد أن ذكرهم بنعم الله تعالىٰ عليهم فقال : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣) .

فقوله : ﴿آلاءَ اللَّهِ﴾ ، أي : نعمه التي أنعم بها عليهم مما ذكر أو جميع نعمه ويدخل فيها ما ذكر دخولاً أولياً ، وقوله : ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ، يقول الألوسي رحمه الله تعالىٰ في تفسيرها : «فإن حق آلائه تعالىٰ أن يشكر ولا يكفر فكيف بالعتي والإفساد»(٤) .

ويستخدم هذا الأسلوب كذلك نبي الله شعيب عليه السلام حيث حذر قومه من المعاصي وذكرّهم بنعم الله تعالىٰ عليهم فقال : ﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

(١) سورة المائدة، آية: ٢١ .

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣١ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ٧٤ .

(٤) الألوسي، روح المعاني : ٨/ ٢٤٤، مرجع سابق .

تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) .

وذكرّ الحق تبارك وتعالىٰ نبيه محمداً ﷺ بنعمه وأفضاله عليه ثم نهاه عن بعض المعاصي في قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٢) . ففي هذه الآيات بعدما ذكر الحق عز وجل بنعمه وأفضاله علىٰ رسوله ﷺ نهاه عن قهر اليتيم و نهر السائل .

وبعد البيان السابق عن استخدامات أسلوب التذكير بنعم الله تعالىٰ في القرآن الكريم ، يجدر بالداعية فهم هذا الأسلوب علىٰ ضوء ماورد في كتاب الله تعالىٰ واستغلاله واستثماره في دعوته ، فنعم الله تعالىٰ كثيرة جداً لا تعد ولا تحصىٰ ، وقد ظهر في هذا العصر نعم لم توجد في سابق الزمان ، حيث كانت نعم باطنة ثم كشفها الله عز وجل علىٰ أيدي علماء هذا الزمن كالكهرباء والمغناطيس والبترول والمكتشفات الطبية التي أصبح لها بتوفيق الله أثراً طيباً يتمثل في التحصينات من عدد من الأمراض التي كانت تفتك بالناس في الزمان السابق ، وكذلك من النّعم التي سخرّها المولىٰ عز وجلّ للناس في هذا الزمن نعم وسائل النقل كالطائرات والسيارات والبواخر ـ التي من كبر حجمها تسمىٰ المدن العائمة ـ وكذلك وسائل الاتصال عبر الأقمار الصناعية سواء كانت هواتف أو مبرقات أو كانت وسائل نقل مباشر كمحطات التلفاز . . إلىٰ غير ذلك من الوسائل التي تُعجز من يريد حصرها ، فهي مع كونها تحمل جانباً سلبياً لمن أساء

(١) سورة الأعراف ، آية : ٨٦ .

(٢) سورة الضحىٰ ، الآيات : ٦ ـ ١١ .

استخدامها إلا أننا لا ننكر أنها نعم ، ونعم لا تقدر بثمن إذا ما استغلت في خدمة الدين والدعوة إلى الله تعالى فعبر الهاتف تكون الفتوى الشرعية ، وعبر المذياع تكون الموعظة والتذكير بالله وقراءة القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ وعبر التلفاز يشاهد الناس أحوال المنكوبين في العالم وأحوال المسلمين بشكل خاص ، ومن المعلوم ما لهذه الوسيلة من أثر في النفوس ، لأن المستمع يسمع ويشاهد وليس الخبر كالمعاينة وهذا له دور كبير في حث المسلمين على التبرعات لإخوانهم المنكوبين من المسلمين بما تستلزمه أعمال الإغاثة . وبواسطة البواخر والطائرات والسيارات يصل حجاج بيت الله الحرام إلى الأماكن المقدسة ويعودون ثانية إلى أوطانهم ، فاستحضار هذه النعم في الذهن والقلب في كل لحظة هو مايريده الشرع لكي تكون عوناً على الطاعة ، وهو ما ينبغي على الداعية أن يقف عنده كثيراً وكثيراً وينبه المدعوين بأن تلك النعم يجب أن تشكر ، وعليه أن يحذّر من إساءة استخدامها حتى لا تكون نقمة على من مُنِحَها ، فتلك النعم التي ظهرت حديثاً والتي ذكرنا بعضاً منها له جوانب سلبية سيئة جداً ، فمثلاً الهاتف قد يستغل في ارتكاب المعاصي وتخريب البيوت المسلمة العفيفة من حيث لايعلم ، وقد يستغل في التخطيط لارتكاب شتى أنواع الجرائم كالسرقات والحرائق والإيذاء والاعتداء والزنا والربا . . . إلى غير ذلك ، ووسائل النقل قد يستغلها البعض في السفر والتنقل إلى بلاد الكفر والإباحية والمعصية .

وهكذا بقية النعم التي أظهرها الله تعالى لنا في هذا العصر ينبغي التذكير بها والتحذير من آثار جوانبها السلبيّة ، خاصة وسائل الإعلام والبث المباشر وخطرها على العقائد والأخلاق والقيم ، فهي سلاح ذو حدين وشرها أكثر إذا لم يحصن المجتمع نفسه من خلال علمائه ودعاته والمصلحين فيه ، نسأل الله العلي القدير أن

يحمينا وجميع المسلمين من كل شر ومعصية وأن يوفقنا لطاعته وشكر نعمه.

و ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب المدح في القرآن الكريم:

نقصد بالمدح هنا: مدح الله عز وجل، ومدح كتابه الكريم، ومدح رسله عليهم السلام، ومدح عباده الصالحين. فبالنسبة لمدح الله تعالىٰ والثناء عليه، فلأنه أهل الثناء والمجد فهو المتفضل علينا بنعمة الخلق والإيجاد والإيمان والرزق والإحياء والصحة والسعادة.. إلىٰ غير ذلك من نعمه العامة والخاصة التي لاتعد ولا تحصىٰ، ومدحه والثناء عليه طاعة وقربة، وهجر حمده والثناء عليه ذنب ومعصية.

وبالنسبة لمدح القرآن، فلأنه كتاب الله فيه شرعه الذي ارتضاه لنفسه المقدسة وفيه لنا خير الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١). ولأنه من خلال أوامره ونواهيه يحذر الخلق من كل شر ومعصية.

أمّا مدح الرسل عليهم السلام فلأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا لأقوامهم، وأرشدوهم لكل خير وحذروهم من كل ذنب وخطيئة.

أمّا مدح عباد الله الصالحين فلأنهم امتثلوا أوامر ربهم وأطاعوا رسله في كل مابلغوا به من ربهم ولأنهم اجتنبوا ما نهوا عنه من المعاصي والرذائل.

وهذا باب واسع لا يمكن الإلمام به في هذا المقام، لكن سيتم تناول بعض النماذج الدالة علىٰ استخدام القرآن الكريم لأسلوب المدح في التحذير من المعاصي، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال مدح الله عز وجل لأهل الإيمان بذكر أوصافهم ومميزاتهم قال، تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴿٦٣﴾ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴿٦٤﴾ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ﴿٦٥﴾ إنها ساءت مستقرا ومقاما ﴿٦٦﴾ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴿٦٧﴾ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴿٦٨﴾ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴿٦٩﴾ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴿٧٠﴾ ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴿٧١﴾ والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴿٧٢﴾ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴿٧٣﴾ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴿٧٤﴾ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ﴿٧٥﴾ خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾[1].

فالحق تبارك وتعالى مدح عباده الصالحين بذكر أوصافهم وطاعتهم لله وتحليهم بالأعمال الصالحة وابتعادهم عن المعاصي، وفي ذلك كله مدح لهم وتعريض فيه تحذير من مغبة الوقوع في ضد ما ذكر من الأوصاف. فبالتأمل في تلك الأوصاف يجد ذلك، فمثلاً: من صفاتهم أنهم لم يسرفوا ولم يقتروا، وهذا فيه تحذير من الإسراف والتقتير. وكذلك من أوصافهم أنهم لا يدعون مع الله إلاهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ولايزنون ولا يشهدون الزور، وفي ذلك تحذير من الإشراك بالله عز وجل وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق والزنا وشهادة الزور. وهكذا بقية الآيات المبثوثة في سور القرآن الكريم والتي تحمل هذا المعنى.

---

[1] سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ ـ ٧٦.

فهذا الأسلوب مما ينبغي على الداعية المسلم الاهتمام به واستخدامه وتفعيله، فهو من الأساليب العاطفية التي تشوّق النفس للاقتداء بالنماذج الصالحة، وكلما كان الداعية ناجحاً في وصف عباد الله الصالحين من الأنبياء والمرسلين، وسائر السلف الصالح على ضوء الكتاب والسنة ـ وماكانوا يتمتعون به من قوة الإيمان الذي كان يحميهم من مهالك الهوى والشهوات ـ على وجه المدح والثناء والإجلال، كلما كان حديثه مقبولاً ودعوته ذات نجاح في التأثير والاستجابة وبالتالي يكون لهذا الأسلوب دور ناجح في التحذير من المعاصي والذنوب.

ز ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الذّم في القرآن الكريم:

حذّر القرآن الكريم من المعاصي بذمّها قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (١).

فهذه الآية فيها ذمّ للمعاصي المذكورة فيها وذمّ لسائر المعاصي الأخرى، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿**بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾ يقول: فلا تفعلوا ما نهيتم عنه فتستحقوا إن فعلتموه أن تُسمّوا فسّاقاً، بئس الاسم الفسوق، وترك ذكر ما وصفنا من الكلام اكتفاءً بدلالة قوله: ﴿ **بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ**﴾ عليه(٢).

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ **بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾ من معانيها: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحوّل عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة، الفلاحة بعد التجارة (٣).

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ٧/ ٨٤، مرجع سابق.

(٣) الزمخشري، الكشاف: ٥/ ٥٨٠، مرجع سابق.

فمما سبق يتبيّن أن القرآن الكريم ذمّ المعاصي وبيّن أنها مجلبة للذّم، فمن عقوباتها أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف فتسلبه اسم المؤمن، والبّر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والصّالح، والعابد، والأوّاب، والطّيّب ونحوها.

وتكسوه أسماء الذمّ والصغار والهوان، فيلصق به اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفسد، والخبيث، والمسخوط، والزاني، والسارق، والقاتل، والكاذب، والخائن، وقاطع الرحم، والغادر وأمثالها فهذه أسماء الفسوق [1]. وهي المراد من قوله تعالىٰ: ﴿**بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾. ويقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «فلو لم تكن في عقوبة المعصية إلاّ استحقاق تلك الأسماء وموجباتها لكان في العقل ناه عنها» [2].

ومن تحذيرات القرآن الكريم للمعاصي: ذمّ أصحابها من: الكفار والمنافقين والفسقة لتجاوزهم حدود الله عز وجل، فقال في حق الكفرة من بني إسرائيل: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [3].

وقال أيضا: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [4].

---

(١) انظر: ابن القيّم، الجواب الكافي: ١٢٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ١٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٨-٨٠.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٤.

وكذلك قوله تعالىٰ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾(١) .

ويقول تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) .

وقال في حق الفسقة : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (٣) .

وحذّر الله تعالىٰ من بعض المعاصي من خلال الذم مثل الزنا ، فقال : ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (٤) .

ومن تحذيرات القرآن الكريم كذلك للمعاصي من خلال الذّم : ذم بواعثها ودواعيها كالهوىٰ والدنيا والنفس والشيطان .

يقول تعالىٰ في ذمّ الهوىٰ وأنه يضل عن سبيل الله : ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٥) .

ويقول تعالىٰ في ذمّ الدنيا : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٦) .

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥ ـ ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧ .

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧٤ .

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٦ .

(٥) سورة ص، آية: ٢٦ .

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٥ .

وقال تعالىٰ في ذمّ النفس: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (١).

ويقول تعالىٰ في الشيطان: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (٢). ويحذر الحق تبارك وتعالىٰ منه لأنه وراء كل معصية فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (٣).

إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تحذّر وتنفّر من المعاصي وكل مايوصل إليها. فالحاصل أن القرآن الكريم استخدم أسلوب الذّم في التحذير من المعاصي. فقد ذمّها في ذاتها وذمّ صاحبها وذمّ بواعثها وذمّ كل مايؤدي إليها كل ذلك لينفر منها لأنها سموم قاتلة في الدنيا والآخرة.

فعلىٰ الداعية إلىٰ الله تعالىٰ أن يتنبّه إلىٰ هذا، وأن يسترشد بالقرآن الكريم ويستثمر ما ورد فيه من الآيات الكريمة التي تنفر وتحذّر العباد من تلك المعاصي، وعليه كذلك أن ينبّه علىٰ ما فيها من أخطار علىٰ العقيدة وعلىٰ الأخلاق وعلىٰ القيم و السلوك وعلىٰ التربية.. وماتجلبه من آثار سيئة في المجالات الحياتية: الصحية منها والاجتماعية والأمنية والسياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها. وعليه كذلك أن يجتهد في وضع حلول مناسبة للمدعوين كل حسب حاله، كالحث علىٰ الطاعة ومصاحبة الأخيار والتعاون مع أفراد المجتمع وإسداء النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إلىٰ غير ذلك مما يراه مناسباً.

(١) سورة يوسف، آية: ٥٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

(٣) سورة النور، آية: ٢١.

ح ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الترغيب في القرآن العظيم:

التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الترغيب نقصد به هنا: التشويق في ترك المعاصي وهجرها من أجل الله عز وجل؛ لأن في ذلك الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي اقترافها الدمار والهلاك في الدارين أيضا، وهذا نوع من التحذير الذي ورد في القرآن الكريم في النهي عن المعاصي تعريضا. فهو يرغب في ترك المعاصي لأنها سبب كل بليّة ويعرض بذلك في النهي عنها واجتنابها والتحذير منها.

فممّا ورد في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

يقول ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسير الآيات: «أي لوأنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا ماكانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، أي: لأزلنا عنهم المحذور وأنلناهم المقصود، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾، قال ابن عباس وغيره: يعني القرآن. أي لو أنّهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء علىٰ ماهي عليه، من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لقادهم ذلك إلىٰ اتباع الحق والعمل بمقتضىٰ ما بعث الله به محمداً ﷺ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتماً لا محالة.

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٦٥ـ٦٦.

وقوله: ﴿لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾، يعني: ذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض. وقيل: من غير كدّ ولا تعب ولاشقاء ولا عناء» (١).

لكنّهم ليسوا كذلك، فقد قال الله عنهم في آخر الآيات السابقة: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، يقول الشيخ السعدي في تفسير هذا الجزء من الآية: ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾، أي عاملة بالتوراة والإنجيل عملاً غير قوي ولا نشيط: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، أي: والمسيء منهم الكثير، وأمّا السابقون منهم فقليل ما هم (٢). ففي الآيات تقريع لأهل الكتاب وترغيب لغيرهم في ترك المعاصي، وهذا تعريض فيه تحذير من ترك الطاعة وفعل المعاصي.

إذاً فالله عز وجّل يبيّن في هذه الآيات بأسلوب الترغيب بأن في ترك المعاصي السعادة ووفرة الرزق من السماء والأرض، وأن في اقترافها الحرمان من ذلك، ويفهم من ذلك كله التحذير من المعاصي والذنوب والحث على الطاعات.

ومما ورد أيضاً في القرآن الكريم من التحذيرات من خلال أسلوب الترغيب في ترك المعاصي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣).

ذكرَ الطبري أن معنى هذه الآيات: أي: ولو أن أهل القرى الذين كفروا فأهلكوا آمنوا واتقوا الشرك والمعاصي مكان ارتكابها ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٠٥، مرجع سابق.

(٢) الشيخ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢/ ١٧٣، مرجع سابق.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾، يقول: لأتاهم الغيث من السماء والنبات من الأرض وجعل ذلك زاكياً كثيراً، ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الله ورسوله ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعني بكفرهم وسوء كسبهم.

وقيل: ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ماكسبوا من المآثم والمحارم[1].

فهذه الآية فيها تحذير من المعاصي من خلال الترغيب في تركها والعزوف عنها؛ لأن في تركها طاعة لله تعالىٰ أولاً وقبل كل شيء ثم فتح البركات الإلهية علىٰ هاجريها كما بينته الآية الكريمة، ففي الآية تقريع لأهل القرىٰ وتوبيخ، وفيها دلالة الترغيب في ترك المعاصي؛ لأن في مجانبة ارتكابها الخير والفلاح.

وأيضاً بيّن الحق تبارك وتعالىٰ أن في ترك المعاصي الخير والفضل الكبير قال تعالىٰ علىٰ لسان نبيّه يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[2].

يقول ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ أي وهذا إنما هو من تعليم الله آياي لأني اجتنبت ملّة الكافرين بالله واليوم الآخر.

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن: ٣/ ٤٧٢، وكذلك انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢/ ٩٧، الزمخشري، الكشاف: ٢/ ٤٧٩، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ٣١٣، مراجع سابقة.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿واتَّبعتُ ملةَ آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾ يقول: هجرت طريق الكفر والشرك سلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدىٰ، واتبع المرسلين وأعرض عن طريق الظالمين، فإنه سبحانه يهدي قلبه ويعلمه مالم يكن يعلم ويجعله إماماً يقتدىٰ به في الخير وداعياً إلىٰ سبيل الرشاد (١).

ففي الآيتين السابقتين يبين الحق تعالىٰ ما أجراه علىٰ لسان نبيّه يوسف عليه السلام حقيقة عاقبة هجران المعاصي وتركها لأجل الله عز وجل، ومايورثه ذلك من العلم والفضل والخير الكثير ترغيباً في تركها كنوع من الأساليب المختلفة التي استخدمها القرآن الكريم في التحذير من المعاصي.

ومما سبق يتضح دور هذا الأسلوب الذي ينبغي أن يفطن له الداعية لكي يؤثر في المخاطبين لأن التحذير عندما يأتي لوحده علىٰ صيغة الأمر بالنهي دون إردافه بأحد الأساليب العاطفية ـ التي مرّت معنا والتي ستمر معنا إن شاء الله فيما بقي من هذا المبحث ـ قد لا يكون له ذلك التأثير في النفس المؤدي للاستجابة يستنبط ذلك من الآيات التي ذكرناها خلال هذا المبحث.

لكّنْ عندما يأتي التحذير في الآية الكريمة من خلال ترغيب في ترك المعاصي أو مدح لاجتنابها أو ذمّ لمرتكبها أو ترهيب من الاقتراب منها، فإن ذلك يكون أقوىٰ في الإقناع وأشد في التأكيد وآكد للدليل الشرعي وبالتالي تكون الاستمالة والاستجابة مرجوة أكثر مما لو افتقد هذا الأسلوب للإرداف المذكور، وهذا مما ينبغي الانتباه له فهو منهج القرآن الكريم.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٣٧ـ٣٨.

ط ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الترهيب في القرآن الكريم:

حذّر الحق تبارك وتعالىٰ خلقه من المعاصي أشد تحذير، وخوفهم من اقترافها بآيات صدق وحق لا ريب فيها، تنخلع لها القلوب الوجلة، وتذرف منها العيون الدامعة، وتهتز لها المشاعر والأحاسيس لعلّ العباد يحاسبوا أنفسهم ويرجعوا إلىٰ خالقهم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ (٢).

إلىٰ أن قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (٣).

ويلاحظ أن التحذير من المعاصي هنا يتم من خلال صور عديدة للترهيب:

فتارةً يأتي التحذير من خلال الترهيب من الخزي والخيبة والشقاوة في الدنيا والآخرة. ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٥ـ١٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٢ـ٤٤.

(٣) سورة إبراهيم الآيات: ٤٨ـ٥٢.

ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿١٢٤﴾ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴿١٢٥﴾ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴿١٢٦﴾ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ (١) .

وتارةً يأتي التحذير من خلال الترهيب من سنة الله الكائنة بحق الكفرة والظالمين جاء ذلك فيما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز عن مصير هؤلاء سواء كانوا أمماً أو أفراداً والعاقبة الوخيمة التي آلت إليها نهايتهم، وأن سنة الله تعالى تقتضي أن يحل بكل من نهج نهجهم ما حل بهم لأن سنة الله ثابتة لاتتغير يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ﴿٤٢﴾ استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا ﴿٤٣﴾ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ﴿٤٤﴾ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾(٢) .

فمما أخبرنا الله عز وجل عن مصيره الذي: ذكره سبحانه في سورة العنبكوت حيث قال: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين ﴿٣٣﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴿٣٤﴾ ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴿٣٥﴾ وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٧ .

(٢) سورة فاطر، الآيات: ٤٢ ـ ٤٥ .

تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (١) . وقال تعالىٰ أيضا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٢) .

وتارةً يأتي التحذير من خلال الترهيب من ندامة المحتضر من الكافرين أو المفرّطين في أمر الله تعالىٰ التي تعصف به عند الموت وقوله عند ذلك وسؤاله الرجعة إلىٰ الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدّة حياته، وقد حشد القرآن الكريم لهذا الموقف وتلك الساعة الكثير من النصوص القرآنية منها:

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣) . فقوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يقول ابن كثير في تفسيرها: قيل: أي لابدّ أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم» (٤) . وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (٥) .

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٣٣ـ ٤٠ .

(٢) سورة النحل، آية: ١١٢ .

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ـ ١٠٠ .

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٣٤٢، مرجع سابق.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٤٤ .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١) .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾(٣) .

وتارة يأتي التحذير من خلال الترهيب من إقامة الحدّ علىٰ مرتكب بعض المعاصي في الدنيا ومن ذلك علىٰ سبيل المثال السرقة قال تعالىٰ : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤) .

إلىٰ غير ذلك من صور الترهيب المتنوعة التي من خلالها حذّر المولىٰ عز وجل من المعاصي . وهذا التنوع في صور الترهيب المحذّرة من ارتكاب الخطايا والذنوب هو ماينبغي أن يفطن له الداعية وأن يستحضره و يستثمره في دعوته عند تناوله لهذا الموضوع ؛ لأن عرض تلك الصور للترهيب علىٰ النفوس البشرية حتماً سيكون لها بإذن الله عز وجل التأثير الإيجابي المؤدي للاستجابة والقبول .

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٢ .

(٢) سورة الأنعام، آية: ٢٧ .

(٣) سورة الشورىٰ، آية: ٤٤ .

(٤) سورة المائدة، آية: ٣٨ .

٢ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرحمة بالمدعوين في القرآن الكريم:

الرحمة كمال في الطبيعة، تجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسو لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى، والرحمة عاطفة حيّة نابضة بالحب للناس والرأفة بهم والشفقة عليهم وهذا الجانب له صور منها:

أ ـ القول اللين اللطيف.

ب ـ الكلمة الاستعاطفية.

جـ ـ المشاركة الوجدانية.

ولكي يتضح دور هذا الجانب في التحذير من المعاصي نتناول دور كل صورة من صوره السابقة ونبين دورها في التنفير من المعاصي في القرآن الكريم فيما يلي:

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال القول اللين اللطيف في القرآن الكريم:

أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يستخدم اللين والرفق مع فرعون في دعوته إلى الله تعالى وإلى طاعته، وتحذيره من المعاصي والذنوب من شرك وكفر وطغيان، فقال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (١).

لأنه يرجى باستخدام هذا الأسلوب اللطيف: الاستجابة والإقلاع عن المعاصي.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

وأمر الله تعالىٰ عباده أن يدعوا الناس إلىٰ الله بالقول الحسن فقال تعالىٰ : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (١) .

يقول ابن كثير في تفسيرها : « أي كلموهم طيباً، وألينوا لهم جانباً» (٢) .

ومن القول اللين مخاطبة الناس باسم الإيمان في أثناء دعوتهم إلىٰ الله تعالىٰ وتحذيرهم من المعاصي كما في قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) .

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تفسير هاتين الآيتين عن ابن عباس قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلّنا علىٰ أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لاشك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ . وقيل : نزلت في قوم المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك» (٤) .

وعلىٰ كل حال سواء كان المخاطب المؤمنين أو المنافقين فإن الله تعالىٰ دعاهم وخاطبهم بالإيمان؛ لأن الإيمان يقتضي الصدق والإخلاص والوفاء بالوعد والبعد عن القول الكاذب .

---

(١) سورة البقرة، آية : ٨٣ .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ١/ ١٦٦، مرجع سابق .

(٣) سورة الصف، الآيتان : ٢ ـ ٣ .

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٤٥٦، مرجع سابق .

ومن هنا يُعلم أنه ينبغي على الداعية أن يستثمر توجيهات القرآن الكريم السابقة وغيرها الكثير في التحذير من المعاصي من خلال القول اللين اللطيف، فإن في استخدام هذا الأسلوب رجاء الانقياد لله عز وجل وترك معاصيه، واللين واللطف يكونان سبباً في انفتاح القلوب المقفلة والنفوس المستوحشة، فتتقارب القلوب وتتآلف ويقبل بعضها بعضاً، فتسمع وتنقاد وتطيع وتقلع عن المحرمات والذنوب.

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال الكلمة الاستعطافية في القرآن الكريم:

الكلمة الاستعطافية هي إحدى صور الكلمة الطيبة، وهي تذكر بأواصر القربى ومواطن الحب والشفقة، ومثالها: قول الداعي للمدعو: يا أبت، يابني، يا أخي، ياقوم، ونحو ذلك، وكذلك قول الداعي للمدعو: إني أخاف عليك، .. ونحو ذلك.

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الكلمات، فقال تعالى على لسان إبراهيم وهو يدعو أباه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[1].

فإبراهيم عليه السلام استخدم كلمة ﴿**يَا أَبَتِ**﴾ في تحذير أبيه من الشرك وعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، وكذلك استخدم كلمة: «**إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ**» للتحذير من ولاية الشيطان له.

(١) سورة مريم، الآيات: ٤١ ـ ٤٥.

وقال تعالىٰ على لسان لقمان وهو يدعو ابنه إلىٰ ترك المعاصي وعلىٰ رأسها الشرك بالله : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابنه وهُو يعظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظِيمٌ﴾ (١) .

وقال في موضع آخر : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢) .

ففي هذه الآيات يستخدم لقمان الحكيم الكلمة الاستعطافية أثناء دعوة ابنه إلىٰ إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر علىٰ ذلك، وأثناء دعوته إلىٰ ذلك دعاه كذلك إلىٰ ترك المعاصي التي منها تصعير الخد والمشي في الأرض مرحاً وتكبراً وغروراً.

وكذلك يستخدم يعقوب عليه السلام الكلمة الاستعطافية في تحذير أبنائه من بعض المعاصي كاليأس من روح الله فقال تعالىٰ : ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) .

ولهذا ينبغي علىٰ الداعية أن يفطن لتلك التوجيهات القرآنية الكريمة وأن يسير علىٰ هداها في دعوته للناس إلىٰ الله عز وجل، إلىٰ ترك ما يخالف أمره من المعاصي والمحرمات، فإن تلك الكلمات الاستعطافية تثير العواطف وتستجيش أواصر القربىٰ والرحم فيتبعه الاستماع والإنصات الذي يكون سبباً بإذن الله تعالىٰ في الهداية والاستسلام لأمر الله واجتناب محارمه ومعاصيه .

---

(١) سورة لقمان، آية : ١٣ .

(٢) سورة لقمان، الآيتان : ١٧ ـ ١٨ .

(٣) سورة يوسف، آية : ٨٧ .

جـ ـ التحذير من المعاصي من خلال المشاركة الوجدانية في القرآن الكريم:

من صور المشاركة الوجدانية: المحبة والإيثار، وقد مدح المولى عز وجل الأنصار على تلك الصفة ثم تلا ذلك المدح بالتحذير من الشح لأنه نقيض الإيثار فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾، أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها»[2]. وهذا فيه مدح للأنصار وتحذير لغيرهم من هذه الأمراض المهلكة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يقول الشيخ السعدي كذلك في تفسيرها: هذه من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم وتميزوا بها عمّن سواهم، والإيثار أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي ومشاركة وجدانية صادقة ومحبة لله تعالى مقدمة على شهوات النفس ولذاتها[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) الشيخ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٨/ ١٢١، مرجع سابق.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٨/ ١٢١.

وبعد أن مدح الحق عز وجل الأنصار بتلك الصفة حذر من الشح فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن صور المشاركة الوجدانية: المواساة، ومما ورد فيها في القرآن الكريم للتحذير من خلالها من المعاصي قوله تعالىٰ بعد معركة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

ففي هذه الآيات تكرّم سبحانه وتعالىٰ على المؤمنين فنظر إليهم نظرة ودّ، وعطف، ورحمة، وشفقة، مواسياً إياهم، فحدّثهم عن آلام أحد في سورة آل عمران[2]، وأسباب هذه الآلام، ثم مسح علىٰ جراحهم بالآيات السابقة ليفتح لهم باب الأمل في مستقبل الأيام، مبشراً إياهم بالنصر علىٰ الدوام ما كانوا مؤمنين بالله حقاً مستسلمين له صدقاً آخذين بالأسباب التي أمر بها[3].

ومن خلال هذه المواساة نهاهم عن الهوان والحزن؛ لأن الحزن إذا استبدّ بالإنسان أخذ عليه كل مأخذ وأقعده عن التفكير والعمل والجهاد، وهم حملة الرسالة وحفظة الأمانة، لايليق بهم أن يحزنوا علىٰ مافاتهم، وفي هذا الوقت بالذات لأنهم يواجهون أعداء من الداخل وهم المنافقون، ومن الخارج وهم اليهود وغيرهم. فالحزن الذي يبدّد الآمال ويقعد عن الجهاد من المخالفات التي صرح الحق تبارك وتعالىٰ بالنهي عنها من خلال أسلوب المشاركة الوجدانية وبالمواساة تحديداً. لأن الاتصاف بالحزن والهوان في مثل تلك المواقف مما لا ينبغي أن يتصف به المؤمن.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٥٢ ـ ١٦٥.

(٣) انظر: محمد عبدالقادر أبوفارس، الابتلاء والمحن في الدعوات، دارالفرقان، عمّان، الطبعة وتاريخها: بدون: ١٨٧.

٣ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحاجات وتأمين الخدمات في القرآن الكريم:

هذا الجانب له صورتان :

أ ـ قضاء الحاجات .

ب ـ تأمين الخدمات .

ولكي يتضح دور هذا الجانب في التحذير من المعاصي يجدر بنا أن نتناول صوره السابقة ونُبيّن دور كل منها على حدة في التحذير من المعاصي، وليكن ذلك على النحو التالي :

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال قضاء الحاجات في القرآن الكريم:

الحاجات هي ظروف وأزمات مادية ومعنوية يمر بها المرء فتأسره وتؤثر في سلوكه وتصرفاته، وقد يكون لها أثر وخطر على عقيدته وأخلاقه، وعلى أسرته ومجتمعه . وقد اهتم الإسلام بقضاء الحوائج اهتماماً بليغاً ، لأن في قضاء الحوائج إعانة للمسلم على الطاعةوبعداً له عن المعاصي والشرور، لأن هناك علاقة قوية بين الحاجة والرذيلة .

ومن تلك الحاجات التي بينّ خطرها القرآن على سبيل المثال : الفقر ، فالفقر كثيراً ما يكدر صفاء الأسرة التي هي نواة المجتمع، ويمزق أواصر المحبة بين أفرادها، فنجد القرآن الكريم يسجل حقيقة تاريخية رهيبة هي أن بعض الآباء قتلوا أولادهم وفلذات أكبادهم تحت وطأة الفقر المدقع، أو خشية الفقر المتوقع وهو جريمة يندى لها جبين الإنسانية خجلاً ويسود لها وجه الفضيلة حزناً، فلا عجب أن أنكرها القرآن أشد الإنكار وحذر منها أبلغ التحذير فقال تعالى : ﴿ولا

تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مَنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[1] . وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[2] .

والإملاق : هو الفقر ، وإنما قال في الآية الأولىٰ : ﴿مَنْ إِمْلاقٍ﴾ للدلالة علىٰ أن الفقر حاصل فعلاً . وقال في الآية الثانية : ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾ للدلالة علىٰ أن الفقر هنا مخوّف وليس واقعاً بالفعل .

فإذا كانت خطورة الفقر تطغىٰ في بعض الأحيان وعند بعض البشر ـ للأسف ـ علىٰ الدوافع الفطرية الأصيلة ـ كعاطفة الأبوة ـ وتصل بهم إلىٰ أن يقتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، فإنه يجر لغيرها من مختلف المعاصي والمحرمات من باب أولىٰ .

ولهذه الخطورة الكبيرة للفقر نرىٰ القرآن الكريم يهتم بعلاجها والقضاء عليها بأن أمر بالصدقات والزكاة وحث علىٰ البذل والعطاء ومساعدة المحتاجين في آيات كثيرة جداً ليس المجال مجال حصرها ، لكن من الآيات الدالة علىٰ اهتمام القرآن بتلك الحاجة علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3] .

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٥١ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٣١ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

وأمر بإعطاء المحتاج حقه في سورة الإسراء فقال تعالىٰ : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (١) .

وقال تعالىٰ في سورة الروم : ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ (٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٤) .

وقال تعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٥) .

وبهذه النصوص الكريمة وغيرها الكثير في الكتاب العزيز غرس القرآن الكريم في روح المسلم منذ أوائل العهد المكي أن للقريب والمحتاج ﴿حَقَّهُ﴾ المحتوم في ماله، يجب عليه أداؤه وجوباً وليس مجرد صدقة تطوعية يدفعها إن شاء ويتركها إن شاء (٦) .

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٦.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٤) سورة الذاريات، : آية: ١٩.

(٥) سورة المعارج، الآيتان: ٢٤ـ ٢٥.

(٦) انظر: يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الرابعة والعشرون، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٥٧، وحول هذا المعنىٰ ينظر: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: محمد عدنان ياسين درويش، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٢/ ٧٧.

هذا بيان لخطورة واحدة من مخاطر حاجة الفقر وكيف عالجها الإسلام، فإذا كان ما سبق ذكره يعتبر إيضاحاً لخطورة واحدة من المخاطر العديدة لحاجة واحدة من منظومة حاجات لا يخلو منها مجتمع، فإن ذلك كله يبرز خطورة هذا الجانب وأهمية العناية به، فيلزم الداعية الاهتمام به وبيان مخاطره، وأنها قد تكون سبباً في تفشي المعاصي وارتكاب الجرائم، وأن على المجتمع المسلم مسؤولية قضاء حوائج المحتاجين مهما تعددت وتنوعت، فالمسلم أخو المسلم لا يسلمه لمرض يفتك به أو ظالم يبطش به أو دين يأسره. . . إلى غير ذلك من الحاجات العديدة والناس والحمد لله بخير لا يعوزهم في مساعدة هؤلاء إلاّ التذكير والحث والترغيب من داعية يُعْلم إخلاصه ونزاهته وأمانته، فإذا ما توفر هذا الداعية بهذه الصفات فإن أهل الخير من أفراد المجتمع سيرهقون كاهله بغزارة الإنفاق لوجه الله تعالى وبالمساعدات العينيّة . وبهذا يكون الداعية مفتاحاً للخير للجميع .

وبعد أن بينا خطر الحاجات وعلى رأسها الفقر على الأخلاق والسلوك كما بينها القرآن الكريم ثم بيّنا اهتمام القرآن الكريم، بعلاج تلك المشاكل والقضاء عليها عملياً، ينبغي على الداعية أن يفطن لتلك الحاجات وخطرها وأن يبيّن ذلك للمدعوين، وأنها قد تكون سبباً في تفشي المعاصي وارتكاب الجرائم والمحرمات، وعليه أن يحث الناس على المساهمة والمشاركة في قضاء تلك الحاجات على اختلاف أنواعها وذلك بتقوية وازعهم الديني والرجاء فيما عند الله عز وجل .

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال تأمين الخدمات في القرآن الكريم:

مما لا يختلف فيه اثنان أنه يجب أن يتأمن لكل فرد من الأمة الحد الأدنى من المعيشة والرعاية، حيث يتهيأ له الغذاء الصالح والمسكن الصالح وأسباب التعليم ووسائل الصحة والعلاج والأمن. . وغير ذلك من الأمور الضرورية والحيوية. ولاشك أن الأفراد جميعاً حين يدفع الضرر عنهم، ويسد خلل العاجزين منهم،

ويتأمن لهم مسكنهم وغذاؤهم وتعليمهم وعلاجهم من خلال المرافق والخدمات العامة يعيشون في طمأنينة، وسعادة هانئة في الحياة ، والإسلام بتشريعه السامي ومبادئه الخالدة عالج مشاكل الفقر والجهل والمرض والبطالة . . . بحلول عملية، ونظم تشريعية، لتحقيق العيش الأكرم والمستقبل الأفضل لبني الإنسانية جمعاء، وقضىٰ علىٰ كل هذه المشاكل بوسائل إيجابية متكاملة، تحقق للفرد سعادته وللأسرة كفايتها، وللمجتمع سلامته، وللدولة مسؤوليتها [1] .

فالإسلام يريد للناس أن يحيوا حياة طيبة، ينعمون فيها بالعيش الرغد ويغتنمون بركات السموات والأرض، ويأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويحسّون فيها بالسعادة تغمر جوانحهم، وبالأمن يعْمر قلوبهم، والشعور بنعمة الله يملأ عليهم أنفسهم وحياتهم.

وفرق ما بين نظام الإسلام والأنظمة المادية، فالأنظمة المادية تقف عند إشباع البطن والفرج ولا تتجاوز دائرة المادية الدنيا، فالرفاهية والسعة هي هدفها الأول والأخير وجنة أحلامها علىٰ الأرض، فتكثر الجرائم وترتكب المحرمات وتقترف المعاصي في ظل تلك الأنظمة.

أمّا النظام الإسلامي فيجعل هدفه من وراء الغنىٰ ورغد العيش أن يسمو الناس بأرواحهم إلىٰ ربهم، وألاّ يشغلهم الهم في طلب الرغيف والانشغال بتضميد الجرح والافتتان بشبح الخوف والظلم والجهل . . إلىٰ غير ذلك، عن معرفة الله وحسن الصلة به والتطلع إلىٰ حياة أخرىٰ هي خير وأبقىٰ، وفي سبيل

(١) انظر: عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دارالسلام، المدينة: بدون الطبعة: الخامسة، تاريخها: ١٤٠٩هـ: ١٩ ـ ٢٠.

تحقيق ذلك كلّف المجتمع بتأمين خدماته العامة؛ لأن الناس إذا توافرت لهم كفايتهم وكفاية من يعولونه وأمِنوا من الخوف وتعلموا من ظلمات الجهل وتداووا من آلام المرض. . . اطمأنوا في حياتهم واتجهوا إلىٰ عبادة ربهم وبعدوا عن المعاصي والذنوب وكل ما يغضب ربهم (١) .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالىٰ : «يكره الإسلام الفقر والحاجة للناس، لأنه يريد أن يعفيهم من ضرورات الحياة المادية ليفرغوا لما هو أعظم ولما هو أليق بالإنسانية وبالكرامة التي خص الله بها بني آدم : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢) .

لقد كرمهم فعلا بالعقل والعاطفة، وبالأشواق الروحية إلىٰ ما هو أعلىٰ من ضرورات الجسد، فإذا لم يتوافر لهم من ضرورا ت الحياة ما يتيح لهم فسحة من الوقت والجهد لهذه الأشواق الروحية ولهذه المجالات الفكرية فقد سلبوا ذلك التكريم وارتكسوا إلىٰ مرتبة الحيوان . لابل إن الحيوان ليجد طعامه وشرابه غالباً، وإن بعض الحيوان ليختال ويقفز ويمرح، وإن بعض الطير ليغرد ويشقشق فرحاً بالحياة بعد أن ينال كفايته من الطعام والشراب ، فما هو بالإنسان وماهو بكريم علىٰ الله ذلك الذي تشغله ضرورات الطعام والشراب عن التطلع إلىٰ مثل ما يناله الطير والحيوان فضلاً علىٰ مايجب للإنسان الذي كرمه الله . فإذا قضىٰ وقته وجهده ثم لم ينل كفايته فتلك هي الطامة التي تهبط به دركات عما أراد به الله، والتي تصُم الجماعة التي يعيش فيها بأنها جماعة هابطة لا تستحق تكريم الله،

(١) انظر : يوسف القرضاوي، فقه الزكاة : ٢/ ٨٧٢ ـ ٨٧٣، مرجع سابق.

(٢) سورة الإسراء، آية : ٧٠.

لأنها تخالف عن إرادة الله. إن الإنسان خليفة الله في أرضه، قد استخلفه عليها لينمي الحياة فيها ويرقيها، ثم ليجعلها ناضرة بهيجة، ثم يستمتع بجمالها ونضرتها ثم يشكر الله على أنعمه التي أتاه. والإنسان لن يبلغ من هذا كله شيئاً إذا كانت حياته تنقضي في سبيل اللقمة ولو كانت كافية فكيف إذا قضى الحياة فلم يجد الكفاية؟

يكره الإسلام ذلك ويكره عدم التعاون والتآزر والتراحم والتعاطف؛ لأن ذلك يسبب أحقاداً وأضغاناً تحطم أركان المجتمع ولما تخلفه تلك الأمراض من أثرة وجشع وقسوة تفسد النفس والضمير، ولما فيها من اضطرار المحتاجين إما إلى السرقة والغصب، وإمّا إلى الذل وبيع الشرف والكرامة.. وكلها منحدرات يتجافى الإسلام بالجماعة عنها [1].

فإذا كان هذا بسبب عدم تأمين الخدمات العامة التي توفر الأمن والتعليم والعلاج والعيش الكريم، فإننا نلحظ اهتمام القرآن الكريم بتوفير تلك الخدمات العامة لأفراد المجتمع سواءً التعليمية منها أو الصحية أو الأمنية أو الاقتصادية.. إلى غير ذلك من المجالات الخدمية.

وهذه الخدمات لا تتحقق إلاّ بتعاون أفراد المجتمع والدولة، ولذا أمر المولى عز وجل بالتعاون المثمر الخيرّ فقال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [2].

(١) انظر: سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: الثالثة عشرة، تاريخها: ١٤١٣هـ: ١١٤-١١٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

وهذه الآية أصل في كل عمل ومشاركة خيّرة وكذا في كل مشروع ومرفق خيّر يفيد الإسلام والمسلمين.

ولنأخذ مجالاً واحداً من تلك المجالات ونتناوله بالشرح على ضوء القرآن الكريم لنرى اهتمام القرآن الكريم بتلك المشاريع والمرافق الخدمية العامة، وليكن ذلك مجال الأمن وحثّ الإسلام على المشاركة والتعاون في تحقيقه من خلال ما ورد في القرآن الكريم من قصص فيها العبرة وأخذ الحكمة، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ (١).

خرجاً: أي: قسماً من المال.

إن في الآية: إشارة إلى أن من واجب الحاكم المؤمن أن يدفع عن أمته عدوان الأمم المجاورة بالوسائل المشروعة والمناسبة، سواء أكانت سداً أم غيرذلك. وعلى الأمة أن تسهم في تحمل التكاليف لإقامة المشاريع والإنشاءات الدفاعية.

﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾ (٢). إن في هذه الآية إشارة إلى الاعتقاد بأن الله يعين على كل عمل فيه خير وأنه بعد عونه تعالى تأتي أهمية عون البشر وقوله: ﴿**أَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**﴾: أي بعَملَة وصنّاع وآلات (٣).

وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن التعاون مطلوب، وأنه لا يمكن أن تتحقق إقامة هذا المشروع الضخم إلاّ بتعاون الجميع، فلا الحاكم يستطيع لوحده إنشاء ذلك

(١) سورة الكهف، آية: ٩٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل: ٧/ ٦٧، مرجع سابق.

السّد ولا الأفراد لوحدهم يستطيعون ذلك، لكن بتعاون الجميع على هذا المشروع الخيرّ سوف تتحقق إقامته بعون الله تعالى وحوله وقوته.

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾.. فجمعوا له قطع الحديد وكومها في الفراغ بين الحاجزين فأصبحا كأنهما صدفتان تغلفان ذلك الكوم بينهما. ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ وأصبح الركام بمساواة القمّتين ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ على النار لتسخين الحديد، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ كله لشدة توهجه واحمراره ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي نحاساً مذاباً يتخلل الحديد ويختلط به فيزيده صلابة. وقد استخدمت هذه الطريقة حديثاً في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته، وكان هذا الذي هدىٰ الله إليه ذا القرنين وسجله في كتابه الخالد سبقاً للعلم البشري الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله [1].

وفي هذه الآية: إشارة إلى أنه يجب على الأمة أن تقدم الدعم المادي والبشري وأنه يجب على الحاكم أن ينظم العمل ويشرف على إجراءات تنفيذه، وأن يستخدم المعرفة العلمية والتقنية المتقدمة التي تساعده على استكمال إجراءات حماية أمته وحدود دولته.

وبذلك التحم الحاجزان، وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج، ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ ويتسوروه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ فينفذوا منه، وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف. فأمنوا واطمأنوا [2].

---

(١) سيد قطب، الظلال، ٤/ ٢٢٩٢ ـ ٢٢٩٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: محمد صالح الخضر، منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورتي: الكهف والقصص، دار النفائس، عمّان، الأردن، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٨هـ: ٦٦.

وفي هذه الآية : إشارة إلىٰ أن دفع عدوان أفسد الأمم وأقواها ممكن في حال وجود تعاون وثيق بين الحاكم وأمته . وكذلك في الآية إشارة إلىٰ أن التعاون يسبب النجاح في المجالات الخيّرة النافعة المفيدة الأخرىٰ [1] .

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[2] .

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية : «نظر ذو القرنين إلىٰ العمل الضخم الذي قام به فلم يأخذه البطر والغرور ولم تسكره نشوة القوة والعلم ولكنه ذكر الله فشكره ، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه وتبرأ من قوته إلىٰ قوة الله وفوّض إليه الأمر»[3] .

ففي الآية تنبيه إلىٰ قضية إيمانية مهمة ، وهي أن السد هو أحد جوانب رحمة الله ، وأن علىٰ المؤمنين ألاّ يركنوا إلىٰ الإمكانيات المادية وحدها وألاّ يغفلوا عن الاستعانة بالله والالتزام بما أوصاهم به حتىٰ لا ترفع عنهم تلك الرحمة التي كان السّد أحد جوانبها[4] .

ففي القصة السابقة : يمثل ذو القرنين أنموذجاً لرجل الدعوة عندما يتم له التمكين فيصبح حاكماً ، فلقد كان تحركه شرقاً وغرباً بهدف نشر دعوة الحق وإقامة العدل ودفع الظلم ومساعدة المحتاجين وتقديم العون والمساعدة للبلاد الفقيرة التي يفتحها ، منتهجاً التعاون المثمر بينه وبين أفراد مجتمعه علىٰ أساس وثيق ، وهذه القصة تفيد الاقتداء بهذا الرجل الصالح في إقامة المشاريع الخيرية

(١) انظر : سيد قطب ، الظلال : ٤/ ٢٢٩٣ ، مرجع سابق .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٩٨ .

(٣) سيد قطب ، الظلال : ٤/ ٢٢٩٣ ، مرجع سابق .

(٤) انظر : محمد صالح الخضر ، منهج الدعاة إلىٰ الله في رحاب سورتي : الكهف والقصص : ٦٧ ، مرجع سابق .

والمرافق العامة النافعة لأن في تأمين تلك المشاريع تأميناً لأمن المجتمع وحمايته ورعايته تعليمياً وصحياً واقتصادياً . . . إلى غير ذلك من المجالات الضرورية .

وفي الجانب الآخر فإن عدم تأمين تلك المرافق ينبئ بأخطار جسيمة وجرائم عظيمة ومعاصي كبيرة، ولو تصورنا الوضع الكائن في حالة عدم إنشاء هذا السد العظيم ـ الذي أوردنا قصته آنفاً ـ كيف يكون وضع هذا المجتمع ؟ أنه وضع مأساوي خطير . . . حيث ستكون الحرب والقتل والتشريد والفساد وانتشار الرذائل . . . إلى غير ذلك من الدمار، ولهذا ينبغي على الداعية أن يفطن لذلك وأن يهتدي بنور القرآن وماورد فيه من قصص فيها الحكمة والعبرة والعظة وفيها النهج القويم الذي يلزم الداعية اتباعه، وما أحوجنا في الوقت الحاضر إلى المبادرة للمشاركة في المشاريع الخيرية والمرافق العامة التي توفر للمجتمع الإسلامي راحته وأمنه ليتسنى له القيام بعبادة ربه على الوجه المطلوب ويبتعد عن محارمه ومعاصيه .

المطلب الثاني

التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي في السنة النبوية المطهرة

السنة النبوية المطهرة هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في كل ما يحوي من الأصول والقواعد الأساسية للإسلام: عقائد، عبادات، أخلاق معاملات، أداب. وقد أوتي الرسول ﷺ القرآن ومثله معه من الخير والبركة والهدىٰ. وفي مجال التحذير من المعاصي نجد السنة النبوية المطهرة حذّرت من المعاصي والذنوب أشد تحذير، فلم يترك المصطفىٰ ﷺ أمراً من الأمور فيه أذىٰ وضرر إلاّ حذّر الأمة ونفرها منه، وقد استخدم عليه الصلاة والسلام في هذا المجال المنهج العاطفي استخداماً كثيراً فلا نكاد نجد نهياً أو انذاراً أو تخويفاً أو أي شكل من أشكال التحذير في السنة النبوية إلاّ وللمنهج العاطفي دور فيه من خلال أساليبه المختلفة، ونظرا لكثرة نصوص السنة المتعلقة بالتحذير من المعاصي وصعوبة حصر كل ما ورد في هذا المجال، فإننا سنورد بعضاً من تلك النصوص كنماذج لإبراز دور المنهج العاطفي في التحذير من المعاصي، وسيكون ذلك إن شاء الله تعالىٰ وفق أساليبه التالية:

- الموعظة الحسنة.
- إظهار الرحمة والرأفة بالمدعوين.
- قضاء الحاجات وتأمين الخدمات.

١ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال الموعظة الحسنة في السنة النبوية المطهرة.

يمتاز أسلوب الموعظة الحسنة بقوة تأثيره في النفوس وتعدد أشكاله، روىٰ

الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين،عضّوا عليها بالنواجذ**»(١) ، ولكي يتضح دوره في التحذير من المعاصي فإن ذلك سيكون من خلال تناول أشكاله المتعددة وبيان دور كل منها في هذا الجانب علىٰ الطريقة نفسها التي اتبعت في المطلب الأول علىٰ النحو التالي :

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال الإشارة في السنة النبوية المطهرة:

الإشارة الحسية تقوم مقام الكلام، وقد استخدمها الرسول ﷺ في محاربة الباطل والتحذير من المعاصي وعلىٰ رأسها الشرك بالله تعالىٰ، فمن تطبيقاته عليه الصلاة والسلام لها في هذا المجال مارواه البيهقي رحمه الله تعالىٰ عن ابن عمر : « أن النبي ﷺ لما دخل مكة وجدَ بها ثلاثمائة وستين صنماً فأشار إلىٰ كل صنم بعصا وقال : ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾(٢) ، فكان لا يشير إلىٰ صنم إلاّ سقط من غير أن يمسّه بعصا»(٣) .

(١) الحديث سبق تخريجه ص : ١٠٠ .

(٢) سورة الإسراء، آية : ٨١ .

(٣) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٢٢ .

وكذلك من استخدامات الرسول ﷺ للإشارة في التحذير من المعاصي والذنوب ماروا الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ عن مولىٰ لأبي سعيد الخدري قال: «بينما أنا مع أبي سعيد الخدري مع رسول الله ﷺ إذْ دخلنا المسجد، فإذا رجل جالس في وسط المسجد محتبياً مشبك أصابعه بعضها في بعض، فأشار إليه رسول الله ﷺ فلم يفطن الرجل لإشارة رسول الله ﷺ فالتفت رسول الله ﷺ إلىٰ أبي سعيد فقال: « **إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكن، فإن التشبيك من الشيطان وإن أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه**»[1].

وأخبر المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام أمته علىٰ وجه الإنذار والتحذير بالإشارة من ظهور بعض الفتن فيقول: «**يُقبَض العلم، ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج**. قيل: يارسول الله وما الهرج؟ فقال: هكذا بيده فحرّفها، كأنه يريد القتل[2]».

وحذّر الرسول ﷺ من استخدام الإشارة بالسلاح ، روىٰ البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ،فإنه لا يدري لعلّ الشيطان ينزغ في يديه فيقع في حفرة من النار**»[3].

ونزغ الشيطان بين القوم نزغاً: أي حمل بعضهم علىٰ بعض بالفساد. ومنه: ﴿**مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**﴾[4]. والمراد أنه يغري بينهم

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٢/ ١٣٩، برقم: ٢٠٤٧، قال عنه الهيثمي: إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد في المسند شرح حمزة الزين: ١٠/ ١٣٦، برقم ١١٣٢٤، وقال عنه الشيخ حمزة: إسناده صحيح.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١/ ٢٣٩، رقم الحديث: ٨٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق: ١٣/ ٣٠، رقم الحديث: ٧٠٧٢.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

حتىٰ يضرب أحدهما الآخر بسلاحه فيحقق الشيطان ضربته له. وقيل معنىٰ ينزغه: يقلعه من يده فيصيب به الآخر أو يشد يده فيصيبه [1].

ونهىٰ كذلك عليه الصلاة والسلام عن الإشارة بالسلاح إلىٰ مسلم لمافي ذلك من التخويف وإدخال الرعب علىٰ المشار إليه، روىٰ الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبوالقاسم ﷺ: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» [2].

يقول النووي رحمه الله تعالىٰ: «في الحديث تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: «**وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتّهم فيه ومن لا يتّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ولأنه قد يسبقه السلاح» [3].

ومما سبق يتبين دور الإشارة في التحذير من المعاصي في السنة النبوية المطهرة التي يلزم الداعية أن يفطن لهذا الجانب من البيان وأن يستخدمه بالقدر اللازم كلّما احتاج إليه.

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب التعريض في السنة النبوية المطهرة:

من الأساليب التي استخدمها الرسول ﷺ في التحذير من المعاصي أسلوب التعريض؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس من عادته أن يواجه بصريح

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٣٢، مرجع سابق.
(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/ ١٣٠، رقم الحديث: ٢٦١٦، مرجع سابق.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٦/ ١٣٠، مرجع سابق.

الفحش في الكلام وهو يوجه ويوعظ ويعلم، ومما ورد في السنة النبوية الشريفة في ذلك مارواه الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: « **من علامات المنافق ثلاثة: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**» (١).

حكىٰ الخطابي رحمه الله تعالىٰ أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي ﷺ لا يواجههم بصريح القول، فيقول: فلان منافق، وإنما كان يشير إشارة كقوله ﷺ: ما بال أقوام يفعلون كذا؟ (٢).

وذكر أيضاً: أن الحديث فيه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه أن تفضي به إلىٰ حقيقة النفاق (٣). فالرسول ﷺ من خلال أسلوب التعريض في هذا الحديث حذّر من هذه الخصال الذميمة.

وعند مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» (٤). فقوله عليه الصلاة والسلام: «**فينظر كيف تعملون**» تعريض فيه تحذير من ارتكاب المعاصي عموماً، ثم خص بعد هذا التعميم بفتنة الدنيا والنساء؛ لأن النفوس تطلبهما طلباً حثيثا (٥).

ومن تحذيرات المصطفىٰ ﷺ من خلال أسلوب التعريض أيضاً مارواه أبوداود عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن**

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٣٦، رقم الحديث: ٥٩، مرجع سابق.
(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ٢/ ٢٣٦، مرجع سابق.
(٣) المرجع السابق: ٢/ ٢٣٦.
(٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/ ٢١٤، رقم الحديث: ٢٧٤٢، مرجع سابق.
(٥) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم: ١٧/ ٢١٤، مرجع سابق.

بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولاتتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» [1] . فقوله ﷺ : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه**» تعريض فيه إنكار وتوبيخ وتقريع على عدم الإيمان الكامل بارتكاب المعاصي الواردة في الحديث، فالمتأمل في الأحاديث السابقة يجد الرسول ﷺ قد استخدم أسلوب التعريض في التحذير من المعاصي التالية :

- التحذير من علامات النفاق وهي : الكذب، وعدم والوفاء بالوعد، والخيانة .
- التحذير من المعاصي عموماً والافتتان بالدنيا والنساء على وجه الخصوص .
- النهي والتحذير من الغيبة، وبيان أنها من عدم الإيمان الكامل .
- النهي والتحذير من تتبع عورات المسلمين .

ومن هنا يتضح دور أسلوب التعريض في التحذير من المعاصي الذي يتعيّن على الداعية أن يكون على دراية به لكي يساعده ذلك على فهم المراد من النصوص الشرعية، وليستخدمه هو على الوجه الصحيح؛ لأنه من الأساليب البلاغية المهمة في الدعوة إلى الله تعالى بشكل عام وفي التحذير من المعاصي بشكل خاص .

جـ ـ التحذير من المعاصي من خلال الكناية في السنة النبوية المطهرة:

السنة النبوية المطهرة هي الأخرى بعد القرآن الكريم لم تترك أمراً من الأمور فيه شرّ وأذى إلاّ حذّرت منه بمختلف الأساليب . فكان من بين تلك الأساليب

(١) أبو داود، السنن: ٥/ ١٢٤، رقم الحديث: ٤٨٨٠، والألباني ، صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١٩٧، رقم الحديث: ٤٨٨٠، وقال عنه: حسن صحيح .

التي تحذر وتنفر من المعاصي: أسلوب الكناية. حيث استخدمه المصطفى ﷺ في هذا المجال، ومن ذلك على سبيل المثال ماروا البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من حملَ علينا السلاح فليس منّا**»(١). يقول ابن حجر في شرح الحديث: «ومعنى الحديث حمل السلاح على المسلمين كقتالهم به بغير حق لما في ذلك من تخويفهم وإدخال الرعب عليهم، وكأنه كنّى بالحمل عن المقاتلة أو القتل للملازمة الغالبة. قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يراد بالحمل ما يضاد الوضع ويكون كناية عن القتال به، ويحتمل أن يراد بالحمل حمل لإرادة القتال به لقرينة قوله «علينا»، ويحتمل أن يكون المراد حمله للضرب به. وعلى كل حال ففيه دلالة على تحريم قتال المسلمين والتشديد فيه» (٢).

ومن استخدامات الرسول ﷺ كذلك في التحذير من المحرمات قوله: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لايدري لعل الشيطان ينزغ في يديه، فيقع في حفرة من النار**» (٣).

فقوله: «**فيقع في حفرة من النار**». يقول في معناه ابن حجر رحمه الله: «هوكناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار» (٤). فالكناية هنا استخدمت للتحذير والتخويف من الإشارة بالسلاح.

ومن ذلك أيضاً ماوراه مسلم عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم**

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع الفتح: ١٣/ ٣٠، رقم الحديث: ٧٠٧٠، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ١٣، مرجع سابق.

(٣) الحديث سبق تخريجه ص: ٥٥٨.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٣٢، مرجع سابق.

الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب إليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذرّ: خابو وخسروا من هم يارسول الله ؟قال: **المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[1].

يقول الإمام السندي في شرح الحديث: قوله: **لايكلمهم الله**..الخ» كناية عن عدم الالتفات إليهم بالرحمة والمغفرة[2]. فهو هنا حذّر وخوَّف عليه الصلاة و السلام من تلك المعاصي بأسلوب الكناية.

ومما سبق يتبين من استخدامات الرسول ﷺ لأسلوب الكناية في التحذير من المعاصي دورهذا الأسلوب العاطفي الفعّال في التنفير والإبعاد عن كل ما لايرضي الله عز وجل وهذا ماينبغي أن يتنبّه له الداعية، لأن أسلوب الكناية من الأساليب التي استخدمت في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بشكل عام، وفي التحذير من المعاصي بشكل خاص.

د ـ التحذير من المعاصي من خلال القصة في السنة النبوية المطهر:

كان الرسول ﷺ ينوع بين الحين والآخر في أساليب مواعظه وفي إنذاراته وتحذيراته من المعاصي والذنوب، وكان من ضمن الأساليب التي استخدمها الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا الغرض إيراد الموعظة في قالب القصة لتكون أقوىٰ أثراً في النفوس، فمن القصص النّبوي الشريف الذي أخبر به عليه الصلاة والسلام أمته ما رواه البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال:**

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٨٧، رقم الحديث: ١٠٦، مرجع سابق.

(٢) انظر: النسائي، السنن: ٥/ ٨١، مرجع سابق.

لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه، فأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال:أيُّ المال أحب إليك؟ قال :الإبل ـ أو قال:البقر ـ هو شك في ذلك:أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر:البقر ـ فأُعطي ناقة عُشراء، فقال: يُبارك لك فيها.وأتى الأقرع الآخر فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس. قال :فمسحه فذهب وأُعطِيَ شعراً حسناً. قال:فأيُّ المال أحبّ إليك؟ قال:البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال:يُبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال:أي شيء أحبّ إليك؟ قال:يردّ الله إليّ بصري فأُبصرُ به الناس قال:فمسحه ، فرد الله إليه بصره. قال :فأيُّ المال أحبّ إليك؟قال: الغنم ، فأعطاه شاة والداً فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذاوادٍ من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك، أسألك ـ بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ـ بعيراً أتبلَّغ به في سفري. فقال له :إن الحقوق كثيرة .فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر.فقال:إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ماكنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ماقال لهذا، فرد عليه هذا ، فقال:إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلاّ بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري .وقال له: قد كنت أعمى فردّ الله بصري وفقيراً فقد أغناني ، فخذ ماشئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيئ أخذته لله.فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[1] .

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٦١٢، رقم الحديث: ٣٤٦٤، و مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٨/ ٣٩٨، رقم الحديث: ٢٩٦٤، مرجع سابق .

ذكر ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في شرحه للحديث: أن في الحديث اتعاظاً بمن مضىٰ، وفيه التحذير من كفران النعم والزجر عن البخل؛ لأنه حمل صاحبه علىٰ الكذب وعلىٰ جحد نعمة الله تعالىٰ. وفيه فضل الصدقة والحث علىٰ الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم [1]، والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم[2].

ومماسبق يتبيّن دور القصة في التحذير من المعاصي في السنة النبوية المطهرة، فيتعيّن علىٰ الداعية أن يهتم بهذا القصص النبوي الشريف وأن يستثمر فاعليته في الدعوة وتأثيره في النفوس، فهو مما يضفي علىٰ أساليب مخاطبة الناس التنويع المؤدي للتشويق، وهذه من الأمور التي ينبغي أن يحرص الداعية علىٰ توفرها.

هـ ـ التحذير من المعاصي من خلال التذكير بنعم الله تعالى في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا سابقاً أن من النعم ما يحول ويزول وهي النعم الدنيوية. ومنها ما لا يحول ولا يزول وهي النعم الأخروية. والتذكير بهما من الأساليب التي استخدمها المصطفىٰ ﷺ في التحذير من المعاصي، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال مارواه البخاري رحمه الله تعالىٰ عن عبدالله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله علىٰ رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذْ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال: «**يامعشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي،وعالة فأغناكم الله بي**؟ كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال: ما

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦/ ٦١٥، مرجع سابق.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٨/ ٣٩٩، مرجع سابق.

يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟ قال: كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال: **لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً، لسلكت وادي الأنصار وشعبها الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»** (١).

ففي الحديث: يذكّر الرسول ﷺ الأنصار بأفضال الله عليهم به في الدنيا والآخرة، يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الحديث: « فإنه لو لا هجرته إليهم وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد نبّه على ذلك بقوله ﷺ: «**ألا ترضون** الخ» فنبههم على ماغفلوا عنه من عظيم ما اختصوا به منه بالنسبة إلى ماحصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية» (٢).

ومما سبق يتبين أن الحاجة قد تستدعي هذا الأسلوب مما ينبغي على الداعية أن يفطن، له فعليه أن يذكّر بما يعلمه من نعم الله تعالى الخاصة على المدعوين، ففي التذكير بها معاتبة لطيفة، وفيه إقامة حجّة بيّنة لا أحد يستطيع أن ينكرها إلا الجاحد لنعم الله عز وجل، وفيه إفحام بالحق لطيف لا يملك المدعو الموفق إلاّ الاستسلام له.

وعلى الداعية أيضاً أن يقوي إيمان من فاته شيء من الدنيا بالتسرية عن طريق التذكير بنعيم الآخرة، وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وعليه التنبيه إلى ضرورة تقديم جانب الآخرة على الدنيا والصبر عما فات منها ليد خر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٠٦.

(٢) ابن حجر، فتح الباري صحيح البخاري: ٨/ ٦٤، مرجع سابق.

وما أحوجنا في هذا العصر إلى هذا الأسلوب بعدما طغت المادة ـ نسأل الله العافية ـ على كثير من الناس، مما جعل ذلك يحول دون استحضار واستشعار وتذكرّ النّعيم الدائم في اليوم الآخر.

و ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب المدح في السنة النبوية المطهرة:

استخدم الرسول ﷺ أسلوب المدح في التحذير من المعاصي، وذلك بأن ذكر الممدوح بأوصافه ومميزاته ونهى وحَذّر من خلال هذا الأسلوب عن بعض المنهيات، فمن ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولانصيفه**»(١).

ففي الحديث: نهي وتحذير من المصطفى ﷺ عن سبّ أصحابه رضي الله عنهم، يقول ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الحديث: «فنهي بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه بذلك عن سبّ من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى»(٢). والعلّة والله أعلم في النهي عن سب صحابة النبي ﷺ هي أن المصطفى صرّح بإيمانهم وبشّر بعضهم بالجنّة، فسبّهم يتضمن تكذيباً للرسول ﷺ وتكذيب النبي ﷺ، كفر(٣). وقد مدح أصحابه عليه الصلاة والسلام وأضافهم لنفسه في قوله: «**أصحابي**»، وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**»، قال البيضاوي: «معنى هذا لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الفضل والأجر ما ينال

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٧/ ٢٧، رقم الحديث: ٣٦٧٣، مرجع سابق.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٧/ ٤٤، مرجع سابق.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٧/ ٤٤.

أحدهم بإنفاق مدّ طعام أو نصيفه »[1] . ففي الحديث : تحذير من الرسول ﷺ لأصحابه من سب بعض أصحابه لأن قوله : «**لو أن أحدكم**» فيه إشعار بأن المراد بقوله «**أصحابي**» أصحاب مخصوصون وإلاّ فالخطاب كان للصحابة . وفي ذلك تحذير للأمة من بعدهم من سب الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ : «**نعم الحيّ الأسد**[2] ، **والأشعريون لا يفرون في القتال ولا يغلون ،هم منّي وأنا منهم**»[3] .

ففي هذا الحديث مدح الرسول ﷺ حي الأسد والأشعريين وبيّن خصالهم التي استحقوا عليها الثناء ، وهي أنهم لايفرون في القتال ولا يخونون في المغنم .

فعلىٰ أن الحديث فيه تزكية من الرسول ﷺ لهذين الحيين لتميّزهم عن غيرهم بهذه الصفات الحميدة ، إلاّ أن فيه تحذيراً للأمة من الفرار من القتال إذا لم يزد العدو علىٰ ضعف المسلمين إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلىٰ فئة وإن بعدت ، قال تعالىٰ : ﴿**وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4][5] .

وكذلك في الحديث : تحذير من الغلول وهو الخيانة في المغنم وغيره . وقيل : هو الخيانة في الغنيمة خاصة . وعلىٰ كل ، فالأخذ من الغنيمة قبل القسمة أو الأخذ من أموال الأمة بغير حق حرام ، وهو كبيرة من الكبائر التي ورد الوعيد

---

(١) المرجع السابق : ٧/ ٤٤ .

(٢) الأسد : هم الأزد ، انظر : الترمذي ، الجامع الصحيح : ٥/ ٦٨٧ ، مرجع سابق .

(٣) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٥/ ٦٨٧ ، رقم الحديث : ٣٩٤٧ ، قال عنه : حديث حسن .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ١٦ .

(٥) محمد أحمد الذهبي ، الكبائر : تحقيق : أسامة صلاح الدين منيمنة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة : الرابعة ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ١١٦ .

عليها والتنفير منها [1] . فليس من شأن المؤمن ولا من أخلاقه الفاضلة أن يقدم على شيء من ذلك بدافع ورعه وخوفه من الله تعالى وحرصه على المال العام للأمة كلها . ولأن السرقة من المال العام ذات شأن خطير ، وإن تطلّع أصحاب الرّقة في الدين بعين الجشع إلى هذا المال مدعاة إلى إضاعته على الأمة . ولهذا جاء التحذير والتنفير منه في هذا الحديث بصورة المدح .

وعلى كل حال فالأحاديث السابقة مجرد أمثلة ونماذج تثبت استخدام الرسول ﷺ لأسلوب المدح في التحذير من المعاصي . وإلا فالمجال رحب والأمر واسع أمام الداعية لاستخدام هذا الأسلوب في هذا الجانب، وبإمكانه مثلاً مدح الإسلام والثناء عليه من خلال إبراز محاسنه وصفاته ومميزاته في العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات . . . إلى غير ذلك من المحاسن التي يعجز الإنسان عن حصرها . أومدح القرآن لما فيه من خير وصلاح وفلاح لمن تعلّمه وعمل بما فيه . ومدح الرسول ﷺ لأنه ما من خير إلاّ ودلّ الأمة عليه . وما من شر إلاّ وحذّر ونفّر الأمة منه وكان هو بنفسه مثالاً يحتذى في طاعة الله واجتناب نواهيه . وكذلك مدح الصحابة لأنهم كانوا النواة الأولى لهذه الأمة العظيمة وهم بتوفيق الله الذين ناصروا دينه وجاهدوا في سبيله وامتثلوا لأوامره واجتنبوا محارمه . وخلاصة القول هو أن مجالات المدح في الدين كثيرة جداً يصعب حصرها، لكن الذي ينبغي التنبيه عليه هو أنه ينبغي على الداعية أن يقف على هذا الأسلوب ويهتم به ويفعّله في صالح الدعوة بشكل عام، ثم في مجال التحذير من المعاصي بشكل خاص لكثرتها وتنوعها في هذا العصر بالذات، فكل مجال

(١) انظر : المرجع السابق : ١٥٩ ، وانظر : علي الشربجي ، الزواجر في التحذير من الكبائر ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ١٢٧ .

من هذه المجالات المذكورة وغيرها له أثره في التحذير من المعاصي على أن يكون استخدام الداعية لهذا الأسلوب على ضوء الكتاب والسنة.

ز ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الذّم في السنة النبوية المطهرة:

السنة النبوية المطهرة هي الأخرى شأنها شأن القرآن الكريم: حذّرت ونهت عن ارتكاب المعاصي باستخدام الذّم، حيث ذمتها في ذاتها بأسماء قبيحة أشبه ما تكون بالكنايات عنها، تعبر عن أخطارها وأثارها السيئة لكي تنفّر الناس منها، ومن هذه الأسماء: الكبائر، والموبقات والفواحش، والفجور، والخيانة، المنتنة، . . . إلى غير ذلك من الأسماء الذميمة، فبالنسبة للكبائر والموبقات، فقد جاءت عن المعاصي في الحديث الذي رواه البخاري رحمه تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا يارسول الله وماهن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

فالشاهد من الحديث أن النبي ﷺ نهى عن هذه الجرائم السبع وأردف مع هذا النهي بأن ذمّها لينفر منها حيث سّماها بالموبقات، وهو اسم مذموم يعني: المهلكات، وسميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها، والمراد بالموبقة هنا: الكبيرة(٢).

وسّماها كذلك بالفواحش، وهو اسم مذموم أيضا، روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد أغير من الله، من**

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ٢٢٤.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري: ١٢/ ٢٢٥، مرجع سابق.

أجل ذلك حرّم الفواحش» [1] . والفواحش : الكبائر من المعاصي .

وهي توصل للفجور، قال عليه الصلاة والسلام : «**وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**» [2] .

ففي الحديث : تحذير من الكذب بأسلوب الذّم؛ لأنه إذا تساهل فيه كثر منه فَعُرِف به وكتبه الله لمبالغته إن اعتاده كذاباً [3] .

وسمىٰ ﷺ بعضها : المنتنة كالعصبيّة الجاهلية حيث قال عليه الصلاة والسلام فيها : «**دعوها فإنها منتنة**» [4] . ومعنىٰ منتنة : أي قبيحة، كريهة، مؤذية [5] .

واستعاذ الرسول ﷺ من المعاصي، ومن أبرزها الخيانة فقال : «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**»[6] .

والبطانة : ضد الظهارة . والخيانة هنا قد تكون خيانة لله تعالىٰ وقد تكون للنفس وقد تكون للخلق وقد تكون للكل، ولهذا ذمّها المصطفىٰ ﷺ بقوله : «**فإنها**

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٩/ ٣٩٦، رقم الحديث : ٥٢٢٠، مرجع سابق .

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١٢٣ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٢٦٠٧/ ١٠٥ ، مرجع سابق .

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم : ١٦/ ١٢٣ ، مرجع سابق .

(٤) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١٠٧ ، جزء من الحديث ذي الرقم : ٢٥٨٤/ ٦٣ مرجع سابق .

(٥) النووي ، شرح صحيح مسلم : ١٦/ ١٠٧ ، مرجع سابق .

(٦) أبوداود، السنن : ٢/ ١٢٩ ، رقم الحديث : ١٥٤٧ ، ومحمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود : ١/ ٤٢٤ ، رقم الحديث : ١٥٤٧ ، وقال عنه : حسن، مرجعان سابقان .

بئست البطانة».

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي تذم المعاصي وتحذر منها وتبين خطرها، وسبق أن أوضحنا في المطلب الأول أن من عقوبات المعاصي أنها تكسب صاحبها أسماء مذمومة كالفاجر، والزاني، والخائن، والسارق، والكاذب، والغادر.. إلىٰ غير ذلك.

فهذه الألقاب المذمومة تلحق بمرتكبي المعاصي بحكم الشريعة.

ومع أن هذه المعاصي تورث لصاحبها الهوان والصغار في الدنيا، فهي كذلك تجلب لمقترفها الإفلاس في الآخرة، روىٰ الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[1].

ومما سبق يتبيّن أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب الذّم في التحذير من المعاصي للتنفير منها والحذر من قربها؛ لأنها مهلكة في الدنيا والآخرة، وهذا يعطي الداعية إلىٰ الله مادة أصيلة ينبغي توظيفها لصالح الدعوة؛ لأن كل ماورد في السنة النبوية المطهرة وقبلها القرآن الكريم من الذّم للمعاصي وأهلها يكشف أخطارها وآثارها السيئة ببيان الحكمة من تحريمها واجتنابها، فيسند ذلك دليل التحريم والنهي فيستجيب المخاطب باقتناع، وبهذا تتضح فائدة هذا الأسلوب.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/ ١٠٥، حديث رقم: ٢٥٨١، مرجع سابق.

ح - التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الترغيب في السنة النبوية المطهرة:

نوّع الرسول ﷺ في أساليب التحذير من المعاصي، وكان من ضمن تلك الأساليب: أسلوب الترغيب في ترك المعاصي، فمما ورد في السنة النبوية المطهرة في هذا الشأن: ماوراه الترمذي رحمه الله تعالىٰ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة ،ومن ترك المراء**[1] **وهو محق بني له في وسطها ومن حسّن خلقه بني له في أعلاها**» [2].

شرح الحديث:

ذكر المباركفوري في التحفة: « أن معنىٰ قوله: «**من ترك الكذب**» أي: وقت مرائه كمايدل عليه القرينة الآتية ويحتمل الاطلاق والله أعلم. وقوله: «**وهو باطل**» جملة معترضة بين الشرط والجزاء للتنفير من الكذب، فإن الأصل فيه أنه باطل. أو جملة حالية أي: والحال أنه باطل لا مصلحة فيه من مرخّصات الكذب: كما في الحرب أو إصلاح ذات البين، والمعاريض. أو أنه حال من الفاعل أي: وهوذو باطل بمعنىٰ صاحب بطلان.

بني له: بصيغة المجهول أي بنىٰ الله له قصراً. وقوله: «**في ربض الجنة**»، أي: في أدناها. وقوله: «**ومن ترك المراء**»، أي: الجدال. وقوله: «**وهو محق**»، أي: صادق ومتكلم بالحق. وذلك لتركه كسر قلب من يجادله ودفعه رفعة نفسه، وإظهار نفاسة فضله» [3].

---

(١) المراء: هو المنازعة في القول أو العمل والاعتقاد بقصد الباطل، فإن كان بقصد الحق فهو جدال. الجامع الصحيح للترمذي: ٤/ ٣١٥.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٣١٥، رقم الحديث: ١٩٩٣، قال عنه: حديث حسن.

(٣) انظر: المباركفوري، تحفة الأحوذي: ٦/ ١١٨-١١٩، مرجع سابق.

فالشاهد من الحديث : أن الرسول ﷺ استخدم في التحذير من الكذب والمراء أسلوب الترغيب في تركهما وأن جزاء ذلك الجنة . وأعمّ من ذلك وأشمل ما رواه البخاري رحمه الله تعالىٰ في هذا الشأن ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال : «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك: فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن همّ بسيّئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**» (١) .

فالشاهد في الحديث قوله : «**ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة**» : تحذير من فعل السيئة جاء بصيغة الترغيب في تركها ، حيث من تركها فله حسنة كاملة أي يكتب له مثل ثواب الحسنة .

ومما سبق يتضح أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب الترغيب في ترك المعاصي أثناء التحذير منها ، فينبغي علىٰ الداعية أن يعلم ذلك وأن يقف عند تلك النصوص ويسترشد بها ، فكل ما استخدمه المصطفىٰ ﷺ من أساليب في الدعوة إلىٰ الله بما في ذلك التحذير من المعاصي فيه الخير والبركة والصلاح ، والله تبارك وتعالىٰ عندما يقرر شيئاً من تلك الأساليب في كتابه وعلىٰ لسان نبيه محمد ﷺ هو أعلم وأخبر بالنفوس وبما يصلح لها من الأساليب والتحذيرات ، فينبغي علىٰ الداعية أن يتأمل هذا وأن يحيي تلك الأساليب الدعويّة فذلك من إحياء السنة .

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١١/ ٣٩٢ ، رقم الحديث : ٦٤٩١١ ، مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي : ٢/ ٣١١ ، رقم الحديث : ١٢٨ ، مرجعان سابقان .

ط ـ التحذير من المعاصي من خلال أسلوب الترهيب في السنة النبوية المطهرة:

السنة النبوية المطهرة نهجت نهج القرآن الكريم في هذا الشأن، فكان للتحذير من المعاصي من خلال الترهيب عدة صور، ولسعة هذا الجانب سأكتفي ببعض الأمثلة، لعل أبرزها ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن عقوبات بعض الجرائم التي كتبها الله عز وجل علىٰ مرتكبيها: فعن سمرة بن جندب قال: «كان النبي ﷺ إذا صلىٰ صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأىٰ منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأىٰ أحد قصّها، فيقول ماشاء الله. فسألنا يوماً فقال: هل رأىٰ أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: **لكنّي رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد ـ قال بعض أصحابنا عن موسى: كلوب من حديد يدخله في شدقه ـ حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيضع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجرفانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه فضربه قلت: من هذا؟قالا:انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقّد تحته ناراً فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها ،وفيها رجال ونساء عراة فقلت: من هذا؟ قالا:انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم. فيه رجل قائم على وسط النهر رجل بين يديه حجارة ـ قال يزيد ووهب بن جرير عن جرير بن حازم: وعلى شط النهر رجل ـ فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان. فقلت: ماهذا؟قالا: انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من**

الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أرَ قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت: طوّفتماني اللّيلة فأخبراني عما رأيت . قالا : نعم. أما الذي رأيته يُشق شدقه فكذاب يحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به مارأيت إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علّمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيته في الثقب فهم الزناة. والذي رأيته في النهر آكلوا الربا. والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله أولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار. والدار الأولى التي دخلت دار عامّة المؤمنين وأمّا هذه الدّار فدارالشهداء.وأنا جبريل، وهذا ميكائيل .فارفع رأسك. فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا:ذلك منزلك .قلت:دعاني أدخل منزلي. قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك» (١) .

فهذه العقوبات وهذا العذاب الذي يلحق مقترفي تلك المعاصي المذكورة في البرزخ، ويستمر إلى يوم القيامة كما نص عليه الحديث هي أحد صور الترهيب التي استخدمها الرسول ﷺ في التحذير من المعاصي، ولا شك أن استخدام الداعية لمثل هذه الصورة في التحذير من المعاصي له وقعه النفسي الكبير لما تضمّنه هذا الحديث الشريف من حقائق شرعية صحيحة عن تلك العقوبات التي تقشعر منها الجلود وتخاف منها القلوب .

ومن تحذير المصطفى ﷺ من خلال الترهيب كذلك مارواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي ذرّ عن النبي ﷺ قال : «**ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة**

(١) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٣١٨، رقم الحديث: ١٣٨٦، مرجع سابق.

ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبوذرّ: خابو وخسروا من هم يارسول الله؟قال: **المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»** (١).

ونظائر ذلك كثيرفي السنة النبوية المطهرة. فهل بعد هذا التهديد والوعيد والتخويف شيء أكبر منه؟ وهل بعد عذاب النار عذاب أعظم منه؟ إنها النار أشد العذاب وشره وأخبثه، وهي عذاب الله فلا يعذب بها إلاّ ربها وخالقها، فهي دار الذّل والهوان والأغلال والإنكال، دار الحشر والعبرات والزفرات، دار الشقاء والبكاء، دار الزقوم والحميم، دار لايُرحم فيها الباكي ولا يستجاب فيها للداعي عياذاً بالله منها.

ونكتفي بهذا في هذا المقام، وإلاّ فإن السنة النبوية المطهرة مليئة بالنصوص الصحيحة التي تبين حقيقة أثر المعصية على فاعلها سواء في الدنيا أو في البرزخ أو يوم القيامة، وتخوّف كل من توسوس له نفسه بفعل أي منها، وتحذره من الوقوع في شراكها، وقد حشدت السنة النبوية المطهرة لهذا الجانب الأحاديث الكثيرة ـ لا يتسع المجال هنا للإحاطة بها لأن المراد هنا التدليل على استخدام الرسول ﷺ لهذا الأسلوب في التحذير من المعاصي ـ لكن يلزم الداعية وهو يتناول هذا الموضوع الرجوع إلى تلك النصوص وسيجد أنواعاً كثيرة من صور الترهيب التي استخدمها المصطفى ﷺ في التحذير من المعاصي، والتي ترشد الداعية إلى كل خير، فهي صالحة لكل المواقف والظروف والأحوال الدعوية التي يمر بها الداعية سيما في العصر الحاضر الذي كثرت فيه المعاصي وكبرت وتنوعت، ومن هنا فالداعية اليوم بحاجة إلى الإلمام والإحاطة بكل ما ينفّر ويحذّر من المعاصي في كل من الكتاب والسنة.

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ٥٦٣.

٣ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال إظهار الرحمة بالمدعوين في السنة النبوية المطهرة:

الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين كلهم، بل كأن الغاية من رسالته محصورة في الرحمة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

والرحمة المذكورة هنا يقصد بها الرحمة العامة لكل الخلق، تراحماً عاماً ليلقى المسلم الناس قاطبة وقلبه لهم بالعطف مملوء، وبالبر مكنون، لأن الرحمة الخاصة قد تتوفر في بعض الناس، فيرق لأولاده حين يلقاهم، ويهش لأصدقائه حين يجالسهم، ولكن الرحمة المطلوبة من القدوة أوسع من ذلك وأرحب قال ﷺ: «**ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء**»(٢).

ولا تنزع الرحمة إلا من شقي، أولئك هم غلاظ الأكباد الجبارون المستكبرون. والقسوة في خلق الإنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ الأمة دليل فساد خطير. والداعية المخلص المحتسب قلبه كبير، قلما تستجيشه دوافع القسوة، فهو أبداً إلى الصفح والعفو أميل وعن الضغينة والغلظة أبعد.

ولإظهار الرحمة بالمدعوين صور منها:

أ ـ القول اللين.

ب ـ الكلمة الاستعطافية.

جـ ـ المشاركة الوجدانية.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ٤/ ٢٨٥، رقم الحديث: ١٩٢٤، قال عنه: حديث حسن صحيح.

ولزيادة بيان دور هذا الجانب نتناول هذه الصور، كل منها على حدة فيما يلي:

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال القول اللين اللطيف في السنة النبوية المطهرة:

والقول اللين اللطيف ضدّ الغلظة والفحش، وقد أمر الرسول ﷺ بالرفق واللين في القول ونهى عن الفحش والتفحش، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن رهط من اليهود على رسول ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة: فقال رسول الله: **ياعائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: **قد قلت وعليكم**»(١).

وفي رواية: «**مه ياعائشة فإن الله لايحب الفحش والتفحش**»(٢).

وكلمة «**مه**»: كلمة زجر عن الشيء، وأمَّا الفحش فهو القبيح من القول والفعل(٣).

يقول النووي رحمه الله تعالى: في الحديث تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم تترب عليه مفسدة. وذكر أن الشافعي رحمه الله تعالى قال: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل(٤).

ولهذا ينبغي على الداعية أن يتحلى باللين في القول واللطف في الكلام أثناء دعوته، وأن يتخلق بأخلاق الرسول ﷺ. فالرسول عليه الصلاة والسلام لم ينه

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٣٢٢، رقم الحديث: ٢١٦٥، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق: ١٤/ ٣٢٣، رقم الحديث: ١١/ ٢١٦٥.
(٣) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٣٢٣، مرجع سابق.
(٤) المرجع السابق: ١٤/ ٣٢٣.

عن الغلظة والفحش فحسب، بل طبق القول اللين في دعوته للناس، فقد روىٰ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ عن أبي أمامة قال: «إن فتىٰ شاباً أتىٰ النبي ﷺ فقال: يارسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال: ادنه، فدنا منه قريباً قال: فجلس، قال: **أتحبه لأمك؟** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، **قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ،قال: أفتحبه لابنتك؟** قال: لا والله يارسول الله، جعلني الله فداءك، **قال:ولا الناس يحبونه لبناتهم،قال:أفتحبه لأختك؟** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: **ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال:أفتحبه لعمتك؟** قال: لا والله، جعلني الله فداءك، **قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال:أفتحبه لخالتك؟** قال: لا والله جعلني الله فداءك، **قال:ولا الناس يحبونه لخالاتهم،** قال: فوضع يده عليه وقال: **اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه.** فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء» (١).

وروىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ: «**دعوه، وهريقوا علىٰ بوله سجلاً من ماء ـ أو ذنوباً من ماء ـ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» (٢).

وفي رواية الترمذي أنه صلىٰ ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال له النبي ﷺ: **لقد تحجرت واسعاً**» (٣).

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ١٤١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١/ ٤٢١، رقم الحديث: ٢٢٠، مرجع سابق.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح: ١/ ٢٧٥، رقم الحديث: ١٤٧، مرجع سابق، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

ففي الأحاديث الشريفة السابقة حذّر النبي ﷺ من المعاصي والذنوب، ونفرّ وزجر باستخدام أسلوب الرفق واللين والقول اللطيف، ولهذا ينبغي على الداعية أن يستنير بهذه التوجيهات النبوية الشريفة وهو يقوم بالتعليم والتربية والتوجيه والدعوة بشكل عام، وخاصة في التحذير من المعاصي والمحرمات . لأن القول اللين حينما يخاطب به مرتكب المعصية أو من يرغب فيها يزيل الغشاوة التي تحجب التفكير الصحيح كما تبين ذلك من حديث الفتى الذي يطلب من الرسول ﷺ أن يسمح له بالزنا، وأيضاً القول اللين يزيل مكابرة الجاهل والاستمرار على الخطأ كما في الحديث الآخر .

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال الكلمة الاستعطافية في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا آنفاً أن الكلمة الاستعطافية هي أحد صور الكلمة الطيبة التي تذكر بأواصر القربى وتثير مواطن الحب والشفقة، ومن أمثلتها قول الداعي للمدعو: يابني ، ياقوم، يا أخي، ونحو ذلك وكذلك قول الداعي للمدعو: إني أخشى عليك، وإني أخاف عليك . . وقد استخدم الرسول ﷺ تلك الكلمات في دعوته للناس وتحذيرهم من المعاصي والمحرمات من ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «إن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: **إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض**. ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى الأخرى فقام رجل فقال: يارسول الله أويأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي ﷺ ، قلنا يوحى إليه ، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير. ثم إنه مسح على وجهه الرُّحضاء فقال: **أين السائل آنفاً؟ أو خير هو ـ ثلاثاً .إن الخير لا يأتي إلاّ بالخير. وإنه كل ما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم،**

أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فتلطت وبالت ثم رتعت. وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين ومن لم يأخذها بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة (١) ».

فالرسول ﷺ في هذا الحديث يحذر من الدنيا وزينتها من خلال استخدامه للكلمة الاستعطافية وهي قوله : «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض»، حيث بدأ بها الحديث ثم حذر من بعض المعاصي كالإسراف واكتساب المال من غير حله يقول ابن حجر رحمه الله تعالى : «في الحديث أن المكتسب للمال من غير حله لايبارك له فيه لتشبيهه بالذي يأكل ولا يشبع . وفيه ذم الإسراف وكثرة الأكل والنهم فيه، وأن اكتساب المال من غير حّله وكذا إمساكه عن إخراج الحق منه سبب لمحقه، فيصير غير مبارك» (٢) .

وذكر ابن حجر قولاً للطيبي يقول فيه : «يؤخذ من الحديث أربعة أصناف :

ـ فمن أكل منه أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تتفتح أضلاعه ولايقلع فيسرع إليه الهلاك .

ـ من أكل كذلك لكنه أخذ في الاحتيال لدفع الداء بعد أن استحكم فغلبه فأهلكه .

ـ ومن أكل كذلك بادر إلى إزالة ما يضره وتحيل في دفعه حتى انهضم فسلم .

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ٦/ ٦٠، رقم الحديث: ٢٨٤٢، مرجع سابق .
(٢) ابن حجر، فتح الباري : ١١/ ٢٩٨، مرجع سابق .

ـ ومن أكل غير مفرط ولا منهمك وإنما اقتصر على ما يسد جوعته ويمسك رمقه .

فالأول مثال الكافر . والثاني مثال العاصي الغافل عن الإقلاع والتوبة إلاّ عند فوتها . والثالث مثال للمخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة . والرابع مثال الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة [1] وبعضها لم يصرح به في الحديث وأخذه منه محتمل .

ففي الحديث السابق تشبيهات بديعة للتحذير من المعاصي وهذا ماينبغي أن يفطن له الداعية، حيث ينبغي عليه أن ينوع في أساليبه وأن يستخدم الكلمات الاستعطافية لأن لها وقعاً في النفس كبيراً وأثراً في الوجدان عميقاً، فحينما يبدأ الداعية حديثه للمدعوين بقوله إني أخشى عليكم وأخاف عليكم كذا وكذا، فإن تلك الصيغ تحمل التحذير مما يخاف منه بأسلوب الشفقة والرحمة، وهذا يساعد الداعية كثيراً في قبول حديثه وموعظته وتحذيراته .

وهذا ما حصل في الحديث السابق، فينبغي على الداعية الاهتداء بهذا التوجيه النبوي الكريم في دعوته إلى الله وتحذيراته من معاصيه .

جـ ـ التحذير من المعاصي من خلال المشاركة الوجدانية في السنة النبوية المطهرة:

للمشاركة الوجدانية صور عديدة منها : المشاركة في الأفراح والتهنئة بذلك، ومشاركة غيره في الأتراح وتعزيتهم على ذلك ، ومنها عيادة المريض، والاستشارة . . . إلى غير ذلك . وهذه الصيغة لا تتأتى إلاّ بتمكن المحبة العامة لعموم المسلمين في القلوب، فالمحبة هي الدافع للمشاركة في تلك الصور المذكورة .

(١) المرجع السابق : ١١/ ٢٩٩ ، باختصار .

وكان للمشاركة الوجدانية عند رسول الله ﷺ دور كبير في التحذير من المعاصي وفي نجاة كثير من الخلق من النار، فكانت الهدية والعطية ـ التي هي من صور المشاركة الوجدانية ـ من الأساليب العملية التي استخدمها المصطفى ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، وفي التحذير من المعاصي بشكل خاص التي إذا تركت تلك الذنوب كانت سبباً بإذن الله إلى النجاة من النار، ولنسمع التوجيه النبوي الكريم في ذلك حيث قال: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبّ في النار على وجهه**»(١).

وأيضاً يحذر المصطفى ﷺ من بعض الأمور من خلال المشاركة الوجدانية خشية الوقوع في المعاصي، نلحظ ذلك في توجيهه عليه الصلاة والسلام في حديثه الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أباذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**»(٢).

فالرسول ﷺ في هذا الحديث يبدأ بطمأنة أبي ذر بأنه يحبه، وأنه يحب له مايحب لنفسه الزكية، وهذه أحد صور المشاركة الوجدانية، وبعد ذلك يحذره من الإمارة والولاية على مال اليتيم لما يعلم عليه الصلاة والسلام من أبي ذر من الضعف في تلك الأمور.

ويستفاد من الحديث ما ذكره النووي رحمه الله تعالى حيث قال: «هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٣/ ٤٢٩، رقم الحديث: ١٤٧٨، مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٥٢٧، رقم الحديث: ١٨٢٦، مرجع سابق.

بوظائف تلك الولاية، وأما إن كان أهلاً للولاية وعدلاً فيها فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: «**سبعة يظلهم الله**»[1]، وحديث: «**إن المقسطين على منابر من نور**»[2]، وغير ذلك، وإجماع المسلمين منعقد عليه. ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره ﷺ[3] من خلال إخباره بالمحبة له التي هي عماد المشاركة الوجدانية.

ومما سبق يتضح أن إبراز الداعية لصور المشاركة الوجدانية في حال دعوته يكون سبباً لقبول الدعوة وترك المحرمات، وترك ما يكون سبباً لارتكابها، فعلى الداعية أن يفطن لذلك وأن يستخدم المشاركة الوجدانية بمختلف أشكالها وصورها في الدعوة إلى الله تعالى بشكل عام، وفي التحذير من المعاصي بشكل خاص؛ لأنها أسلوب عملي يصدق محبة القلب فتزول الحواجز النفسية: من وحشة ومكابرة وغيرها من نفوس المدعوين وخاصة ممن يتلبس بالمعاصي والذنوب.

(١) الحديث سبق تخريجه، ص: ٤٠٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٥٢٧، رقم الحديث: ١٨٢٧، مرجع سابق.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٢/ ٥٢٧، مرجع سابق.

٣ ـ التحذير من المعاصي بالمنهج العاطفي من خلال قضاء الحاجات وتأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة:

هذا الجانب له صورتان :

أ ـ قضاء الحاجات .

ب ـ تأمين الخدمات .

ولكي يتضح دورهذا الجانب في التحذير من المعاصي في السنة النبوية المطهرة نتناول كل صورة من صوره على حدة ونبين دورها في ذلك على النحوالتالي :

أ ـ التحذير من المعاصي من خلال قضاء الحاجات في السنة النبوية المطهرة:

ذكرنا في المطلب الأول أن الفقر يكاد يُورِّث الكفر، وأن القرآن الكريم سجلّ حقيقة تاريخية رهيبة حيث أقدم البعض من الناس على قتل أولادهم خشية الفقر ومن الفقر، ولهذا نرىٰ السنة النبوية تحذر من فعل ذلك وتجعله بعد الشرك الأكبر فقد سئل الرسول ﷺ أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: **أن تجعل لله نداً وهو خلقك**. قلت: **ثم** أي ؟ قال: **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**»[1] .

والفقر من أخطر الآفات على العقيدة الدينية وبخاصة الفقر المدقع الذي بجانبه ثراء فاحش، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح والمترف هو المتبطل القاعد، فالفقر حينئذ مدعاة ـ عند ضعفاء الإيمان ـ للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون وللارتياب في عدالة التوزيع الإلهي للرزق، ومثل هذا هو الذي جعل شاعراً قديماً يقول :

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص: ٢٣١ .

كم عالم عـــالم أعيت مذاهـبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الألباب حـــائرة وصيّر العالم النـحرير زنديقاً

فإذا لم يؤد الأمر إلى مثل هذا الضلال البعيد، أدى إلى نظرة جبريّة قائمة على نحو ما قال القائل:

الرزق كالغيب بين الناس منقسم هذا غريق وهذا يشتهي المطر

يسعى القـــوي فلا ينال بسعيه حظاً ويحظى عـــاجز ومهين

هذا الانحراف العقدي الذي نشأ من الفقر هو الذي جعل بعض السلف يقول: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر: خذني معك!! (١).

ولاعجب أن يستعيذ رسول الله ﷺ من الفقر مقترناً بالكفر في سياق واحد حيث قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**» (٢). ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً: «**اللهم أني أعوذ بك من الفقر والقلة والذّلة**»(٣).

وإذا كان الفقر خطراً على الدين باعتباره عقيدة وإيماناً فليس بأقل خطورة عليه باعتباره خلقاً وسلوكاً، فإن الفقير المحروم كثيراً ما يدفعه بؤسه وحرمانه - وخاصة إذا كان إلى جواره الطاعمون الناعمون - إلى سلوك ما لاترضاه الفضيلة

(١) انظر: يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: ١٥، مرجع سابق.

(٢) محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٤٠٥هـ: ٢/ ٧٦٣، رقم الحديث: ٢٤٨٠، والألباني، صحيح سنن النسائي: ١/ ٤٣٢، رقم: ١٣٤٦، وقال عنه: صحيح الإسناد. والمسند بشرح حمزة الزين: ١٥/ ١٩٨، برقم: ٢٠٢٦٠، قال عنه الشيخ الزين: إسناده صحيح مرجعان سابقان.

(٣) أبو داود، السنن: ٢/ ١٢٩، رقم الحديث: ١٥٤٤، والألباني، صحيح سنن أبي دواد: ١/ ٤٢٣، رقم الحديث: ١٥٤٤ وقال عنه: صحيح، مرجعان سابقان.

ولا الخلق الكريم ، ولهذا قالوا : صوت المعدة أقوىٰ من صوت الضمير ، وقد بيّن المصطفىٰ ﷺ شدة وطأة الفقر علىٰ صاحبه وأثره في سلوكه ، نلحظ ذلك في قوله ﷺ : «**إن الرجل إذا غرم ـ استدان ـ حدّث فكذب، ووعد فأخلف**» (١) .

وفيه إشارة إلىٰ علاقة الحاجة بالرذّيلة والغنىٰ بالفضيلة ، يؤكد ذلك مارواه الإمام مسلم رحمه الله تعالىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، قال:اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون:تصدق على غني، قال: اللهم لك الحمد على غنى ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على زانية وعلى غني، وعلى سارق، فأتي فقيل له: أمّا صدقتك فقد قبلت، أمّا الزانية فلعلّها تستعف بها عن زناها، ولعل الغني يعتبر فينفق مما أعطاه الله، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته**» (٢) .

فظهر بهذا أثر الغنىٰ في استعفاف الرجل عن السرقة واستعفاف المرأة عن الفاحشة .

وهكذا يعترف الإسلام بالظروف الاقتصادية وبأثرها علىٰ السلوك كنوع من الحاجات المختلفة ، حيث تكون في كثير من الأحيان أسباباً لارتكاب الجرائم والمحرمات ، ولهذا نراه من خلال السنة النبوية المطهرة يأمر بإعانة المحتاج ومساعدته مهما كانت حاجته ويحث علىٰ قضائها ويرغب فيه . ومن ذلك قوله ﷺ : « **من لا يرحم لا يرحم**» (٣) .

---

(١) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ٥/ ٢٣٩، رقم الحديث: ٥٨٩، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٧/ ٩١، رقم الحديث: ١٠٢٢ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٥٣٩، رقم الحديث: ٦٠١٣، مرجع سابق .

وقوله ﷺ : «**لن تؤمنوا حتى ترحموا، قالوا : كلنا رحيم يارسول الله. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة**»(١) .

وكذلك قوله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولايسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»(٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني**»(٣) .

وحث الرسول ﷺ على إعانة المحتاج الملهوف فقال : «**على كل مسلم صدقة**. قيل : أريت إن لم يجد قال : **يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق**. قال : قيل : أريت إن لم يستطع . قال : **يعين ذا الحاجة الملهوف**»(٤) .

وقال ﷺ أيضاً : «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(٥) .

إلى غير ذلك من التوجيهات النبوية الشريفة التي تحث وتأمر وترغب في قضاء الحاجات ومساعدة المحتاجين، والأمر أوضح من أن يستدل له بآية أو

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ١٠/ ٥٣٩، وقال عنه: أخرجه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٢/ ٤٠٤، رقم الحديث: ٦٥١، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق: ٩/ ٦٤١، رقم الحديث: ٥٣٧٣.

(٤) الحديث سبق تخريجه ص: ١١٨.

(٥) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/ ١٨٨، رقم الحديث: ٢٦٩٩ مرجع سابق.

حديث. فإن الأدلة عليه أبين من فلق الصبح، لأن طبيعة النظام الإسلامي كما رسمته آيات القرآن مكية ومدنية، وأحاديث الرسول ﷺ صحاحاً وحساناً تجعل التكافل والتآزر فيمابين أفراد المجتمع فريضة لازمة، والتعاون والمواساة ومساعدة المحتاجين واجباً لابد من أدائه، ولهذا صور النبي ﷺ هذا المجتمع فقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» (١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (٢).

ولخطورة عدم قضاء الحاجات التي بيّنها الإسلام من خلال النصوص النبوية الشريفة السابقة، والتي يترتب على عدم قضائها: إرتكاب للجرائم واقتراف للمعاصي، ينبغي على الداعية أن يفطن لهذا الجانب المهم وأن يوليه جلّ اهتمامه في حثّ الناس وأهل الخير والموسرين والأغنياء إلى البذل والعطاء ومساعدة المحتاجين، وأن يكون هو نفسه قدوة في ذلك إذا كان موسر الحال، أو بمشاركاته في جمع المال وتوزيعه على المحتاجين وتقديم العون لكل محتاج مهما كانت الحاجة حتى ينعم الجميع ويسلم المجتمع من أمراض المعاصي المهلكة، وما أحوج المسلمين في هذا العصر إلى إحياء هذا الجانب الدعوي العملي من خلال الدعاة المخلصين، وتبني المشاريع الخيرية النافعة التي يعود نفعها على المحتاجين من المسلمين، وما أكثر مثل تلك الفرص لمن وفقه الله تعالى إلى فعل الخير.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ١٠/ ٥٥٢، رقم الحديث: ٦٠٢٦، مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/ ١٠٨، رقم الحديث: ٢٥٨٦، مرجع سابق.

ب ـ التحذير من المعاصي من خلال تأمين الخدمات في السنة النبوية المطهرة:

تأمين الخدمات يقصد به تعهد المجتمع عن طريق الدولة للأفراد بحمايتهم وقائياً وعلاجياً ضد آفات الجهل والمرض والفقر بأن يقدم لهم الخدمات والإعانات الثقافية والعلمية والصحية والاقتصادية والأمنية والمعاشية . . . ليضمن لهم بها دائماً القدرة الجسميّة والعقلية والعلمية على الإبداع والإنتاج بمستويات رفيعة، ليحصلوا جميعاً وبأنفسهم على إشباع حاجاتهم المختلفة في مجالات النشاط الاقتصادي، والعيش براحة واطمئنان، وليضمنوا بذلك للمجتمع كله حياة صحية وثقافية وعملية واقتصادية وتجارية وأمنية سعيدة، وعنئذ تستطيع الدولة المكونة منهم أن تعاون غير القادرين على العمل لأسباب خارجة عن الإرادة، كصغرالسن والكبر والعجز والمرض وسائر العاهات، فتمدهم بالمساعدات الاجتماعية اللائقة فى أوقات العوارض والكوارث [1] . وهذا لا يعني ترك العمل والتواكل على عطاءات تلك المرافق التي فرضها التكافل الاجتماعي، بل إن إنشاء تلك المرافق والخدمات تقوم على أساس تهيئة الناس للعمل فيها باعتبارها المصدر الأساس لموارد السواد الأعظم منهم، والدولةفي الحكومات بمؤسساتها دائماً جاهزة لوضع العلاج المناسب لضمان وصول حد الكفاية من تلك الخدمات للأفراد. وإذا ما اضطربت الأوضاع أوقلّت موارد الدولة فإن واجب توفير وتأمين تلك الخدمات يقوم به الأفراد والأغنياء إمّا بالتعاون مع الدولة أو بتأمينها على حسابهم الخاص.

فلم يترك الإسلام هذا الأمر نظاماً فقط بل وضع له الحوافز المعنوية التي تؤثر

(١) انظر: أحمد صبحي العبادي، الأمن الغذائي في الإسلام، دارالنفائس، عمّان، الأردن، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٢٧٣.

في النفس ـ أكثر من القوانين ـ والمتمثلة في نظرة المسلم البعيدة إلى الدنيا والآخرة، ومن ذلك على سبيل المثال المجال الزراعي.

فقد اعتنت السنة النبوية المطهرة بهذا الجانب وأمرت بإحيائه وحثت عليه، ومن ذلك حث الرسول ﷺ على الزراعة وتشجيعه لذلك قال: «**من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق**» (١). وقال أيضا: «**من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه**» (٢).

وقال أيضاً حاثاً على الزراعة «**ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلاّ كان له صدقة**» (٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث والتوجيهات النبوية التي تحث على الزراعة واستصلاح الأراضي وإحيائها ويؤكد ذلك ويرسخه ممارسة الرسول ﷺ للزراعة وممارسة أصحابه رضي الله عنهم لها من بعده، وفعله التابعون والأمة حتى وقتنا الحاضر.

فإذا علم ذلك فإنه يلزم الداعية بحسّه المرهف بيان أهمية تلك الخدمات وتوفير مرافق إنتاجها لما تحمله من خير ونفع وعزّ وفائدة للمسلمين.

وفي نهاية هذا الفصل ـ فصل موضوعات الدعوة بالمنهج العاطفي في الكتاب والسنة والتي شملت: إثبات الوحدانية لله تعالى ـ اثبات النبوة ـ إثبات

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٥/ ٢٤، رقم الحديث: ٢٣٣٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق: ٥/ ٢٩٩، رقم الحديث: ٢٦٣٢.

(٣) المرجع السابق: ١٠/ ٥٣٩، رقم الحديث: ٦٠١٢.

البعث ـ الدعوة إلى الطاعات ـ التحذير من المعاصي ـ فإن خلاصة القول في ذلك هو :

إن استخدام المنهج العاطفي في تلك الموضوعات ثابت في الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل يعتبر المنهج العاطفي في تلك الموضوعات أكثر المناهج استخداماً لتنوع أشكاله واختلاف أساليبه التي مررنا بها خلال المباحث السابقة، التي تتميز بقوة تأثيرها في النفوس، والتي يتبعها غالباً القناعة والقبول، فجدير بالداعية المعاصر أن يحرص على الإلمام بهذا المنهج ويلزمه استخدامه حيث لايكاد يستغني عنه داعية وبالذات في هذا العصر الذي يحتاج إلى سياسة شرعية دعوية واعية، يمثل المنهج العاطفي أحد أركانها لملائمته للواقع ولنجاحه في معالجة قضايا الدعوة، أثبت ذلك القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ وتطبيقاته وكذلك تطبيقات المختصين في الدعوة على مرّ العصور .

الفصل الثاني

أساليب عرض المنهج العاطفي في الكتاب والسنة
ويشتمل على توطئة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الموعظة الحسنة .

المبحث الثاني: أسلوب إظهار الرحمة بالمدعوين.

المبحث الثالث: أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات .

تـوطـئة:

سنتناول في هذا المقام ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ تعريف الأسلوب والأسلوب الدعوي ثم التعريف الإجرائي المعتمد لأسلوب المنهج العاطفي ، وبيان علاقة الأسلوب بالمنهج ، وعلاقة الأسلوب بالعاطفة ثم بعد ذلك نتناول مباحث هذا الفصل علىٰ الترتيب السابق وسيكون ذلك علىٰ النحو التالي :

المعنى اللغوي للأسلوب:

الأسلوب : كلمة جاءت من الفعل الثلاثي : سلب ، والسَّلْبُ هو السير الخفيف السريع وأسلب الشجر : أي ذهب حملها وسقط ورقها . والأسلوب بضم الهمزة : هو الطريق والوجه والمذهب وهو الفنّ ، وعنق الأسد ، والشموخ في الأنف ، ولذا يقال : هو علىٰ أسلوب من أساليب القوم : أي علىٰ طريق من طرقهم . ويقال أيضاً : أخذ فلان في أساليب من القول : أي أفانين منه .

وقيل : الأسلوب هو : كل طريق ممتدّ ويجمع أساليب [1] .

وقيل : الأساليب هي : الفنون المختلفة[2] .

ومما سبق نجد أن معاني الأسلوب اللغوية : الطريق ، الطريقة ، الوجه ، المذهب ، الفنّ .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب : ٦/ ٣١٩ ، مادة : سلب . وكذلك انظر : القاموس المحيط ، للفيروز أبادي : ٩٨ ، مادة : سلب ، مرجعان سابقان .

(٢) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ٢٤٤ ، مادة : سلب ، مرجع سابق .

أما في الاصطلاح فقد عُرِّف بالتعريفات التالية:

١ ـ الأسلوب : هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه(١).

٢ ـ وقيل: الأسلوب هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته(٢).

٣ ـ وقيل: إن الأسلوب هو: عرض مايراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين ، وأحوالهم وما يجب لكل مقام من المقال(٣).

٤ ـ وقيل: إن الأسلوب هو : الصيغ التي يعبّر عن المعنىٰ بها ، أو الحلقة اللفظية التي يقدم بها المعنىٰ أو ما يقوم مقامها(٤).

والباحث يميل إلىٰ التعريف الأخير لأنه أشمل من التعريفات التي قبله ، فهو يتضمن صيغ الألفاظ التي تعبّر عن المعنىٰ أو ما يقوم مقامها من الأفعال بينما تفتقد التعريفات السابقة لذلك ، فهو بهذا تعريف جامع مانع . وتأسيساً علىٰ

(١) أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة : الثامنة، تاريخها : ١٩٩٠م : ٤٤ .

(٢) فهد عبدالرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، الدار: بدون، المدينة: بدون، الطبعة: الرابعة، تاريخها : ١٤٠٩هـ : ١٨ .

(٣) أحمد البابطين، المرأة المسلمة المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الثانية تاريخها: ١٤١٢هـ : ٥٢٣ .

(٤) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة: الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٥هـ : ١٢٩ .

ذلك فهو الأنسب لنا في دراستنا هذه ؛ لأن أساليب المنهج العاطفي قولية وفعلية .

أمّا عن **الأسلوب الدعوى** فقد عرّف بعدة تعريفات منها :

١ ـ أسلوب الدعوة : هو طريقة الداعي في دعوته ، أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة[١] . ويؤخذ على هذا التعريف أنه عام ، غير محدّد ، لكنه يفرق بين المنهج والأسلوب .

٢ ـ وقيل : إن أسلوب الدعوة هو : طريقة عرض الفكرة أو الطريقة العملية التي يسلكها الداعية في توصيل الفكرة للمدعوين[٢] .

ويؤخذ على هذا التعريف : الاضطراب ، حيث عمّم في البداية ـ مثل سابقه ـ ثم حدّد في الطريقة العملية التي يسلكها الداعية .

٣ ـ وقيل : إن أسلوب الدعوة هو : مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار والتي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس[٣] .

ويؤخذ على هذا التعريف أنه حدّد أسلوب الدعوة في الطرق العمليّة ، بينما لم يذكر الصّيغ اللّفظية ، وهذا ينافي تعريف الأسلوب .

وممّا سبق يمكننا تعريف أسلوب المنهج العاطفي الإجرائي المعتمد في هذه الدراسة في الدعوة إلى الله تعالى بأنه : الصّيغة اللّفظيّة ، والطريقة الفعليّة المقنعة والمؤثرة وجدانياً في المدعو بما يتناسب مع حاله .

---

(١) البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة : ٤٧ ، مرجع سابق .

(٢) محمد أمين حسن ، من فقه الدعوة : أساليب الدعوة والإرشاد ، دار النشر : بدون ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٩٩٩م : ١٢٣ .

(٣) محمد عبد القادر أبو فارس ، أسس في الدعوة ووسائل نشرها : دار الفرقان ، عمّان الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٢هـ : ٨١ .

فمن الأساليب ـ الصيّغ ـ اللفظية التي تقوم بنقل معاني ومفاهيم موضوعات المنهج العاطفي أسلوب: الكناية ، والتعريض ، والمدح ، والذم ، والترغيب ، والترهيب ، وغير ذلك ، أمّا ما يقوم مقام تلك الصّيغ من الأفعال فمثاله : إظهار الرحمة بالمدعوين وقضاء الحاجات وتأمين الخدمات ، والأصل في كون الفعل يقوم مقام الصّيغ اللّفظية في نقل المعاني والمفاهيم هو القرآن الكريم ، حيث حكىٰ لنا بأن من أوائل الأفعال التي نقلت المعلومات والمفاهيم هو فعل ذلك الغراب[1] الذي علّم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل ، قال تعالىٰ : ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[2] .

فقوله : ﴿**لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾ أي ليعلمه كيف يدفن جثّة أخيه[3] . يقول ابن عاشور رحمه الله تعالىٰ : «وهذا المشهد العظيم هو مشهد أوّل حضارة في البشر ، وهي من قبيل طلب ستر المشَاهِد المكروهة ، وهو أيضاً مشهد أوّل مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه»[4] . فالأفعال لها أكثر من بعد يجسد أهميتها في الحياة الإنسانية ، ومن ذلك مثلاً أهميتها للإنسان والإنسانية ، وأنها تغني عن كثير من أساليب التبليغ والتأثير المختلفة ، كما أنها تنفع البشرية حين لا يمكن انتفاعها بأساليب أخرىٰ في التبليغ ، خاصة عندما يتعذر التبليغ

(١) انظر : محمد بن شحات الخطيب ، القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ٣٠ .

(٢) سورة المائدة ، الآيتان : ٣٠ـ ٣١ .

(٣) انظر : الألوسي ، روح المعاني : ٦/ ١٧٠ ، مرجع سابق .

(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٦/ ١٧٤ ، مرجع سابق .

لأسباب تتعلق باختلاف اللغات أو عدم القدرة على التعبير اللفظي، ففي هذه الحالة يصبح الفعل أبلغ من القول، هذا علاوة على أن الفعل ذو طابع نظري وتطبيقي في الوقت نفسه[1].

ولهذا كانت أفعال رسول الله ﷺ من مصادر المعرفة بالسنة المطهرة[2]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[3].

يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله: ﴿أُسْوَةٌ﴾: «أي: القدوة، والأسوة ما يتأسى به، أي يتعزى به، فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله»[4]، ويقول ابن عاشور رحمه الله في تفسير ذلك: «وجعل متعلق الاتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص يشمل الاتساء به في أقواله، والاتساء بأفعاله»[5].

والأسلوب بهذا التحديد غير الوسيلة[6]، وغير المنهج، لكنه متأثر بكل منهما إلى جانب تأثره بموضوع الدعوة وجمهورها والغاية منها، وإذا كان التأثير

(١) انظر: محمد شحات الخطيب، القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية: ٣٠ـ٣١، مرجع سابق.

(٢) انظر: محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الرابعة، تاريخها: ١٤١٦هـ: ١/ ٨٨، وانظر كذلك: محمد العروسي عبد القادر، أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدّة، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١١هـ: ٧٥ـ٩٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) القرطبي، الجامعة لأحكام القرآن: ١٤/ ١٠٢، مرجع سابق.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢١/ ٣٠٣، مرجع سابق.

(٦) انظر: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإسلام في دعوة إبراهيم عليه السلام: ١٢٩ـ ١٣٠، مرجع سابق.

على المدعو من المقاصد الأساسية للدعوة ، فإن أساليب الدعوة هي ما يتوصل به إلى القبول والإقناع ، مع أن مقدار التأثير مرتبط بدرجة القبول والإقناع لمن توجه لهم الدعوة، وهم جد مختلفون ومتفاوتون في أشياء كثيرة لابد من مراعاتها واعتبارها عند الدعوة . فاختلاف القدرات العقلية ، ومدى استخدامها من قبل المدعوين ، واختلاف الأحوال ، والظروف لهم . . . يؤدي ضرورة إلى اختلاف أساليب التوصيل والبلاغ والإقناع ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى المواءمة بين أساليب الدعوة وموضوعها وجمهورها ووسيلتها . . . ومن هنا برزت أيضاً الحاجة إلى أهمية استجماع عناصر الإثارة الذهنية والوجدانية وأهمية تخيّر الأساليب الدعوية وحشدها للموقف الدعوي[1] .

ولهذا سنتناول في هذا الفصل ـ إن شاء الله تعالى ـ أساليب المنهج العاطفي من حيث كونها طرقاً تستخدم في نقل المعاني الدعوية التي تتضمن حقائق الإسلام لأن الأسلوب ـ كما ذكرنا ـ له أهمية بالغة في عرض الدعوة ، حيث لا يصح أن يقدم المعنى الجميل في شكل ذميم ، ولا أن تقدم الحقيقة في إطار يطفئ بهاءها ، فالمضمون الصحيح ، والمنهج السليم لابد أن يصحبهما الأسلوب المؤثر، فكم من أفكار ثمينة صحيحة خسرت الجولة بسبب طريقة عرضها ، وكم من أفكار منحرفة كتب لها الفوز في مكان أو زمان أو مناسبة بسبب طريقة عرضها ، ونحن في مجال الدعوة الإسلامية لدينا أعظم فكرة وأصوبها ، وأصحها ، ويبقى لنا الداعي القدير الذي يحسن عرض مادته النفيسة بأحسن

(١) انظر : سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ركائز الإسلام في دعوة إبراهيم عليه السلام : ١٢٩ ـ ١٣٠ ، مرجع سابق ، وانظر كذلك : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النّص ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٩٩٦م : ١٢١ .

أساليب الإقناع والتأثير في الآخرين بها[1] ، فالقرآن الكريم جمع تلك المحاسن فعبّر عن أحسن فكرة بأحسن عبارة ، وسلك من الأساليب ما يأسر السمع ويملك القلوب ، ومن هنا جاء كتاب الله عز وجل معجزاً في بيانه وألفاظه وأساليبه في تأدية المعاني العظيمة التي تضمنها وفي دعوة الناس للإيمان به .

وقد حققت أساليب القرآن الكريم آثارها في النفوس ، فعم ضياؤه الأرض في فترة زمنية قصيرة ، وكان القرآن مستند الرسول ﷺ ، ومن تأسىٰ به في تخيّر أساليب البلاغ التي تثير الفطرة وتحركها ، فجاء أداؤهم نتيجة لذلك متميزاً تميز الأساس الذي قام عليه وأثمر ثماراً يانعة تمثلت في ظهور الحق واستعلائه حتىٰ وقت الناس هذا ، حيث راعوا في تخيّر أساليبهم تنوّع أساليب الإقناع بتنوّع الأفراد والجماعات ، فرب فرد تقنعه الحجة العقلية عن طريق الذهن والوعي ، وآخر تخاطبه عن طريق الحس والوجدان ، وثالث تصل إليه عن طريق القصص والخيال ، ومن أجل ذلك كانت أساليب القرآن متعددة ، ولكنها جميعاً تصل إلىٰ أعماق الضمير الإنساني[2] ، يقول ابن رشد : «إن القول المقنع إمّا أن يكون مقنعاً لواحد من الناس أو لجماعة من الناس أو لأكثر الناس ، وفيه ما يكون في أمر جزئي ، ويختلف الإقناع باختلاف نوع الجمهور أو الجماعة»[3] ، ولهذا يقول أحمد الشايب بشأن صفات الأسلوب المؤثر المقنع : «ويمكن إرجاع صفات

(١) انظر : محمد إبراهيم شقرة ، ركائز الدعوة في القرآن ، المكتبة الإسلامية ، عمّان ، الطبعة : الثانية ، تاريخها : ١٤٠٦هـ : ٣١ـ ٣٢ ، وانظر كذلك : صلاح فضل ، علم الأسلوب ومبادؤه وإجراءاته ، موسسة المختار ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، تاريخها : ١٤١٩هـ : ٨٨ .

(٢) انظر : سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عبد السلام : ١٣١ ـ ١٣٣ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق : ١٣٢ .

الأسلوب العامة إلى ثلاثة :

أ ـ الوضوح لقصد الإفهام .

ب ـ القوة لقصد التأثير .

جـ ـ الجمال لقصد الإمتاع»[1] .

ويؤكد ذلك الشيخ / سيد محمد ساداتي فيقول : «ومع تعدد الأساليب الدعوية فإن من السمات العامة لها في المنهج الإسلامي : استقامة الأسلوب ، ومخاطبة الناس بلغة مفهومة ، ومراعاة ظروف المخاطبين وأحوالهم النفسية مع جاذبية الألفاظ وجمالها ، لأن من القواعد والأصول في دعوة الإسلام :

١ ـ الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2] .

٢ ـ يسر الدعوة ووضوحها بسبب مخاطبة فطرة الإنسان وتعامله معه وفق ظروفه وتلبيته لحاجياته الإنسانية ، ومعالجته لقضاياه الحقيقية ، وإجابته الواضحة عن جميع التساؤلات التي قد تثور في وجهه ، حيث يربط الإسلام في تناسق عجيب وانسجام تام بين ما يتضمنه من حقائق ، وبين واقع الناس ، فمشكلات الناس على اختلافها وأهدافهم وطموحاتهم على اختلافهم ؛ لذلك يجدها الإنسان معروضة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ»[3] .

---

(١) أحمد الشايب ، الأسلوب : ١٨٥ ، مرجع سابق ، وانظر كذلك : الدكتور/ علي بو ملحم ، في الأسلوب الأدبي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة : الثانية ، تاريخها : ١٩٩٥م : ٢٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٨٣ .

(٣) سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام : ١٣٣ ، مرجع سابق .

ومع ذلك فإن الأساليب الدعوية ينبغي أن تقوم على أساس أن كلاً من أمة الإجابة وأمة الدعوة له خصائص أسلوبية يقتضيها حاله ، ففي الوقت الذي يؤسس فيه خطاب المسلمين على الاحترام والتقدير ، ويؤسس خطاب غير المسلمين على الشفقة والرحمة وغير ذلك من المعاني التي تمثل حقيقة الفوارق بين الاثنين ، وليس معنى ذلك أن لا توجد خصائص إنسانية مشتركة بين البشر تجعل استخدام أساليب بعينها صالحة للجميع مثل أسلوب ضرب الأمثال ، وأسلوب القصص ، وأسلوب التذكير بنعم الله ، وأسلوب التصوير . . . وغيرها من الأساليب التي شاعت في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ .

والخلاصة أنه باستقراء طريقة رسل الله عليهم السلام في الدعوة نجد أن هناك اتفاقاً حول أهمية الأسلوب ، وضرورته للبلاغ ، واتفاقاً حول تعدد الأساليب وتنوعها وارتباط ذلك بموضوع الدعوة والمخاطبين ، وفوق ذلك هو أن الأساليب الدعوية في دعوات الرسل عليهم السلام تمثل عنصراً أساسياً من عناصر عملية الاتصال ؛ بل إنها تتبوأ موقعاً مرموقاً منها[1] ، وتستمد الأساليب مكانتها هذه من اهتمام القرآن الكريم بها والتنصيص على ذكر البعض منها ، قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] .

العلاقة بين الأسلوب والمنهج :

يوضح الدكتور/ محمد البيانوني طبيعة العلاقة بين الأسلوب والمنهج فيقول : «يشترك كل من المنهج والأسلوب في المعنى اللغوي وهو : «الطريق»

(١) انظر : المرجع السابق : ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .

وهذا يبرز الترابط الوثيق بين المناهج والأساليب من جهة كما يبرز الدقة في التفريق بينهما من جهة أخرىٰ .

فالمناهج الدعوية : هي النظم والخطط الدعوية، بينما الأساليب الدعوية : هي كيفيات وطرق تطبيق تلك النظم والخطط الدعوية، ولنضرب علىٰ ذلك بعض الأمثلة زيادة في التوضيح : إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظاماً فإن من أساليبها : الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وما إلىٰ ذلك من أشكال تطبيق منهج العبادة .

وإذا كان الاقتصاد في الإسلام منهجاً ونظاماً فإن من أساليبه : جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام من البيع، والصرف، والإجارة، والرهن، والشركة، وما إلىٰ ذلك من أشكال التطبيق .

وإذا كان السمع والطاعة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقه : القيادات الفردية، والجماعية، واختيار الإمام وتأمير الأمير في السفر وغيره .

وإذا كانت الشورىٰ في الإسلام منهجاً ونظاماً فإن أساليب تطبيقها : الاستشارات الفردية، والجماعية، والشورىٰ الملزمة والشورىٰ المُعْلِمَةُ وما إلىٰ ذلك من تطبيقات»[1] . وبناءً علىٰ ذلك إذا كان المنهج العاطفي في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ منهجاً ونظاماً فإن من أساليب تطبيقه : الموعظة الحسنة، وإظهار الرحمة بالمدعوين، وقضاء الحاجات، وتأمين الخدمات .

(١) محمد البيانوني ، المدخل إلىٰ علم الدعوة : ٤٧ـ٤٨ ، مرجع سابق .

وعلى هذا يكون الأسلوب أداةً للمنهج وناقلاً له. وتأسيساً على ذلك يمكننا القول: إن لكل أسلوب منهجاً يدفعه ويغذّيه، ولكل منهج أسلوباً يحمله للناس، لتحقيق هدف الدعوة المتمثل في إيصال دعوة الحق للمدعو بطريقة واضحة لاغموض فيها.

علاقة الأسلوب بالعاطفة:

يذكر أحمد الشايب إن الأسلوب ينقسم إلى قسمين: الأسلوب العلمي، وهذا الأسلوب يهتم بتقديم الحقائق، ويقصد به التعليم وخدمة المعرفة وإنارة العقول. والأسلوب الآخر هو الأسلوب الأدبي، ويهتم بإثارة الانفعال في نفوس القراء والسامعين وذلك بعرض الحقائق رائعة جميلة كما أدركها أو تصورها الكاتب. وتأسيساً على ذلك يقول: ولسنا نعدو الصواب إذا قلنا: إن الأسلوب العلمي لغة العقل والأدب لغة العاطفة[1].

ويذكر في موضع آخر مبيناً العلاقة التلازمية بين الأسلوب ـ بقسميه السابقين ـ والعاطفة: إن الأسلوب حتى العلمي منه لايخلو من العاطفة خلواً ما. حتى قال بعض النقاد: ليست هناك نصوص خالية من العاطفة إلا أن تكون الأرقام الحسابية والرموز الجبرية والعلمية، ويمكن للقارئ والمستمع أن يتبين بظاهر العاطفة في الآثار الفلسفية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فيما يحس به من حرص الكاتب على نشر آرائه وصدق عقيدته فيها وترجيحه بعض الأفكار وإعجابه بشخص أو عمل ثم ازدرائه آخر، واستخدامه الخيال في سد

(١) انظر: أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: ٥٩، مرجع سابق، ويؤيدّه: شكري محمد عيّاد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٥هـ: ٣١ـ٣٢.

النقص الروائي وإكمال ما فات المؤرخين، وهذا معناه أن العاطفة صفة ملازمة للأسلوب[1].

ويذكر الدكتور/ علي بو ملحم أن من وظائف الأسلوب : الوظيفة العاطفية أي التأثير في النفس وتحريك الوجدان[2] .

فإذا كانت هذه هي علاقة الأسلوب بالعاطفة فإن أسلوب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى يمتاز بالجمع بين الأسلوبين العلمي والأدبي، حيث إنه يُقدِّم حقائقه ومعلوماته وأفكاره عن الله عزّ وجل، وهي حقائق صدق ويقين، ويقدّم هذه الحقائق والأفكار في قالب جميل يمتاز بالجزالة والقوة والعاطفة الحيّة المنضبطة بالإيمان والعقل والواقع، فهو ـ أي أسلوب المنهج العاطفي في الدعوة إلى الله تعالى ـ يجمع بين الإفادة والتأثير . وقد عرض القرآن الكريم المنهج العاطفي بطريقة واضحة وجليّة من خلال أساليبه التالية :

١ ـ أسلوب الموعظة الحسنة .

٢ ـ أسلوب إظهار الرحمة بالمدعوين .

٣ ـ أسلوب قضاء الحاجات وتأمين الخدمات .

---

(١) انظر : أحمد الشايب، الأسلوب: ٩٣، مرجع سابق، ويؤيده: شوقي علي الزهرة ، الأسلوب بين عبدالقاهر وجون ميري ، دراسة مقارنة ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، الطبعة : بدون ، تاريخها : بدون : ١٤٢ ـ ١٤٦ ، وانظر كذلك : صلاح فضل ، علم الأسلوب ومبادؤه وإجراءاته ، وأحمد الشايب ، الأسلوب: ٩٣، مرجعان سابقان .

(٢) انظر : علي بو ملحم ، في الأسلوب الأدبي : ٧٢ ، مرجع سابق ، وانظر : رجاء عيد ، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة : بدون ، تاريخها : ١٩٩٣م : ٣٢ .

وسنتناول بيان تلك الأساليب في المباحث القادمة ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ كطرق تستخدم لنقل المعاني الدعوية للناس وأثرها الوجداني في الاستجابة وتهذيب النفوس ، وإيراد النماذج والأمثلة من الكتاب والسنة علىٰ استخدامات تلك الأساليب في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، وهذا العرض للأساليب يمثل في حقيقته عرضاً للمنهج العاطفي ، وهو ما نقصده من عنوان الفصل .

المبحث الأول

أسلوب الموعظة الحسنة في الكتاب والسنة

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: استخدامات أسلوب الموعظة الحسنة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: استخدامات أسلوب الموعظة الحسنة في السنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول

استخدامات أسلوب الموعظة الحسنة وأشكاله المختلفة في القرآن الكريم

الموعظة الحسنة من أشكال الأسلوب الحسن الذي يعني أن يكون الحديث ملائماً لأفهام الناس ومداركهم، فتكون الفكرة واضحة والكلمة فصيحة والعبارة متناسقة والتركيب قوياً، ويكون هناك انسجام بين اللغة والمعنى وسلاسة وإبداع في الأسلوب، مما يحدث أثراً جمالياً في النفس، وهي أساليب الدعوة في القرآن(١)، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٢).

والموعظة الحسنة ـ كأسلوب ـ تساعد على إنجاح الداعية إلى حدّ كبير في مجالات الدعوة فهي تحقق له الخصب والإثمار، وتمنحه القدرة على التأثير والتفاعل والإيغال في كل وسط على كل صعيد. والموعظة الحسنة هي أحد العوامل الحسّاسة التي توفر على الداعية الوقت والجهد وتصل به إلى الغاية المطلوبة بأقل التكاليف وأيسرها، فالداعية في كل مجال من مجالات الدعوة والتبليغ . . . في نطاق الكتابة والخطابة والتحدث والنقاش . . . بحاجة إلى هذا الأسلوب الذي يصيب الهدف ويبلغ المقصود(٣).

---

(١) انظر: محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٢هـ: ٥٣ـ٥٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٣.

(٣) انظر: فتحي يكن، مشكلات الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الثانية، =

وقد ورد لفظ الوعظ في القرآن الكريم بجميع تصاريفه في أربع وعشرين آية تدور حول محور الطمع والخوف في النفس : أمراً ونهياً ، وتحذيراً وتذكيراً ، ووصية وعبرة ، وتخويفاً وتبصيراً بالعواقب . . . وما إلى ذلك ، ولبيان دور أسلوب الموعظة الحسنة كطريقة دعوية تستخدم في الدعوة إلى الله تعالى ونشر الدين ، فإن ذلك يظهر بجلاء ووضوح من خلال تناول أشكالها وصورها العديدة التي منها :

١ ـ أسلوب الإشارة اللطيفة المفهومة (١):

يقول صاحب كتاب البيان والتبيين : «والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط . . . وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ، ومعونة حاضرة ، في أمور يسترها بعض الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا

=تاريخها : ١٤٠٥هـ : ١١٨ ، وانظر كذلك : عدنان علي النحوي ، أدب الوصايا والمواعظ ، منزلته ونهجه ، وخصائصه الإيمانية ، دارالنحوي ، الرياض ، الطبعة : الأولى ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ٩٣ ، أحمد فريد ، التربية على منهج أهل السنة والجماعة الدار السلفية ، الاسكندرية الطبعة : بدون ، تاريخها : بدون : ٢٥٧ .

(١) الإشارة : فعل من الأفعال لا خفاء في ذلك ، لأنها كما قلنا حركة باليد أو غيرها ، وإنما جعلناها هنا مع الأقوال ؛ لأنها تصاحب القول في أغلب استعمالها ويستدل بها بطريق غير الأفعال ، فدلالتها بالمواضعة العامة شبيهة في ذلك بدلالة القول ، فإذا قال النبي ﷺ : (**الشهر هكذا وهكذا وهكذا**) ورفع أصابعه العشرة في مرتين وخنّس الإبهام في الثالثة فذلك يدل على ما يدل عليه اللفظ كأنه قال الشهر : تسعة وعشرين» ، فهذه دلالة بطريقة أخرى غير طريقة دلالة الأفعال . انظر : محمد سليمان الأشقر ، أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية : ٢/ ١٩ ـ ٢٠ مرجع سابق .

الباب ألبتة»[1].

والإشارة تنبيء عن خبايا النفس وانفعالات العاطفة ومشاعر الوجدان، وأصل ذلك من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[2]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[3]. وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[4]. وقوله تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾[5].

هذه الإشارات التي تُعبِّر عن انفعالات ومشاعر صاحبها ودلالتها القوية علىٰ ماتكن نفس مرسلها، لها أثرها الوجداني في نفس مستقبلها أيضاً.

حيث يتمثل ذلك في فاعليتها الكبيرة وأثرها الواضح في تنبيه السامع وإيضاح المعنىٰ ونقله بصورة مقبولة إلىٰ الأذهان، كما أنها تؤكد الكلام في نفس السامع وتقوية، ولذا قالوا: استخدام الإشارة يزيد في إيضاح العبارة. لأن الكلام إذا كان طريقه الأذن فالإشارة تشرك العين مع الأذن في الإحاطة بالمعنىٰ وتصويره في الذهن[6]. ويقول الدكتور/ محمود عمارة: «إن الإشارة تعبير حقيقي عن معانٍ يتمثلها المتكلم وينفعل بها ولا تتم فائدة الكلام إلا بها . . . ولولا الإشارة لبقيت في الحديث زوايا دقيقة لا تنكشف خفاياها ويبقىٰ المستمع

(١) الجاحظ، البيان والتبين: ١/ ٧٨، مرجع سابق.

(٢) سورة نوح، آية: ٧.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٢١ ـ ٢٢.

(٥) سورة عبس، آية: ١.

(٦) انظر: مصلح بيومي، ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، دار القلم الكويت، الطبعة: الرابعة، تاريخها: ١٤٠٦هـ: ١٢٢ ـ ١٢٣.

في حاجة إلى الإشارة المضيئة ، ويكفي أن المتكلم أحياناً يواصل حديثه ثم لا يسعفه اللسان بالكلمة في نهاية المقطع فتتولى إشارة اليد أو الرأس . . . إتمام الحديث»[١] ، ولهذا تكون قد وفّرت لمستخدمها عنصر الإيضاح المؤدي إلى زيادة الإفهام الذي يعتبر من الصفات المهمة والضرورية للأسلوب كطريقة تستخدم في التخاطب ونقل المعاني إلى المخاطبين . وبالإشارة أيضاً يحدث عنصر التأثير في المتلقي . يقول الدكتور/ أحمد الحوفي : «إذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيراً عظيماً في نفسية السامع ووجدانه، لأن صوت المتكلم مهما تغيّرت نبراته ونغماته لا يكفي للتعبير عن العواطف كلها، فلابد أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين وملامح الوجه ونظرات العينين وإشارات الحاجب، فالعين هي النافذة التي نطل منها على العالم ويطل منها علينا ، تشف نظراتها عن العواطف، وتكشف عما بدخلة النفس»[٢] . ويقول محمود عمارة أيضاً في تأثيرها الإيجابي في المستمع : «والحق أن إشارات المتكلم تثير ما قد يكون كامناً في كيان المستمع . . . ليتلقى عنه بكل طاقة الإدراك»[٣] .

وقد عبّر الشعراء عن حقيقة أسلوبية الإشارة، وأنها طريق يستخدم في نقل المعاني، فقال أحدهم :

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه
وفي الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفي العين غنيٌ للمر ء أن تنطق أفواه[٤] .

(١) محمود محمد عمارة ، الخطابة في موكب الدعوة، دارالخير، بيروت، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٩٩٣م: ٧٠ .

(٢) أحمد الحوفي ، فن الخطابة دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: بدون، تاريخها: ١٩٩٦م : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) محمود عمارة : الخطابة في موكب الدعوة : ٧٠ ، مرجع سابق .

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين : ١/ ٧٨، مرجع سابق.

وقال آخر :

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره وتعرف بالنجوى الحديث المعَمّسا[1] .

وقال آخر :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبـــة أو بغـــض إذا كانا

والعين تنطـق والأفـــواه صامتـــة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا[2] .

وقد ذكر علماء النفس ضرورة استخدام الإشارة مع الكلام في نقل المعاني إلى المخاطبين وأنه : من الأفضل أن يتحرك الخطيب وذلك رعاية لأمر جوهري أخذوه من عيون المشاهدين والمستمعين فقالوا : «أن عيون المستمعين هي أوّل مايتعلق بالخطيب قبل أن يخطب . يعني : أول ما يقع الخطيب في النفوس يدخل عن طريق تعلق أبصار الناس ، فعندما يأتينا محاضر أو محدّث فأول مانرىٰ منه مظهره وسمته ، فإذا وقف أمامنا كالجهاز الآلي لايتحرك بدأت العيون تنصرف عنه ، وخاصة إذ درسنا طبائع الجماعات وعرفنا أن للجماعة طبيعة تختلف عن طبيعة الفرد . فالفرد منّا يستطيع أن يجلس في مكتبه ساعات وساعات يقرأ ويكتب ويعمل في جد ومثابرة لايملّ ولا يتحرك ، لكن هذا الإنسان إذا كان في جماعة اختلفت طبيعته ، وتغيرت شخصيته ، فيصبح عضواً أوجزءاً من هذه الجماعة يؤثر فيها ويتأثر بها . ومن طبيعة الجماعة الملل . . لماذا؟ لأن الجماعة عادة لاتفكر بعقولها وإنما تفكر بعواطفها ومشاعرها ، ومشاعر الجماهير عادة لاتطيق صبراً علىٰ شيء لمدة طويلة ، ولذا تحب الجماعة أن تغيّر المواقف وتتغير لها

(١) المرجع السابق : ١/ ٧٩ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ٧٩ .

المواقف، ولهذا فضلوا في الخطيب أن يستخدم الكلمة المسموعة ثم يساعدها بالإشارة والحركة وما إلى ذلك»[1].

ومن أقوال العلماء والأدباء والشعراء وعلماء النفس تتضح دلالة الإشارة في نقل المعاني كأسلوب من أساليب البيان، كما أن لها تأثيراً وجدانياً عظيماً، وهذا ما جعلها أحد أساليب المنهج العاطفي، وأمّا ما يخص اهتمام القرآن الكريم بها فنقول: إن القرآن اهتم بالإشارة الحسية واللفظية على حدّ سواء كأسلوب دعوي ناجح، فبالنسبة للإشارة الحسية فقد بيّن الكتاب العزيز أنها أسلوب بياني ينقل المعنى، ويقوم مقام الكلام، وتفهم ما يفهم القول، قال تعالى في سورة مريم: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[2]، فإشارة مريم إلى عيسى عليهما السلام قامت مقام الكلام، وفهمها القوم بدليل أنهم قالوا لها بعد إشارتها مباشرة: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

أمّا استخدامات الإشارة في الدعوة إلى الله تعالى والحثّ على عبادته فلعل أوضح ما ورد في ذلك ـ كما قرره العلماء باتفاقهم على تفسيره ـ قول الله تعالى على لسان نبيه زكريا عندما بشره بيحيى عليهما السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[3].

فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾، ومعنى ذلك أن قومه كانوا ينتظرونه من وراء المحراب إذْ خرج عليهم، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: أي

(١) المرجع السابق: ٧١.

(٢) سورة مريم، آية: ٢٩.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ١٠ ـ ١١.

أشار إليهم ، ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ : أي صلّوا ، ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ : قيل المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر ، وقيل نزهوا ربكم طرفي النهار ، ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً ويأمر قومه بذلك[1] .

فالخلاصة أن القرآن استخدم الإشارة الحسّيّة كأسلوب من أساليب المنهج العاطفي في نقل الخير والهدىٰ ، وأصّل استخدامها في مجال الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ .

أمّا الجانب الآخر للإشارة فهو أسماء الإشارة (هذا ، هذه ، هذان ، هاتان ، هؤلاء . . .) وهي تقوم مقام الإشارة الحسّيّة في الدلالة وإيصال المعنىٰ المراد[2] ، و تدخل ضمن تراكيب الجمل فتزيدها إيضاحاً ، وتمييزاً ، وتحديداً ، وإيجازاً . . . إلىٰ غير ذلك من الفوائد ، وقد استخدمها القرآن الكريم كثيراً ، وهذا يدل علىٰ مكانتها وأهميتها وأصالة أسلوبيتها ، والنماذج علىٰ ذلك لا تكاد تُحصر ، لكن فيما يتعلق باستخدامها في المجال الدعوي علىٰ سبيل المثال قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[3] .

يقول الشيخ/ عبد الرحمن حسن حبنّكة في تفسير ذلك : «فاسم الإشارة ﴿هَذِهِ﴾ دلّ علىٰ أنه صحبهم إلىٰ معبدهم ، فرأىٰ أصنامهم وعكوفهم عليها ، والاستفهام هنا موجه للسؤال عن حقيقتها ، أو عن صفاتها التي تؤهلها لأن

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ مرجع سابق .

(٢) انظر : طالب محمد إسماعيل الزوبعي ، علم المعاني بين بلاغة القدامىٰ وأسلوبية المحدثين : ١٨١ مرجع سابق .

(٣) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٥١ ـ ٥٢ .

تكون معبودة»[1] .

ويقول صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ : «تجاهل لهم ليحقّر آلهتهم ويصغّر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها»[2] ، وهذا بلا شك ذمّ لهذه الآلهة ، والذّم أحد أساليب المنهج العاطفي ، واستخدمه هنا ليثير عقولهم فيفكروا بجدّية في أحقيتها للعبادة والعكوف عندها ، يؤكد ذلك قول ابن عاشور في معنىٰ اسم الإشارة في الآية : «والإشارة إلىٰ التماثيل لزيادة كشف معناها الدّال علىٰ انحطاطها عن رتبة الألوهية»[3] .

ومن أسماء الإشارة أيضاً التي تكونت منها جمل الذّم والتهكّم بالآلهة قول إبراهيم عليه السلام ـ حينما سألوه هل هو الذي كسر آلهتهم ؟ ـ : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[4] ، فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ حدّد بتهكّم الذي كسر الأصنام وهو كبيرهم ، ومعلوم أن هذا التحديد من العناصر المهمة للأسلوب ؛ لأنه يوفّر زيادةً في الإيضاح والإفهام ، كما أنه أثار عدّة تساؤلات في نفوس القوم تجاه المشار إليه ـ الصنم الكبير ـ وهذه كلها عناصر مهمة في الأسلوب لنقل المعاني إلىٰ المخاطبين .

فالخلاصة : أن أسماء الإشارة تسهم باشتراكها في تراكيب الجمل والأقوال في نشر الدعوة ، وخاصة أقوال الترغيب والترهيب والوعد والخطابة والمدح والذّم والإشارة الحسية المفهومة ، والقصة الوجدانية . . . وما إلىٰ ذلك من الأشكال والصور المتعددة للموعظة الحسنة ، ولا يمكن لأي متحدث أن يستغني

(١) عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، فقه الدعوة إلىٰ الله ، وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دارالقلم، دمشق، الطبعة: الأولىٰ: تاريخها: ١٤١٧هـ: ٢/ ٣٢٨.

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ١٥٠ ، مرجع سابق .

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٧/ ٩٤ ، مرجع سابق .

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٦٣ .

عنها في كلامه ، ولهذا ينبغي الاهتمام بها من قبل الداعية ومعرفة دلالتها .

٢ ـ أسلوب التعريض :

التعريض : أسلوب وطريق من طرق البيان غير المباشر التي تستخدم لنقل المعاني إلى الناس ، ويتم بصوغ الكلام بطريقة التلميح التي تبيّن ما في نفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذي يريده إلى نفس السامع ، ويمتاز أسلوب التعريض في أن كثيراً من الأحوال يكون خطاب الناس بالبيان الكلامي غير المباشر أي بالتلميح هو الأجدى أثراً، والأكثر نفعاً لأنه أوقع في النفوس وأكثر إرضاءً لغرورهم أو قد يكون أوفق لظروف الحال التي يكونون عليها . فقد يكون المقصود بتوجيه الكلام من ذوي النفوس المصابة بداء الاستكبار والاستنكاف عن تقبّل التعليم والدعوة بالأسلوب المباشر الصريح والنصح والإرشاد والأمر والنهي . ولهذا فإن استخدام الداعية لأسلوب التعريض يتحاشى ويتفادى التصادم مع كثير من العقبات النفسية المختلفة[١] .

وباستخدام أسلوب التعريض يوهم المدعو إن كان من أهل الغرور ويجعله يسير بكل قوته واندفاعه في الطريق الذي دفعه إليه مَنْ وَجَّهَهُ بأسلوبه التعريضي ، ويظل مع شدّة اندفاعه يتوهم في قرارة نفسه أنه يسير في طريقه بمحض اختياره ، دون أن يؤثر عليه مؤثر خارجي عن كيان ذاته ، وهذا ماجعل أسلوب التعريض أسلوباً وعظيّاً ناجحاً ، يقول الغزالي رحمه الله تعالى : « من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث

(١) انظر : عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : بدون ، تاريخها : بدون : ٤٠٤ ـ ١٠٥ ، بتصرف .

الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الإصرار»[1] .

إذاً التعريض يستميل النفوس الفاضلة، والأذهان الذكية، والبصائر اللماحة، قيل لإبراهيم بن أدهم: الرجل يرى من الرجل الشيء أو يبلغه عنه؟ أيقوله له؟ قال: « هذا تبكيت ولكن يعرض [2] ، وكل ذلك من أجل رفع الحرج عن النفوس واستثارة داعي الخير فيها ، لكن لايصح أن يكون كل الكلام جارياً وفق أسلوب التعريض، إذ الأصل في الكلام هو الأسلوب المباشر الصريح .

إن أسلوب التعريض ينبغي ألا يزيد في الكلام كثيراً حتى لا يفقد الكلام قواعده وأركانه الأساسية، وينبغي أن يكون في غضون الجاري على أصله وبمقدار الغرض منه وبمقدار الحِلْيَاتِ التي تتزين بها الحسان عادة [3] .

ويقول الزمخشري في أثر التعريض في النفوس: فإذا قلت لم استخدم القرآن التعريض دون التصريح؟ قلت: لكونه أبلغ من التصريح من قبل أن التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكناً من قلبه وأعظم أثراً فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبّه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحاً مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة. ألا ترى إلى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنّة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا

---

(١) الغزالي إحياء علوم الدين: ١/ ٧٦، مرجع سابق .

(٢) انظر: صالح بن عبدالله بن حميد، معالم في منهج الدعوة،دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٢٠هـ: ٤٣ .

(٣) عبدالرحمن حبنكة الميداني ، فقه الدعوة إلى الله تعالى : ١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩، مرجع سابق، وانظر: كذلك : عبدالله بن وكيل الشيخ، تأملات دعوية في السنة النبوية ، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤١٩هـ: ٨٢ ـ ٨٣ .

يصرح، وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله إذا تأملها استمسج حال صاحب الحكاية فاستمسج حال نفسه، وذلك أزجر له؛ لأنه ينصب ذلك مثالاً لحاله ومقياساً لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لمابين الوالد والولد من حجاب الحشمة»[1].

وقوله: «إنه أبلغ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه، تفسير لأثر التعريض يقوم على فهم لأحوال النفس حيث تنقاد دائماً إلى ما تهتدي إليه بتفكيرها وتأملها»[2].

وهذا الأثر لأسلوب التعريض في استجاشة النفوس وتحريك الوجدان لتليين القلوب هو ما جعله من أشكال الموعظة الحسنة وصورها وفق المنهج العاطفي، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التعريض في الدعوة إلى الله تعالى في مواضع عدّة، منها على سبيل المثال: قول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

فقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ مشيراً إلى الذي لم يكسِرْه: تعريض. يقول أبو السعود في تفسير ذلك: «سلك عليه السلام مسلكاً تعريضياً يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامُهم الحجة على ألطف وجه

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف: ٥/ ٢٥٣، مرجع سابق.

(٢) محمد محمد أبوموسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤٠٨هـ: ٥٦٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٢ ـ ٦٤.

وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم ، كما ينبئ عنه قوله : ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ ، وقد قصد إسناد الفعل إلى الكبير من الأصنام بطريق التسبب»[1] .

ويقول القاسمي رحمه الله تعالى : «إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن لينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه عن إلزامهم الحجة وتبكيتهم»[2] ، ولذلك قال : «فاسألوهم إن كانوا ينطقون» ليقولوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ﴾ [3] حتى يقول لهم : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ﴾ [4] ، فالتعريض هنا قام بنقل المعاني التي يريدها إبراهيم عليه السلام إلى هؤلاء القوم بدليل أنهم فهموا لحن إبراهيم عليه السلام وتلويحه بالكلام مما جعلهم يراجعون أنفسهم : ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[5] : أي فراجعوا عقولهم فتبيّن لهم أنهم هم الظالمون بعبادتهم من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع[6] . وهكذا كان دور أسلوب التعريض في نقل المعاني الدعوية إلى الناس .

٣ ـ أسلوب الكناية :

إن الأسلوب الدعوي تقاس قيمته بثراء معانيه وإيحاءاته ، والنصوص الأدبية الخالدة هي التي لاينتهي مددها الروحي والنفسي ، نلمس هذا جليا في

(١) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ٤/ ٣٤٥ ، مرجع سابق .
(٢) القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٢٠٢ ، وانظر كذلك : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ١٩٨ : ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٧/ ١٠١ ، البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/ ٧٣ ، مراجع سابقة .
(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٦٥ .
(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٦٦ .
(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٦٤ .
(٦) القاسمي ، محاسن التأويل : ٧/ ٢٠٢ ، مرجع سابق .

القرآن لما اشتمل عليه من فنون البلاغة، التي منها الكناية، وإذا تأملت ماورد منها في القرآن أدركت أن ذلك فوق طاقة الإنسان، لأن فيه من روعة التعبير وجمال التصوير وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلاّ من تذوّق حلاوة القرآن، ولأنه ينطوي تحته لطائف وأسرار لايصل إلىٰ مكنونها إلاّ من منح ذوقاً رقيقاً يدرك ما احتجب خلف الأستار من الأسرار [1].

يقول الدكتور/ فضل عباس عن الأسلوب الكنائي: «إننا نجد فيه ما لانجده في غيره فهو أولاً مع امتاعه يمتاز بالإقناع، لأنه لايأتيك بالدعوىٰ إلا ومعها دليلها ألاترىٰ أن قولهم: «كثير الرماد» التي يكنون بها عن الكرم إنما جاءت دليلاً محسوساً لإثبات هذا الكرم، وكذلك كل كناية تأملتها تجد أنها جاءت دليلاً علىٰ المعنىٰ المراد منها» [2].

يقول الشيخ عبدالقادر الجرجاني: «ليس المعنىٰ إذاقلنا: «إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لماكنيت عن المعنىٰ زدت في ذاته، بل المعنىٰ أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وآكد وأشد، فليست المزيّة في قولهم: «جمّ الرّماد» أنه دلّ علىٰ قرىٰ أكثر؛ بل أنك أثبتّ له القرىٰ الكثير من وجهة هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد، وادعيته دعوىٰ أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق» [3].

يضاف إلىٰ ذلك ميزة أخرىٰ للكناية وهي أننا نستطيع أن نعّبر بواسطتها عن كثير مما نتحاشىٰ التصريح به، فهي باب واسع تجد النفس فيها المكمن الآمن،

---

(١) انظر: محمد السيد شيخون، الأسلوب الكنائي: نشأته وتطوره وبلاغته، دار الهداية، المدينة: بدون، الطبعة: الثانية، تاريخها: ١٤١٥هـ: ٩٢.

(٢) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها: ٢/ ٢٦٦ـ٢٦٧، مرجع سابق.

(٣) عبدالقاهربن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة: الثالثة، تاريخها: ١٤١٣هـ: ٧١.

والطريق الذي ليس فيه خطورة ولا وعورة، والمسلك الخالي من كل مايجلب التعب والأذىٰ. وهذا ماجعلها مقبولة عند الناس مؤثرة فيهم؛ لأن النفوس لا تحب التصادم وخاصة في بعض المسائل المحرجة، وإنما تحب الأسلوب المهذب والمؤدب فتميل معه وتقبله [1].

ويلاحظ أن تلك المميزات آنفة الذكر هي مكمن سرّ تأثير الكناية في النفوس وهي مكمن أثرها في الوعظ وتهذيب النفوس وإصلاح القلوب واستقامة الطبائع والسلوك، يلجأ إليها الدعاة والخطباء والأدباء للتعبير عما يدور في نفوسهم من المعاني ويجيش في صدورهم من الخواطر، ولها أثر كبير في تحسين الأسلوب وتزيين الفكرة، تُجنّب الداعية والخطيب وكل من يستخدمها كثيراً مما يخشون التصريح به، ومما لا يرضونه لعباراتهم من الفحش والابتذال، وهي في الوقت نفسه تستثير الشوق في نفس المخاطب فيجد المتعة الفنيّة التي يصل إليها بعد البحث والتأمل والإدراك فيظل أثرها باقياً في نفسه، ويبقىٰ الاستمتاع بها وقتاً طويلاً[2]، وقد وردت في القرآن الكريم كثيراً من قبيل الحقيقة واستخدمها القرآن في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ مقرونة بأساليب المنهج العاطفي التي منها: الترغيب، والترهيب، والمدح، والذم... وما إلىٰ ذلك، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال:

اقترانها بالترغيب في وصف الجنّة في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ

(١) انظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وافنانها: ٢/ ٢٦٦ـ ٢٦٧، مرجع سابق، وانظر كذلك: عبدالفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دارالمعارف، القاهرة، الطبعة: بدون، تاريخها: بدون: ٢٦٩.

(٢) انظر: محمد السيد شيخون، الأسلوب الكنائي: ٧٩، مرجع سابق.

وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[1] ، ففيه كناية عن كل ما تميل إليه النفس من الشهوات التي لا تنحصر ، وتلذ الأعين من المرئيات التي لا تنضبط لنعلم أن هذا اللفظ القليل قد دلّ على معان لا تنحصر عدّاً[2] ، فهذه الكنايات زادت من اشتياق السامع والقارئ للجنّة بهذا الوصف البديع الذي يفتح أمامه آفاقاً لا نهاية لها في كل ما تشتهيه النفس وتتلذّذ به العيون ، وهذا من شأنه أن يؤثر في الكثير من الناس ويحمله على الاستجابة بإذن الله تعالى .

ومن المعلوم أن من فوائد الكناية أيضاً : الاختصار ، فمن ذلك فيما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى قول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] ، فقوله : ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ معناه : فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازاً[4] ، ولهذا ينبغي على الداعية الاهتمام بهذا الأسلوب في دعوته إلى الله تعالى بالقدر اللازم وبقدر الحاجة ، فلا يكاد يستغني عنه الداعية لاستلزام بعض الأحوال والمواقف الدعوية ، وقد يرد في نص قرآني تناوله الداعية في حديثه أو ورد في حديث نبوي شريف أو في حكمة . . . أو غير ذلك .

٤ ـ أسلوب القصّة الوجدانية :

من أشكال البيان التي تستخدم في نقل المعاني إلى الآخرين : أسلوب القصة التي تتميز عن بقية أساليب البيان بأن لها تأثيراً كبيراً في نفس متلقيها لما فيها

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ٧١ .

(٢) انظر : محمد السيد شيخون ، الأسلوب الكنائي : ٨٩ ، مرجع سابق .

(٣) سورة يونس ، آية : ١٠٦ .

(٤) الزمخشري ، الكشاف : ٣/ ١٧٨ ، وانظر كذلك : الدكتور/ محمد محمد أبو موسى ، البلاغة القرآنية : ٥٦٢ ، مرجعان سابقان .

من تدرج في سرد الأخبار وتشويق في العرض ، وطرح للأفكار ، ممزوجة بعاطفة إنسانية وهي تعتمد على الحوار الداخلي أحياناً ، والخارجي أحياناً أخرىٰ ، وتصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث بإطار يمنع الذهن من التشتت وراءها ، وتتدرج من موقف إلىٰ آخر ، تجذب السامع إلىٰ التفاعل والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره ، ويندمج فيما يسمع فتصل به إلىٰ نقطة التأزم ، ثم تنحل شيئاً فشيئاً ، وتكون نقطة التنوير في الأحداث الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي ، وينقله إلىٰ حالة الهدوء والانتظام ، أو اتخاذ الموقف الإنساني . . . نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث[1] . هذا المدّ والجزر والتفاعل وتحريك المشاعر والأحاسيس هو ما جعل القصة من أساليب المنهج العاطفي .

وحينما نتحدث عن القصة في القرآن كأسلوب يُعبَّر به عن المعاني المرادة ، فإنه من الجدير ذكره أن نبيّن سرّ التأثير الوجداني لهذا الأسلوب في تزكية النفوس ، وإصلاح القلوب الذي يُسْتَمَدّ من خصائص القصص القرآني التالية[2] :

أ ـ قصص القرآن منتزع من الواقع المشاهد ، فهو يعبر عن أحداث وقعت بدقة فائقة وأمانة تامة ليس فيها شيء من الخيال ، ومعلوم أن ما كان صحيحاً واقعاً بعيداً عن الخيال كان أثره أكبر وتقبله أيسر .

---

(١) انظر : عثمان قدري مكانسي ، قصص رواها النبي ﷺ ، دار البيارق ، بيروت ، الطبعة : الأولىٰ ، تاريخها : ١٤١٨هـ : ٨ .

(٢) انظر : الشيخ/ منّاع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة : الثانية ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ٣١٨ ـ ٣٢٠ وكذلك : الدكتور/ عبدالرّب نوّاب الدّين ، الدعوة إلىٰ الله : ١٦٠ ـ ١٦٣ ، محمد بكر إسماعيل ، قصص القرآن : ٩ ـ ١٤ ، مرجعان سابقان .

ب ـ قصص القرآن جاءت على وفق الحياة التي يحياها الناس ولم يخرج عن مألوفها، فهو وإن يكن سماوي المطلع فهو بشري الصورة، إنساني المنازع والعواطف، يتحدث عن الناس إلى الناس ويأخذ من الحياة للحياة، يقرؤه الناس ويسمعونه فكأنما يقرؤون أطواء أنفسهم ويسمعون همس ضمائرهم ووسوسة خواطرهم، ومن هنا يبرز أثره ويعمل عمله في النفوس؛ لأنهم يعيشون فيه ويحيون معه وينتفعون به، ولو لم يكن كذلك لما كان للناس التفات إليه ولا انتفاع به.

جـ ـ القصص القرآني ليس تاريخاً للبشرية على النمط الذي يسلكه علماء التاريخ والسير في تتبع الأحداث وتسلسلها... لكنه قصص مختار مقتطع من التاريخ بالقدر الذي يخدم الدعوة إلى الله تعالى ويفتح للناس أبواباً واسعة للتأمل والنظر والعظة والاعتبار.

د ـ في القصص القرآني توزيع عادل للمشاهد بين الحدث والشخصية بحسب متطلبات المقاصد السامية من عرض القصة، بحيث تبدو الشخصية بارزة إذا كان في بروزها عظة وعبرة، وتتلاشى أمام الحدث عندما لا يكون لها تأثير مباشر على السامع، وكذلك الحال مع الأحداث ليست إلا محاك اختبار تظهر فيها معادن الرجال وتختبر بها مواطن الضعف والقوة فيهم، ومنازع السوء والإحسان منهم، فتنشرح النفس مع ذكر أهل الخير وتضيق ذرعاً مع غيرهم.

هـ ـ تكرار القصة في القرآن يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لايمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه النظم، بل لابد أن تعاد القصة لكي تحمل في كل مرّة بعضاً من عناصر المشهد إضافة إلى رسوخ المبادئ التي تهدف لها القصة في قلوب السامعين، يؤكد ذلك ما قرره علم النفس الحديث: بأن الشيء المكرر

ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تخمر فيها، أسباب أفعال الإنسان ودافعها [1]، وقصص القرآن يذكر الإنسان بفقره وحاجته وضعفه وعجزه أمام عظمة الله تعالىٰ المحيط بكل شيء فيتمثل قلبه بوجل الهيبة والجلال والخشية سواء تذكر معصية يخشىٰ عقابها أو طاعة يرجو ثوابها ومن هذه المشاعر تتولد العواطف الدينية بتكرار ما يحمل هذا القصص من مبادئ أخلاقية وقيم روحية[2].

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب القصة وما جاء عبرها من أخبار عن الأمم الماضية والصراع بين الحق والباطل وعاقبة كل طرف ؛ للترغيب أو الترهيب أو الاتعاظ . . . أو غير ذلك أو لجميع ما ذكر بهدف حمل الناس علىٰ الاستجابة وقبول دعوة الإسلام والثبات علىٰ الحق ، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال : قصة مؤمن آل فرعون ، فقد عرض القرآن هذه القصة التي تحكي رحلة جهاد الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، يقول عز وجل : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**

(١) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن ،الشركة التونسية للتوزيع ، جامعة الجزائر، الطبعة : بدون تاريخها : ١٩٧١م : ١١٦ .

(٢) المرجع السابق: ٤٦٣ .

ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(١) .

فعبر هذه القصة نقل القرآن الكريم أخبار هذا المؤمن الداعية الصالح مع فرعون الطاغية إلى الناس كافة عبر التاريخ لتحقيق عدّة أهداف، منها على سبيل المثال :

(١) سورة غافر، الآيات : ٢٣ ـ ٤٦ .

أ ـ بيان الأسلوب الحكيم الذي سلكه هذا الداعية الصالح مع هؤلاء القوم والذي تمثل في الآتي :

ـ البدء بنصح قومه نصحاً عاماً على اعتبار أنه واحد منهم يضرّه ما يضرهم وينفعه ما ينفعهم .

ـ الانتقال التدريجي إلى تبني قضية الإيمان بالله وبالرسل ، عن طريق تحذير قومه من أن ينزل بهم مثل عقوبات الأولين ـ قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، والذين من بعدهم ـ التي يعرفون أخبارها ، ولا يجهلونها ، ولذلك عرضها عليهم باعتبار أنها مسلمات لديهم .

ـ الانتقال من التحذير من الجزاء المعجل في الدنيا إلى التحذير من الجزاء المؤجل إلى يوم التناد .

ـ الانتقال إلى تذكيرهم برسالة يوسف عليه السلام التي كان المصريون في شكّ منها ، وهو بينهم ، فلما مات عرفوا أنه رسول من عند الله ربهم ، والهدف من هذا التأكيد على قضية النبوّة والرسالة التي هي إحدى قضايا الإيمان الكبرى .

ـ الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء على وجه التخويف والتحذير منه .

ـ كان كل نداء ونصح لهم يستعطفهم أولاً بقوله : ﴿يَا قَوْمِ﴾ .

ـ ذَكّرهم بنعمة الملك التي هم بها ظاهرين على ما سواهم ، وأنه حريص على بقاء ملكهم ونجاتهم من بأس الله .

ـ مجادلتهم بالحسنى .

هذا خلاصة أسلوبه الدعوي ، ولدىٰ التأمل في هذا المسلك نلاحظ أنه أسلوب رسل الله في دعوتهم إلىٰ دين الله الحق حين كانوا يدعون أهل الكفر والشرك بالله ، وهو أسلوب يعتمد علىٰ البدء باللين المصحوب بالإقناع الهادئ لاكتساب الثقة ، ثم الاعتماد علىٰ المسلمات المشتركة ، والاهتمام الأعظم بقضايا الإيمان الأولىٰ . كل هذا مصحوب بالرفق والاستعطاف والخوف علىٰ المدعوين من سوء العاقبة إن لم ينصاعوا لأمر الله وطاعة رسوله . وفي تلك القصة : توجيه أنظار المؤمنين للاقتداء بهذا الداعية المؤمن في جهاد الدعوة إلىٰ الله بالموعظة الحسنة ، وفيها أيضاً إقرار طريقته في الدعوة إذ جاء عرضها في معرض الثناء دون الإشارة إلىٰ ما هو أحسن أو أفضل منها .

ب ـ أخذ العبرة والعظة من أحداث هذه القصة التي منها : الحذر كل الحذر من مغبة الصدّ عن الله عز وجل ، والابتعاد عن الكفر والطغيان وجحود النعمة ، وتكذيب دعوة الحق . . . إلىٰ غير ذلك من مسالك الباطل . وبالمقابل : الاستقامة علىٰ أمر الله تعالىٰ ، وامتثال أمره واجتناب نهيه ، والإيمان باليوم الآخر . . . إلىٰ غير ذلك من دروب الخير والهدىٰ والفلاح ، وهذا كله قد احتوته هذه القصة بكل وضوح وقوة تأثير ، وجمال عرض ، فكانت أسلوباً وجدانياً ناجحاً بكل المقاييس في نقل المعاني الدعوية إلىٰ الناس ، وطريقاً شيّقاً يعبر من خلاله إلىٰ قلوب الخلق .

٥ ـ أسلوب التذكير بنعم الله تعالى :

هذا الأسلوب هو أحد الطرق التي تنقل للناس حقائق النعم لتُسْتَحْضَر في الأذهان فيُعْمل بمستلزمها ؛ لأن من شأن هذا الأسلوب : جعل الإنسان حي القلب ، واعي الضمير ، مرهف الإحساس ، يتأثر بكل ما يمر به من نعم أو يصل

إليه من خيرات ، فإذا به يتذكر ما له وما عليه ، فيصده ذلك عن الخطأ ، ويصونه عن الانحراف ، ويثبّته على الطريق المستقيم، وهو يتميز عن غيره من الأساليب بأنه يمثّل في ذاته عنصر التأثير في النفوس؛ لأنه يذكّر بالحقائق ، وذكر الحقيقة هو أساس الإقناع والتأثر[1] إضافة إلى أنه :

أ ـ يبعث على الحياء من الخالق، الموجد، المنعم، المتفضل ، لدى أصحاب العقول السليمة، فيولد في النفس دافع حبّ الله والاستحياء منه، وبالتالي مجاهدة نفسه على كبح جماحها بالطاعة وعدم المعصية ، ومعنى هذا أن العبد يستحي أن يقابل صاحب النعمة وهو مستعيناً بنعمته على مصعيته، فيكون ذلك سبباً في شكر المنعم بطاعته وعدم معصيته .

ب ـ النفس البشريّة بطبيعتها تحب الخير فإذا ذكرت بأن النعمة تدوم بالشكر وتُزاد كان ذلك سبباً قوياً يؤدي إلى طاعة الله وشكره .

جـ ـ وبالمقابل فالنفس أيضاً بطبيعتها تكره الشر والأذى والضيق . . . فإذا ذكّرت بأن كفر النعمة وعدم شكرها ممحقة لها ولبركتها كان ذلك أيضاً دافعاً لطاعة الله وشكره، يقول تعالى : ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[2] .

ومن الأسباب النفسية السابقة ونوازع الخير التي يبعثها أسلوب التذكير بنعم

(١) انظر : محمد محمود أحمد سيد أبات ، الأسلوب الإعلامي في القرآن ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، قسم الإعلام ، تاريخها : ١٤٠٢هـ : ١٦٩ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٧ .

الله تعالىٰ في نفس الإنسان يَبْرز تأثير هذا الأسلوب الوجداني في حياة الإنسان، ويظهر أثره في تهذيب نفسه وإصلاح قلبه واستقامة سلوكه . وقد قرره الله عز وجل في كتابه العزيز ، قال تعالىٰ : ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(١) .

والتذكير بنعم الله تعالىٰ طريق يسلكه الداعية ليصل من خلاله إلىٰ تنبيه الغافل بنعم الله وأفضاله وأن ما يعيش فيه من عيش ، وأمن ، وصحة ، وأرزاق، لها موجد وخالق ، يجدر بالعبد شكره علىٰ فضله وإنعامه بعبادته وحده دون سواه ، فهو الأحق والأولىٰ بهذه الطاعة .

نلحظ ذلك جليّاً في طريقة القرآن الكريم وهو يستخدم هذا الأسلوب ، ففي آخر تعداد النعم في سورة النحل يقول تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٢) ، فالملاحظ علىٰ أسلوب القرآن هذا في تعداد النعم والتذكير بها كانت ألفاظه واضحة مفهومة وملموسة لكل الناس ، كما أن النعم التي ذُكِرَت وعُدِّدَت حقائق صدق ويقين ، وهذا ما يجعل المدعو يستحضر قيمتها ، وبالتالي استحضار عظمة خالقها وموجدها عن فهم واقتناع ، فيذعن ويسلم ولهذا قال تعالىٰ في آخر الآيات : ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة قريش ، الآيات : ١ ـ ٤ .

(٢) سورة النحل ، الآيتان : ٨٠ ـ ٨١ .

تُسْلِمُونَ﴾[1] ، وكذلك يفيد هذا الأسلوب في تنبيه الغافل بأن موجد تلك النعم قادر على سلبها ، ومحقها ، وليس هذا فحسب بل والانتقام ممّن كفرها ، وكذلك التنبيه على حقيقة النعم ، والحكمة من منحها وحرمانها . . . وبيان العواقب الحميدة المترتبة على شكرها وتقديرها من زيادة ودوام . . . . إلى غير ذلك من التنبيهات ، التي تعين على إيقاظ القلوب الغافلة وتنبيه العقول الساهية لكي يصحح العقل مساره ، ويقوي القلب إيمانه بسبب تلك البواعث على تذكّر النّعم ، وهو أسلوب دعوي ناجح بدليل تكرار استخدام الرسل عليهم السلام له ، سأذكر هنا بعضاً من تلك النماذج التي تؤكد أسلوبيته ونجاح تأثيره فمن ذلك على سبيل المثال : ما حكاه القرآن الكريم على لسان نبيه هود عليه السلام ، حيث ذكّر قومه بفضيلة كونهم سلالة الذين آمنوا بنوح ، ونجوا معه في السفينة ، وهم من ذريته[2] ؛ ليستنهض هممهم للدخول في الإيمان والقيام بواجب اتباع سلفهم ، فقال لهم : ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] .

وقال في موضع آخر : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4] .

---

(١) سورة النحل ، آية : ٨١ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٣٠١ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٦٩ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيات : ١٣١ ـ ١٣٥ .

واستخدم هذا الأسلوب كذلك نبي الله صالح عليه السلام ، حيث ذكّر قومه بأن الله تعالىٰ جعلهم خلفاء لعاد ـ الذين أهلكهم الله بسبب كفرهم وطغيانهم ـ ومكّن لهم في الأرض فجعلهم يتخذون من سهولها قصوراً وينحتون الجبال بيوتاً،وحذرهم من الفساد لئلا يحل بهم ما حل بغيرهم من الأمم المكذبة ، فقال تعالىٰ علىٰ لسان صالح عليه السلام : ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾(١) .

وكذلك نرىٰ شعيباً عليه السلام يستخدم أسلوب التذكير بالنعم مع قومه ، حيث ذكّرهم بنعمة الله عليهم إذْ كانوا قليلين فكثّرهم ، ثم وجه أنظارهم إلىٰ عقاب الله للمفسدين قبلهم ، وتحذيرهم من أن ينزل الله بهم مثل ما أنزل بالسابقين ، فقال : ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾(٢) .

إلىٰ غير ذلك من النماذج التي أكدت أسلوبية التذكير بنعم الله تعالىٰ ، ولهذا ينبغي علىٰ الداعية الاهتمام بهذا الأسلوب وخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه النعم وتنوّعت ، فمن موجدها ؟ ومن مانحها ؟ ومن مسبب أسبابها ؟ ومن الهادي لطرق تلك الأسباب والموفق لها ؟ إنه الله جلّ جلاله . ولهذا يلزم الداعية أن يسلك هذا المسلك في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ .

٦ ـ أسلوب المدح والثناء :

أسلوب المدح هو : طريقة استخدام الثناء في نقل المعاني الدعوية لكل ما يوافق الشرع وفقاً لضوابطه الشرعية ؛ لتحبيب المدعو في ذلك بقصد استمالته

(١) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٨٦ .

وجرّه إلى ساحة الإيمان، أو لزيادة إيمانه إن كان من أهله ، وعلى هذا فمجالاته واسعة، منها : مدح الله عز وجل ، ومدح كتبه ورسله عليهم السلام ، ومدح أهل الإيمان، ومدح الطاعات والأخلاق الفاضلة ، وأيضاً مدح المدعو ، وذكر صفاته الحسنة ليزداد نشاطاً وطاعة . . . إلى غير ذلك مما يوافق الشرع .

ويوضح العلماء صفات هذا الأسلوب وما يتميز به ، وذلك ببيان أثره النفسي وضوابطه الشرعية إذا كان الممدوح هو المدعو .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : «ومن أعظم نعم الله على العبد : أن يرفع له بين العالمين ذكره، ويعلي قدره، بالذكر الحسن والسمعة الطيبة خلال حياته وبعد وفاته، ولهذا خص الله عز وجل أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[1]، أي خصصناهم بخصيصة، وهو الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[2]. وقال سبحانه وتعالى عنه وعن بنيه إسحاق ويعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[3]. وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[4]. وأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب

(١) سورة ص ، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٤.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٤٩ ـ ٥٠ .

(٤) سورة الشرح، آية: ٤ .

ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفته ومعصيته»[1].

فالمدح والذكر الحسن تحبه القلوب وتعشقه النفوس وتهواه الأفئدة، وذلك يعود ـ كما يقرره الغزالي رحمه الله ـ إلى أربعة أسباب:

السبب الأول: وهو الأقوى، شعور النفس بالكمال، ومعلوم أن الكمال محبوب، وإدراك المحبوب لذيذ، فكلما شعرت النفس بكمالها ارتاحت، واهتزت وتلذذت، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها.

السبب الثاني: أن المدح يدلّ على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له، ومعتقد فيه، ومسخر تحت مشيئته، وملك القلوب محبوب، والشعور بحصوله لذيذ، وتعظم اللذة به إذا صدر ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر، ويضعف إذا صدر ممن لايأبه له ولايقدر على شيء.

السبب الثالث: أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه. لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه.

السبب الرابع: إن المدح يدلّ على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح، إمّا عن طوع وإمّا عن قهر، فإن الحشمة أيضاً لذيذة، لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به، ولكن كونه مضطراً إلى ذكره نوعُ قهر واستيلاء، عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذّة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد،

(١) انظر: ابن القيّم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ١٢١ ـ ١٢٢، مرجع سابق.

فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد، فيعظم بها الالتذاذ، وقد تفترق، فتنقص اللذة بها[1].

وقد يحتاج الداعية إلى هذا الأسلوب في مدح المدعو والثناء عليه بذكر صفاته ومميزاته الإيجابية ليكون ذلك مدخلاً إلى نفسيته ليهذب الجوانب السلبية الأخرى فيه، أو ليزيد من أعمال الخير وأفعال البر، أو للثبات على الحق وعلى تلك الصفات الحميدة فيه، فقد يكون في بعض الناس صفات سلبية كثيرة وجوانب أو صفات إيجابية قليلة، وعند دعوته للاستقامة وتعديل المعوج من أخلاقه وصفاته بطريقة خشنة قد يتسرّب اليأس إلى نفسه لما يعلم منها من انحطاطها وتقصيرها في جنب الله تعالى، وارتكابها أخطاء قد يتصور المدعو أنها لاتغفر له، فتتسلل الانهزامية إلى نفسه واليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل، ففي هذه الحالة ممكن انتشاله من تلك الحالة إلى الأفضل والأحسن بذكر صفاته الحميدة ومميزاته الإيجابية الأخرى تشجيعاً له وفقاً لضوابط المدح الشرعية.

ضوابط المدح والثناء:

من خلال استقراء بعض النصوص الشرعية في المدح والثناء تتجلى ضوابط المدح الذي نريده في هذه الدراسة وهي كالتالي:

أ ـ الصدق: وهو أن يكون الممدوح أهلاً لما يقال فيه ولايتجاوز المادح الصفات الحقيقية الصادقة في الممدوح[2].

ب ـ التوسط في المدح وعدم المبالغة ومجاوزة الحد: فالرسول ﷺ وهو الذي اصطفاه ربه بالرسالة، وهو أفضل خلقه، وكل مدح يقال فيه صدق ـ إذا لم يتجاوز التأدب مع الله تعالى ـ ومع ذلك منع عليه الصلاة والسلام المبالغة في

(١) انظر: العزالي، إحياء علوم الدين: ٤/ ٧١ ـ ٧٢، مرجع سابق.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري: ١٠ / ٥٨٤ ـ ٥٨٧، مرجع سابق.

إطرائه، ورفعه أعلىٰ من بشريته، روىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله**»(١).

وأخرج أبوداود رحمه الله تعالىٰ عن مطرف قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله فقلنا: أنت سيدنا. فقال: **السيد الله تبارك وتعالى**، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: **قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينّكم الشيطان**»(٢).

هؤلاء أعراب كانوا حديثي عهد بالإسلام، وكره لهم المبالغة في مدحه فقال ما قال لهم، ومعناه: تكلموا بما يحضركم من القول، ولاتتكلفوه، فيستعملكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لايجوز(٣).

جـ ـ الأمن من فتنة الممدوح، وحدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العمل الصالح: روىٰ الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ عن أبي بكرة رضي الله عنه «أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنىٰ عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: **ويحك قطعت عنق صاحبك**(٤). يقوله مرارا»(٥).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٤/ ١٤٢، مرجع سابق.

(٢) أبو داود، السنن: ٥/ ١٠٠، رقم الحديث: ٤٨٠٦، الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٣/ ١٨١، رقم الحديث: ٤٨٠٦، وقال عنه: صحيح.

(٣) انظر: شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ١٣/ ١٦١ـ١٦٢، مرجع سابق.

(٤) قطعت عنق صاحبك: كناية عن هلاك الممدوح في دينه. (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: ١٨/ ٤١٨)، مرجع سابق.

(٥) البخاري، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري: ٧/ ٨٧، رقم الحديث: ٦٠٦١، مرجع سابق.

فالنهي في الحديث محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الوصف أو من يخاف عليه فتنة من إعجاب، أو كبر، أمّا من لايخاف عليه ذلك لكمال إيمانه وعقله فلا نهي في مدحه إذا لم يكن فيه مجازفة ؛ بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير ، والازدياد منه ، أو الدوام عليه ، أو الاقتداء به كان مستحباً ، والله أعلم[1].

د ـ تقييد المدح بقول : «**أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحد**» : يقول الرسول ﷺ : «**إن كان أحدكم ما دحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك والله حسيبه ولا يزكي على الله أحداً**»[2].

تأدباً مع الله في رد علم السرائر إليه فهو أعلم بمن اتقى، وإنما الأحكام تجرى بالظاهر والله يتولى السرائر، قال ابن حجر رحمه الله تعالى : (وقال بعض السلف : إذا مدح الرجل في وجهه فليقل : اللهم اغفرلي ما لايعلمون، ولاتؤخذاني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون) [3].

وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الأسلوب لتحبيب المدعوين في كل ما يوافق الشرع من مجالاته العديدة ، فمثلاً فيما يتعلق بمدح الله عز وجل ، فهذا أمر مطلوب وهو قربة من القربات ؛ لأن الله تعالى يحبه ، قال رسول الهدى ﷺ : (**أما إن ربك عز وجل يحب الحمد**)[4] ، فالله عز وجل مدح نفسه المقدسة بذكر

---

(١) انظر : النووي ، شرح صحيح مسلم : ١٨/ ٤١٧ ، مرجع سابق.

(٢) البخاري ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري : ١٠/ ٥٨٤ ، جزء من الحديث ذي الرقم: ١٠٦١ مرجع سابق.

(٣) ابن حجر، فتح الباري : ١٠/ ٥٨٧ ، وقال : أخرجه البيهقي في الشعب .

(٤) الإمام أحمد ، المسند ، بشرح حمزة الزين : ١٢/ ٢٤٠ ، رقم الحديث : ١٥٥٢٣ ، قال عنه الشيخ/ حمزة الزين : إسناده صحيح .

أوصافه التي لا يشركه فيها أحد ، فعلىٰ سبيل المثال يقول تعالىٰ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(١)، فهو سبحانه يمدح نفسه بما هو أهله وذكر أن سبب ذلك خلقه للسموات والأرض التي هي أظهر الدلائل علىٰ وجوده ووحدانيته، ثم يوجه اللوم علىٰ الكفار الذين لم يستفيدوا من هذه الآيات العظيمة في الاستدلال بها علىٰ وحدانيته عز وجل ، ومن ثم عبادته .

ومن نماذج المدح أيضاً: مدح الرسل عليهم الصلاة والسلام لله عز وجل ؛ لأنه المنعم المتفضل عليهم ليقتدي بهم الناس ، وينتهجوا طريقهم، ومن هؤلاء علىٰ سبيل المثال إبراهيم عليه السلام ، حيث قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(٢) ، ففي هذه الآية لفتة إلىٰ أن الله هو موجد كل شيء والمنعم والرازق . . . وبموجب ذلك هو المستحق للعبادة وحده دون سواه .

ومن نماذج: المدح أيضاً : مدح القرآن، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٣) ، ومن ذلك مدح المؤمنين ، قال تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ

(١) سورة الأنعام ، آية : ١ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٩ .

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) .

ومن ذلك أيضاً: مدح الطاعات ومنها الصلاة ، قال تعالىٰ : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٢) ، وغير ذلك من مجالات المدح المتعددة .

أمّا ما يخص مدح المدعو لتشجيعه علىٰ الاستجابة بذكر ما عنده من صفات إيجابية ، فمن ذلك علىٰ سبيل المثال ما ذكره القرآن من الإشادة بالمؤمنين من بني إسرائيل ليكون دافعاً وتشجيعاً لمن كان منهم بالمدينة في زمن الرسول ﷺ لكي يسلموا ، قال الله تعالىٰ بشأن هؤلاء : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٣) ، ونظائر ذلك كثير في كتاب الله العزيز .

ومن ذلك أيضاً تذكير شعيب عليه السلام قومه بنعم الله عليهم علىٰ وجه المدح ، قال الله تعالىٰ علىٰ لسانه : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾(٤)، فالشاهد قوله : ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ .

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالىٰ علىٰ لسان مؤمن آل فرعون وهو يذكرهم بنعم الله تعالىٰ عليهم علىٰ وجه المدح : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾(٥) ، وهكذا يكون استخدام القرآن الكريم

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ١ ـ ١١ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٤٥ .

(٣) سورة السجدة ، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) سورة هود ، آية : ٨٤ .

(٥) سورة غافر ، آية : ٢٩ .

لأسلوب المدح ، حيث يدمجه بالتذكير بنعم الله تعالىٰ على الخلق ليستثير فيهم سلامة الفطرة ويحرك فيهم مشاعر الإيمان ، ولهذا ينبغي أن يفطن لذلك الداعية في دعوته ويستثمر ذلك في التأثير في الناس .

٧ ـ أسلوب الذّم :

الأصل في الذّم أن يكون بذكر المعايب والأوصاف المذمومة لكل ما يخالف أمر الله عز وجل ورضاه ، وهو بهذا يتّسع مجاله ليشمل أموراً كثيرة ، منها : ذمّ الشرك وكل ما يخالف التوحيد ، وذمّ المعاصي عموماً ، والكبائر علىٰ وجه الخصوص ، وذمّ أهل البدع والكفر ، ومنها ذمّ المدعو ـ أحياناً ـ إذا رأىٰ الداعي أن في ذلك مصلحة وفق الضوابط الشرعية ، وهو أسلوب دعوي مهم يؤثر في النفس البشرية بكشف المذمومات ، وبيان عوارها ، وخطرها علىٰ وجه التكريه فيها ، والتحذير من الوقوع فيها ، وهو بهذا يمهّد لقبول الحق ؛ ولأجل ذلك ينبغي حينما يستخدمه الداعية أن يستخدم معه أسلوب المدح والثناء ، لأنهما يمثلان وجهين لعملة واحدة ، فمثلاً حينما يتناول الداعية ذمّ الشرك ونواقض الإسلام فإنه ينبغي عليه تناول التوحيد وكل ما يوافق الشرع من خلال أسلوب المدح تقديماً أو تأخيراً ؛ لأن الهدف من الذّم ليس الذم لذاته ، وإنما الهدف منه تكريه المدعو في المذمومات الشرعية لتركها واجتنابها ، وليس هذا فحسب ؛ بل وللاستقامة علىٰ دين الله عز وجل ، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال استخدام الأسلوبين جنباً إلىٰ جنب بالقدر اللازم والمتناسب مع بعضها البعض ، ويتميز أسلوب الذّم كغيره بخاصية التأثير في النفوس ، وسبب ذلك كما بيّنه أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالىٰ ، حيث ذكر : إن العلّة في كراهة النفس البشرية في الذم هي ضد العلّة في حب النفس للمدح وتتلخص في الآتي [1] :

(١) انظر : الغزالي ، إحياء علوم الدين : ٤/ ٧١ ـ ٧٢ ، مرجع سابق .

السبب الأول: شعور النفس بالنقص: معلوم أن النقص مكروه، وإدراك المكروه مؤلم، فكلما شعرت النفس بنقصانها: امتعضت واهتزت، وتألمت، والذّم يشعر نفس المذموم بنقصانها.

السبب الثاني: أن الذّم يدل على كراهة قلب الذّام للمذموم، وكره القلب وعدم محبة الناس للمذموم أمر مكروه له ويعظم الألم به إذا صدر من ذوي المكانة والمسموع لقولهم.

السبب الثالث: إن ذمّ الذام يؤثر في قلوب كل من يسمعه لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله.

السبب الرابع: إن الذّم يدلّ على هوان المذموم، مما يسمح للذام بإطلاق لسانه بالذم عليه.

هذه الأسباب النفسية تُبرزُ التأثير الوجداني للذم في نفوس الناس، وتظهر فائدته في الوعظ المتمثلة في ردع النفس وكبح جماحها وعدم تواجدها في المواقع التي تعرضها لهوان الذّم بسبب:

الخوف من سوء عاقبة الذم ومايُحدثه من خدش لكرامتها.

الحياء الذي يمنع الإنسان من ارتكاب الشيء المذموم.

هذه التأثيرات لأسلوب الذّم مما يميّزه عن الصفات التي تساعد على استقامة النفس وصلاح سلوكها وطبائعها.

ويستفاد من ذلك في دعوة البعض من الناس حينما يرى الداعية أن يدعوهم بما يناسب حالهم وظروفهم وعقلياتهم التي قد تفرض عليه استخدام هذا الأسلوب، ولكن ينبغي أن لا نغفل جانب الضوابط الشرعية لأسلوب الذم التي تسهم هي الأخرى في نجاح استخدامه والتي تتمثل في الآتي:

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ : «يعدل إلىٰ هذا الأسلوب عند العجز عن المنع باللطف ، وظهور مبادئ الإصرار ، والاستهزاء بالوعظ والنصح ، ويخاطب المذموم بنحو : يا فاسق ، يا أحمق ، يا جاهل ، ألا تخاف الله ، وكقوله : يا سواد يا غبي ، وما يجري هذا المجرىٰ كل بحسبه ؛ لأن كل فاسق هو أحمق وجاهل ، ولولا حمقه وجهله لما عصىٰ الله تعالىٰ ؛ بل كل من ليس بكيّس فهو أحمق ، والكيّس هو كل من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة ، حيث قال : **(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)**[1] ، يقول الغزالي رحمه الله تعالىٰ ولهذه الرتبة أدبان :

أحدهما : ألاّ يقدم عليها إلاّ عند الضرورة ، والعجز عن اللطف .

الثاني : أن لا ينطق إلاّ بالصدق ، ولا يسترسل فيه ، فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ؛ بل يقتصر علىٰ قدر الحاجة ، فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره ، فلا ينبغي أن يطلقه ؛ بل يقتصر علىٰ إظهار الغضب ، والاستحقار له ، والازدراء بمحله ، لأجل معصيته ، ولو علم أنه لو تكلم ضرب ، ولو اكفهرّ وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ، ولم يكفه الإنكار بالقلب ؛ بل يلزمه أن يقطّب وجهه ، ويظهر الإنكار له»[2] .

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الذّم كثيراً جداً ، وفي كل مجالاته ، ومن ذلك علىٰ سبيل المثال : ذمّ إبراهيم عليه السلام للأوثان التي اتخذها قومه آلهة من دون الله ، حكىٰ ذلك القرآن الكريم ، قال تعالىٰ : ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**

(١) الترمذي ، الجامع الصحيح : ٤/ ٥٥٠ ، رقم الحديث : ٢٤٥٩ ، قال عنه : هذا حديث حسن .
(٢) الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين : ٣/ ٣٥ـ٣٦ ، مرجع سابق .

أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١) .

ففي هاتين الآيتين كشف إبراهيم عليه السلام من خلال أسلوب الذم تلك المعبودات من دون الله ، وذلك بإخباره أنها أوثان لا تضر ولا تنفع ، وإنما اختلقوا لها أسماءً فسمّوها آلهة ، وهي مخلوقة مثلهم ، ثم أردف ببيان عجزها عن منح الأرزاق ، وبيّن لهم أن الذي يرزق هو الله الواحد الأحد ، الأحق بالعبادة دون سواه . هكذا كان استخدام أسلوب الذمّ في الدعوة إلى الله على هذا النحو ، حيث يستخدم أسلوب الذم ويردف بالمدح ، والعكس .

ففي مجال مدح المؤمنين ليقتدى بهم ، وذمّ الكفار للحذر منهم يقول الدكتور/ محمد سعيد البوطي : «ومن المظاهر البارزة لتحقيق هذا المنهج ذاته ما تلاحظه بشكل مُطّرد في القرآن الكريم ، فكلما وصف أهل الجنّة : مدحهم ووصفهم بأرقى أعمالهم ، وأجلّ صفاتهم . وكلما وصف أهل النار ذمّهم بأسوأ أعمالهم وأشدها إثارة لغضب الله تعالى ، والحكمة من هذا الأسلوب أن المدعو إذا تأمل صفات المؤمنين وعرضها على حاله رأى نفسه دون ذلك المستوى فيتقاصر به الأمل في أن يكون واحداً منهم ، وإذا تأمل صفات أهل النار وعرضها على حاله رأى نفسه فوقها فيراوده الأمل أن لا يكون منهم ويبقى في تقديره على حالة وسطى بين أولئك وهؤلاء ، تشدّه رغبة ، وتخيفه رهبة ، فيجهد أن يعلو بسعيه وسلوكه عن حال الكافرين ، ويسعى للحاق بحال المؤمنين»(٢) .

---

(١) سورة العنكبوت ، آية : ١٦ ـ ١٧ .

(٢) الدكتور/ محمد سعيد البوطي ، منهج تربوي فريد : ٨٧ ـ ٨٨ ، مرجع سابق .

وفي مجال آخر من استخدامات أسلوب الذّم في محاربة المعاصي وعلىٰ وجه التحديد تحريم الخمر مثلاً ، وجدنا أن الصيغ اللفظية الواردة في النصوص القرآنية في مراحل التحريم الأربعة تحمل الأوصاف الذميمة للخمر وشكّلت العنصر الأساس في الحكم لتنفير الناس من هذه العادة الجاهلية السيئة ، فلم يأتِ الأمر بترك الخمر مجرداً ؛ بل تضمّن الأوصاف الذميمة للخمر التي كرّهت الناس فيها وحملتهم علىٰ إراقتها في أزقة المدينة ، يقول تعالىٰ في النص الأول : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**﴾[1] ، ففي هذا النص بيّن الحق عز وجل أن الخمر فيها ﴿**إِثْمٌ**﴾ ، وهذه الصيغة : صيغة ذمّ تنفر منها النفوس ، ثم لم يكتفِ بذلك ؛ بل وصفه بأنه : ﴿**كَبِيرٌ**﴾ ، ثم أردف بعد ذلك بترجيح إثمها علىٰ منافعها ، وهذا أيضاً صيغة ذمّ أكبر من سابقتها .

وفي النص الثاني يقول الحق تبارك وتعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ**﴾[2] ، فقد مدحهم بندائهم باسم الإيمان في بداية النص ، ثم قال في آخره : ﴿**وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ**﴾ ، والسكر هو تغطية العقل ، والسكران هو من أخذ عقله في الانغلاق[3] ، وللمتأمل أن يتساءل عن تلك الصفتين هل تجتمعان ؟! المؤمن المصدق بعقله وقلبه الواقف بين يدي ربه في الصلاة يناجيه هل يليق به أن يناجيه وهو منغلق العقل ، فيتخبط في صلاته ومناجاته ؟ كلا .

وفي النص الثالث يقول تعالىٰ : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4] ، هذا النص

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٤٣ .

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ٥/ ٦٠ ، مرجع سابق .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٩٠ .

الكريم جاء أيضاً مشحوناً بألفاظ الذم للخمر ، ووجه : أنه جمعها مع الميسر والأوثان ، ثم إنه ابتدأ بها تلك المذمومات ، وهذا يوحي بأنها حقاً أم الخبائث ، ثم ثلّث بوصفها بأنها رجس ، وأنها من عمل الشيطان . هذه الألفاظ التي ذكرها الله تعالىٰ هي سبب تحريم الخمر ؛ لأنها فعلاً بتلك الصفات المذمومة تستحق التحريم والترك والاجتناب ، وهكذا كان دور الذّم في الدعوة إلىٰ الاستقامة وترك كل ما ينافي الشرع ، فينبغي علىٰ الداعية أن يتدبر ذلك وأن يستثمره في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ .

٨ ـ أسلوب الترغيب :

أسلوب الترغيب : من الطرق التي تستخدم في نقل المعاني المتضمنة عنصري : التشويق والوعد بالخيرات ، وهي من الصفات الأسلوبية الإيجابية التي تؤثر في النفس البشرية ، فتحرك المشاعر وتبعث الدوافع إلىٰ كل عمل إيجابي .

يذكر علماء النفس : أنه حينما يكون لدىٰ الإنسان دافع قوي للحصول علىٰ هدف ما ، فإن الحصول علىٰ هذا الهدف الذي يشبع دافعه يعتبر ثواباً أو مكافأة تسبب الشعور باللذّة أوالسرور والرضا ، ولذلك كان الإنسان ميالاً بطبيعته إلىٰ تعلم الاستجابات أو الأفعال التي تؤدي إلىٰ الحصول علىٰ الثواب . . . وقد أثبتت التجارب الكثيرة التي أجراها علماء النفس المحدثون هذه الحقيقة[1] .

وقد اهتم القرآن الكريم في دعوته إلىٰ دينه القويم بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي سيحظىٰ به المؤمنون في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : الدكتور/ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس : دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة : السادسة ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ١٦٩ .

الكريم جاء أيضاً مشحوناً بألفاظ الذم للخمر ، ووجه : أنه جمعها مع الميسر والأوثان ، ثم إنه ابتدأ بها تلك المذمومات ، وهذا يوحي بأنها حقاً أم الخبائث ، ثم ثلّث بوصفها بأنها رجس ، وأنها من عمل الشيطان . هذه الألفاظ التي ذكرها الله تعالىٰ هي سبب تحريم الخمر ؛ لأنها فعلاً بتلك الصفات المذمومة تستحق التحريم والترك والاجتناب ، وهكذا كان دور الذّم في الدعوة إلىٰ الاستقامة وترك كل ما ينافي الشرع ، فينبغي علىٰ الداعية أن يتدبر ذلك وأن يستثمره في دعوته إلىٰ الله تعالىٰ .

٨ ـ أسلوب الترغيب :

أسلوب الترغيب : من الطرق التي تستخدم في نقل المعاني المتضمنة عنصري : التشويق والوعد بالخيرات ، وهي من الصفات الأسلوبية الإيجابية التي تؤثر في النفس البشرية ، فتحرك المشاعر وتبعث الدوافع إلىٰ كل عمل إيجابي .

يذكر علماء النفس : أنه حينما يكون لدىٰ الإنسان دافع قوي للحصول علىٰ هدف ما ، فإن الحصول علىٰ هذا الهدف الذي يشبع دافعه يعتبر ثواباً أو مكافأة تسبب الشعور باللذّة أوالسرور والرضا ، ولذلك كان الإنسان ميالاً بطبيعته إلىٰ تعلم الاستجابات أو الأفعال التي تؤدي إلىٰ الحصول علىٰ الثواب . . . وقد أثبتت التجارب الكثيرة التي أجراها علماء النفس المحدثون هذه الحقيقة[1] .

وقد اهتم القرآن الكريم في دعوته إلىٰ دينه القويم بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في الثواب الذي سيحظىٰ به المؤمنون في الدنيا والآخرة .

(١) انظر : الدكتور/ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس : دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة : السادسة ، تاريخها : ١٤١٧هـ : ١٦٩ .

فآيات القرآن الكريم التي ترغب في نعيم الجنة مثلاً تبعث في المسلمين الأمل في الحصول على هذا النعيم، وتدفعهم إلى التمسك بالتقوى والإخلاص في أداء العبادات والعمل الصالح، بإثارتها لغريزة حبّ الذات لأن الإنسان مجبول على حب الخير لنفسه، فمن خلال التشويق المصحوب بوسائل التأثير ـ من تصوير معجب، وتأثير قوي ـ يريه الجنة وكأنّه يرى مباهجها ويستروح نسماتها، وبالنسبة للثواب العاجل في الدنيا: يزّين له مايصنعه الإيمان في القلوب من شعور بالأمن وشعوربالرضا. . . إلى آخر تلك المعاني التي تلمس الوجدان وتفتح مغاليق القلوب[1]. فتخشع تلك القلوب وتسمع نداء الحق فتستقيم على دين الله وتلبي نداءه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه، وبهذا تحصل الهداية وتتهذب النفس من براثن المعصية ورذائل الأمور. هذا التأثير الوجداني لأسلوب الترغيب هو ما جعله أحد أساليب المنهج العاطفي الوعظية، وقد استخدمه القرآن الكريم كثيراً في الدعوة إلى الله تعالى، ومن ذلك على سبيل المثال:

ترغيب نوح عليه السلام قومه في الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بمقتضى ذلك الإيمان، من خلال بيان ما سينتج عنه من نتائج إيجابية ومكاسب دنيوية وأخروية، فذكر في دعوته لهم أن هناك رابطة وعلاقة بين الاستجابة والسعادة في الدنيا والآخرة، نلحظ ذلك في قول الله تعالى على لسان نوح عليه السلام، حيث قال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

(١) انظر: الدكتور/ عبدالغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، تاريخها: ١٤٠٣هـ: ٣٥٨.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٢ ـ ٤.

وقال في موضع آخر : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[1] . يقول أبو السعود في تفسير هذه الآيات : «لقد رغّبهم نوح عليه السلام في هذه الآيات بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من الفوائد العاجلة ، وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالىٰ عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين ، فوعدهم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالىٰ الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه»[2] ، وبالتأمل في الآيات السابقة نجد أن صيغها اللفظية واضعة الدلالة مفهومة ، وأنها تشتمل علىٰ عنصر التشويق الذي يأخذ بشغاف القلوب ، وعند تدبرها يحصل المتدبر علىٰ المتعة والجمال من حسن نظمها وقوة معناها ، وهذه صفات أسلوبية غاية في الأهمية ، لأنها تؤدي جميعها إلىٰ الإيضاح والإفهام الذي هو الغاية من الكلام[3] .

ولنتأمل أسلوب الترغيب الذي استخدمه الحق عز وجل في قوله تعالىٰ : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4] .

فبالتأمل في الألفاظ الواردة في الآية نجدها جزلة ومتناسبة في القوة لاحظ قوله تعالىٰ : ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ ، ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ، ﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ : هذا التناسب في القوة زاد من أثر الأسلوب في النفوس ، ووضحت الدلالة أكثر ، فوصل المعنىٰ

(١) سورة نوح ، الآيات : ١٠ ـ ١٢ .

(٢) أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم : ٦/ ٣٠٨ ، مرجع سابق .

(٣) انظر : الدكتور/ علي بو ملحم ، في الأسلوب الأدبي : ٨٠ ، مرجع سابق .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٥٣ .

كاملاً للمعني بالخطاب بأفضل ما يكون ، ولهذا قيل أن هذه الآية هي أرجىٰ آية في القرآن الكريم ، وهكذا كان أسلوب الترغيب في القرآن الكريم .

٩ ـ أسلوب الترهيب :

أسلوب الترهيب من الطرق التي تستخدم في نقل المعاني المتضمّنة عنصر الإخافة والتّوعّد فتحرك المشاعر وتلين القلوب وتحمل المدعو علىٰ الاستجابة وقبول دعوة الحق بمقتضىٰ الفطرة التي فطره الله عليها لأن له موجهات داخلية ذاتية منها : الخوف مما تكرهه النفس من مشقيات ومكدرات ومحزنات وآلام وأضرار وخسارات عاجلات وآجلات والترهيب من تلك المكروهات مما يؤثر في تلك الموجهة تأثيراً إيجابياً نافعاً فيثيره (أي الخوف) ويهيجه فيقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك الذي يضبط النفس ويكفها ويبعدها عن التوجه أو الأقتراب من الموقع الذي يخشىٰ أن يكون فيه تحقيق مانفرت منه النفس مما تكره راغبة في السلامة من شروره وآلامه[1] .

وأسلوب الترهيب هو المقابل لأسلوب الترغيب ، فهو يقوم ـ كما قلنا ـ علىٰ تخويف المدعو من غضب الله وعذابه في الآخرة وبما يصيبه في الدنيا من شر في حال رفضه دعوة الحق ، فهو أسلوب يثير في النفس كوامن الخوف ، وبه تقرع أبواب القلوب المغلقة ، وتفتح سدودها وتوقظ الضمائر الغافلة فتتنبّه وترجع عن غيّها ، وتثوب إلىٰ رشدها ، وتستشعر الخوف من ربها ، فمن خلاله يُكْشَف للمدعو حجم الخسائر التي تطوله ، والنكبات التي تلحقه في حال عدم استجابته لربه وامتثال أمر الله عز وجل ونهيه . وقد استخدمه رسل الله عليهم السلام في

(١) انظر : عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، فقه الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ : ١/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤ ، مرجع سابق .

دعوتهم أقوامهم ، وقد أتحفنا القرآن الكريم بنماذج من ذلك ، منها على سبيل المثال :

استخدام نبي الله صالح عليه السلام له في قوله تعالى : ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[1] نبّههم . عليه الصلاة والسلام وحذّرهم على وجه التخويف من أن الله لن يتركهم في ديارهم آمنين وهم يشركون به ويكفرون برسوله وبما جاء به من ربّه ؛ بل لا بُدّ من أن ينزل بهم عقوبته إذا أصروا على ما هم فيه من شرك وإفساد في الأرض وحذّر جماهيرهم من طاعة قادتهم المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون .

ومنها ما جاء على لسان عيسى لقومه ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2] .

واستخدم القرآن الكريم أسلوب الترهيب كصورة من صور الموعظة قال الله تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[3] ، فالمتدبر لهذه الآيات يجد صيغ ألفاظها

(١) سورة الشعراء ، الآيات : ١٤٦ ـ ١٥٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .

(٣) سورة النبأ ، الآيات : ٢١ ـ ٣٠ .

واضحة بليغة ، ويجد معناها قوياً مؤثراً في النفوس، حيث إنها تصور أمام القارئ والسامع جهنّم وهي ترصد للطاغين مصيرهم وتقرر مدّة لبثهم وإقامتهم بها بأنها أحقاب بعد أحقاب إلى غير نهاية ، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها[1] .

وليس هذا فحسب بل : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ ينفس عنهم حرّ النار ، ﴿وَلا شَرَابًا﴾ يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً ، وهو ماء حار يحرق ما يأتي عليه ، وغساقاً : أي ما يغسق وهو ما يسيل من صديدهم[2] . وما ذاك إلا جزاءً وفاقاً : أي موافقاً لأعمالهم ، حيث كانوا لا يخافون محاسبة الله إياهم، أو لم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حساباً وكذبوا بآيات الله تعالى، ثم ختم الآيات بقوله ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ : يقول صاحب الكشاف في تفسيرها : «وهي آية في غاية الشدّة وناهيك بل نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة، وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهد على أن الغضب قد تبالغ. وقد روي عن النبي ﷺ قوله : (هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار)[3] .

إلى غير ذلك من النماذج المتعلقة بأسلوب الترهيب ، وعليه ينبغي على الداعية أن يستثمر ما ورد من ذلك في القرآن في دعوته الناس إلى الله تعالى .

(١) انظر : الزمخشري ، الكشاف : ٦/ ٣٠٠ ، مرجع سابق .

(٢) انظر : النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٤/ ٤٧٨ ، مرجع سابق .

(٣) الزمخشري : الكشاف : ٦/ ٣٠١ ، وقال عنه محقق الكتاب : رواه الطبراني والبيهقي في الشعب موقوفاً . مرجع سابق .